

6701 -
- 51 A

كِتَابُ الْحُلَّةِ السَّيْرَاءِ

لِلْأَبِيِّ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُضَاعِيِّ
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَثَارِ
(٥٩٥ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٦٠ م)

الجزء الأول
وَيَضُمُّ تَرَاجِمَ أَهْلِ الْمَنَاتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ

حَقَّقَهُ وَعَلَقَ حَوَاشِيَهُ الدُّكْتُورُ

مُحَمَّدُ بْنُ مُؤَنِّسٍ

أَسَاطِذُ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ كَلِيَّةُ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ الْعَامِرَةِ
وَمَدِيرُ مَعْهَدِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَدْرِيدِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَذَمِّةٌ

تمهيد:

عاش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار بين سنتي ١١٩٩/٥٩٥ و ١٢٦٠/٦٥٨ ، أي ثلاثاً وستين سنة هجرية (إحدى وستين سنة ميلادية) ، وهو عمر طويل نسيباً ، وأتيحت له الفرصة ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه ، ووصل إلى الوظائف الكبرى في عتفوان شبابه ، وظل بعد ذلك صدرأً في بلده بلنسية وفي كل مكان حل فيه ، وأوتي من الذكاء وبعد الفهم وقوة الذاكرة وبلاغة اللسان ما كان كفيلاً بأن يهيئ له حياة سعيدة ، أو مستقرة على أقل تقدير ، ولكنه خلُق ذا طبع قلق ونفس حائرة وقلب ذى طماح بعيد المطارح ، فلم يقر له حال منذ أبيع إلى أن مات ، ولم يسعد من حياته الطويلة إلا بفترات قصار معظمها وهو دون الثلاثين ، ثم ما زالت الخطوب تنزل بساحته وما زال يعينها على نفسه حتى تكدرت حياته ما بقي له من أيام العمر بعد ذلك ، وانتهى به الأمر إلى مصرع فاجع على يد من خدمه وملأ الصفحات بمدحيه ، فلو أننا بحثنا عن مثال لرجل لم ترحمه أيامه ولا رحته نفسه لما كان هذ المثال خيراً من ابن الأبار .

ولكن الأجيال التالية لعصر ابن الأبار كانت أرفق به من أيامه ومن نفسه ، فتعاقب الناس على إنصافه وتكريمه والإشادة بذكوره ، فترجم له أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت ١٣١٤/٧١٤ - ١٣١٥) في «عنوان الدراية» (ص ١٨٣-١٨٧) وابن خلدون في تاريخه (٦/٢٨٣-٢٨٣).

(٢٨٥) ، والمقرئ في «نفتح الطيب» (٣/٣٤٦-٣٤٧) و «أزهار الرياض»
(٣/٢٠٥) ، وأبو علي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي في «تاريخ الدولتين»
(ص ٢٠ - ٢٧) ، ومحمد بن شاذي الكندي في «فوات الوفيات» (بولاق ،
٢٨٢/٢-٢٨٤) ، وذكر حاجي خليفة بعض مؤلفاته في أربعة مواضع من
كشف الظنون (٢/١١٥ و ٢٣٦ ، ٣/٥٢٧) .

هؤلاء جميعاً أثنوا على ابن الأبار وقدروه قدره الصحيح كواحد من
أكبر من أنجبهم الأندلس في ميادين التاريخ والأدب وعلوم الإسلام ،
وأنصفوه من قاتله وأجمعوا على أنه قتل مظلوماً ، بل وصفه بعضهم
بالشديد .

وفاقت عناية المحدثين بابن الأبار عناية الأقدمين ، فتبينوا من فضائله
كمؤرخ وكاتب أكثر مما تبينه السابقون ، وصاحب الفضل في ذلك دون شك
هو المستشرق الهولندي المعروف رينهاردت بيتر - آن دوزي ، فقد وقف
عنده وقفة طويلة في كتابه الصغير المسمى «مقدمة للبيان المغرب» :

Introduction au Bayan al-Moghrib, Leyde 1848.

وقرر أنه مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة ، وأنه حافظ جمع فأوعى ،
وحفل صدره من العلم بالمغرب والأندلس وتاريخ الإسلام عامة ما لم يصل
إليه إلا المتأثر من علماء القرن السابع الهجري ، وأن أسلوبه الأدبي قوى
جبل فيه فحولة ندرت بين أهل عصره .

ثم عاد فأكد هذا الرأي ووفى ابن الأبار حقه من التقدير في تعليقاته
على الترجمة اللاتينية للنصوص الخاصة ببنى عباد أصحاب إشبيلية :

Scriptorum Arabum Loci de Abbadides. (Lugdun Batavorum,
1852) II, 46-47.

ونشر تراجم الأندلسيين من أخوة السيرة في كتابه المسمى :

Notices sur quelques Manuscrits Arabes (Leyde, 1847-1851)
pp. 29 sqq.

مع مقدمة قصيرة عن ابن الأبار أحال فيها إلى ما كتبه عنه في مؤلفاته الأخرى .

وكان نشر دوزى لهذه القطعة من الحلقة ، بالإضافة إلى ما نشره منها في جامع الكتابات عن بني عباد منها لأهل العلم إلى قيمة ابن الأبار وأهمية ما كتب ، فأقبل الناس يبحثون عما بقي من آثاره يدرسونها بالعناية الجديرة بها وينشرون ما تيسر لهم منها . وأول من فعل ذلك بعد دوزى ماركوس جوزيف مولر في كتابه المسمى :

Beiträge Zur Geschichte der Westlichen Araber. (München, 1866)
Heft I, 161—192 ; heft II, 193—360.

ووقف مولر بتراجمه عند أحمد بن أبي الأغلب محيى بعد ذلك إلى قطعة من « الحلقة » كان قد نشرها أمارى في المكتبة الصقلية (ص ٣٣ وما يليها) « وواضح أن مولر كان ينوى متابعة نشر تراجم أهل المغرب من « الحلقة » في جزء ثالث من كتابه ، ولكنه لم يفعل ، فبقيت هذه التراجم دون نشر . وكان دوزى قد نشر بضع تراجم أندلسية من « الحلقة » ذيولا على بعض أبحاثه في كتابه المعروف :

Recherches sur l'histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le moyen-âge, 3e éd. Paris, Leyde 1881, Vol. I., appendices X, p. XIX ; XX, p. XLVIII ; XXIV, p. LVI — vol. II, appendices II, p. XXVII ; IX, p. XLVI.

وكان الرابع اللبناني ميخائيل الغزيرى نزيل إسبانيا وواضع القهرس الأول للمخطوطات العربية في مكتبة الإسكريال قد نبه إلى أهمية مخطوط « الحلقة السيرة » الموحود بهذه المكتبة ونشر ترجمة لاتينية لقطعة صغيرة منه :

M. CASIRI *Biblioteca Arabico - hispana Escorialensis*, Vol. II, p. 163, n. MDCCXXV.

ونشر كذلك قطعة من مخطوط كتاب آخر لابن الأبار هو التكملة :

Ibidem, Vol. II, n. MDCCXXX.

ثم عكف المستشرق الإسباني فرانسيسكو كوديرا على نشر مخطوطتين لابن الأبار ، أولها « المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصلبي » ، المكتبة الأندلسية رقم ٤ :

Bibliotheca Arabico Hispana ; tomus IV, Madrid 1886.

وثانيهما كتاب التكملة لكتاب الصلة :

Bibliotheca Arabico Hispana, t. V—VI, Madrid 1889.

وقد نشر في هذين الجزئين التراجم التي يضمها المخطوطان رقم ١٦٧٥ و١٦٧٨ من مخطوطات مكتبة الإسكريال وهي التراجم من حرف الجيم إلى حرف الميم (عدا بعض الحروف بين العين واللام) . وقد عثر على هذه التراجم الناقصة في مخطوط يحمل رقم ١٧٣٥ في مكتبة الجزائر ، فقام على نشرها م . ألاكرون وأنخل جنتال بالثيا في مدريد سنة ١٩١٥ :

M. ALARCON y C. A. O. PALENCIA : *Apéndice a la edición Codera de la Técmila de Aben al-Abbar en Miscelanea de Estudios y Textos Arabes*, Madrid 1915.

وبقيت الحروف من الألف إلى التاء ثم من اللام إلى الياء ، فأما الأولى فقد عثر عليها ألفريد بيل ومحمد بن شنب في فاس ونشراها في الجزائر سنة ١٩٢٠ :

IBN AL - ABBAR, *Técmilat as-Sila*. Texte arabe d'après un ms. de Fez, Tome I complétant les deux volumes édités par Codera, Alger 1920.

وعثر محمد بن شنب على قطعة تضم فاتحة التكملة فنشرها في المجلة الإفريقية سنة ١٩١٨ :

M. BEN CHÈNEB, *L'Introduction d'Ibn al-Abbar à sa Técmila*. Revue Africaine, 1918 p. 300.

وقد قدم كل من كوديرا وألاكرون وجنتال بالثيا وألفريد بيل ومحمد ابن شنب لما نشروا من نصوص لابن الأبار بمقدمات ودراسات إضافية ، تخص منها بالذكر مقدمتي كوديرا للمعجم ولما نشر من التكملة ، فهما دراستان شاملتان عن ابن الأبار وحياته وأعماله وقدره بين من أنجب الأندلس من أعلام .

وعند ما كتب فرديناند فستنفلد كتابه المعروف عن مؤرخى العرب
اختص ابن الأبار بمادة طبية :

F. WÜSTENFELD, *Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke*. Göttingen, 1882, p. 129.

وفى الترجمة الإنجليزية التى قام بها بشكوال دجيانجوس للمجلد الأول
من « نفح الطيب » للمقرى (طبعة أوروبا) تعليق طويل عن ابن الأبار
وأعماله :

PASCUAL DE GAYANGOS, *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, II, 528.

وكتب ميكيلي أمارى مادة قصيرة عن ابن الأبار فى الجزء الأول من
تاريخ مسلمى صقلية ، ثم نشر قطعة منه خاصة بفتح صقلية فى المكتبة
الصقلية (رقم ٥٢) ، وأشار إليه سيمونيت فى معجمه :

F. J. SIMONET, *Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes*. Madrid, 1888, CCXXIV.

وعندما كتب البارون فون شاك كتابه البديع عن شعر عرب الأندلس
وصقلية وفنهم ، أشاد بابن الأبار وترجم إلى شعر ألمانى سينته المشهورة فى
استصراخ أبى زكريا الحفصى لنجدة الأندلس :

ADOLPH FRIEDERICH VON SCHACK : *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sizilien*. 3 Auflage, Stuttgart, 1871.

وعن شعر فون شاك ترجم نفس القصيدة إلى شعر إسبانى خوان فاليرا
عند ما ترجم الكتاب كله إلى الإسبانية :

JUAN VALERA, *Poesía y Arte de los Arabes en España y Sicilia*. 3a ed. Sevilla : 83', I, 162.

وأوفى مادة كتبت عن ابن الأبار فى غير العربية هى تلك التى كتبها
يونس بويجس فى معجمه عن المؤرخين والجغرافيين من أهل الأندلس :

FRANCISCO PONS BOIGUES, *Ensayo bio - bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos árabe - españoles*. Madrid, 1898, nu. 253 pp. 291 — 296.

ونضيف إلى هذا العرض لما كتب عن ابن الأبار في غير العربية مادني
 كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج ١ / ٤١٦ والملحق ١ / ٥٨٠ (يلاحظ
 أنه أخطأ في اسمه فجعله أبا علي بن محمد بن علي بن أبي بكر بن الأبار) ،
 ومادة دائرة المعارف الإسلامية في طبعها الأولى وقد كتبها محمد بن شنب
 (٣٧٤/١ ب ٣٧٥ ا) ، والفقرة الخاصة به من كتاب تاريخ الفكر الأندلسي
 (ققرة رقم ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ من ترجمتنا العربية) ، ثم المادة القصيرة
 التي اختص بها كليان أوار في كتابه عن تاريخ الأدب العربي (ص ٢٠٤) .

أما المحدثون من العرب ، فأول من نبه منهم إلى مكانة ابن الأبار هو
 جرجي زيدان في كتابه القيم عن «تاريخ الأدب العربي» ، فقد اختص ابن الأبار
 بمادة قصيرة في الجزء الثالث من ذلك التاريخ (ص ٨٤ من الطبعة الجديدة
 بتحقيق الدكتور شوقي ضيف) أشار فيها إلى مكانته كمؤرخ ، وهي على صغرها
 مادة طيبة تضع ابن الأبار في مكانه بين مؤرخي الغرب الإسلامي في القرن
 السابع الهجري .

ثم تناول ابن الأبار المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد فكتب عنه
 كتاباً ضخماً (٣٨٤ صفحة) نال به جائزة مولاي الحسن لسنة ١٩٥١ ،
 ونشر الكتاب في نفس العام في تطوان ، وعلى الرغم من أن هذا التأليف كان
 أول عهد المؤلف بالدراسات الأندلسية ، إلا أنه عرف كيف يجمع الأصول
 اللازمة لكتابة عن ابن الأبار ويفيد منها . فدرس عصره وشخصيته وولفاته
 دراسة شديدة تدل على اجتهاد وصبر ، وقد أفدنا فائدة كبيرة من هذا
 الكتاب .

ثم تناول موضوع ابن الأبار الأستاذ ألفريد البستاني فأنشر «المقتضب»
 الذي صنعه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي لكتاب ابن الأبار
 المسمى «تحفة القادم» في مجلة المشرق (السنة الحادية والأربعون ، يوليو -
 سبتمبر ١٩٤٧) وقدم له بنراسة قصيرة .

وبعد ذلك بعشر سنوات أعاد الأستاذ إبراهيم الإياري نشر نفس النص ، وعلى نفس مخطوطة الإسكريال (رقم ٣٥٦) وقدم له بمقدمة طيبة تتضمن بحثاً عن حياة ابن الأبار وأعماله ودراسة لذلك « المختضب » ، وكلاهما عمل طبيب مشكور .

وفي سنة ١٩٥٩ تقدم السيد أنيس عبد الله الطباع يبحث له عن ابن الأبار للحصول على الدكتوراه من جامعة مدريد ، وأجيز عليه ، ثم طبع ترجمة عربية للبحث بعد ذلك في بيروت .

وأخيراً ، في سنة ١٩٦١ ، قام الدكتور صالح الأشر بنشر « إعتاب الكتاب » لابن الأبار ومهد له يبحث مستفيض عن حياة ابن الأبار وعصره ومؤلفاته وكتاب إعتاب الكتاب .

فهؤلاء تسعة عشر رجلاً من أهل العلم من المحدثين في الشرق والغرب عرفوا قدر ابن الأبار وقاموا على خدمة نصوصه وصرفوا من الجهد ما تيسر لهم في التعريف به وبأعماله وخصائصه وميزاته ، وكلهم أجمعوا على ما قرره دوزي من أنه يعتبر بحق من أكبر من أنجب الأندلس من أهل العلم ومن أولاهم بالثقة والتقدير .

ولم يصب هذا الحظ من أعلام الأندلس إلا القلائل ، بل كان حظ ابن الأبار من التقدير أكبر من حظوظ مؤرخين يزيدون عنه أهمية مثل أحمد بن محمد الرازي وابن حيان وابن بسام ، فإن واحداً من هؤلاء لم يظفر به الباحثين بكتاب خاص عنه في حين ظفر ابن الإبار بكتابين : وذلك عناية من القدر بهذا الرجل الذي يشعر الإنسان وهو يقرأ تاريخ حياته أنه لم يعرف قدر نفسه كما عرفه الآخرون .

* * *

حياة ابن الأبار :

وقد قص معظم هؤلاء حياة ابن الأبار في تطويل أو في اختصار ، وتشابه هذه التراجم في محتواها ، لأن المراجع التي تعتمد عليها في الترجمة ،

متشابهة في مادتها لا يضيف واحد منها شيئاً جديداً ، وهي لا تخرج عما أتينا به في الفقرة الخاصة به من «تاريخ الفكر الأندلسي» (ف ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠) ، ويبدو من هذه التراجم أن حياة ابن الأبار واضحة خالية من المعضلات ، وربما كان هذا صحيحاً عن نصف حياته الثاني ، أي منذ وصوله إلى تونس إلى مصرعه ، ولكن النصف الأول من حياته في حاجة إلى دراسة ، وخاصة ما يتعلق منه بمأساة بلنسية ونصيب ابن الأبار في الأحداث التي انتهت بتسليمها .

ونبدأ من البداية ، فنجد الغبريني يقول إن أصله من أجردة ، وفي نسخة أجره ، ولا نجد قرية أو موضعاً في إقليم بلنسية بهذا الاسم ، ولكن محمد بن شنب ناشر «عنوان الدراية» يقول في تعليق له : «في نسختين «أجره» والصواب «ثورية» ، ولاندرى علام استند في هذا التصويب ، لأن ثورية أو الثوريا هو الاسم اللاتيني والإسباني لنهر بلنسية الذي يسميه العرب بالنهر الأبيض ، ويسمى في بعض النصوص الإسبانية بهذا الاسم العربي Guadalaviar ، وليست هناك قرية باسم ثورية في ناحية بلنسية . ويضيف الغبريني عن أجردة هذه : «وهي وما والاها دار القضاة في الأندلس» ، ولم نجد ما يؤيد هذا في «جمهرة الأنساب» لابن حزم : وصحة الاسم أثده ، فقد ذكر ابن الأبار في ترجمته لأبيه (التكملة رقم ١٤٤١) أنه «من أهل أنده وسكن بلنسية» . وأنده Onda اليوم مدينة صغيرة في مديرية قسطليون Castellón de la Plana ، وتقع على ٢٠ كيلومتراً غرب قسطليون قاعدة المديرية ، وكانت أنده على أيام المسلمين تابعة لكورة بلنسية :

وترجمة ابن الأبار لأبيه تلقي ضوءاً على أصله وحياته الأولى ، فقد كان أبوه عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاة من أهل العلم والدين ، درس على أجلاء أهل العلم في عصره وأجاز له الكثيرون منهم رواية كتبهم ورواياتهم ، قال ابن الأبار : «وكتب إليه القاضي أبو بكر بن أبي جرة يميز له ولي معه جميع روايته مرتين ،

إحداهما في غرة رجب سنة ٥٩٧ هـ ، والثانية في منتصف ذي القعدة من العام
 المذكور ، وأنا إذ ذاك ابن عامين . وأشهر مولدى عند صلاة الغداة من يوم
 الجمعة في أحد شهرى ربيع سنة ٥٩٥ هـ . وهذا أدق تحديد وجدناه لتاريخ
 ميلاد ابن الأبار مع ما في العبارة من تضارب ، فهو يقول أولاً أنه كان في
 منتصف ذي قعدة سنة ٥٩٧ هـ ابن سنتين ، أى أنه ولد في ذي قعدة سنة
 ٥٩٥ هـ ، ثم يقول إنه ولد في أحد شهرى ربيع من نفس السنة ، فإذا كان قد
 ولد في ربيع الأول منها فإن هذا الشهر يقابل ديسمبر ١١٩٨ ، وإذا كان
 قد ولد في ربيع الثانى فهو من مواليد يناير سنة ١١٩٩ .

ثم يقول ابن الأبار عن أبيه : « وكان رحمه الله - ولا أزكيه - مقبلاً
 على ما يعنيه ، شديد الانقباض بعيداً عن التصنع ، حريصاً على التخلص
 مقدماً في حملة القرآن ، كثير التلاوة له والتهجد به ، صاحب ورد لا يكاد
 يهمله ، ذاكرةً للقراءات ، مشاركاً في حفظ المسائل ، آخذاً فيما يستحسن
 من الأدب ، معدلاً عند الحكام ، وكان القاضى أبو الحسن بن واجب
 يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة من داخل بلنسية . قرأت عليه القرآن
 بقراءة نافع مراراً ، وسمعت منه أخباراً وأشعاراً ، واستظهرت عليه مراراً
 أيام أخذنى على الشيوخ ، يمتحن بذلك حفظى ، وناولنى جميع كتبه ،
 وشاركته في أكثر من روى عنه . وسمعت يقول : حضرت شيخنا أبا عبد الله
 ابن نوح ، وقد زاره بعض معارفه ، فسأله عن أحواله ، وبالف في سؤاله ،
 فجعل يحمد الله ويردد ذلك عليه ، ثم أنشد متمثلاً :

جرت عادة الناس أن يسألوا عن الحال في كل خير وشر
 فكلُّ يقول بخير أنا وعند الحقيقة ضد الخبر

... حدثنى أبى رحمه الله غير مرة أنه ولد بأندلس سنة ٥٧١ (١١٧٥) -

(١١٧٦) ، وتوفى ببلنسية وأنا حينئذ بثمر بطليوس عند الظهر من يوم
 الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة ٦١٩ (٢١ مارس ١٢٢٢) ، ودفن
 لصلاة العصر من يوم الأربعاء ببلده بمقبرة باب بيظالة وهو ابن ثمان وأربعين

سنة ، وحضر غسله أبو الحسن بن واجب وجماعة معه ، وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه جميلا ، نفعه الله بذلك .

وإذن فقد نشأ ابن الأبار في بيت علم ودين وعفاف ، ولكنه لم يكن من بيت رئاسة وولاية . ولو أن ابن الأبار سار على نهج أبيه في الانصراف إلى العلم والانقطاع له لانتفع بحياته بأكثر مما قدر له ، ولكنه انصرف وهو في مطالع شبابه إلى السياسة وطلب الوظائف والجاه في ظروف ضيقة عسيرة على الحاكمين والمحكومين معاً ، فأصابه من ذلك بلاء شديد .

وقد أحصى الدكتور عبد العزيز عبد الحميد شيوخ ابن الأبار وترجم لكل منهم ، ولهذا فسكنفى بالقول بأنه أخذ القرآن والقراءات عن أبيه ، وأخذ الفقه والحديث والمسائل وعقد الشروط عن أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نوح السرقسطي (٥٣٠ - ٦٠٨ / ١١٣٥ - ١٢١٢) ، وعن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر (توفي في رجب ٦٣٤ / ١٢٣٧) ، وأخذ الحديث أيضاً عن أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي (٥٣٧ - ٦١٤ / ١١٤٢ - ١٢١٧) وعلى هذا الشيخ أخذ « الأخبار » أي درس التاريخ ، وهو العلم الذي بلغ ابن الأبار فيه شأوه ، ولابن الأبار شيخ آخر في التاريخ هو أبو سليمان داوود بن سليمان .. بن حوط الله الأنصاري (٥٥٢ - ٦٢١ / ١١٥٧ - ١٢٢٤) ، فقد كان ابن حوط الله من المعنيين بالأخبار ومن كتبوا فهرسة لشيخوهم : وأخذ النحو والأدب عن محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري (٥٦٣ - ٦١٠ / ١١٦٧ - ١٢١٣) وعن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم البكري (توفي سنة ٦٢٨ / ١٢٣٠) وأبي عامر نذير بن وهب بن لب بن عبد الملك بن نذير القهري (٥٥٨ - ٦٣٦ / ١١٦٢ - ١٢٣٨) وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مطروح القيسي (٥٧٤ - ٦٣٥ / ١١٧٨ - ١٢٣٧) ، وقد أورد ابن الأبار في ترجمته لابن مطروح هذا خبرين لها أهمية بالنسبة لحياة ابن الأبار نفسه ، ولتاريخ

بلنسية في أيامه أيضاً ، وذلك أنه ولي قضاء دانية في آخر عمره ، ثم عزل عنه وتولاه بعده ابن الأبار سنة ٦٣٣ / ١٢٣٥ - ١٢٣٦ ، ثم استعفى ابن الأبار من قضاء دانية ، فعاد إليه ابن مطروح لفترة قصيرة إذ أنه توفي سنة ٦٣٥ / ١٢٣٧ - ١٢٣٨ ، والروم محاصرون بلنسية .

غير أن أكبر أساتذة ابن الأبار وأبعدهم أثراً في حياته هو أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم بن حسان الحميدى الكلاعى (٥٦٥ - ٦٢٤ / ١١٦٩ - ١٢٢٧) ، فقد كان أبو الربيع كبير علماء بلنسية في عصره ، وإليك سيرته كما رواها ابن الأبار في « التكملة » لتستبين النواحي التي أعجبت ابن الأبار في شيخه هذا واجتهد في الأخذ بها ، قال بعد ذكره شيوخته : « ...وعنى أتم عناية بالتقيد والرواية ، وكان إماماً في صناعة الحديث بصيراً به ، حافظاً حافلاً عارفاً بالجرح والتعديل ، ذاكراً للمواليد والوفيات ، يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال ، خصوصاً من تأخر زمانه وعصره . وكتب الكثير ، وكان حسن الخط لا نظير له في الإتقان والضبط مع الاستبحار في الأدب والاشتهار في البلاغة ، فرداً في إنشاء الرسائل ، مجيداً في النظم ، خطيباً فصيحاً مفوهاً مذكرًا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة الأنيقة والزى الحسن . وهو كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدون على المنبر في المحافل . ولي خطابة بلنسية في أوقات . وله تصانيف قصيرة في فنون ، وله كتاب « الاكتفاء مما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء » أربعة مجلدات ، وكتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله ، وكتاب في أخبار البخارى وترجمته ، وكتاب « الأربعين » وتصانيف سرى ذلك كثيرة في الحديث والأدب والخطب ، وإليه كانت الرحاء في عصره للأخذ عنه . أخذتُ عنه كثيراً ، وانتفعت به في الحديث كل الانتفاع ، وحضنى على هذا التاريخ (أى كتاب التكملة) وأمدنى من تقييداته وطُرقه بما شحنته به . مولده في رمضان سنة ٥٦٥ ، واستشهد بكاتبة أنيسة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ،

وكان أبداً يحدثنا أن السبعين منتهى عمره لرويا رآها ، وهو آخر الحفاظ والبلغاء المرسلين بالأندلس . قلتُ : أكثرُ هذا عن ابن مسدى ، وقال : لم ألتى مثله ، كان مبرزاً في فنون (ترجمة رقم ١٩٩١ ، التكملة ٧٠٨ / ٢ - ٧٠٩) .

وأبو الربيع سليمان هذا نموذج لطراز من أهل العلم في الأندلس تستطيع أن تسميهم « شيوخ » العصر أى الذين انتهت إليهم الصدارة في علوم الدين والفقه والفتيا في أيامهم ، ويصدق على كل منهم ما قاله ابن الأبار عن أبى بكر محمد بن عبد الله بن الجلد : « ... وكان في وقته فقيه الأندلس وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ، لا يجاريه أحد في ذلك ولا يدانيه » (التكملة رقم ٨٢٥ ج ١ ص ٢٥٩) . والخصائص الرئيسية لأولئك الشيوخ غزارة العلم وصدق الإيمان ، وشرف البيت واتصال الرئاسة فيه ، وفصاحة اللسان والقدرة على الكتابة والخطابة في بلاغة ، ثم الاهتمام بشؤون الجماعة الإسلامية والأخذ من السياسة بنصيب ، مع التزام الحق والسمت والعفاف .

وفي عصور الأندلس الأولى ، أيام الإمارة والخلافة ، كان أولئك الشيوخ عمداً من عمد السلطان ، كما نرى في حالات عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى الليثى وأصينغ بن خليل . أما بعد زوال الخلافة وانتشأ الفتنة وتلاشى السلطان السياسى العام فقد أصبح أولئك الشيوخ رموزاً على السلطان الوحيد الباقى وهو سلطان الدين والعلم ، وصاروا رموزاً على قوة الدين وسيادته ومعقد الآمال في بعث الدولة وعودة هبة الإسلام في شبه الجزيرة ، فهم عمد الدين وجماعته ، وهم في واقع الأمر زعماء الجماعة الإسلامية الأندلسية وقادتها الحقيقيون . وكلما زاد السلطان السياسى تخلخلاً ازداد أولئك الشيوخ جلالة وزاد شعورهم بمسؤولياتهم ، فلم يعودوا مجرد فقهاء بل زعماء أيضاً يتحلون بما تتطلبه الزعامة السليمة من صدق وإخلاص وجراة واستعداد لبذل النفس في سبيل الجماعة الإسلامية ، مع الحرص على العلم وهو عماد سلطانهم الأول .

وقد يتقارب اثنان أو ثلاثة من الفقهاء في صفاتهم ، ولكننا نجد في الغالب تسلياً لواحد بالرياسة والتقدم . ففي أيام أبي علي الحسين بن مسكرة الصديقي (٤٥٤-٥١٤/١٠٦٢-١١٢١) عاش أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (٤٥٠-٥٢٠/١٠٥٨-١١٢٦) ولكن الزعامة كانت لأبي علي بن مسكرة الصديقي ، وقد دفع ثمنها باستشهاده في معركة كُتُنْدَة . وقد عاصرها أبو بكر بن العربي ، وكان من أجل العلماء وأوفرهم هبة ، ولكنه فر من معركة كُتُنْدَة ثم أقحم نفسه في السياسة ، ولم يستطع لهذا أن يرث مكان الصديقي وإنما ورثه القاضي عياض بن موسى بن عياض (٤٧٦-٥٤٤/١٠٨٣-١١٤٩ ، ٥٠) ، وقد ثبتت زعامته عند تصديه للموحدين وصموده للحق ونفيه إلى المغرب . ثم كان شيخ الجليل الثاني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد (٤٩٦-٥٨٦/١١٠٢-١١٩٠) وكان رجل الأندلس وشيخه غير مدافع على أيام أبي يعقوب يوسف وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور ؛ ثم انتقلت المشيخة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد (٥٢٠-٥٩٥ / ١١٢٦-١١٩٩) وكان بينه وبين الموحدين من الخلاف ما أدى إلى الإساءة إليه ونفيه ثم عودته ؛ ثم كان الشيخ بعد ذلك أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي (٥٦٥-٦٣٤/١١٦٩-١٢٣٧) شيخ ابن الأبار ، وقد استشهد مجاهداً في سبيل الإسلام في معركة أنيشة .

ونصل إلى أيام ابن الأبار ، فنجد سائراً في طريق أولئك الشيوخ ناظراً إلى سيرهم آخذاً بالأصول التي ساروا عليها ، ولكن الظروف في الأندلس كانت قد تغيرت مع الأيام تغيراً حاسماً جعل استمرار هذا الخط الجليل مستحيلاً ، فإن الجماعة الإسلامية نفسها - التي بقيت متماسكة رغم كل شيء حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري / العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادي - أصيبت بكوارث كبرى حلت عقدها وضعفت كيائها السبامي والاجتماعي ولم يتأسك ما بقي منها في منطقة غرناطة إلا بعد فترة طويلة من الفوضى والكوارث المتوالية .

عصر ابن الأبار

ذلك أن الصراع الطويل بين الإسلام والنصرانية حول مصير الأندلس تحدد مصيره بصورة حاسمة في نهاية العقد الأول من القرن السابع الهجري إثر معركة العقاب (١٥ صفر ٦٠٩ / ١٧ يوليو ١٢١٢) بعد قرابة القرنين من صراع ضارٍ أنفق الجانبان الإسلامي والنصراني فيه أقصى ما استطاعا من الجهد في سبيل أراضٍ عظيمة وبلاد كبرى أراد القدر أن تحرّم ممن ينهض من أهلها لجمع أمرها والدفاع عنها . وقد كان هذا الصراع سجّالا بين مدّ وجزر طالما وقف المرابطون في الميدان ، ثم مال الميزان وشالت كفة الإسلام بعد زوال أمر هذه العصبة من المجاهدين أولى القوى وحلول الموحدين محلهم .

وقد بذل الموحّدون ما استطاعوا ولكنهم كانوا أولا وقبل كل شيء أصحاب إمبراطورية كبرى تمتد حدودها من طرابلس في الشرق إلى مشارف المحيط الأطلسي من الأشبونة إلى ما يعرف اليوم بالسّنغال ، وكان على الموحدين أن يظلّوا على أهبة الحرب على هذه الحدود المترامية وفي داخل إمبراطوريتهم نفسها ، وكان من المستحيل ماديا أن يستمروا محارِبين بنفس القوة في جهات متعددة كهذه ، وكانت الجبهة الأندلسية أضعف جهاتهم وأحفلها بالخطر ، لأن أهل الأندلس أنفسهم كانت قد أكلتهم الحروب والفقر المتوالي وفقدوا روح الوحدة وحرّموا القادة الصالحين في وقت كانوا فيه أحوج ما كانوا إلى قادة قادرين ، لأن ممالك إسبانيا النصرانية كانت تقوى على حسابهم يوماً بعد يوم ، وقد أسعدها الحظ بملوك وأمراء أقوياء ذوي همة ووعى إلى الهدف الذي يجمعهم رغم ما كان بينهم من خلافات .

وخلال القرن الهجري السادس نرى بوضوح ممالك إسبانيا النصرانية تنتظم وتقوى وتثبت في أقاليمها ونجم قواها وتتقدم إلى الجنوب بخطوات ثابتة وعن سياسة واضحة أعانتهم البابوية في رسمها ، وشدت أزهرهم بلاد

أوروبية أخرى نهضت واستقرت أمورها قبلهم ، ومن هنا فقد كان الصراع غير متكافئ بوجه من الوجوه .

وقد تماسكت جبهة الأندلس الإسلامي بعد توضحيات كثيرة أيام خلفاء الموحدين الثلاثة الأول ، ثم تداعت على أيام الرابع منهم وهو محمد الناصر ابن أبي يعقوب يوسف المنصور (٥٩٥ - ٦١١ / ١١٩٩ - ١٢١٥) وظهر هذا التداعي في صورة انهيار سريع بعد معركة العقاب ، وقد كانت قاصمة الظهر للدولة الموحدين في الأندلس والمغرب أيضاً .

كان الناصر يشعر قبل هذه المعركة باستحالة الاستمرار في الدفاع عن دولة مترامية الأطراف كهذه ينتصب لها أعداء ذوو خطر على كل شبر من حدودها بل في كل ناحية من نواحيها ، فاخترت واحداً من خيرة الموحدين وأقامه حاكماً عاماً على كل الجناح الشرقي من إمبراطوريته ، وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص (سنة ٦٠٣ / ١٢٠٦ - ١٢٠٧) . وكان هذا الإجراء في حقيقته تقسيماً للدولة إلى دولتين ، لأن أبا محمد عبد الواحد ابن أبي حفص وخلفاءه لم يلبثوا أن أصبحوا دولة قائمة بنفسها .

ولو أن محمداً الناصر استأنى قبل أن يخوض معركة العقاب لكان من الممكن أن يكون حفظه فيها أحسن ، ولكنه سار إليها وقسم الإمبراطورية ما زالت في الطريق ، ثم إن فتنة بني غانية كانت قد أفسدت الجناح الشرقي من الأندلس ، وكان لا بد بعد القضاء عليها من تنظيم وترتيب واستجاء قوى . ولكنه - رغم حسن نيته وإخلاصه للدولة وللإسلام - لم يكن بالقائد العسكري الذي تتطلبه جبهة مهيضة يقف فيها خصم عنيد أضرت له الرغبة في الانتقام لحرمة يوم الأرش .

ودخلت في المعركة عوامل أخرى كانت كلها على محمد الناصر ، منها أن رؤساء المقاتلين معه - سواء من الموحدين أو الأندلسيين أو جماعات عرب الحلالية - لم يقدرُوا أهمية المعركة ولم يدر بخلد أحد منهم أن مصير

الأندلس كله كان في الميزان في ذلك اليوم ، فانساقوا مع عصيات ونوازع شخصية وغير شخصية ، ومنها أن صناعة السلاح والدروع وفن الحرب بصفة عامة كان قد تقدم تقديماً بعيداً في إسبانيا النصرانية نتيجة للاتصال الوثيق مع بقية بلاد غرب أوروبا . ومن هنا دارت على المسلمين هزيمة قاصمة واصطلى أبرياء المقاتلين والمتطوعة بنار حاصدة أكلتهم أكلاً ، وربما كان عدد من استشهد من المسلمين في تلك المعركة أكبر من عدد من استشهد في أى معركة في تاريخ الإسلام كله حتى ليقول صاحب روض القرطاس إن السائر في ريف المغرب بعد ذلك كان يقطع المسافات الطويلة دون أن يرى رجلاً ، لأن زهرة الرجال راحت صرعى في ذلك اليوم الأسيف .

وأمثال هذه المعارك تخلف في النفوس آثاراً لا تمحى ، فإن القاتل من الأنديلسيين الذين نجوا من السيوف في ذلك اليوم تفرقوا إلى بلادهم وقد استقر في نفوسهم شعور بأن الأمر قد ضاع ولا حيلة في تلافيه ، وألا خير يرتجى من الرؤساء والقادة أمام عدو مستأسد متفوق ، أى أن معنوية المناضلين عن الجبهة الإسلامية ضعفت وخامرها الخوف من العدو ، ومن ثم فلا غرابة بعد ذلك أن نجد الفئة القليلة من النصارى تستولى على البلد الإسلامى الكبير دون مشقة بل دون قتال في كثير من الأحيان ، لأن اليأس والخوف ملأ قلوب الناس ، ولم يعد لهم ما يحفظ عليهم الأمل في البقاء إلا التضافهم حول من وُجد في بلادهم من الشيوخ الذين ذكرنا بعضهم .

وفي أيام أبى يعقوب يوسف المستنصر — خليفة الناصر وخامس خلفاء الموحدين — تلاشت قمية الأمل في الموحدين ، فقد نجم لهم بنو مرين وبدأوا معهم صراع المصير في المغرب ، ولم يكن للموحدين مفر من أن يتجرعوا نفس الكأس التى جرعوها هم للمرابطين في مثل هذه الظروف قبل قرابة القرن من الزمان .

وخلال السنوات العشر التي دامها حكم هذا المستنصر تغيرت نفسية أهل البيت الموحدى وأشياخ حركتهم ، فلم يعودوا يبقا متحدا تجمعهم معنوية واحدة وإنما أمراء وأشياخا اقتعد كل منهم قاعدة من قواعد الملك الموحدى أو وظيفة من وظائفه الرئيسية في مراكز وعينه متجهة إلى عرش الخلافة بمعنى نفسه بها أو يمينه بها من حوله ، ويتمنى في نفس الوقت فساد الأمر على من تولى هذا العرش . وقد ظهرت هذه المطامع بصورة خاصة عند بعض من بقى من أولاد أبي يوسف يعقوب المنصور وأبناء عمومته أولاد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن .

وقد ابتلى الأندلس في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين باثنين من أبناء يعقوب المنصور ، هما : أبو محمد عبد الله وكان يتولى مرسية ، وأبو العلا إدريس وكان يتولى قرطبة ؛ وشاركهما في هذا الطمع وأرأى عليهما فيه ابن عمهما عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن الذي عرف أهل بيته بالبياسيين ، وكان يتولى لإشبيلية ثم بلنسية ، وسار في طريقه اثنان من أبنائه هما أبو زيد عبد الرحمن وقد خلف أباه في بلنسية وشاطبة ودانية وجزيرة شقر ، وأخوه عبد الله الذي اشتهر بالبياسى وكان يتولى لإشبيلية . أى أن أولئك الثغر من البيت الموحدى كانوا يتقاسمون ملك ما بقى للإسلام في الأندلس ، ولو أخلصوا وصدقوا وانحلوا لأغنوا في الحفاظ على هذا الباقي ، ولدأما لهم الملك الذى اقتعدوه .

ولكن شيطان الطمع والخلاف غلب عليهم ، فنهض أكبرهم أبو محمد عبد الله بن أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وأنكر بيعته الموحدين في مراكزهم لم يمن له هو أبو محمد عبد الواحد ذى الحجة ٦٢٠ / مارس ١٢٢٤ ، ونادى بنفسه خليفة بعد شهرين من ولاية عبد الواحد وتلقب بالعاذل ، وأيده أخوه أبو العلا إدريس صاحب قرطبة وابن عمه عبد الله البياسى صاحب لإشبيلية ، وتوقف عن البيعة له ابن عمه أبو زيد عبد الرحمن

ابن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن صاحب بلنسية وما والاها (وهو أخو عبد الله الياسي) . وعبر العادل البحر وخلع عمه عبد الواحد واستقر خليفة في مراكش ١٢٢٢/١٢٢٥ ، وكان يتوجس خيفة من ناحية ابن عمه أبي عبد الله الياسي ، فأضاف إليه قرطبة استرضاء له ، ولكنه لم يكن يرضى بأقل من الخلافة ، فاهى إلا شهور حتى خلع طاعة العادل ، وأيس من حون الموحدين فانضم إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة ، وسلم له عندا من بلاد المسلمين منها قَبْجَاة Quesada وباجة Baza ولوشه Loja ، ثم سار بمن معه من القشتاليين ليهاجم أبا العلا إدريس في إشبيلية ، فثبت له هذا ورده خائباً (صفر ٦٢٣ / فبراير ١٢٢٦ :) ، فغضب على غير هدى حتى قام عليه أهل قرطبة وقتلوه ، إذ تراه إلى علمهم أنه خلع الإسلام ودخل في النصرانية .

ولم يطل الأمر للعادل بعد ذلك ، لأن خلافا شديداً نجم بينه وبين رجال دولته وقادته من الموحدين فقبضوا عليه ثم قتلوه بعد ١٤ يوماً (٦٢٤ / ١٢٢٦ - ١٢٢٧) . وفي هذه الأثناء كان أخوه أبو العلا إدريس قد نادى بنفسه خليفة من إشبيلية ، وتلقب بالمأمون وخاض غمار حروب طويلة مع محمد بن يوسف بن هود الذي كان قد نادى بنفسه أميراً على الأندلس كما سيجيء . ثم صور للمأمون رأيه القاتل ألا معنى للبقاء في الأندلس أو محاولة الحفاظ على ما بقي منه ، فجمع مَن عنده من جند في إشبيلية ومن كان منهم في قرطبة وجيان وما إليها وعبر البحر إلى المغرب وبويع له بالخلافة في شوال ٦٢٤ / سبتمبر ١٢٢٧ . ولم يتمتع هذا المأمون بالأمان يوماً واحداً ، إذ قام عليه المنافسون من كل ناحية وقضى سنوات حكمه القصير (٥ سنوات و ٣ أشهر) في حروب وهروب ومنازعات ووقائع حتى أدال الله منه بابه المسمى عبد الواحد المتلقب بالرشيد :

والمهم لدينا أن اللوالة الموحدية انتهت في الأندلس بتصرف المأمون

هذا ، فلم يبق من أمرائهم فيها إلا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله ابن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الذي ذكرناه ، وكان يملك بلنسية وشاطبة وجزيرة شقر ، أى معظم شرق الأندلس . أما بقية بلاد الأندلس الباقية ، وحدّها الشمالى مجرى الوادى الكبير ، فقد وقفت مكشوفة لا يدفع عنها أحد ، فتجتمع مشايخ كل بلد وفؤو الهمة من رجاله وتولوا أمر بلدهم والدفاع عنه قدر الطاقة ، أو اختاروا من يقودهم ، وأظهر أولئك الرؤساء محمد بن يوسف بن هود الجذامى الذى سنتكلم عنه .

وهكذا بدت جبهة الأندلس كلها من مرسية إلى إشبيلية مكشوفة أمام أعداء أقوياء لا يقصمهم الحافز للتقدم والاستيلاء على هذه البلاد الكبيرة التى وقف أهلها والخوف ملء قلوبهم تحت رحمة الأعداء .

وقد سار التقدم النصرانى فى ذلك الحين ، ابتداء من العقد الثالث من القرن السابع الهجرى / العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى ، فى ثلاثة تيارات : الأول وجهته غرب الأندلس وتولاه أمراء البرتغال . والثانى وجهته حوض الوادى الكبير وتولاه ملوك قشتالة ، والثالث وجهته شرق الأندلس وتولاه ملوك أرغون . وكانت هذه الممالك الثلاث تختلف فيما بينها وقد تقع الحروب بين جيوشها ، ولكنها كانت تقف صفاً واحداً إذا تعلق الأمر بحرب مع المسلمين . وكانت البابوية تعمل فى جد لصراف ملوكها عن النزاع مع إخوانهم فى الدين وتوجيه أنظارهم نحو الغنائم السهلة التى تنتظرهم إذا ساروا جنوباً .

أضف إلى ذلك أن هذه الممالك الثلاث رزقت منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر إلى منتصف الثالث عشر ملوكا ذوى قدرة وسياسة وتصميم على مواصلة الحرب مع المسلمين ، وطالت إلى جانب ذلك أعمار الكثيرين منهم ، فانفسحت أمامهم الآجال للعمل والتجربة واكتساب الخبرات وتعويض الهزائم إذا وقعت ، ففيا بين سنتى ١٠٧٢ و ١٢١٤ (٤٦٥ -

٦١١ هـ) - أى قرابة القرن ونصف - حكم قشتالة ثلاثة ملوك كبار في نسق ، لم تتخلل أيامهم إلا خمس عشرة سنة حكمتها الملكة أورাকা بعد ألفونسو السادس ، وهؤلاء الملوك هم ألفونسو السادس والسابع والثامن ، وهذا الأخير حكم وحده ٥٦ سنة (١١٥٨ - ١٢١٤) عاصر خلالها أربعة من خلفاء الموحدين هم يوسف ويعقوب المنصور والناصر والمستنصر ، وفي هذا الحكم الطويل ضاهاه خايمة الأول المعروف بالقاتح ملك أرغون ، فقد حكم ٦٣ سنة (١٢١٣ - ١٢٧٦) وفرنانلو الثالث ملك قشتالة فقد حكم ٣٥ سنة (١٢١٧ - ١٢٥٢) .

وفرنانلو الثالث هذا يكاد أن يكون أشد ملوك إسبانيا النصرانية عزماً في مواصلة الحرب ضد المسلمين ، وهو الذى استولى على قواعد الوادى الكبير الرئيسية : أندوخر Andujer وبياسة Baeza (٦٢٣ / ١٢١٧) وقرطبة (٢٣ شوال ٦٣٣ / ٢٩ يونيو ١٢٣٦) وجيان (٦٤٤ / ١٢٤٦) وقرمونة ، ثم استولى على إشبيلية (٦٤٦ / ١٢٤٨) . فأما قرطبة فقد سقطت على أهون سبيل ، وقاومت إشبيلية مقاومة عنيفة ولكنها قصيرة ، أما جيان فقد أخذت دون أن يجرّد سيف من قرابه .

ولم ينجم بين مسلمى الأندلس خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى إلا غامرون أوتى بعضهم شجاعة ونجدة ، كان كل منهم يعمل منفرداً ويمجى في نشاطه على غير هدى ، ولم يسلم واحد منهم مع ذلك من الخصوم والأعداء من إخوانه ، مما ضيع جهودهم وقصّر أيامهم ؛ وأكبر هؤلاء جميعاً محمد بن يوسف بن هود الجذامى ومحمد ابن يوسف بن نصر بن الأحمر .

وابن هود هذا - وقد تسمى بسيف الدولة وتلقب بالمتوكل - نموذج من زعماء الأندلسيين في ذلك العصر (سيرجم له ابن الأبار في الحلة) . ظهر وقد نادى المأمون الموحدى بنفسه خليفة ف وقعت بينهما حروب طويلة . ثم انسحب المأمون من الميدان فانضم الكثيرون من جند الأندلسيين الذين كانوا يعملون في صفوفه إلى سيف الدولة المتوكل بن هود ، فاستقل هذا

بمرسية وجمع قوة عسكرية طيبة ودعا للخليفة العباسي وأتمه من بغداد الخلع
والواء ، فحاز شرق الأندلس كله ، وربه النصراري وأطلقوا عليه اسم
ثافادولا (سيف الدولة) وطرد من مرسية أميراً موحدياً كان يدعيها لنفسه
هو أبو العباس بن أبي موسى بن عبد المؤمن ، وهزم السيد أبا زيد عبد
الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن صاحب بلنسية واضطره
إلى اللخول في طاعته ، وأصبح زعيماً لمن بقي من المسلمين في الأندلس .
وقد أرخ له ابن الخطيب في « أعيان الأعلام » بأوق مما فعل ابن الأبار
في « الحلة » ، وههنا من كلامه عنه قوله : « وجرت على ابن هود
هزائم شهيرة ووقائع مذكورة ؛ أوقع به السلطان أبو عبد الله (محمد بن
يوسف) بن نصر ثلاث مرات آخرهن سنة ٦٣٣ أو ٦٣٤ ، وكان اللقاء
بينه وبين المأمون لإدريس أمير الموحدين بشرق الأندلس سنة ٦٣٥ ، فهزمه
المأمون هزيمة كبيرة ، ولأذمته بمرسية وامتنع بها ، إلا أن المأمون شغله أمر
الفتنة الواقعة بمراكش ، فصرف وجهه إليها ، وثاب الأمر لابن هود .
فدخلت في طاعته المرية ، ثم غرناطة ، ثم مالقة . وفي سنة ٦٢٧ تحرك
بفضل شهامته في جيوش عظيمة من المسلمين لإصراخ ماردة . وقد نازلها
العدو وحاصرها ، ولقي جيش العدو بها وطاغيته ، فلم يتأنّ — زعموا —
حتى دفع بنفسه العدو ودخل في مصافه ، وفقده الناس لما غاب عنهم .
فلم يرجع إلا وقد انهزموا مدبرين ، وكانت هزيمة شنيعة ، واستولى العدو
على مدينة ماردة يومئذ ... »

فهذا رجل تصدى للأمر وأثبت شامة ونجدة ، ولكن أنداداه من
المسلمين تصدوا له وواقوه المرة بعد المرة ، ثم خذله جنده ، وكان من
الطبيعي لهذا ألا يوفق إلى شيء ذي أثر .

وبينا كان ابن هود يقطع الجزيرة من شرق لغرب كان قائد آخر هو
محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر يجمع صفوفه في باده أرجونة قرب جيان
ويستعد لحربه والحلول محله . ظهر ابن الأحمر سنة ٦٢٩ / ١٢٣١ — ١٢٣٢

ثم تقدم وملك سيجان سنة ٦٣٠ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣ ثم قرطبة ثم لإشبيلية ، ثم استقر في غرناطة (٦٣٥ / ١٢٣٧ - ١٢٣٨) فضاقت الأمور بين الرجلين ووقعت الحرب بينهما وهلك فيها من المسلمين كثيرون . وكان ابن الأحمر سياسياً بعيد النظر ، استبان من أول الأمر أنه لن يستطيع الثبات في جهة الوادي الكبير ، ولهذا اتجه نحو غرناطة ، وعول على أن يجعلها قاعدة ملكه مكتفياً بالطرف الجنوبي من شبه الجزيرة ، ولهذا حالف ملوك قشتالة وعاونهم واعترف لهم بالرياسة عليه مما نفر المسلمين منه ، فطرد أهل قرطبة ثم لإشبيلية جنده ، فلم يحفل كثيراً وركز همه في إقليم غرناطة . وعلى الرغم مما وقع بين ابن هود وابن الأحمر من حروب فإنه يمكن القول بأنه لو لم يكن سيف الدولة المتوكل بن هود لما استطاع الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر أن ينشئ مملكة غرناطة ، فقد شغل ابن هود القشتاليين وأخافهم خوفاً شديداً ، وحفزهم على موالاته خصمه ابن الأحمر وتأييده ، وفي ظل هذا التأييد قامت مملكة غرناطة ، وأنسا الله في عمرها بعد ذلك قرنين من الزمان .

شرق الأندلس

وكان شرق الأندلس يحتاز فترة قلق مضطربة من تايخه منذ ذهاب أمر المرابطين وبعث الموحدين . فقد نجحت فيه سلسلة من أفذاذ القادة والمغامرين أكبرهم أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردانيش ، وكان أبوه في أوليته من قواد المرابطين يعمل في صفوف يحيى بن غانية ، وكان له بلاء عظيم في موقعة أفرغة . فلما مات بدا لمحمد بن سعد أن يستقل بشيء من شرق الأندلس . فاستقر في مرسية وحازها من جمادى الأولى ٥٤٢ / أكتوبر ١١٤٧ . وكان فارساً نجداً عظيم اليأس ، تمكن بالاتفاق مع أكتاد برشلونة من أن يسود شرق الأندلس كله لقاء إتاة سنوية ثقيلة قدرها مائة ألف دينار ، كما يقول ابن الخطيب في « أعمال الأعلام » ، وشد أمره بمصاهرة نفر من الثائرين بشرق الأندلس منهم يوسف بن هلال وكان قد

استقل بحصن مطريش وإبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك الذي انتزى بعض حصون إقليم مرسية مثل شقوبش وشقورة ، ثم انقلبوا عليه ووقعت بينهم فن طويلة يقص ابن الأبار في « الحلة » وابن الخطيب في « أعمال الأعلام » وابن حذارى في الجزء الثالث من « البيان المغرب » طرفا منها .

ولما محمد بن سعد في أثناء ذلك إلى النصارى فاعتضد بهم واتخذ لنفسه جنداً منهم وأثقل على رعيته بالضرائب ، ففر منه الناس ، وتخلى عنه أخوه أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش ودخل في طاعة الموحدين أيام أبي يوسف يعقوب المنصور . ووجد محمد بن سعد نفسه وحيداً دون نصير وقد علت به السن وقاربه الموت ، فكاتب أبا يوسف يعقوب وتخلى له عن مرسية وبقيّة ما بيده وأرسل أولاده إلى الخليفة الموحدي وأوصاه بهم ، فرق يعقوب المنصور لهذا الصنيع وقرب أبناء محمد بن سعد وأقام كبيرهم أبا القمر هلال بن محمد بن سعد عاملاً على إشبيلية ، وتزوج ابنة محمد بن سعد تسمى الزرقاء في ربيع الأول ٥٧٠ / أكتوبر ١١٧٤ فحظيت عنده وكان لها أبعد الأثر في بقاء بني مردانيش في السلطان . وأقام معها أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش أميراً على بلنسية وأخاه غانم بن سعد بن مردانيش أميراً على أسطول الموحدين في سبتة . وبعد موت محمد ابن سعد أصبح رأس البيت أخوه أبو الحجاج .

وفي أيام محمد الناصر هبط أمر أبي الحجاج بن سعد بن مردانيش ، ولكنه ظل أميراً على بلنسية حتى سنة ٥٨٢ / ١١٨٦ . وكان له أولاد كثيرون أهمهم أبو الحملات مدافع وأبو المظفر غالب وأبو الحارث سبع وأبى سلطان عزيز وأبو ساكن عامر وأبو محمد طلحة ، وكان كل منهم يتولى حصناً أو ناحية من نواحي بلنسية ومرسية :

وفي سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ أقام محمد الناصر أبا عبد الله بن أبي حفص

عمر بن عبد المؤمن واليا على بلنسية ثم خلفه عليها ابنه أبو زيد عبد الرحمن ،
والمراجع تخطئ بين أبي زيد هذا وعم له يحمل نفس الاسم ، ولكن أبا زيد
العم لم يكن قط أميرا على بلنسية ، إنما كان أميرا على ميورقة سنة ٥٩٩/
١٢٠٢-١٢٠٣ ثم توفي بعقب ذلك بعد تاريخ طويل في دولة الموحيدين .
أما أبو زيد المراد هنا فهو ابن عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ،
وهو أخو عبد الله اليباسي الذي ذكرناه ، وقد نشأ هو وأخوه وبقية
بيته في يياسة فعرفوا لذلك باليباسيين ، وكانوا فريقا قليل الإخلاص شديد
الأنانية حريصا على الحياة والملك بأي ثمن .

وقد رأينا ما فعله عبد الله اليباسي من حرب المسلمين والانضمام إلى
القشتاليين ثم الذهاب إليهم جملة ، ولم يكن أخوه أبو زيد هذا بأحسن منه ،
فقد أمسك ناحيته بعون النصارى وأداء الإتاوة لهم ، وبفضلهم استطاع
التغلب على بني مردانيش ، فاكتفى أكبرهم أبو الحملات مدافع بن
أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش بحصن أبده ، وقد استشهد في
بعض المواقع شابا ، فخلفه ابنه أبو جميل زيان بن أبي الحملات وضيق
على أبي زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي حفص عمر في بلنسية ،
فأبس هذا من المسلمين جملة ، فهو على خلاف مع الموحيدين لا يستطيع
طلب عونهم أو اللجوء إليهم ، والمسلمون في بلنسية كارهون له يترصدون به
الدوائر ، ففكر في اللجوء إلى أنصاره من النصارى وخاصة خايمة الأول
صاحب أرغون ، وذهب إليه ليفاوضه في معاونته ، ولكن خايمة لم يجد فيه
ما يستحق العناء ، وإزاء هذا عرض عليه أبو زيد أن ينتقل إلى بعض حصونه
ويقيم فيه تابعا له ، وتم الاتفاق على ذلك ، واستقر في حصن شبرب ،
ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه دخل هناك في النصرانية ، وهو أمر نستبعده ،
لأن مفارقة الدين في سن مثل هذه أمر غير يسير ، خاصة من أمير موحد
مهما كان طبعه ورأينا فيه . واستقر الأمر في بلنسية لأبي جميل زيان
ابن مردانيش :

وقد كتب ابن الأبار لأبي عبد الله والد أبي زيد عبد الرحمن ، ثم كتب لأبي زيد وخرج معه للملاقة الملك خايه ، ثم رجع وحده عندما رآه يفضل مبابنة دار الإسلام والإقامة في بلاد ملك أرغون . وقد سكت ابن الأبار عن هذه الواقعة سكوتاً غريباً ، فلم يقل شيئاً ينبر لنا هذه النقطة الهامة ، والمهم أنه عاد إلى بلنسية وعمل كاتباً لأبي جُميل زيان بعد ذلك .

وكانت بلنسية إلى ذلك الحين أسعد حالا من غيرها من كبريات مدائن الأندلس ، فقد نفعها قيام بني مردانيش وابن همشك وبني هود وابن الأحمر في إقليمها أو قريباً منها ، لأن أولئك الرجال أخروا سقوطها وصرفوا الغزاة إلى غيرها مما كان أسهل منها ، وأتاحوا لأهلها بضع سنوات من الهدوء والأمان النسبيين ، نقول النسبيين لأن الوقائع في إقليمها كانت على قدم وساق ، وكان أهلها يخرجون للقاء الأعداء كلما أمكنتهم الفرصة .

وكانت سن ابن الأبار إذ ذاك بعد الثلاثين بقليل ، وكان من شخصيات بلده الظاهرين ، فهو واحد من كبار العلماء ورجال الأدب ، وهو كاتب الرسائل للأمير أبي جُميل زيان بن مردانيش ، وكان يلتقى بأصحابه من العلماء وكبار أهل البلد في قصر الإمارة ، من أولئك العلماء الذين ارتبط معهم برباط الصداقة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي وأبو الحجاج يوسف البياسي .

فأما ابن عميرة فقد ولد في بلنسية سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ أى أنه كان أكبر من ابن الأبار بخمس عشرة سنة ، وقد رحل إلى المشرق للدراسة ولقاء الشيوخ ، وعاد إلى بلده ليتولى القضاء في شاطبة ثم في ميورقة حتى سنة ٦٢٧ / ١٢٣٠ إذ حضر تسليم الجزيرة لقوات خايه الأول ملك أرغون ، وكتب كتاباً عن «كائنة ميورقة» بقيت لنا منه فقرات طويلة في «نفع الطيب» للمقرى ، وقد غادر بانسية بعد سقوطها سنة ٦٣٦ / ١٢٣٨ ، وتوجه إلى المغرب حيث كتب للرشد الموحدي وتولى القضاء في بضع نواح ، ثم انتقل إلى إفريقية حيث كتب للمستنصر الحفصي إلى أن

توفي سنة ٦٥٨ / ١٢٦١ أى فى نفس السنة التى توفى فيها ابن الأبار . وقد أورد القلقشندى فى « صبح الأعشى » نص رسالة كتبها ابن عميرة هذا عن « طاغية الإفرنج » والمراد به هنا خاتمه الأول ملك أرغون الذى استولى على ميورقة قبل أن يستولى على بلنسية . والغالب أن ابن عميرة اضطر للعمل فى الكتابة للملك خاتمه بعد سقوط ميورقة وهو فيها ليحقق دمه ، حتى إذا أتيت له فرصة الخروج منها والعودة إلى دار الإسلام فعل ، والحكاية تبقى رغم ذلك مستغربة مستنكرة من رجل فى مكانة أبى المطرف بن عميرة ، والفرق عظيم على أى حال بينه وبين رجل كأبى الربيع سليمان بن سالم . وأما أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصارى البياسى فقد ولد فى بلنسية فى ربيع الأول سنة ٥٧٣ / ١١٧٧ أى أنه أكبر من ابن الأبار باثنتى عشرة سنة ، وكان أديباً حافظاً اتجه إلى الأدب والتاريخ بصورة خاصة ، وهاجر إلى تونس بعد سقوط بلده بلنسية واستقر فى تونس يعلم ويؤلف ، وأثرت عنه كتب مثل « الإعلام بالحروب الواقعة فى صدر الإسلام » و « الحماسة » وغيرهما ، حتى مات فى ذى الحجة سنة ٦٥٣ / يناير ١٢٥٦ :

سقوط بلنسية

فى ذلك الحين كان الخطر يقترب من بلنسية يوماً بعد يوم ، لأن مملكة أرغون التى اتحدت مع إمارة قطلونية أيام ملكها پندرو الثانى أصبحت خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى من أقوى ممالك شبه الجزيرة وأهمها ، لأن عرش أرغون كان يضم — إلى جانب إقليم سرقسطة وحوض الإبره — دوقيتى پروفنسة وروسيون فى جنوبى فرنسا ، وكان ملكها پندرو الثانى قد استولى على طركونة وطرطوشة وأطل على حدود إمارة بلنسية . وتوفى پندرو الثانى قتيلاً فى معركة موريت Moret بجنوبى فرنسا خلفاً لابنه الوحيد خاتمه أو جاقه Jaime فى وصاية أمه مارية د مونيبيه ، وكانت

تعيش في روما منذ طلاقها من زوجها ، فلما ماتت في أبريل ١٢١٣ تركت ولدها في وصاية البابوية . وكان لهذا الوضع أثره البعيد في تاريخ مملكة أرغون أيام خايه الأول ، لأنها اعتُبرت إقطاعية تابعة للبابوية واعتُبرت حروبها مع المسلمين حروباً صليبية ، وكان البابا إنُسِنْتُ الثالث هو الذي تولى بنفسه رعاية شؤون الصبي خايه حتى بلغ سن الرشد وتولى الملك ، وقد ندب البابا للوصاية على العرش رجلاً من رجاله هو بِلِدِرودِ بِنِفِنْتُو دِيَان كَنيسة مفتا ماريادِ أَكِيرو ، فأقبل واستقر في لاردة وعقد هدنة مع المسلمين ، وأتاب عنه في الحكم والوصاية على خايه مانشو دوقِ بروفنسة وكان ابناً لرامون بيرنجير الرابع.

وفي سنة ١٢١٨/٦١٥ بلغ خايه سن الرشد ولقب بالأول ، وبدأ في نفس السنة كفاحه الطويل ضد المسلمين ، فسار نحو بِنِشْكَلَه Péniscola واستغلها ، وكانت تلك أول ما سقط في يده من توابع بلنسية . ثم حفره نفر من تجار برشلونة ومندوب البابا ونفر من أشراف مملكته على غزو جزيرة ميورقة ، فجرد حملة من مائة فارس وألف راجل ، واعتُبرت الحملة حملةً صليبية ، وتمكن من الاستيلاء على الجزيرة بأيسر جهد في ١٤ صفر ٦٢١/ أول يناير ١٢٣٠ ، والمراجع النصرانية تذهب إلى أن الغزو تم قبل ذلك بشهر أى في منتصف المحرم/ ٣١ ديسمبر من نفس السنة . وعلى سهولة هذا الفتح فقد رفع من شأن خايه — «أوجاقم» كما يسميه ابن الأبار — إلى مصاف كبار الفاتحين ، وأصبح يلقب بالكونكيستادور أى الفاتح . ولم تسقط الجزيرة كلها بسقوط قاعدتها ، إذ استمرت الحرب هناك سنوات تم خلالها القضاء على كل مقاومة .

وعقب ذلك مباشرة أُنْجِهت أنظار خايه نحو بلنسية . وقد حرصه على هذا أوجو فولكالكير Hugo Folcalquier رئيس فرسان الداوية في مملكة أرغون ونفر من الأشراف . فسار نحو منطقة بلنسية في سنة ١٢٣٢ (٦٣٠ —

٦٣١ هـ) . واستولى على آره Ares ثم مرَّه Morella في نفس السنة .

وفي شوال ٦٣٠/ يوليو ١٢٣٣ استولى على بُريانة Burriana بعد حصار بالبر والبحر ، ثم أعاد إخضاع بنشكله وبُولَيْش Polpes وقسطلبيون Castellón وبريول Borriol وكويقاس Cuevas وبين رومان Vinromá وألقلوطن Alcaluten وبيلافورنس Vilafornés ووصلت غارته إلى ضفاف نهر شقر وناحية البلاط Albalate . وفي سنة ٦٣٣/ ١٢٣٤ استولى على مُصارَة بلنسية ، وفي العام التالي حاول الاستيلاء على قُليارة Cullera دون نجاح ولكنه ملك حصنين يشرفان على بقاع بلنسية هما مُنكاده Montcada ومُشروس Museros .

وبعد ذلك بثلاث سنوات ، أى في سنة ١٢٣٨ (٦٣٦ - ٦٣٧) ضرب معسكره بين بلنسية وقرية مجاورة لها تسمى جراو Grau وعول على الأيريم حتى يستولى على البلد . وتدفقت إليه النجذات من شتى البلاد التابعة له ، بل أقبل لعونه مقاتلون من نربونة وقر من فرسان قشتالة .

ويغلب على الظن أن ذلك الموضع الذى ضرب الملك خايمة معسكره عنده هو جبل أنيشة أو أنيجه الذى يسميه ابن عبد المنعم الحميرى عقبة أنيشة ويسمى فى النصوص الإسبانية إلبويش el Puig وتقوم عليه قرية تحمل نفس الاسم ، وتقع هذه العقبة على ٢٠ كيلومتراً شمال بلنسية فى الطريق إلى مريبطُرُ التى تعرف باسم سَجُونتو Sagunto . وأحس أبو جُميل زيان بالخطر الداهم ، وانتَهز فرصة ابتعاد الملك خايمة عن معسكره ، فخرج فى جمع عظيم من مقاتلى بلنسية فيهم نفر من الشيوخ والفقهاء ، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة . وقد استبسل البلنسيون فى القتال ، ولكن أعداءهم أداروا عليهم خدعة كبيرة ، إذ أقبلت طائفة منهم من بعيد حاملة راية الملك وأشاعت أنه عاد بجيش كبير ، ففت ذلك فى عضد المدافعين عن بلدهم وأيقنوا بالهزيمة وأخذ الكثيرون فى الفرار . وفى هذه الفوضى استسهل من المسلمين كثيرون من بينهم أبو الربيع

سليمان بن سالم الكلاعي ، وكان قد بلغ السبعين من عمره ، ولكنه بقي في الميدان إلى آخر المعركة ، وظل يثبت الناس ويدعو الفارين إلى العودة حتى قتل ، وكان ذلك في ٢٠ ذى الحجة ١٣/٦٣٤ أغسطس ١٢٣٧ . وكانت تلك آخر محاولة كبيرة قام بها البلنسيون لإنقاذ بلدهم .

ولم يحضر ابن الأبار هذه الواقعة ؛ إذ لوحضرها لقال ذلك ، فقد ذكرها في « التكملة » وفي « الحلة » . وأحس أبو جميل زيان أنه لن يستطيع الثبات وحده ، فقرر لإرسال سفارة إلى أبي زكريا الحفصي صاحب إفريقية (تونس) وتذبح لها ابن الأبار ، وتلك هي السفارة التي أشد فيها ابن الأبار قصيدته المشهورة :

أدرك بخيلك ، خيل الله ، أندلساً إن السيل إلى منجأتها درسا
وهي قصيدة طويلة فيها من التكلف ما يكاد يصرف قارئها عن الحال
الحزن الذي قبلت فيه ، ولكنها على أي حال حققت الهدف من إنشادها ،
فقد تمسك أبو زكريا وأرسل إلى بلنسية بضع سفن مشحونة بالمال والعتاد
والزاد .

وكان خايمة قد ضيق الحصار حول بلنسية في أثناء ذلك ، ووصل الأسطول
الحفصي وحاول النزول في موضع جراو قرب بلنسية في ٤ محرم ٦٣٦ /
١٨ أغسطس ١٢٣٨ ، ولكنه وجد للموضع حافلاً بجند النصاري فأرسل قائده
الحملة أبو يحيى بن أبي حفص عمر الهنتاتي المعروف بالشهيد إلى أبي زكريا الحفصي
يعلمه بالحال واتجه هو بالسفن إلى دانية وأرسل فيها في ١٢ محرم ٦٣٦ /
٢٦ أغسطس ١٢٣٨ وترك لأهلها الطعام والسلاح اللذين كان يحملهما ، أما المال
فقد عاد به إذ لم يجد من يتسلمه منه . ومن الغريب أن أبا بكر عزيز بن أبي
مروان بن خطاب الذي سترجم له ابن الأبار في الحلة بايع لنفسه على مرسية
في نفس اليوم الذي وصل فيه الأسطول الحفصي إلى جراو ولقب نفسه بضياء
السنة وعلى مسافة قصيرة منه بلد إسلامي يختصر ! ولو في هذا الرجل ومن حوله

من السنة أثارة نخف لنجدة لإخوانه ، ولكن إلى هذه الحال من مسخف العقول وصل الناس في تلك الأيام ، والدول لا تسقط عن قلة عدد وإنما عن سقوط المم وضياع النخوة وموت الإحساس . ومما يستلفت النظر ويدعو إلى الاعتبار أن لسان الدين بن الخطيب سخر من ابن خطاب هذا وقال إنه قبل الإمرة بمرسية مع قطع صبي المهدي ورضيع الثدي بسوء عقبي من يتحمل ذلك يومئذ ، وابن الخطيب ذاته سيزج بنفسه في مهالك ومعاطب وطماع يقطع نفس « صبي المهدي ورضيع الثدي » بسوء عقباها ، ومع هذا لم يذكر ولم يتعظ ، وانتهى بنفسه إلى مصرع شبيه بمصرع ابن خطاب .

ويذهب ابن الخطيب إلى أن الحصار طال حتى « نفذت الأقوات واستولى الجوع وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق » ، والواقع أن الحصار لم يطل حتى بلغت الحال هذا المبلغ ، ولكن القتال كان ضارياً عنيفاً وخاصة بعد معركة أنيشة ، ثم إن فرقا من فرسان أرغون كانت لا تكف عن الغارة على البلد وانتساف ما حوله من معسكرها عند عقبة أنيشة ، وكانت أعدادهم تزايد يوماً بعد يوم حتى أصبح معسكر ملك أرغون كأنه مدينة كبيرة خف إليها التجار من كل صوب ، وقد أتى بعضهم من مونيبييه ، وأخيراً استقر رأى أبي جميل زيان على التسليم ، وتم ذلك في ١٧ صفر ٦٣٦ / سبتمبر ١٢٣٨ ، وقد اشترك ابن الأبار في المفاوضات وكتب بنفسه العقد كما حكى في « الحلقة » : وقد نص الاتفاق على أن يغادر من أراد من المسلمين بلده خلال ٢٠ يوماً بأمواله وأسبابه ، « وابتدئ بضعة الناس ، فسيروا في البحر إلى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم برأ وبحراً ، وصبيحة يوم الجمعة ١٧ من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه ، وعند ذلك استولى عليها الروم » .

استقر أبو جميل زيان وابن الأبار معه في دانية ، ويبدو أن ابن الأبار حاول أن يجد عملاً عند بعض الرؤساء فيما بقي من مدن الأندلس ، فقد أورد

المقرى في «أزهار الرياض» رسائل منه إلى بعضهم (٢١٦/٣-٢٢١) ، ولكنه لم يوفق ، فعول على مفارقة الأندلس جلة إلى إفريقية والتماس الأمان في بلد ذاع له فيه صيت منذ زيارته الأولى ، وقد فعل فعلة أبو المطرف بن عميرة وأبو الحجاج يوسف الياسي وغيرهم كثيرون ، ولم يكن الأندلس قد ضاح كله ولا انقطع منه الرجاء ، ولكن هكذا كان تصرف الكثير من علمائه وقادة السياسة والرأى فيه : نجوا بأنفسهم مخلفين الصغار والضعفاء وأهل الأرياف والمدن ، وهناك في ظلال الأمن والدعة طفقوا يكتبون مرأى نثرية أو شعرية يعبرون فيها عن أسف متكلف ، وليس هناك أبعد عن الصدق من هذه المكاتبات المنظومة أو المثورة بين ابن الأبار وأبي المطرف بن عميرة في رثاء بلنسية .

أما أبو جميل زيان فقد تمهد له الأمر في دانية ، ولكن الملك خايمة اتجه إلى الجنوب فاستولى على كندية Gandia فخاف أبو جميل وأرسل إليه يعرض تسليم لقتنت Alicante في مقابل تنازل الملك عن جزيرة ميورقة ، فرفض خايمة لأن الاتفاق كان قد تم بينه وبين ملك قشتالة على أن تكون بلنسية آخر ما يستولى عليه من بلاد المسلمين ، والباقي من نصيب قشتالة . ثم حاصر شاططة حصاراً قصيراً وأقام عنها عائداً إلى مونبليه .

وأقام أبو جميل رئيساً لدانية ، وما زال يدبر وهو فيها لرئيس مرسية أبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب . حتى ثار به الناس وباعوا لأبي جميل ، ثم قتل ابن خطاب في رمضان سنة ٦١٦/ أبريل ١٢٣٩ فأصبح أبو جميل رئيس دانية ومرسية . وطل في الأولى حتى سار فاراس ألماني اسمه Carroz ممن كانوا يعملون في خدمة الملك خايمة فانتزعها منه سنة ٦٤٢/ ١٢٤٤ . وأما مرسية فقد ظل أديراً عليها دأياً للحايقة العباسي ، ثم دخل في طاعة محمد بن يوسف ابن نصر بن الأحمر ، وطل على هذا وقتاً قصيراً ، ثم بدا لابن الأحمر فعزله عنها . فتركها وهضى إلى تونس حيث عاش بقية عمره .

أما هذا الاتفاق الذى أشرنا إليه بين ملكى أرغون وقشتالة فقد تم فى بليدة تسمى الميرسى *Almirza* من أحواز بلنسية فى ٢٥ مايو ١٢٤٤ (ذى القعدة ٦٤١) وهو يدل على أن الاستيلاء على ما بقى من قواعد المسلمين فى شرق الجزيرة لم يعد حرباً بل تقسماً ، هذه لهذا وتلك لذلك ، وأدهى من ذلك أن هذا الاتفاق تم بينهما توثيقاً لمصاهرة عقداها ، فقد اتفقا على أن تزوج الأميرة فيولانت ابنة خايجه الأمير ألفونسو بن فرناندو الثالث ملك قشتالة ، ونص الاتفاق على أن تكون شاطبة جزءاً من شوار العروس ، ولم تكن شاطبة قد سقطت بعد ! وبعد مفاوضات طويلة كادت تؤدى إلى الحرب استقر الملكان على اتفاقية المرسى هذه ، وقد نصت على أن يعطى خايجه لصهره *Villena* وساش *Sax* وكاوديت *Caudete* وبُغرمس *Bugarras* وأن يتنازل ملك قشتالة عن إنغرة *Enguera* وموشنت *Mogente* ، وأن تكون بلنسية وتوابعها من نصيب أرغون ، ومرسية وتوابعها وما يليها جنوباً من نصيب قشتالة ، ووضع حد فاصل بين الناحيتين ، فبعت مرسية بلاد المنزل *Almansa* ومرذول *Sarazul* وحوض نهر كبرينول *Cabrinol* ، وبعت بلنسية بلاد قسطة *Castalla* وأبيار *Biar* وريو *Relleu* وسشونة *Saxona* والأرش *Alarch* وفينسترات *Finestrat* وطُرش *Torres* وبولوب *Polop* ومواله *Muela* ، وكلها مواضع صغيرة بين حوضى نهري شقر *Jucar* وشقورة *Segura* .

وقد انتفد مؤرخو قطلونيه ذلك الاتفاى وقالوا إنه أخرج مملكة أرغون من ميدان الحرب مع المسلمين وأثقل فى وجهها سبيل التوسع جنوباً على حسابهم ، ولكن خايجه الأول كانت أمامه مشاكل كثيرة فى بلاده المترامية ، ولم يكن يستطيع المضى فى حرب المسلمين إلى أكثر مما مضى ، ثم إن مرسية وما يليها جنوباً كان أمرها استقر بعض الشيء بعد قيام أبى جُميل زيان بالأمر فيها ويعتبه للخليفة العباسى ودخوله فى طاعة محمد بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة ، وكان مركز هذا قد استتب وأصبح قادراً على مواصلة

الحرب للدفاع عن كيانه ، وكان ابن الأحمر إلى جانب ذلك تابعاً للملك قشتالة ، فلم تكن مواصلة الحرب معه بالأمر اليسير ، ومهما يكن من الأمر فقد ختم خايمة أعماله في هذه الناحية بالاستيلاء على شاطبة في أبريل ١٢٤٨ (محرم ٦٢٦) ليقلعها في شوار بنته بعد ذلك .

* * *

ابن الأبار في إفريقية

غادر ابن الأبار إذن بلاد الأندلس قاصداً بلاد الحفصيين ، ويذهب الغربي إلى أنه ذهب أولاً إلى بجاية « ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف وألف » ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له « . ويبدو أن إقامته ببجاية كانت قصيرة ، لأنه يذكر في ترجمة نذير بن وهب بن لب أن هذا الأخير توفي في العشر الأوسط من شعبان ٦٣٦ / مارس ١٢٨٩ « بعد ستة أشهر من الحادثة على بلنسية ، وأنا حينئذ بحضرة تونس في توجهي إليها » أي أنه أقام ببجاية ثلاثة أشهر أو أربعة انتقل بعدها إلى تونس ليكون كاتب المستنصر الحفصي .

وتذهب المراجع إلى أنه تولى كتابة الإنشاء والعلامة ، و « العلامة » هي عبارة التوقيع التي تضاف إلى المكاتبات السلطانية وترفع إلى السلطان ليضع عليها خاتمه ، ويقال إن ابن الأبار كتب العلامة فترة من الزمن وكان يكتبها بخطه المغربي ، ولكن السلطان أبا زكريا يحى رغب في أن تكون بالخط المشرقي ، ولهذا أمر بأن يكتب ابن الأبار بإنشاء المكاتبات ويدع العلامة لأحمد بن إبراهيم الغساني ، وكان يحسن الكتابة بالخط المشرقي ، فغضب ابن الأبار لذلك واستمر يكتب العلامة على ما ينشئه من رسائل ، فعوتب في ذلك وروجع ، فاستشاط غضباً ورمى القلم من يده وأشد : اطلب العز في لظي وذو الذل (م) ولو في جنان الخلود ومحل الخبر إلى السلطان ، فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته .
هكذا نجد الخبر في كل مراجعنا على طريقتها في تحليل الحوادث

تعليلات سطحية ظاهرة التكلف ، والحقيقة أن ما جرى لابن الأبار كان حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين المهاجرين وشيوخ تونس من موحدين وغير موحدين ، بل حلقة من صراع هؤلاء المهاجرين الأندلسيين مع شيوخ كل قطر نزله وعلمائه . فقد كان الأندلسيون يحسون أنهم أعلم من غيرهم وأقدر ، ومن ثم فهم أولى بالتكريم وبالمناصب . ثم إنهم كانوا يتوقعون ممن نزلوا عليهم مراعاة وعطفاً عليهم مواساة لهم فيما أصابهم في بلادهم . أما أهل المغرب وتونس ومصر وبقية أهل المشرق فكانوا يرون أن أولئك المهاجرين أولى بأن يتواضعوا ويقنعوا بما وجدوا في أوطانهم الجديدة ، ثم لماذا يطلبون أن يمتازوا على غيرهم ما داموا قد أصبحوا مواطنين في البلاد التي نزلوها ؟ هذا كان مدار الخلاف الحقيقي ، نلمحه في صور شتى في تراجم الأندلسيين الذين هاجروا إلى بلاد إسلامية بعد ضياع بلادهم ، ويندر أن نقرأ لواحد من أولئك الأندلسيين شيئاً إلا لمسنا فيه المرارة التي نشأت عن خيبة الرجاء في المهجر ، وأمثلة ذلك كثيرة عند على 'بن سعيد وأبي الخطاب بن دحية وأثير الدين أبي حيان وأبي بكر الطرطوشي وابن خلدون والمقرئ وغيرهم .

ولكن الخلاف بين الأندلسيين والبلديين كان أوسع مدى وأبعد أثراً في تونس عاصمة الحفصيين ، فقد كان عدد من نزها من الأندلسيين عظيماً ، وكان الكثيرون منهم سلاسل أسر عريقة لها في تاريخ الأندلس السياسي والعلمي أثر بعيد ، وقد ذكرنا أبا المطرف بن عميرة وأبا الحجاج البياسي ويضيف ابن خلدون أبا مروان أحمد الباجي من أعقاب أبي الوليد وأبا عمر ابن الجند من أعقاب أبي بكر بن الجند وغيرهم . وكان هؤلاء يتجمعون عصبة واحدة على العلماء من أهل البلد ومشايخ الموحدين يحاولون الاستئثار من دونهم بالوظائف الكبرى ومراتب الشرف ، وفي أيام أبي زكريا يحيى الحفصي تجمع هؤلاء حول عمه أبي القاسم بن أبي زيد وكان رجلاً طامحاً إلى السلطان لا يفتي مطامعه ، وكان له مع أبي زكريا أخبار ووقائع ، ومن

ثم فقد كان الشك يحوم حول الأندلسيين ، وكانت الواقعة فيهم تجد أذناً صاغية من هذه الناحية .

وقد حرص معظم من ذكرنا من مهاجرة الأندلسيين على أن يتبعوا عن السياسة ما أمكن ، وانصرفوا إلى العلم أو غيره من المشاغل التي لا يثير الاجتهاد فيها مخاوف أولى السلطان ، ولكن ابن الأبار لم يستطع سلوك هذا السبيل ، فقد كان بطبعه رجلاً طموحاً إلى السلطان والجاه وعرض الدنيا ، ولو رجلٌ غيره حوى في صدره من العلم ما حوى لحمد الله على الأمان الذي صار إليه والكرامة التي لقيها وانصرف إلى التأليف والإقراء ، ولكن سوء طالعها غلب عليه ، فقد كان إلى طموحه وطمعه سريع الغضب حديد اللسان تصلر عنه المسامة وكأنه لا يشعر ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما وصل إلى إفريقية نزل في ميناء بنزرت ، وكتب إلى أبي عبد الله بن أبي الحسين وزير أبي زكريا الحفصي ينبئه بمجيئه ويمت إليه بصلة صداقة قديمة بدأت عند ما زار ابن الأبار تونس في المرة الأولى ، وكان يحسب أن والد الوزير متوفى فنتعته في الخطاب بالمرحوم ، فنبهوه إلى أنه في قيد الحياة ما يزال ، فضحك وقال : « إن أباً لا تُعرف حياته من موته لأب خامل » . ولم تعدم هذه الكلمة من يحملها إلى الوزير — طبعاً — فآلمته ، وتحدث إلى السلطان في أن يستقر ابن الأبار في بجاية ، وفعلًا ذهب ابن الأبار إليها وأمضى فيها بضعة أشهر ثم استقدمه أبو زكريا إلى تونس وألحقه بخدمته .

ولم يقلع ابن الأبار عما جبل عليه من إيذاء الناس بلسانه . ويبدو أنه كان ممن ينزفون الآخرين بالكلام القارص أو النقد المهيّن في خفية وتستتر حاسبين أن أمرهم لا يفتضح ، وأمرهم في الحقيقة لا يخفى على أحد ، ومن هنا لقبه خصومه بالفأر ، ويغلب على الظن أن وجهه كان صغيراً نحيلًا ومن هنا قال فيه أحد خصومه وهو أبو الحسن علي بن شلبون الماعزى البلبسى :

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع سع الناس صادرةً من الأبار
أو ليس فأراً خَلِقةً وخَلِقةً ؟ والفأرُ مجبول على الإضرار

فأجاب ابن الأبار سريعاً :

قل لابن شلبون مقالَ تنزهٍ : غيّرِي مجاريك المجهّاءَ ، فجارِ
إنا اقتسمنا خطيتينا ينشأ فحملتُ برةً واحملتُ ، فجارِ !

ثم إن ابن الأبار كان شديد الاعتداد بنفسه دائم الفخر بالأندلس
وتفضيله على إفريقية ، قال ابن خلدون : « وكان في ابن الأبار أنفة وبأو
وضيق خلق » ، ومن هنا زهد فيه أبو زكريا الحفصيّ وأراد أن يبعده
عن ديوانه ، وأيده في ذلك أبو الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني ، فتعلل
السلطان بمحاكاة خط العلامة هذه حتى لا يراه ، إذ كان صاحب العلامة
يعرض الكتب عليه ، ولكن ابن الأبار لم يفهم ، وأصر واستمسك ،
ثم ذهب به الغضب إلى التمثل بالبيت الذي يفضل فيه العز في اللظى على الذل
في جنان الخلود ، ولم يكن هذا منه إلا تشدقاً بألفاظ ، فلو كان في الحقيقة
من يفضلون العز في اللظى لأقام في الأندلس ، فهناك فعلا كان اللظى في
الحروب التي لا تسكن وهناك أيضاً كان العز في ظلال السيوف .

وليت ابن الأبار استمسك بهذه العزة بعد أن أبعد وألزم داره !
بل سعى سعياً حثيثاً في العودة إلى الذل في جنان السلطان ، بل أنفق الوقت
في رسالة استعطاف طالت حتى صارت كتاباً هو « إعتاب الكتاب » تدلل
في فاتحته فأسرف في الذلل ، ثم أخذ يقص حكايات كتاب سبق إليهم
غضب السلاطين ثم حلت بهم نعمة الرضا فأعتبهم . وقد استشفع ابن
الأبار بولي العهد أبي يحيى زكريا ، وكان في أيام أبيه شاباً مستضعفاً دائم
الخوف من إخوته محمد وإبراهيم وعمر وأبي بكر (وكلهم ولى بعده)
ومن أبناء عمه محمد بن عبد الواحد المعروف بالبحياني لعظم لحيته ، ولهذا
كان حريصاً على أن يكسب لنفسه أنصاراً يشلون أزره ، فسرّه أن يستشفع
به ابن الأبار فكلم أباه في أمره فأعاده إلى الرضا .

وشاءت الأقدار أن يموت أبو يحيى زكريا هذا قبل موت أبيه بسنة
واحدة (٦٤٦ / ١٢٤٨ - ٤٩) وأن يصير الأمر بعد ذلك إلى أبي عبد الله

محمد ثاني أولاد أبي زكريا ، وهو الذي عرف بالمستنصر أو المنتصر ، وظل ابن الأبار في عمله ولكنه استمر على دأبه في تقص الناس وخاصة أبي الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني ، وكان قد أصبح وزير المستنصر ، فاجتهد هذا حتى أصدر السلطان أمره بإبعاد ابن الأبار إلى بجاية ؛ فلذهب إليها وانصرف إلى التأليف فترة من الزمن أنجز فيها كتاب « التكملة » الذي كان قد بدأه في الأندلس ؛ وهذه الإقامة في بجاية هي التي أتاحت للخبريني فرصة الترجمة لابن الأبار ضمن من حل من العلماء ببجاية ، وهي أحسن وأوفى ترجمة له بين أيدينا .

وفي هذه الفترة أيضا نعتقد أنه أتم كتاب « اخلة السراء » ، ومن المقتطوع به أنه بدأ يكتبه في تونس عقب استقراره فيها ، فهو في فاتحته يتحدث عن شعر للسلطان أبي زكريا يحيى وولي عهده أبي يحيى ، وكانا يقرضان الأبيات منه بين الحين والحين ، وقد صفه ابن الأبار تمجيذاً لشاعرية السلطان وابنه وتديلاً على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء والسلطين والأمراء ، فهذا الكتاب ، مثل « إعتاب الكتاب » ، كتاب مناسبة ، ولكنها كانت مناسبة سعيدة ، لأنها أتاحت الفرصة لهذا الحافظ الواعي ليسجل شيئاً من محفوظه الغزير . وفي الكتاب إشارة إلى أنه كان ما زال مشغولاً بكتابته سنة ٦٤٦/١٢٤٨ - ٤٩ وهي السنة التي توفي فيها ولي العهد أبو يحيى ، وربما يكون قد أتمه قبل وفاة أبي زكريا ، ولكن العجلة التي تبدو في الباب الأخير من الكتاب تدل على أنه أتمه بعد هذه السنة بمدة قصيرة . وفي الغالب أيام إقامته الثانية في بجاية .

ولا ندرى كيف وفق ابن الأبار إلى رضى المستنصر ، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لرسائل مديح كتبها من بجاية يشيد بالمستنصر وأعماله ، وقد أورد المقرئ في « أزهار الرياض » رسالة لابن الأبار بمناسبة تمام حفر القناسة المؤدية إلى الحدائق التي أنشأها أبو زكريا الحفصي خارج تونس ، والرسالة

تدل على أن ابن الأبار كتبها من بعيد وأرسلها إلى السلطان . ولم تكن حال ابن الأبار في بجاية سيئة ، فقد لقيه هناك على بن سعيد المغربي ، وقال بعد أن أشار إلى سنيته وتوفيقه فيها وإعجاب الناس بها : « إلا أن أخلاقه لم تعينه على الوفاء بأسباب الخطة ، فقلصت عند تلك النعمة ، وأحضر عن تلك العناية ، وارتحل إلى بجاية ، وهو الآن بها عاطل من الرتب ، خال من حلى الأدب ، مشغول بالتصنيف في فنونه ، متغفل منه بواجبه ومسئونه ، ولى معه مجالسات آتق من الشباب ، وأبهج من الروض عند نزول السحاب . . . » (القلح الملقى ، برواية المقرئ ، ٢٨٢/٤)

وعاد ابن الأبار من بجاية إلى تونس ، ومن حسن الحظ أنه أنهى هناك كتابيه الرئيسيين « التكملة » و « الحلة » ، والغالب أنه ترك نسخاً من هذا وذاك هناك ، فنجأ الكتابان من الدمار . وكان حرياً بابن الأبار بعد ذلك أن يلين خلقه ويضبط لسانه ويخفف من دعواه ، ولكنه مضى على سابق عهده من الكبرياء وحدة اللسان ، وربما كانت هذه دعوى من خصومه الكثيرين وخاصة أحمد بن إبراهيم الغساني وزير المستنصر الأثير عنده ، ولم يكن الغساني ليطمئن له جنب وابن الأبار قريب من السلطان يستطيع الوصول إليه إذا أراد ، وكان المستنصر رجلاً كثير المخاوف يتوقع الشر من كل ناحية إذ أن أعداءه والمديرين عليه كانوا كثيرين ، وكان ابن الأبار قبل ذلك من أتباع أخيه المتوفى ، فلم يكن هناك أيسر على الغساني من اتهام ابن الأبار بالتدبير على الدولة ، فيحل بذلك دمه لسلطان ويفرغ منه بأهون سبيل :

نقول هذا لأن عقوبة القتل التي أنزلها المستنصر بابن الأبار لا يمكن أن تعلل بما يقال من أنه سمع السلطان مرة يسأل عن مولد ولده أبي زكريا يحيى الذي تولى السلطة بعده وتلقب بالوائق ، فجاء ابن الأبار في اليوم التالي برقعة فيها تاريخ الولادة وطالعتها ، ويضيف بعض مؤرخينا أن هذا

الطالع كان نحساً ، فاستشاط السلطان غضباً من فضوله وتطفله ، وكان ذلك سبب حقه ؛ نقول إن ذلك كله لا يقسر لنا غضب المستنصر على ابن الأبار غضباً يؤدى به إلى قتله ثم إحراق شلوه وكتبه ، فهذا التصرف لا يصدر عن غضب بل عن خوف ، وأصحاب السلطان في تلك العصور لم يكونوا يقتلون إلا لخوف على أنفسهم وعروشهم ، أما ما عدا ذلك فيمكن في الإبعاد أو السجن أو المصادرة وما إلى ذلك .

ولهذا فلا بد أن التهمة التي دبرت لابن الأبار كانت تهديد السلطان أو الاشتراك مع نفر في ذلك ، لأننا حتى لو فرضنا أن ابن الأبار قال بيت المهجاء الذي تنسبه إليه المراجع ، فإن ذلك لا يبرر الحقد الذي ظهر من المستنصر . ولا بد كذلك أن السعاية به بدأت منذ عودته من بجاية إلى تونس ، فقد كان السلطان لا يطبق النظر إليه ، فكان يستفتيه فيما يريد من بعيد ، فإذا دخل عليه لم يكلمه أو يلتفت إليه ، وكان ابن الأبار « يشكو من ذلك ويتألم وينعى على الزمان سوء حظه :

علت سنيّ وقدرى في انخفاض وحكم الرب في المربوب راض
إلى كم أسخط الأقدار حتى كأتى لم أكن يوماً براض ،

ثم تجيء النهاية إثر حادثة مولد ولي العهد وطالعه التي ذكرناها ، ويذهب ابن خلدون بعد ذكرها إلى أن وشايات الحساد أوغرت صدر السلطان عليه وأوهمت أنه يتوقع المكروه للدولة وتهمه بالنظر في النجوم . فقُضض عليه وقام الكاتب أحمد بن إبراهيم الغساني بالبحث في داره وكتبه ودقاتره ، فعثر فيها على بيت شعريقول :

طغى بتونس خكفٌ سموه ظالماً خليفة

وعثر عنده أيضاً على كتاب في التاريخ فيه ما يسيء إلى السلطان ، فأمر بضربه بالسياط وقتله وإحراق مؤلفاته ، فقتل ضرباً بالرماح صبيحة

الثلاثاء ٢١ من المحرم سنة ٦٥٨ وأحرق شلوه ، وأخذت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه ، وكانت نحواً من خمسة وأربعين تأليفاً (تاريخ الدولتين للزركشى ، ص ٢٧)

والحق أن الإنسان ليدعش من قسوة ذلك العقاب الذى أنزل بآبن الأبار ، فمثل هذه العقوبة ما كانت تنزل إلا بأعداء السلاطين ذوى الخطر ، أو الذين ناوأوهم وحاربوهم وكادوا يقضون عليهم ، ولا تتصور مهما ذهبتا مع الخيال أن آبن الأبار بلغ هذا المبلغ فى كراهة المستنصر والتدبير عليه ، ولكن الذى لا شك فيه أن الوشاية فى حقه صورته فى تلك الصورة ، فكانت النتيجة هلاكه على أشنع هيئة تتصورها ، وهذه واحدة من جرائم أولئك السلاطين ووزرائهم ممن حملوا فى رقابهم من أوزار المساكين ودماء الضحايا ما يصممهم إلى الأبد فى حساب الأخلاق وحساب التاريخ .

عاش آبن الأبار ثلاثا وستين سنة هجرية ، اثنتان وأربعون منها فى الأندلس والباقي فى المغرب ، ولم يسعد فى هذا ولا ذلك ، فأما فى الأندلس فقد عاش مروع السرب يحوم فوقه شبح الموت فى كل حين ، وكتب لرجال لولا سوء الزمان لما كان لم إلى الإمارة سبيل ، ومدح غيرهم ممن لا يستحقون مجرد الذكر فضلا عن المديح ، ثم فقد وطنه وخرج بما حملت يده إلى المغرب حيث تلقفه الأعداء وأعانهم على نفسه بسوء خلقه وتطلعه إلى الوظائف والجاه ، فلم يسعد فى وطنه الجديد ولا هداً باله ، وانتهى أمره إلى هذه النهاية الفاجعة ، ولا عجب أن يلقبه بعض المؤرخين بالشهيد ، وهذه الشهادة لا تحق له لموته مظلوماً فحسب ، بل لأن حياته كلها كانت استشهاداً طويلاً على يد الأيام .

* * *

مؤلفات آبن الأبار

ألف آبن الأبار كتباً كثيرة ، أحصى معظمها بروكلمان والمرحوم عبد العزيز عبد المجيد فى كتابه عن آبن الأبار والأستاذ إبراهيم الإيبارى فى

مقدمته للمقتضب من تحفة القادم والدكتور صالح الأشر في مقدمة تحقيقه لإعتاب الكتاب ، وفي ثبت الكتب الوارد في آخر تحقيقنا هنا ذكر كتب أخرى لابن الأبار ، وله رسائل وأشعار كثيرة أورد الكثير منها من أرخوا له وخاصة المقرئ في « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » والغريب في « عنوان اللبابة » .

والناظر في أسماء كتبه التي ضاعت - وعددها ٣٩ - وكتبه التي وصلت إلينا - وعددها ستة - يلاحظ أنها في ثلاثة فنون : الحديث والأدب والتاريخ . فأما كتبه في الحديث فلم يصل إلينا منها شيء يعيننا على تقديرها قدرها الصحيح بين كتب هذا الفن ، وربما كان أهمها هو « المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح » ، فقد كان معاوية هذا من أوائل فقهاء الأندلس وقضاتها ، وقد ذكره ابن سعد في طبقاته وأثنى عليه ومن ثم فإن أحاديثه تعتبر من العوالى ، وطالما تأسف من جاء بعده من الأندلسيين على ضياع أحاديثه وعلمه .

وأما كتبه في الأدب فلم يبق منها إلا مقتضب تحفة القادم الذى عمله البلفيقي ، وهو مختصر سيئ الصنع ، استغنى البلفيقي فيه عن معظم النثر ولم يبق إلا هيكل جافاً يتكون من أسماء وبضعة أشعار ، وهذه لا تعين على تقدير ابن الأبار بين أصحاب كتب الأدب .

أما ميدان ابن الأبار الحقيقي فكان التاريخ والتراجم بصورة خاصة ، وكتبه الأربعة الباقية في هذا الفن تشهد بماكة عظيمة في هذا الميدان ، ولا تتجلى هذه الملكة في كتاب كما تتجلى في « الحلة السراء » وهو غرة كتبه دون جدال ، ولابن الأبار فيه لمحات وإشارات واستدراكات تدل على أنه كان مؤرخاً حقاً عارفاً بتاريخ الإسلام حافظاً له قارئاً لكتبه ، وهو يستدرك فيه على نفر من أئمة المؤرخين أخطاء لا يتنبه لها إلا عالم متمكن ذو ماكة واعية .

وقبل أن نفرغ لكتاب الحلة وقف وقفة قصيرة عند كتابي « التكملة لكتاب الصلة » و « المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي » .

واضح أن « المعجم » كتب قبل « التكملة » ، كتبه ابن الأبار بعد أن نضج تكوينه العلمي ، ونظن أن ترتيبه الزمني بين مؤلفاته يبيء بعد « معدن اللجين في مرآي الحسين » ، فقد أشار إلى هذا الكتاب في كتبه التالية ، وموضوع « معدن اللجين » - كما يدل عليه عنوانه - من تلك الموضوعات التي تستهوي أفئدة الشباب بسبب غلبة العاطفة عليهم ، وقد كان ابن الأبار طالبياً ، ولكنه لم يكن شيعياً ، فإن الطالب هو الذي يميل بعواطفه إلى أهل البيت ويأسى لما أصاب الكثيرين منهم أسى عاطفياً ولا يتعدى ذلك ، ومعظم كبار مؤرخينا على هذا الاعتبار طالييون ، وأما الشيعي فهو الذي يتبع مذهب الشيعة ويميل عن السنة ، وقد ذهب المقرئ إلى أن كتاب « در السَّمط في خبر السَّمط » تشم منه رائحة التشيع ، وقد بالغ في هذا الوصف ولا شك ، فإن الكتاب بين أيدينا وليس فيه إلا هذه العاطفية البريئة التي نجدناها عند المقرئ مثلاً .

وكتاب « المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي » كتاب فريد في نوعه من بين ما وصل إلينا من التراث الأندلسي ، لا لأنه لم يؤلف مثله ، بل لأنه أكمل كتاب أندلسي من هذا النوع وصل إلى أيدينا . فقد ألف القاضي عياض كتاباً في شيوخ أستاذه أبي علي الصديقي هذا ، فأراد ابن الأبار أن يكمل العمل بتأليف كتاب في أصحاب أبي علي ، أي تلاميذه ومعاصريه ومن تبادل معهم العلم . ولو وجدنا كتاب عياض لاكمات لنا مدرسة من مدارس العلم كانت فخراً للأندلس يتوسطها شيخها أبو علي بن سكرة الصديقي ومن حوله شيوخه ثم معاصروه وتلاميذه ، والصديقي جدير بهذا التقدير كله ، فإنه لم يكن شيخاً واسع العلم كريم الخلق فحسب ، بل كان مجاهداً باسلاً في السجادة في معركة كُتتة على ما ذكرناه .

وابن الأبار في «المعجم» دقيق الدقة كلها : دقيق في رسم الأسماء وتواريخ الميلاد وتعداد الشيوخ ، ودقيق أيضاً في المنهج الذي اتبعه ، فهو يرتب أسماء المترجم لم على حروف المعجم (مع بعض خلاف قليل مقصود كإيراد اسم أحمد قبل إبراهيم) ، وهو يعد أن يفرغ من حرف يحصى عدد من ذكرهم فيه ، وإذا أهمل حرفاً نبه إلى أنه لم يجد فيه ، ومعروفاً من هؤلاء الرواة ولا مكرراً ، أو ليس في هؤلاء الرواة من أول اسمه حال أو ذال ، وعدة المذكورين في الحروف الثلاثة : الجيم والحاء والطاء ثلاثة عشر ، منهم في التكملة تسعة رجال . وعدد التراجم التي في هذا المعجم ٣١٥ .

وفهم من العبارة السابقة أن كتاب «التكملة» كتب قبل «المعجم» . والراجح - على حسب ما استبان لي - أن كتاب «التكملة» كتب على فترات ، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل سنة ١٢٣٢/٦٣٠ - ١٢٣٣ ، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ وقبل هجرة ابن الأبار إلى المغرب ، وثالثة كتبت وهو في بجاية . وهذا معقول بالنسبة لكتاب كبير مثل «التكملة» . صحيح أنه يفهم من فاتحة الكتاب - كما نشرها محمد بن شنب في «المجلة الإفريقية» (سنة ١٩١٨) ص ٣١٧ - أن الفراغ من كتاب «التكملة» كان في أول المحرم سنة ١٢٣٣/٦٣١ - ٣٤ ولكن في الكتاب مواد كتبت وابن الأبار في تونس أو بجاية ، مما يدل على أن ابن الأبار فرغ من صورة أولى من الكتاب في أول المحرم ٦٣١ ثم عاد إلى الكتاب فأكماله ووضعه في الصورة التي وصلت إلينا وهو في بجاية للمرة الثانية .

وكتاب «التكملة» استتم لما بدأ به أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف بابن القرصى (٣٥١ - ٩٦٢/٤٠٣ - ١٠١٢) من الترجمة لعلماء الأندلس ، وواصل العمل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الأنصاري (٤٩٤ - ٥٧٨/١١٠٠ - ١١٨٢) ثم استتم ما فاتته

في كتاب لم يصل إلينا هو كتاب « ذيل الصلة » يذكره ابن الأبار في « المعجم » ، ثم جاء ابن الأبار فتصلى لاستكمال ما فات سابقه ومواصلة التراجم إلى أيامه ، « وواصل العمل من بعده محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى المعروف بابن عبد الملك (٦٣٤ - ٧٠٣ / ١٢٣٧ - ١٣٠٣) ثم واصل هذا العمل الجليل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزبير (٦٢٧ - ٧٠٨ / ١٢٢٩ - ١٣٠٨) وختمه ابن الخطيب بكتابه « عائد الصلة » .

وتكمل هذه السلسلة مؤلفات أخرى في نفس موضوع تراجم علماء الأندلس مثل « جنوة المقتبس » لأحميدى و « بغية الملتبس » للضبي و « معجم شيوخ ابن العربي » لابن الأبار (لم يوجد إلى الآن) وغيرها .

وهذه الكتب كلها - فيما عدا الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى - تتبع منهجاً واحداً في الترجمة ، فنذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبته وبلده الذى ولد فيه أو الذى منه أصله واللد الذى سكنه إن كان قد نزل بلبداً آخر ثم شيوخه وما قرأ عليهم ، ثم تلاميذه ومن أخذ عنه ، ونحتم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر .

وهذه في الحقيقة ليست تراجم بالمعنى المعروف ، إنما هي سجلات بالأسماء وتواريخ الميلاد والوفاة والشيوخ ، فلا تعطى فكرة واضحة عن المترجم له إلا فيما ندر ، فليس فيها - إلا في القليل جداً - إشارات إلى حياة الرجل وما وقع له أو صفاته وخصائصه كرجل له صفات وخصائص ، بل ليس فيها - إلا في النادر أيضاً - تلك الطرائف والحكايات الصغيرة التى نجد نماذج منها في « تاريخ القضاة » للخشنى أو « رياض النفوس » للملكى أو « الإحاطة » لابن الخطيب أو سلسلة كتب الوفيات المشرقية التى بدأت بابن خلكان ، ومن ثم فلن قيمتها للتاريخ السياسى والاجتماعى للأندلس محدودة ، بل فائدتها في التعريف بالرجال أنفسهم قليلة .

ولكنها على أى حال أكثر فائدة من المواد التى يتضمنها الكثير من كتب
على بن سعيد وكتاب « الخريدة » للمعاد الأصفهاني أو الكنية الكامنة لابن
الخطيب ، فهذه مجموعات مختارات وليست تراجم أو مواد ذات قيمة
تاريخية .

وفى هذه الحدود تتساوى كتب ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الأبار
وابن الزبير فى الدقة والإتقان ، وربما شفى ابن بشكوال على صاحبيه فى
تراجمه بسبب ملكته التاريخية الواضحة . وابن الأبار على هذا الاعتبار واحد
من أعلام مؤرخى العلم فى الأندلس ومرجع من المراجع التى لا يستغنى
عنها مؤرخ له خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بصفة خاصة .

• • •

كتاب الحلة السيرة :

ونتهى إلى كتاب « الحلة السيرة » ، وهو دون شك أحسن كتب ابن
الأبار وأعظمها فائدة ، بل هو من عيون ما ألف أهل الأندلس قاطبة ومن
المراجع التى لا يستغنى عنها من يؤرخ له أو يكتب فى أى ناحية من نواحي
الحياة فيه .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل : « الحلة السيرة
فى شعر الأمراء » ولم نجد ما يؤيد هذا فى المخطوط ولا عند الموثوق فيهم ممن
كتبوا عنه ، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب « الحلة السيرة » فحسب . ولو أن
إكمالها بعبارة « فى شعر الأمراء » معقول .

وقد قلنا فى أول هذه المقدمة إن صاحب الفضل فى اكتشاف القيمة
التاريخية والأدبية لهذا الكتاب كان المستشرق دوزى . وقد أثبتت الدراسات
التالية حصافة دوزى عندما أشاد بقيمة الكتاب وخصائص صاحبه .
والكتاب الآن بين أيدي القراء يستطيع من يريد منهم أن يستبين بنفسه
ما له من قيمة وما يوحى به من ثقة .

ولفظ «السِّيرَاءُ» الذي استعمله ابن الأبار في العنوان لفظ نادر
 الاستعمال ولكنه جميل أحسن ابن الأبار في اختياره ، وإليك ما ورد في «لسان
 العرب» في معنى هذا اللفظ :

«... وثوب مُسَيَّرٌ وشيئه مثل السيور ، وفي «التهذيب» : إذا كان
 مخطوطاً . وسَيَّرَ الثوبَ والسهمَ جعل فيه خطوطاً ، وعُقَابٌ مُسَيَّرَةٌ
 مخططة . والسِّيَرَاءُ والسِّيرَاءُ ضرب من البرود ، وقيل هو ثوب مُسَيَّرٌ
 فيه خطوط تعمل من القز كالسيور ، وقيل يرود يخالطها حرير ،
 قال الشَّخَّاح :

فقال لِمَازُ شَرْعِيٍّ وَأَرِيحُ من السِّيرَاءِ أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ
 وقيل هي ثياب من ثياب اليمن : والسِّيَرَاءُ الذهب ، وقيل الذهبُ
 الصافي ، الجوهرى ، والسِّيَرَاءُ بكسر السين وفتح الياء والمد بُرْدٌ فيه
 خطوط صُفْرٌ ، قال النابغة :

صَفْرَاءُ كَالسِّيَرَاءِ أَكْمَلُ خَلْقَتِهَا كَالغَصَنِ فِي عُغْلَوَاتِهِ الْمُتَأَوِّدُ
 وفي الحديث : أهدى إليه أَكْيَدُ دُومَةٍ حَلَّةٍ سَيَرَاءٍ . قال ابن الأثير :
 هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور ، وهو فَعْلَاءٌ من السَّيْرِ الْقَيْدِ .
 قال : هكذا روى على هذه الصفة . قال ، وقال بعض المتأخرين : إنما هو
 على الإضافة ، واحتج بأن سيويه قال : لم تأتِ فَعْلَاءٌ صَفَةً لَكِنْ اسْمًا ،
 وشرح السِّيَرَاءَ بالحرير الصافي ، ومعناه حلَّة حرير ، وفي الحديث : أعطى
 علياً بُرْدًا سَيَرَاءً وقال : اجعله مُحْرَأً ، وفي حديث عمر : رأى حَلَّةً
 سَيَرَاءً تَبَاعٌ ، وحديثه الآخر أن أحد عماله وفد عليه وعليه حَلَّةٌ مُسَيَّرَةٌ
 أى فيها خطوط من لإبريسم كالسيور » (مادة سير ، ٦ / ٥٧) .

وإذن فالمراد بالعنوان : الحلقة ذات خطوط من حرير ، وقد تكون
 هذه الخطوط صفراء فتشبه الذهب ، وإذا أخذنا برأى سيويه كان المعنى
 ثوب حرير صاف . وهو بطبيعة الحال كناية عن مادة الكتاب وما فيه من

الشعر ، وجدير بالملاحظة أن شعر الكتاب ليس كله لأمرأه ، بل فيه الكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء .

وهذا الشعر كله جيد ، مما يدل على ملكة ابن الأبار كناقد للشعر عارف بالجميل منه وغير الجيد . ولكن أهم من الشعر في الكتاب نثره ، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس من القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن السابع مع مادة تاريخية لا بأس بها عن أعلام مشاركة من أهل القرن الأول كان لم نصيب في فتوح المغرب والأندلس .

وفي كل هذه المواد يبدو لنا ابن الأبار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم ، وإذا استثنينا بعض المواد الأولى التي ينسب فيها ابن الأبار شعراً إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان وبعض أجزاء الباب الأخير الخاص بمن لم يؤثر عنهم شعر ، تبيننا أن مادة التراجم كلها متعادلة من حيث القيمة والفرازة والأصالة ، غنية بكل ما ينفع المؤرخ ، ولا أذكر أنني قرأت لغير ابن الأبار في الأندلس شيئاً يدل على سعة العلم على هذه الصورة ، فهو متمكن غزير المادة سواء أكتب عن خلفاء بني العباس أم خلفاء الفاطميين أم أمراء الأندلس وخلفائها أم أمراء الطوائف ومن عاصرهم . وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل نافذاً يقظاً لا يمر بخطأ في تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه ، وتبلو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه كان بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي .

ومن حسن الحظ أن ابن الأبار تخلى عن السجع بعد فراغه من فاتحة الكتاب ، فجاء أسلوبه قوياً رصيناً بليغاً يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية ، وأسلوبه هنا يشبه أسلوبه في « إعتاب الكتاب » . ومقارنة بين أساليب الحلقة وإعتاب الكتاب ونصوص الرسائل المسجوعة التي كتبها ابن الأبار وأورد المقرئ شيئاً منها نعطينا دليلاً على جناية السجع

على الأدب العربي ، فهذا ابن الأبار إذا كتب على سجيته دون تكلف أفصح وأبان وأفاد وأمتع ، فإذا تكلف وسجع أسفَّ وهبط وضاعت معانيه في جهد البحث عن السجعات .

وليس هذا موضع تحليل هذا الكتاب ، فهذه دراسة طويلة جدية بأن يفرد لها بحث خاص ، ومثل هذا الكتاب تبين مزاياه عند الحاجة إليه والبحث فيه .

المخطوط :

ولم تُبق الأيام من « الحلة السراء » إلا نسخة وحيدة هي هذه التي اعتمدنا عليها في هذا العمل ، وقد وقع في ظن بعض الباحثين أن هناك نسختين أخريين ، واحدة في مدريد والثانية في باريس .

وهذه النسخة الوحيدة الباقية هي المحفوظة في مكتبة الإسكريال برقم ١٦٥٤ ، وهي نسخة جميلة مكتوبة بخط مغربي على ورق حجمه ٢٧ × ٢٠ سنتيمترا ، في الصفحة ١٩ سطراً ، وعدد أوراقها ١٩٧ . وفي نفس المجلد ٣ ورقات أضيفت إليه خطأ من تاريخ يظن أنه لأحمد بن أبي الفياض المؤرخ الأندلسي ، والخلاف في نسبتها شديد بين الباحثين ، انظر :

P. MELCHOR ANTUNA, *Un Fragmento Árabe - Historico* (Biblioteca del Escorial); en CIUDAD DE DIOS. San Lorenzo del Escorial, tomo CXXXVII, 1921, p. 103 — 114.

وانظر أيضا فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الإسكريال الذي وضعه هارتويج ديرنبور وراجعه وأكمله ليثي پروفنسال (باريس ١٩٢٨) ج ٣ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

وتنقص المخطوط من أوله ورقتان أو ثلاث على الأكثر فيها خطبة الكتاب وشيء من فاتحته ، وابن الأبار يأتي فيها بنماذج من شعر أمراء من بني حفص ، والغالب أن بعضها للأمير أبي يحيى زكريا الذي كان ولياً للعهد ثم

توفى قبل وفاة أبيه أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني في سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ وانتقال الأمر إلى ابنه أبي عبد الله محمد الذي لقب بالمتنصر أو المستنصر .

أما النسخة التي ظن بعضهم أنها في المكتبة الأهلية في باريس فنسخة حديثة كتبها المستشرق الإسباني خوسيه أنطونيو كوندو وعن هذه نقل المستشرق رينو نسخة صارت إلى ملك الجمعية الآسيوية الفرنسية ، ثم انتقلت إلى المكتبة الأهلية في باريس (انظر جامع نصوص بني عباد لدوزي ، ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧) وقد استعان بها دوزي في نشر ما نشر من الحلة ، ولكن بعضهم حسبها مخطوطة قديمة من الحلة وتحدث عنها بهذا الوصف .

وأما نسخة مدريد التي ذكرها بعضهم على أنها أصل من أصول الحلة فنسختان لا واحدة ، كتب الأولى منهما في سنة ١٧٩٥ مستشرق إسباني يسمى خوسيه أنطونيو بيتر José Antonio Pellicer وكتب الثانية مستشرق إسباني آخر يسمى پابلو أودار Pabio Hodar بتوجيه من ميخائيل الغزيري ، وقد أصبح هذا الرجل بعد ذلك أستاذاً للغة العربية في جامعة قلمرية Coimbra في البرتغال ، وتوفى بها سنة ١٧٧٩ (انظر فهرس مخطوطات المكتبة الأهلية بمدريد الذي صنفه جيئن روبيليس Guillén Robles ، مدريد ١٨٩٨ رقمي ١٢ و ١٣ ص ٨ و ٩) .

ولا وجود كذلك لأي نسخة أخرى من الحلة في أي مكتبة عامة أو خاصة أخرى بحسب ما وصل إليه علمي .

وهذه المخطوطة الوحيدة جميلة واضحة الخط ، ولولا هذا الخرم الصغير في أولها وبعض ثغرات قليلة الأهمية في سياق النص لكانت من أكل ما وصل إلينا من المخطوطات . وقد وقع الناسخ أثناء النقل في خطأ جر إليه السهو ، فانتقل في أثناء ترجمة أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي إلى ترجمة أبي عبيد بن عبد العزيز

البكرى ، وكأنه كان ينسخ ترجمة الأول ثم مضى لبعض شأنه وعاد ففتح المخطوط فوقع على ترجمة أبي عبيد بن عبد العزيز البكرى فلم ينتبه للأمر ومضى . وبعد أن فرغ منه تنبه إلى أنه أسقط تراجم معظم أهل القرن الخامس ، فعاد واستمها ! ومن حسن الحظ أنه لم يسقط شيئاً من الأصل . وقد تنبه إلى ذلك دوزى وبينه في الكلمة التي صدر بها ما نشر من الحلة ، وراجعت الأمر مرة أخرى عند التحقيق ، ونهت على ذلك في موضعه .

وقد أفدت أكبر الفائدة من عمل دوزى وماركوس مولر في هذا الكتاب ، وقد جرى الناس على أن يذكروا الأول دون الثاني عند الكلام على الحلة ، مع أن مولر في الحقيقة عظم ما نشر من النص خلعة طيبة وقد انضعت من قراءته في كثير من المواضع ، ومن الحق أن أحبي هنا ذلك الجهد العظيم الذي بذله هذان المستشرقان الجليلان ، لا في تحقيق ما نشرنا من الحلة فحسب ، بل لخدماتهما للدراسات العربية بصفة عامة ، ويكفي أن أحدهما — وهو ماركوس مولر — كان يستحب أن يسمى نفسه امرأ القيس بن الطحان ، لأن امرأ القيس في رأى البعض تعريب لماركوس أو مرقص ومولر معناه الطحان .

* * *

وبعد فهذا نص « الحلة السراء » كاملاً بين يدي القارئ مخدمواً على قدر ما سمحت به الطاقة وأعان الجهد ، ولقد طالما رجا الباحثون أن يجلبوه ميسراً بين أيديهم ، فعسى أن يكون ما أنفقت من جهد محققاً للرجاء .

وقد أعانني في ضبط الشعر صديقي وأخي الدكتور محمود على مكى وكيل معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، وأنا مدين له بهذا الفصل ، ووقف على طبع الكتاب في القاهرة صديقي مصطفى عبد المجيد صالح أكرمه الله بما صدق ونصح ، وتعاوننا نحن الثلاثة على تصحيح تجارب الطبع ، ونحسب أننا نقدم هنا نصاً يخلو من خطأ مطبعي يستحق الذكر .

وقبل أن أختتم هذه السطور يسعدني أن أحيي أخي السيد حسن إيراني
ناشر هذا الكتاب فقد أضاف عليه ذوقه ووجه للكتب ، وهو حب جدير
بالذكر والتتويه .

والله ينفعنا بجهدها ويزيدنا من فضله وتوفيقه ؛ ونخير ما نختم به هذا
الكلام دعاء صادق بالرحمة والغفران لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن الأبار .

حسين مؤنس

مدريد في ٢٢ ذي قعدة ١٣٨٢
٦ أبريل ١٩٦٤

أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة
ومدير معهد الدراسات الإسلامية في مدريد

كِتَابُ
الْحَفْلَةِ السَّيْرَاءِ

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

..... [.....] (*)

ابْنِي لِي الْجَدَّ آيَا كِرَامٍ وَرَثْنَا بَجْدَمْ بَاعًا قَبَا [١-١]
وَهَذَّبْنِي الْإِبَاهَ قَنَاتِ طِرْفِي^(١) وَكُلُّ بَعْدُ يَجْرِي مَا اسْتَطَاعَا

وقبلهما مما يصل حبلهما ويصف فضاهما :

وَمَا لِلنَّاسِ مِنَّا غَيْرُ رَغِي يُفِيدُهُمْ رِقَاهَا وَاتِّفَاعَا
فِيْمَنَّهُمْ وَمَا شَعَبُوا مَصَامَا^(٢) وَيُوسِعُهُمْ وَمَا سَغَبُوا اتِّجَاعَا

ولم رضى الله عنهم ، وسمعت ذلك منهم :

أَجِنْدَا عِيَّتَهَا فَالْتَجِيبُ يُجِيبُ وَشُبُّ لَفَاهَا فَالْتَجِيبُ^(٣) يَجِيبُ

(٥) ذكرنا في المقدمة أن المخطوط تنصه أوراق من أوله ، قد لا تزيد على اثنتين ،
هما أول الفاتحة ، وبدأ الكلام في المخطوطة بهذه الأبيات ، وهما من سر أبي ركريا الحفصى
الذى أهدى إليه ابن الأبار هذا الكتاب . وقد حاولت العثور على أصول هذه الأبيات . فوجدت
بعضها ولم أحد الباقى . ومن الواضح أن ابن الأبار تحدث في الصفحات القليلة عن سر الأمراء .
وكيف أنه دليل على امتيازهم ودكائهم وعلمهم ، وهو معنى سيعود إليه أكثر من مرة في سياق
الكلام ، وقد بينا ذلك في المقدمة . وقد وضعت نقطاً بين حواصر مكان البياضات في الأصل .
واكتفيت بهذه الإشارة ها تحتياً لتكرار صارة - « يماص في الأصل » .

(١) العرب : الكرم من الخيل .

(٢) في الأصل : وما سموا مصاهما ، وقد قوماه كافى المتن . ومعنى اسم على هذا هو أنه
يجمعهم ، ومن تفرق منهم من السليم (انظر مادة سم في لسان العرب ، ١/٤٧٩ - ٤٨٠) .
(٣) التخييب : الجبان .

وَيْثِمُ عَزْمَةً لَا يَنْفِرُ^(١) التَّجَرُّ مَثْنًا
 وَلَا تَبْتَنُّ الْعَلِيَاءَ إِلَّا بِأَبْيَضٍ
 وَأَسْمَرَ غَيْرَ شَيْبٍ الْوَقْعُ رَأْسُهُ
 وَإِنْ شَتَّ قُلْتَ النِّجْمُ تَوَجَّ رَأْسُهُ
 يَنْضَضُ صِلًا نَمَّ يَهْوَى كَأَنَّهُ
 وَهَفَاءَ رَبَّتْهَا الْجُبُوبُ^(٢) وَرَأَوَحَتْ
 إِذَا صَبَحَ مَثْنَاهَا أَقِيَمَتْ شَبَاتُهَا^(٣)
 فَإِنْ سَدِغَتْ بِالْكَفِّ^(٤) أَوْ قُلَّ خَطْوُهَا
 وَأَجْرَدَ يَسْتَجْلِي بِأَوْضَاحِهِ الْوَعَى
 فَذُو الْقَرَمِ فِي الْيَوْمِ الصَّيْبِ يُصِيبُ
 لِقَرَبَتَيْهِ فِي هَامِ الْكَلَامَةِ غُرُوبُ
 أَلَا إِمَّا بِعَدِ الْقَشِيبِ مَشِيبُ
 فَلَاحَ لَهُ يَبْنَ الْقُلُوبِ قُتُوبُ
 رِشَاءَ لَهُ قَلْبُ الْكَمِيِّ قَلِيبُ
 ذَوَابَّتْهَا فَوْقَ الْجُبُوبِ جَتُوبُ
 فَنَهَا سَرُوبُ لَا يُرَى وَرُسُوبُ
 تَغْطُو بَيْنَهَا فِي الْحُرُوبِ رَحِيبُ
 وَقَدْ جَنَّتْهَا يَوْمَ الزُّكُوبِ عَكُوبُ^(٥)

(١) في الأصل : ينفق ، وقد صوبها ماركوس مولر (ص ١٦٢) : ينفز ، وهو

صحيح .

(٢) هذا البيت من مشكلات هذه النقطه نظراً للجناس اللفظي الذي أرادته الشاعر . والبيت كله يدور حول القوس ووصفها . وقد ورد لفظ « الجيوب » هنا واضحاً في الأصل ، فلم نر ما يدعو إلى تغييره . وقد عدله مولر (ص ١٦٢) إلى « الجيوب » . وكذلك جعله حسن حسني عبد الوهاب عندما أورد هذه النقطه في كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » (الطبعة الثانية ، المصحح الأُميري بالقاهرة ، ١٩٤٤) ص ١٠١ . والجيوب هو الفرس المَجْبِبُ أى المَجْلِل إلى ركبتي يديه وعرقوني رحليه . وأعتقد أن الأصوب هنا « الجيوب » والمراد بها الصدور . وسررد لفظ الجيوب في المصراع الثاني من البيت ، وهذا فقد استبعدت أن يكرره الشاعر في بيت مرتين .

(٣) في الأصل : بناتها . وقد جعلها حسن حسني عبد الوهاب بُنَاتِهَا ، وفسر اللفظ بأنه

قوائم الفرس ، وعلى هذا الأساس فسر « سرُوب » و« رُسُوب » . وأعتقد أن الشاعر لا يزال يصنف الفرس . وعلى هذا فقد صوبت النقطه إلى « شَبَاتُهَا » . وبقي البيت مفهوم على هذا التفسير .

(٤) أي سُدَّتْ باليد .

(٥) العكوب : المبار .

إذا ما استعرج الضرب واشتجر القنا
له من سعالٍ الجِنِّ خلقٌ مُطعمٌ^(١)
بِنِكَ يُقالُ الوِترُ لوَ حالِ دونهُ
/ قدعَ عنكَ أبناءُ الزمانِ فكلَّهمْ
فلا تُورِدَنَّهُ وِرْدَكَ الصَّقْرُ إِنَّهُ
[...] ماوى الرجالِ قبائِمٌ
[...] قولى يَردُ هايباً
[...] إلى الخليلِ محلة
[...] يديكَ فإِنَّهُ
[ألا فإِستغْنِ واستغْنِ بالله إِنَّهُ
ولم — أيدم الله — فى استقبالِ حضرتهم العلية من بعض غزواتهم اليمونة :

يَرَجُفُونَ عَيْنِيكَ بِالْقَرَارِ
أَلَا حَ البرقُ مُتَرَضاً فَضَارَتْ
خَفَى بِسَرِّى وظلِّ الدَّمْعِ يَجْمُرِ
وهابَ البدرُ أن يقرى دجاء
وسائلِ مسنداً يَرويه عَنى
سقى أعلامَ تونس فالحفنايا
فواكْبِدَاهُ من شوقِ تَناءتْ
وأَبْرَحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً

بدا وهو فى حال [...]
بَرُوعٌ ، وَمِنْ هُوجِ الرِّياحِ هُبُوبُ
سُبوبٌ ، وحالتْ عن مَدَاهُ لُبوبٌ^(٢)
لَهُ عِندَ تَحْيِيسِ النُّيُوبِ عُيُوبُ [١ - ب]
شَرُوبٌ وَعِندَ الحَادِثَاتِ سَرُوبُ
لَهُ عِندَ هَبَّاتِ اأَطْلُوبِ خَطُوبُ
ويبأى إذا الحقِ النَّوْبِ يُوُوبُ
وقد جملت [...]
سواء قَريب فى الورى وغَريبُ
لَفَتَحَ بِتَقْدِيرِ الرَّقِيبِ قَريبُ
وَلَمْ — أَيْدَمَ اللهُ — فى اسْتِجَابِ حَضَرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِمُ الْيَمُونَةِ :

وَمِنْ شَرَطِ الْمَوَى رَحَى الْفَرَارِ
نَجُومُ الْأَفْقِ مِنْ مَاءِ وَاِرِ
فَوَحْرَبَاهُ مِنْ سَارِ وَجَارِ
فقال عَنِ السَّرَارِ إِلَى السَّرَارِ
فَحَدَّثَهُ الزَّفِيرُ عَنْ أَدْكارِ
فَمُقْتَبِلِ التَّشْيَةِ وَالْعَرَارِ
نَهَيْتُهُ عَلَى قُربِ اللَّزْرِ
إِذَا دَنَتْ الدَّيَارُ مِنَ الدَّيَارِ

(١) كذا فى الأصل . وقد قرأنا ح . ح . عبد الوهاب : مظهر . وكذلك فعل مولر (ص ١٦٣) .

(٢) لُبوب جمع لُبوب . وهو هنا : مهواة ما بين كل جبلين (انسان - ٢٤١/١) .

ومن قلائد المزدريّة قلائد العقيان ، المزيّنة على فرائد الجمان ^(١) :

وسوّراء تستملّ بنهدين أشرعاً ولا غرّو أن يدعو هواها فائتمة
تقول ، وقد رقت لما لي : أجازعُ وأنت جريّ والأسنّة مُشرّعة ؟
[٢ - ١] / قلت لما : جنالك عزّا تجلّدي ونهادك هذا نفس هيّان موجهة
وما زلت ألقى القرن يعلّ ^(٢) رجه فمن لي بمن يلقى الفؤاد بأربعة ؟

صدر هذا عنهم ، دامت سعادتهم . وقد أنشد مجلسهم العليّ للقاضي
أبي بكر بن العربي في مداعيب له من فتیان للثمة هز رجه عليه وأوماً به إليه :

يهزّ على الرمح ظبيّ مُهفّف لوبّ بالباب البرية عايّ
فلو كان رهماً واحداً لا تقيته ولكنّه رمح وثانٍ وثالث

كذا قرأت في ديوان شعرهم ، أدام الله تأييد أمرهم . وما عندي للقاضي
أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ^(٣) ، أنشدنيهما القاضي أبو سليمان داوود
ابن سليمان بن حوط الله الأنصاري الحارثي ^(٤) بمدينة بكنسية ، وهو إذ ذاك يتولى

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى كتابي « قلائد العقيان » لابن خاقان و « فرائد الجمان » أو
« المرائد الجمانية » (طبع في القاهرة سنة ١٩٠١) لمعين الدين أبي نصر أحمد بن عبد الرزاق
الطنطرناني المتوفى سنة ٤٨٠ / ١٠٨٧ (انظر بروكلمان ، ملحق ١ ص ٤٤٦) .

(٢) صلّ الرمح : هزه .

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحارثي ، من أهل عرناطة ، يكنى أبا محمد .
ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٨٢٥ / ١ - ٢٨٠) ووصفه بأنه « كان واسع المعرفة
قوى الأدب ، متفتناً في العلوم ، أحد الناس عه » . توفي سنة ٥٤٢ / ١١٤٧ - ١١٤٨ .

(٤) هو داوود بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن حلف . . بن حوط الله
الأنصاري الحارثي من أهل أفنة (٥٥٢ - ٦ ربيع الآخر ٦٢١) ، من أكبر قهّاء الأندلس
في عصره وأوسعهم علماً وأكثرهم رحلة وسيوخاً . وهو من سيوخ ابن الأبار ، وقد ترجم
له ترجمة واسعة في تكملة الصلة ، رقم ٢٠٥ ص ٦٣ - ٦٥ . ولم يرد لأبي محمد عبد الحق بن
عطية ذكر في هذه الترجمة ولا في تكملة الصلة .

تضامها . قال : « أنشدنا الشيخ أبو الحسين سراج بن عبد الله العماني ^(١) —
 — مرات — لفقهاء القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية » ؛ وذكر اليتيم ، إلا
 أن صدر أولها في هذه الرواية « يهدني بالمرح ظلي مهف » ، وصدر ثانيها
 « فلو كان رجلاً واحداً لآتيته » ، وباقيهما سواء ^(٢) . ولمن كان منهما ذلك
 فقد علل به عن جادة الإجابة والزيادة .

ومن لزومياتهم السنية في غزلياتهم السلطانية :

بنت لك في ثوب يشف منجم أزيق — يا لله للحسن! — أزرقا
 ولاحت ، وبدر الأفق في الأفق كامل فلم أدر أي راعي حين أشرقا
 خلا أنه لما رأى حسن وجهها تأتى قليلاً حين شام فأبرقا
 ودونها صفو الندير مسكلاً فأقسم لولا رقة الوصل أخرقا
 ولما رنا نحو السجّجل وجهها أطل على متن الندير فأطرقا
 وزرت عليه الشهب ثوب سمانه فقارب في التسيه منها وأغرقا
 ونازعا ثوباً ولونا ورفعة وبُعداً وإشراقاً ووجهاً ترققا
 ومن رفيع الرصف وبديع الوصف قولم ، لا زال يحارى الأقدار عدلم
 ويبارى الأمطار طولم :

/أعد نظراً حيث الرياض كأنها خلود الغواني أو قدود الكواعب [٢ - ب]

(١) سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة ، يكنى
 أبا الحسين . ترجم له ابن بشكوال في الصلة (رقم ٥١٤ ، ج ١ / ٢٢٦) ولم يذكر نسبه
 العماني ، وقال عنه : « وكانت له عناية كاملة بكتب الآداب والفنات والتصيد لها والنبط
 لشكلها ، مع الحفظ والإتقان لما جمعه منها » . ولد سنة ١٠٤٧/٤٣٩ وتوفي في جاس الآخرة
 سنة ١٠١٧/٥٠٨ .

(٢) روى اليتيم المذكورين هنا أحد بن محمد المقرئ في نفع الطيب (طبعة عيسى الدين
 عبد الحميد ، ج ٢ ص ٢٣٣ في ترجمة أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي) بالصورة التي وردا
 نها في النص ؛ وقد نسبها إليه .

تَمِيلُ وَلَيْسَتْ بَيْنَ كَأْسٍ وَقِيْفَةٍ
وَسَالَ نَمِيرُ الْمَاءِ بَيْنَ اخْضَارِهَا
وَلَا كَا شَقِّ الْكَتَهَوْرِ بَارِقُ
قَدِ اطَّرَدَتْ فِيهِ اللَّذَائِبُ دَائِمًا
وَاللَّزْجِسُ النَّضْرُ اصْفَرَّادُ تَحَالُهُ
يَدْبُ إِلَيْكَ الْحُسْنُ فِي جَنَابَاتِهَا
وَالْيَاسَمِينِ النَّضْرُ فِي خُضْرِ بُسْعِهَا
وَالسُّوسَنِ الْمُبْيِضُ إِسْفَادُ آفْرِ
وَقَدْ كُتِلَتْ أَغْصَانُ نَارِجِيهَا، قُلُّ
وَعَطَّرَ مِنْهَا الشَّرُّ مَا بَلَّلَ النَّدَى
وَالْمَاءُ فِي السُّوْلَابِ - إِنْ رُمْتَ وَصْفَهُ -
تَضْمَنَ سَقَى الرُّوْضِ رَهْمًا يَمْلُئُهُ
مَطَرَةُ الْأُرْدَانِ يَفْقَمُ فَعْمُهَا
سَمَاءً، وَجَرَى الْمَاءُ فِيهَا مَجْرَةً
فَدَوَسَكُمَا تَحْتَالُ زَهْوًا وَنُضْرَةً
وَلَمْ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُمْ - فِي طَبَقِ مَلُوءِ تَنَائِزِ زَهْرِ النَّارِجِ وَالْخَابُورِ،
وَأَكْثَرُ هَذَا التَّشْبِيهِ عَلَى الْبَدِيَةِ :

بَعَثَهَا وَذَكَرُ الْعَرَفِ الْخَفَا
كَأَمَّا الزَّهْرُ وَالْخَابُورُ جَزَعُهُ
قَدْ رَاقَ مَنَظَرُهُ حُسْنًا لَمُتَغَفِّ
بُرْدِينَ مِنْ وَضَحِ الْإِصْبَاحِ وَالشَّفَقِ
شَذَرُ تَنَائِزٍ فِي دَرٍّ مِنَ الْمُتَنِقِ
وَرَقٌّ مَخْبِرُهُ عَرَفًا لِمُنْتَشِقِ

ولم — ظاهرَ الله نِمْهَ لديهم — مما كَتَبْتَهُ بَيْنَ الْكَرِيمَتَيْنِ بَدِينِهِمْ : [١-٢]
 خُذْهَا كَأَنَّكَ عَرَفْتَ الرُّوضِ بِالسَّحَرِ وَأَيُّقُظَ الْعُلَّ رَبَّنَا نَأْمُرُ الزَّهْرِ
 حِمَاءَ نَزَلُ فِي أَنْوَابِ بَهْجَتِهَا نَقْتَرُ عَنْ لَوْلَا عَذْبٍ وَعَنْ أَشْرِ^(١)
 زَقَقْتُهَا وَرَوَّاقَ اللَّيْلِ مُسَدِّلُ كَانَهَا شَفَقُ فِي هَالَةِ الْقَمَرِ
 ومن العارم ، وسمعتُ منهم رضى الله عنهم :

سَحَرْتُ أَعْيُنَ الْجَاذِرِ لَبِّي وَاسْتَبَاحْتُ حَيَّ فَوَادِي وَقَلْبِي
 [. . . .] مِمَّا اشْتَبَاهُ فَاطَرُنَّ التَّصْغِيرِ مِنْ بَدَلِ قَلْبِ

وقد استوفوا حروف المصحف في هذا الباب ، فأثروا — أيدهم الله — [بما فيه]
 عرة لأولى الألف

ولم في الزناء ، أدام الله أيامهم كما جعل مفاتيح الأقاليم سيوفهم وأقلامهم ؟
 تَصَيَّرَ هَلْ أَنْصَرُ أَوَّلَى مَدَى حَجَرٍ وَإِنْ كَانَ حِجْرًا فَأَتَاهُ إِلَى الْحَجَرِ^(٢)
 وَمَا رَأَيْتُ الْأَيَّامَ تَعْدُو عَلَى الْعَتَى فَطَوْرًا عَلَى يَشْرِ وَطَوْرًا عَلَى يَشْرِ^(٣)
 وَإِنْ سَالَمْتُ ، وَالظُّلُمُ مِمَّا سَحِيَّةٌ فَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تَقَرَّ وَأَنْ تُقَرَّ
 مَرَى^(٤) الْحُرُّ دُمْنِي أَنْ أَمَرَ حِبَالَهُ وَكَانَ قَدِيمًا لَا يُبْرِثُ وَلَا يُبْرَى
 وَعَهْدِي سَهْدًا لِمَنْ يَعِينُ وَأَيَّاهُ هَلْ لَكَ فِي الْمَدْرِ لِلْبَرْحِ مِنْ عَدْرِ ؟
 أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا يُبْنِي عَرْبَهَا أَلَا مَنْ لَسَخِرٍ لَا يَمْلُ مِنَ السَّخَرِ ؟
 أَلَا تَلَكُ شَمْسُ الْجَوْ فِي الْمَدْوِ^(٥) فَاصْبِرُوا أَلَا تَلِكُمْ إِدْمَانَةُ الْمَغْرِ فِي الْقَفْرِ

(١) يأسير الأسان تحريرها ومعيد أطرافها .

(٢) اجترأ الأولى والثانية بمعنى على ، والثالثة بمعنى حره .

(٣) سر ارجل وجهه ككلج

(٤) مره حقه : جهده

(٥) سو المصرة .

أُأَسْلُو وَهَذَا شَخْصُهَا حَشَوُ مُقَاتِي وَأَنْتَى وَمَا تَنْفَكُ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ ؟
لَنْ ضَمَّ مِنْكَ الْخَدُّ ذَاتَا زَكِيَّةً لَقَدْ حُنَيْتَ مِنِّي الضَّلَوُعُ عَلَى جَبْرِ
سَابِكِيكَ مَا أَنْتَ قَبِيْدَةٌ بِكِرْهَا وَحَنَّتْ لِي وَكُرِّي مُطَوَّقَةُ النَّخْرِ
[٢-ب] / أَطَارِحُهَا شَجْوِي فَيُسَمِّدُ شَجْوَهَا فَصَحْبُنَا إِلَيْنِي مُصَابِي لَدَى وَكُرِّي
وَمَالِي وَمَا لِي سِيدٍ لَوْلَا تَحَفُّلٌ يُكَلِّفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الصَّبْرِ
فَنَ كَانَ ذَا هَذِي وَهَذِي لَمِيْدَةٍ فَصَنَدِي هَذِي مِنْ مَدَامِي الْحُمْرِ
يُعَادُونَهَا قُرُونِي لَنَخْرِ ثَلَاثَةٍ وَدَمِي مِنْ تِسْكَابِي الدَّهْرِ فِي مَحْرِ
وَعِنْدِي وَلَا رَدَّ زَفِيرٌ مَرْدَدٌ تَهْدِي لَغْظَاهُ جَابِ الشَّرِّ
وَتَصْدِيقُ إِيْمَانٍ وَإِقْرَارُ مَوْقِفٍ وَتَسْلِيمُ مَرْبُوبٍ لَدَى الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
وَمِنْ تَصْنِيفٍ لَمْ فِي الزَّهْدِ جَلِيلٌ ، هُوَ عَلَى انْفِرَادِهِ فِي الْكَمَالِ وَسِحْرِ
الْكَلَامِ أَوْضَحَ دَلِيلُ :

يَعْبَثُ الْإِنْسَانُ بِالشَّيْءِ ، وَهَلْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَجَلٍ ؟
وَلَيْدِي الْعِلَلِ قِصَاةٌ فِي الْوَرَى بِتَقَاضَاهُ كِتَابٌ وَأَجَلٌ
إِنَّ ظَفَرَ الْيَثِ يَدِي مِنْ رَدِّي مِثْلَ خَدِّ الْخُلُودِ يَدِي مِنْ خَبَلٍ
وَأَخُو النِّفْلَةِ فِي غَفْلَتِهِ إِنَّ بَكَتْ وَرَقَاهُ غَنَى وَزَنْجَلٍ

وإِذَا أُورِدَ مِنْهُ الْفَرَائِدُ ، وَأَقْصَدَ إِلَيْهِ مِنَ الْقِصَائِدِ ، وَهِيَ تَصِيقُ عَنْهَا
الْمَهَارِقُ ^(١) ، وَتَضَيُّ مِنْهَا الْغَارِبُ وَالْمُشَارِقُ ، وَإِذَا هَذَا الْإِلَاعُ بِمَا أَعُوَزَ الْعُلَمَاءُ ،
وَأِسْمَاعُ مَا أَسَكَّتِ الْحِكْمَاءُ .

وَمَا ظَفَرْتُ مِنْ هَذَا الْقِصُودِ الْأَحْمَدِ ، وَسَبَقْتُ إِلَيْهِ سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى
عَلَى الْأَمْدِ ، قَصَرَتْهُ عَلَى مَلُوكِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَبِلَادِ الْمَرْبِ الْمَصَافَةِ إِلَيْهَا ، وَقَدِمْتُ

القادمين في المائة الأولى من السلف الأول عليها ، لأنها من أوائل فروع الإسلام ،
ثم من منازل بدرِ التمام مولانا الخليفة الإمام ، أدام الله لم نصر الأولية والأعلام .
وفي المائة الثانية صارت الأندلس دارَ إيمان ، فواليتُ ذكر ولايتها من ذلك
الزمان ، ليوقَفَ على جلالة شأنهم ، ويُعرفَ تمكن محلم من البلاغة ومكانهم ،
وذكرتُ أبنائهم ، واختصرتُ أبنائهم ، هربا من التطويل ، ورَهْباَ للتثقل ،
إلا سكتنا لما بانتخابها أحسن المواقع/وعيوننا هي باقتضائها أجولُ في المحافل [١-٤]
وأولِّجُ في السامع . وربما عرض ما يدعو إلى البسط فانتقص حكم هذا الشرط ،
ولا غرو أن أواقع الخذور ، فللكلام اضطراب يُبيح المحذور .
وأبرزته مسوقاً على الحقب ، منسوقاً بحسب الرتب ؛ أعين للصدور صدرَ
كل مائه ، وأبين من تميز في جماعة أو تميز إلى فئة ، ليستوفي للتأديين ، حتى
من للتوثبين .

والذين ما عثرت على أشعارهم ، أفردت باباً لأخبارهم ، ولم أعرض لمن
أعرضت عنهم الدولة الخفصية بالخلعان ، وانتزعت ما كان بأيديهم تراثاً لها
من الملك والسلطان .

ثم [.....] ^(١) الاسم الذي من خصائصه التأمين والتأمير وأشبهه
[.....] ^(٢) النصير والمشرع النصير حضرة مولانا الأمير [.....] ^(٣) الأسعد
الأطهر الأرضي أبو يحيى ولي عهد المؤمنين ^(٤) ، وعهدُ الولي في متابعات السنين ،

(١) يياض بقدر كلمتين .

(٢) يياض بقدر كلمتين .

(٣) هنا مكان كلمتين ميسورتين من الأصل . وآثار البئر واضحة .

(٤) كذا في الأصل ، وصحته أبو زكريا يحيى وهو ابن أبي عبد الله محمد الخفص
الملقب بالمستنصر ثاني أمراء الخفصيين (٦٤٧-٦٧٥ / ١٢٤٨-١٢٧٧) . وفي خدمة
المستنصر عمل ابن الأبار . والإشارة هنا إلى ولي عهده أبي زكريا يحيى الذي خلفه على العرش
سنة ٦٧٥ / ١٢٧٦-١٢٧٧ وتولى بعده ولقب بالوائق . وقد فرغ ابن الأبار من هذه الحلة
السيرة خلال سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ أوبعدها بقليل ، أي أيام كان أبو زكريا يحيى الوائق
ولياً للعهد . (انظر : ابن خلدون ، تاريخ ٢٩٦/٦) .

واللّٰى^(١) وقد [...] مكارم الآباء بإيجاب كرام البنين . أجدُّ في الاستظهار على شكر نعمته ، وأجر آماء الليل وأطراف النهار بأن [يكون]^(٢) العمل خادماً النية في خدمته . وأقصى للأمول أن تأذن له^(٣) سيادته في القرب من سُدَّته ، وتقابل وفادته بالقبول لیسعد مداه بسمادة مدته . أبقاه الله ولواؤه منصور ، وكرم الخلال فيه محصور ، وشرف الكمال عليه مقصور ، والعيون والقلوب إليه ميلٌ وصور ، بمنه .

(١) كذا في الأصل . وصحة هذا المصطح إذا عرما ما بعده ، وهو مضطرب في نحتنا .

(٢) بياض بقدر كلمه و معنى عَهْدَت .

(٣) أصحت هذه الكلمة للسياق

(٤) الصيرها عائد على العمل .

المائة الأولى من الهجرة

١ - عمرو بن العاصي، أبو عبد الله

قرأت بخط أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أساب الأشراف » من تأليفه : قال محمد بن سعد : قال الواقدي من خبر عمرو ابن العاصي إنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِمًا في صفر سنة ثمان - قبل فتح مكة بأشهر ؛ وكان الفتح في شهر رمضان - فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عن جميعهم ^(١) . قال : ثم بعث به إلى ابني الجلندى بعمان فأسلم ، وكان أميراً عليها . فلم يزل عمرو بعمان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وعمرو بن العاصي هو الذي فتح مصر وواحياها في خلافة عمر ، وعزله [٤ - ب] عثمان عنها .

وقال غير البلاذري : ثم صار من مصر حتى قدم رقة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه حزية ، على أن يبيسوا من أبنائهم

(١) مصر طينات ابن سعد (طبع دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٢٥٩) :

في [جزيتهم « ما أحبوا يمه »] ^(١) [وعلى يديه تم فتح المسلمين] ^(٢) لبرقة .
ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين إطرابلس ، فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء ،
ثم اقتصحا في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
في تاريخه ^(٣) ، وغنم ما فيها ولم يفلت الروم إلا بما خفّ لهم في مراكبهم . وأراد
أن يُوجّه إلى المغرب فكتب إلى عمر رضى الله عنه : « إن الله عز وجل فتح
علينا إطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين
أن يغرّوها ويفتحها الله على يديه فعَلَّ » ^(٤) ، فكتب إليه عمر ينهيه عن ذلك .
الظاهر من هذا الخبر تحيُّزُ إطرابلس من إفريقية ^(٥) ، ولم تزل من أعمالها
قديمًا وحديثًا . قال ابن عبد الحكم : « كان سلطان جرجير من إطرابلس إلى
طنجة » . وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضى الله عنه في هذا الكتاب .
ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد — أخا خالد بن الوليد — عند النجاشي ،

(١) أضفت كلمة « جزيتهم » هنا لسياق ، وأكلت النص من فتوح ابن عبد الحكم
(طبعة تورى) ص ١٧٠ - ١٧١ وفتح البلدان للبلاذري (القاهرة ، بدون تاريخ) ص ٢٢٤ .
(٢) عبارة الأصل هنا مضطربة . فبعد اليياض الذى سدناه (راجع الهامش السابق)
وردت كلمتا : « لبرقة إطرابلس » ، وهى عبارة غير صحيحة ، لأن لبرقة — إذ ذاك —
لم تكن تابعة لإطرابلس ، ومن ثم فهى لا تنسب إليها . ولما كانت كلمة إطرابلس ترد في آخر
السطر في المخطوط ، فقد رجحت أن ناسخاً أضافها كمتنوان صغير في الهامش ، ثم أدرجها من أتي
بمنه في المتن ، فاختل المعنى . فاستغنيت عنها ، وقومت النص بحسب ما أحرف من فتح العرب
للمغرب .

(٣) راجع هذه القصة في فتوح ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، وانظر عنها
كتابنا « فتح العرب للمغرب » (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧) ص ٦١ .
(٤) راجعت النص على أصله عند ابن عبد الحكم (فتوح ، ص ١٧٢) وبقية النص :
« فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة (أيضاً : الفادرة)
مغفور بها ، لا يغرّوها أحد ما بقيت » .

(٥) يريد أن إطرابلس داخلية في حوز إفريقية ، أى تبع لها .

وكانت قريش بشتها إليه يكلمانه في مَنْ قدم عليه من المهاجرين رضى الله عنهم^(١) :

تَلَّمْ عُمَارَ أَنْ مِنْ شَرِّ شَيْئَةٍ^(٢) لِمَنْكَ أَنْ يَدْعَى ابْنَ عَمٍّ لَهُ اتَّقَى^(٣)
لَنْ كُنْتَ ذَا بُرْدَيْنِ أُخْرَى مَرَجَلًا فَلَسْتَ بِرَأٍ لِابْنِ عَمِّكَ مُحْرَمًا
إِذَا لَرَّهُ لَمْ يَتْرَكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ وَلَمْ يَنْهَ قَلْبًا هَائِمًا^(٤) حَيْثُ يَمَّا
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ^(٥) ، وَغَادِرُ سُبَّةٍ إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمَلُّ الْقَمَّا
وَقَالَ أَيْضًا فِي حُرُوبِ صَفِينِ :

ثُبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا مَفْرَغَ الْحَارِكِ^(٦) مَحْبُوكَ السَّبَجِ

(١) روى البلاذرى في «أنساب الأشراف» (طبعة الدكتور حيد الله ، القاهرة ١٩٥٩) ٢٣٣/١ - ٢٣٤ هذه الآيات في خبر ما وقع بين عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد في الخبيشة . وكان عمرو قد بعثه قريش مع عبد الله بن أبي ربيعة إلى الخبيشة ليكيدا للمهاجرين المسلمين هناك ويفريا النجاشي بالتدخل عن حمايتهم ، بل القضاء عليهم . أما عمارة بن الوليد فكان قد خرج إلى الخبيشة في تجارة له ، وركبا نفس السفينة ، وكانت مع عمرو امرأته ، فسمى عمارة في الاتصال بها . ووقع الخصام بين الرجلين ، فلما وصلا إلى الخبيشة استطاع عمارة أن يتصل ببعض نساء النجاشي . ويبدو أنه كان جعلا مفتونا بنفسه ، فلم يزل عمرو بن العاص يحثه عليه حتى حصل منه على ما يثبت اتصاله بتلك المرأة ، ثم أسرع بالأمر إلى النجاشي ، فغضب على عمارة ويقال إنه قتله . وفي هذه الآيات يلوم عمرو بن العاص صاحبه عمارة على ما سولته له نفسه من العدوان على امرأة ابن عمه عمرو . والخبر كله مشكوك في صحته ، والآيات - بالتالى - مشكوك في أصالتها .

(٢) في «أنساب الأشراف» : شيمة .

(٣) في «أنساب الأشراف» : ابنها ، وهي قرامة غير صحيحة .

(٤) في «أنساب الأشراف» : غاويًا .

(٥) في «أنساب الأشراف» : منها .

(٦) الحارِك من القرس : كاهله .

يَعْلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَإِذَا وَنَتَّاعِلُ مِنْ الشَّدِّ مَمَّجْ
جُرُوسُ أَظْمَهُ جَرُوسُ فَإِذَا اجْلُ مِنْ لَاءِ حَدَجْ^(١)

وقال مخاطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

مُكَاوِرٍ إِلَى بَيْتٍ دِينِي وَلَمْ أَكُنْ^(١) بِهِ مِنْكَ دِينًا^(٢)، فَانْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ
وَمَا الدِّينَ وَالْدُّنْيَا سِوَايَ، وَإِنِّي
إِنْ تُطْعِمِي مِصْرًا فَأَرْجِعَ بِصَفْقَةٍ
أَخَذْتُ بِهَا شَيْعًا يَصْرُ وَيَنْفَعُ^(٣)

[٥ - ١] / قال عمرو هذا لأنه شرط على معاوية لما تحيز إليه - وكان معه في حروبه

لعلّ رضى الله عنهم — أن يوليّه ، إذا ظهر ، مصرَ طُعْمَةٍ ؛ فولى له ذلك .

وَرَوَى أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَخِيهِ وَهُوَ يَكْلِمُ عَمْرًا فِي مِصْرَ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : « إِمَّا يَمُوتُكَ هَذَا دَبِي » ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : « أَتَنْبِئُ الرَّجُلَ بِدِينِهِ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ عَمْدٍ » (٥) .

(١) ثم أخذ هذه الأدبيات في كتاب «وقفة صعيد» لصبر بن مراح المصري (طبعة
عبد الله هارون)، القاهرة ١٣٦٥، وهو يصحح كثير عمو من الشعر قيل أثناء معارك صعيد
(٢) وردت هذه الأدبيات في «وقفة صعيد» ص ٤٤ وقد ورد فيه هذا المصراع هكذا
معاوي^٩ أخصيك دني وء بل

(٢) في اوقعه صميم بذلك دسا ، وفي مخطوط آخر به منك

(٤) وردت هذه الأبيات معام آخر في «وقعة صميم» ، وها هي بعد البيت الاول

أُخِذْتُ مَا سِجَّاءَ يَصْرُ وَيَنْعُ
وَحَدَّ مَا تَطْلَى وَرَأْسِي مَقْعُ
لَأُخِذْتُ نَفْسِي ، وَالْخِصْبُ يُجْدِعُ
وَأِنْ تَهْ إِنْ رَأَيْتُ الْعَمَلَ أَصْرُ
وَأِنْ بَدَأَ الْمَوْعُ قَدْماً لِمَوْلُ

و ورد المصراع لهما من سب ارام هكذا

وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا تُصْنَعُونَ

(٥) ورد ذكر من مراحم المقرئ حسب معنونه في أن سفيان مع عمرو بن العاص وكلام منه في أن سفيان تصحيف (ص ٤٤) وهو هاء تحذف في معناه ومناه عما هوها .

فأقام على مصر إلى أن توفى في خلافة معاوية^(١) . وبما يُعزى إليه :
 وَأَغْنَى عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَتُبَّ لِلصِّلَحِ مَوْضِعًا
 فَإِنْ كَانَ حُرْدَى مِنْ نُضَارٍ فَإِنِّي لَا كَرِهَ يَوْمًا أَنْ أَحْلُمَ خِرْوَعًا^(٢)
 وَأَشَدُّ لَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ صَاحِبُ « الْمَغَازِي » فِي يَوْمِ أَحُدَ مَا لَمْ أَرِ وَجْهًا لَذَكَرَهُ .

٢ — ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد

ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي في الداخلين لإفريقية من الصحابة
 رضى الله عنهم^(٣) ، وهم قريب من ثلاثين رجلا . وكان يحلف أباه على إمارة
 مصر ، إذ قرأها عمرو في خلافة عمر بن الخطاب [و] في خلافة معاوية . وهو صلى
 على أبيه عند وفاته ، ثم صلى بالناس يوم الفطر . ولم يكن بينه وبين أبيه في السن
 إلا اثنتا عشرة سنة^(٤) ، وأسلم قبله ، وكان أحد فقهاء الصحابة وفضلائهم ،
 والكثيرين من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) .

(١) ورد بالمعنى مقابل هذا السطر ما يلي : توفى عمر ليلة احدى عشرة ثلاث وأربعين
 وهو ابن سبعين سنة ، ودفع بالمعنى من ناحية « الفتح » ، وكانت طريق اساس إلى الحجاز
 صح : من در الصحابة الحجاز الأسبوطي (كتاب)

(٢) جاء في « البيان » .. وكان بنت صغير يسمى حروع ٢٠/٩

(٣) انظر « رياس العوس » لأبي بكر بن أبي عبد الله محمد المالكي (تحتقيق ناشر

هذا الكتاب ، ص ١٠ ، القاهرة ١٩٥١) رقم ٤ ص ٤٣ - ٤٤

(٤) في « رياس العوس » (ص ٤٣) وكان بينه وبين أبيه في العمر ثلاث عشرة سنة .

(٥) ورد في الخامس متناول هذا السطر بخط مختلف عن خط المخطوط « ط توفى بمصر
 ودفن بداره سنة سبع وسبعين في خلافة عبد الملك وسنة اثنتان وسبعون سنة . صح . من در

الصحابة »

قال أبو محمد بن حزم القتيبي : روى عبد الله بن عمرو بن العاصي سبعاً حديث .

وفي تاريخ ابن عبد الحكم أن عثمان رضي الله عنه كتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يؤمره على مصر [سنة خمس وعشرين] لحجاء الكتاب بالقيوم بقرية منها تدعى « دموشة » ، فجعل لأهل الجواب^(١) جُملاً على أن يصبحوا به الفسطاط في موكبه . فقدموا به الفسطاط قبل أن يصبح [الصبح ، فأشار^(٢)] إلى المؤذن فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ينتظر المؤذن يدعو إلى الصلاة ، لأنه كان خليفة أبيه ، فاستنكر الإطاعة ، فقيل له : صلى عبد الله بن سعد بالناس .

قال ابن عبد الحكم : يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد [• - ب] بين يديه شمة ، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمة . فالتفت عند القبلة فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد فقال : هذا بَغْيُكَ وَدَسُكُ ! فقال عبد الله بن سعد : ما فعلتُ . وقد كنتَ أنتَ وأولك تحسداني على الصيد ، فتمالَ حتى أوليك الصيد ، وأولَى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدكاً عليه .

وكان عزل عمرو بن العاصي عن مصر وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين ، صدرَ خلافة عثمان رضي الله عنه . ومن شعر عبد الله بن عمرو في صفين :

فلو شهدتْ جُمْلُ مَقَامِي وَمَشْهَدِي بِصَفِّينَ يَوْمًا شَابَ مِنْهُ الدُّوَابُ
عَشِيَّةَ جَا^(٣) أَهْلُ الْعِرَاقِ كَانَهُمْ سَحَابُ رَيْحٍ دَفَعَتْهُ الْجَنَانِبُ^(٤)

(١) في الأصل : الطواف ، واتصحح من ابن عبد الحكم وأبي الحسن بن ترقى بردى .

(٢) سمعت كلاً من هـنا ، فكتبت ما بين الخاصرين ليتصل السياق .

(٣) في نسخة صفين البحرين مزاحم المتفرق (ص ٤٢١) : عداة غدا .

(٤) في نفس المصدر : من البحر موج لجه متراكب .

وجئناهم نَرَدِي^(١) كَانَ صَفُوفَنَا مِنْ الْبَحْرِ مَدَّةً مُوجُهُ مُتْرَاكِبٌ^(٢)
 إِذَا قُلْتُ : قَدْ وَلَّوْا سِرَاعًا ، بَدَتْ لَنَا كُتَائِبُ مِنْهُمْ قَارَجَحَتْ كُتَائِبُ^(٣)
 فِدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ سَرَاةَ النَّهَارِ مَا تَوَلَّى لِلنَّاكِبِ
 وَقَالُوا لَنَا : إِنَّا نَرَى أَنْ تُبَايَعُوا^(٤) عَلَيَّا ، قُلْنَا : بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا^(٥)
 هَكَذَا وَجَدْتُ هَذَا الشَّعْرَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ ، وَخِلَافَ هَذِهِ الْحَالِ كَانَ [...] «...»^(٦)
 عَلَى أَنْ أَبَا الْفَتْوحِ الطَّائِي الْبُغْدَادِي قَدْ حَكَى فِي كِتَابِهِ « الْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا »
 مِنْ جَسَمِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ صَفَيْنَ ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِسَيْفَيْنِ .
 وَالْأَصَحُّ هُوَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو نَعْمَانَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْرٍ [فِي خُبَرِ يَسْنَدِهِ]^(٧) إِلَى ابْنِ

(١) رَدَى فِي الْبُرْ يَرْدِي إِذَا حَقَقَتْ فِيهَا أَوْتُورٌ مِنْ جَبَلٍ . وَفِي « وَقْعَةِ صَفَيْنَ » : نَمَشَى .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي « وَقْعَةِ صَفَيْنَ » هَكَذَا :

وَجِئْنَا نَمَشَى صَفُوفًا كَأَنَّا
 وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ يَبْتَغِي أَنْ يُوْرَدَ ابْنُ الْأَبَارِ هُوَ :

فَطَارَ إِلَيْنَا بِالرَّمْحِ كُتَائِبُهُمْ وَطَرْنَا إِلَيْهِمُ وَالسَّيْفِ قَوَاصِبُ
 (٣) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ هَكَذَا :

إِذَا قُلْتُ يَوْمًا : قَدْ وَتَّنَا ! بَرَزَتْ لَنَا كُتَائِبُ حَرٍّ وَارْجَحَتْ كُتَائِبُ
 (٤) وَرَدَ هَذَا التَّطَرُّعُ عِنْدَ نَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ الْمُتَقَرَّى هَكَذَا :

فَقَالُوا : نَرَى مِنْ رَأَيْنَا أَنْ تُبَايَعُوا .

وَفِي الْأَصْلِ : أَنْ تُضَارَبَ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ اتِّقَافِيَّةٌ . فَيُجْعَلُهُ كَمَا هُوَ فِي الْمُثَنِّ .

(٥) أَوْرَدَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثَةَ آيَاتٍ :

فَأَبْنَا وَقَدْ نَالُوا سَرَاةَ رِجَالِنَا وَلَيْسَ لَنَا لَاقُوا سَوَى اللَّهِ حَاسِبُ
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا وَلَا عَارِضًا مِنْهُمْ كَيْ يَكْلَبُ
 كَانَ تَلَالُ أَيْضُ فِينَا وَفِيهِمْ تَلَالُ بَرْقٍ فِي تَهَامَةٍ ثَاقِبُ

(٦) بَيَاضٌ بِقَدْرِ كَلِمَتَيْنِ .

(٧) أَنْفَعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ لِمَسَاقٍ . وَانْخَبِرْ وَارِدُ فِي « الْإِسْتِغَابِ فِي مَعْرِقَةِ الْأَصْحَابِ »

لِلْأَبِيِّ عَمْرِو يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيِّ (صُيِّغَتِ الْمَطْبُوعَةُ اتِّجَارِيَّةً عَلَى هَامِشٍ « الْإِسْمَاءُ فِي تَمْيِيزِ
 الصَّحَابَةِ » لِأَحَدِ بَنِي عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَسْقَلَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حَمْرٍ . اتِّقَافَرَةُ ١٩٣٩) ٢ / ٢٤٠ .

أبي مُثَنَّى أَن عبد الله بن عمرو بن العاصي كان يقول : « مالي ولصفي ؟ مالي
 ولقتال المسلمين ؟ والله لو ددت أتي مثقيل هذا بشر ستين » . ثم يقول :
 « أما والله ما ضربتُ فيها بسيف ، ولا طمَنت برمح ، ولا رَمِيتُ بسهم ، ولو ددت
 أتي لم أحضر شيئاً منها . وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه » . قال
 أبو عمر : « إلا أنه ذكر أنه كانت بيده الراية يومئذ ، فنَدِمَ ندامة شديدة
 على قتاله مع معاوية . قال : وأقسم أنه إنما شهدا لعزمة أبيه عليه في ذلك ،
 وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أطع أباك » . ذكر أبو عمر هذا^(١)
 في كتاب « الاستيلاء في الصحابة » من تأليفه ، ولكن الشعر — مع هذا —
 المذكور له في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وغيره .

٣/ — عبد الله بن عباس ، أبو العباس^(٢)

[١ - ١]

غزاً إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان سنة سبع
 وعشرين وشهد فتحها ؛ ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس في تاريخه . ثم وَلَّى إمارة
 البصرة في خلافة علي رضي الله عنه حين استعمل أخويه جُبَيْد الله على اليمن
 ومَعْبُداً على مكة . وكان لعبد الله بن العباس من عُمر بن الخطاب مكان . وقال
 لعبد الرحمن بن عوف ، وقد كَلِمَ في حُظوته لديه : « إنه من حيث علمت » .

(١) انظر المصدر السابق . ٢٤٠/٢ - ٢٤١ .

(٢) فوق هذا العنوان بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفي رحمه الله بالطائف
 سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . وكان يسمى الحر لسه طمه . صح . من
 در الصحابة » .

وكان يقول : « ابن عباس فتي الكهول ، له لسان سؤول وقلب عقول » ؛
ويقول إذا سأل [ابن عباس] في الأمر يمرض مع جلة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : [كيف تلوموني عليه بعد ما ترون ؟]^(١)

وفي كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني أن عبيدة بن مرداس
[ابن فسوة] الشاعر ، وهو المعروف بأبي فسوة ، أتى عبد الله بن العباس — وهو
عامل لعل بن أبي طالب على البصرة ، ونحته يومئذ شميثة بنت جندة بن
أبي أزيهر^(٢) الزهرانية ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود الشامي — فاستأذن
عليه فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه .
فما دخل على ابن عباس قال له : « ما جاء بك [إلى] يا ابن فسوة ؟ » فقال له :
« وهل دونك مقصداً »^(٣) أو وراءك معدى ؟ جئتك لتعيني على مروءة وتصل
قرايبي ، فقال له ابن عباس : « وما مروءة من يعصى الرحمن ويقول البهتان
ويقطع ما أمر الله به أن يوصى ؟ والله إن أعطيتك لآعينتك على الكفر
والمصيان ! انطلق ! فاما أقسم بالله إن بلغت أملك محوت أحداً من العرب
لأقطن لسانك » ، فأراد الكلام فنهه من حضر ، وحبه يومه ذلك . ثم أخرجه
عن البصرة ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي [عليه السلام] ، فلقى الحسن [بن
علي] عليه السلام [وعبد الله بن جعفر] عليهما السلام فسالاه عن خبره مع ابن
عباس فأخبرها ، فاشترى عرصة بما أرضاه ، فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس
من آيات :

(١) استعنت في سد قرايبي هذا خبر بما ذكره بن سعد في صفته في سيرة ابن عباس :
« أخبرنا هيثم بن عتبة . قال : أخبرنا أبو بصير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كان
عمر بن الخطاب يأذن لأبي بكر ويأذن من معهم . قال : فذكر أنه سخطه وسأله . فحابه ،
فقال لهم : كيف تلوموني عليه بعد ما ترون ؟ » اضطد ٣٦٥/٢ .

(٢) في الأغاني ١٤٣/١٩ : سميت بنت جندة بن بنت أبي زهر زهرانية .

(٣) في الأغاني ١٤٣/١٩ : وهن علك مقصرا .

لَقِيتُ^(١) ابْنَ عَبَّاسٍ فَلَمْ يَقْضِ حَاجَتِي وَلَمْ يَرْجُ مَعْرُوفِي وَلَمْ يَتَحَنَّ مُنْكَرِي
 فَلَوْ كُنْتُ مِنْ زَهْرَانٍ لَمْ يَنْسَ حَاجَتِي وَلَكِنِّي مَوْلَى جَمِيلٍ بِنِ مَعْمَرٍ
 مَلِيتَ قَلُوصِي أَغْرَبْتُ أَوْ رَحَلْتُهَا^(٢) إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرٍ
 [٦-٥] إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ يَا مَرْءَ الْبَلَدِ وَاللَّيْلِ يَدْعُو وَالْكِتَابَ لِلطَّهْرِ
 إِلَى مَشْرِ لَا يَخْصِفُونَ نَعَالَهُمْ وَلَا يَلْبِسُونَ الثَّيْبَ مَا لَمْ يُخَصِّرِ
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الْبَاسَ مِنْهُ وَقَدْ بَدَتْ أَيْدِي سَبَا الْحَاجَاتِ لِمَتَذَكَّرِ
 تَسَنَّمْتُ حَرْجُوجًا كَأَنَّ بُنَاهِمَا أَجِيجُ^(٣) ابْنِ مَاهٍ فِي بَرَايَ مَجْعَرِ
 فَمَا زِلْتُ فِي التَّشْيَارِ حَتَّى أُنْخَبَأَ إِلَى ابْنِ رَسُولِ الْأُمَّةِ لِلتَّحْيِيرِ
 فَلَا تَدْعُنِي إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْكُمْ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَصْدُرُونِي بِمَصْدِرِ^(٤)

قال أبو الفرج : كان عَيْنَةُ هَذَا شَاعِرًا خَبِيثَ اللِّسَانِ مَخُوفَ الْعَرَّةِ
 فِي جَاهِلِيَّةِهِ وَإِسْلَامِهِ ، وَكَانَ يَقْدُمُ عَلَى أَمْرَاءِ الْعِرَاقِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَيَصِيبُ مِنْهُمْ
 بِشِعْرِهِ . قَالَ : وَكَانَ حَلِيفًا لِلْجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ . وَمِنْ شِعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ،
 وَكَانَ أَبُوهُ الْعَبَّاسُ أَيْضًا شَاعِرًا :

إِذَا طَارَقَتْ أَلَمٌ ضَاجَتِ الْعَتَى وَأَعْمَلُ فَكْرَ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ عَاكِرُ
 [وَيَا كَرْنِي]^(٥) فِي حَاجَةٍ لَمْ يَحْذُلْهَا سِوَايَ وَلَا مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ نَاصِرُ

(١) هذه الأبيات واردة في «الأعاني» ١٤٤/١٩٠ . ولم يوردها ابن الأثير على
 توأمتها ، وإنما استلها منها .

(٢) عند أبي الفرج الأصمعي : « مَلِيتَ قَلُوصِي عَرِيتَ أَوْ رَحَلْتُهَا » . والعُلُوصُ من
 التَّنَوُّعِ : الشَّابَّةُ .

(٣) الأعاني : أَسْجَحُ .

(٤) الأعاني : لِمَصْدَرِ .

(٥) يبيِّن بالأصل ، وقد أَكَلَهُ مِنْ كِتَابِ « الْمَعْلَةِ » لِابْنِ رَشِيقٍ (مطبوعة بحسب الدين

فَرَجَتْ بِمَالِي هَمَّهُ مِنْ مَقَامِهِ وَزَايَلَهُ هَمُّ طَرَوْقٍ مَسَامِيرُ
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى بَطْنِهِ بَنَى الْخَيْرَ ، إِنِّي لِلَّذِي ظَنَّ شَاكِرُ
وَقَالَ أَيْضًا وَقَدْ عَمِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ : قَالَ أَبُو عَمْرِو
ابن عبد البر وغيره :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِيَّ رَوْحَهَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَيْفِ مَأْثُورُ
وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا اللَّغْوِ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ تَحْسِينِ مَا يُفْجَحُ .
وَقَدْ جُمِعَتْ قِطْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ فِي تَأْلِيفِي لِلْغُرَازَةِ الْعَالِيَةِ الْإِمَامِيَّةِ ، الْمُسَوِّمِ بِـ « قِطْعَ
الرِّيَاضِ فِي بَدَعِ الْأَغْرَاضِ » . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ :

عَمِيْتُ جَنِينًا ، وَالذَّكَاءُ مِنَ الْمَيِّ جَنْتُ مُصِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتَلَا
/ وَغَاضَ صَفَاهُ الْعَيْنَ لِلْعَقْلِ رَافِدًا بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلَا [٧ - ١]
وَشِعَرَ كَنُورِ الرُّؤُوسِ لَامَسْتُ نَظْمَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَهْلَا
وَقَالَ آخَرُ ، وَيُرْوَى لِأَبِي الْعَلَاءِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْخُصْرِيِّ :
وَقَالُوا : قَدْ كَمِيتَ ، فَقُلْتُ : كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ
سَوَادِّ الْمَيْنِ زَارَ سَوَادَّ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَانَ الْقُرْطُبِيُّ النَّحْوِيُّ - الْمُرُوفُ بِدَرُودٍ ، وَيُقَالُ
دَرِيْنُودٍ - وَكَانَ أَعْمَى ^(١) :

تَقُولُ : مَنْ الْمَيِّ بِالْحُسْنِ ؟ قُلْتُ لَهَا : كَفَى عَنْ اللَّهِ فِي تَصْدِيقِهِ الْخَيْرُ

(١) تَرَحَّمْ لَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي جُلُودِ الْمُقْتَبَسِ رَقْم ٥٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ وَالزَّيْنِيُّ فِي
طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ (بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدِ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٥٥) ص ٣٢٢ ،
وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْآخِرِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ اسْتَدْبَه لِأَيَّتَاهُ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٤ /
٩٤٥ - ٩٤٦ .

القلب يدرك ما لا عين تدرك^١ والحسن ما استحسنته النفس لا البصر^٢
وما العيون التي تَمَى إذا نظرت^٣ بل القلوب التي يَمَى بها النظر^٤
ومن جيد المنذر — لولا شَوْه بالهجر — قول الآخر :

قالوا : العى منظرٌ قبيحٌ قلت : بفقدى لم يهون^٥
تالله ما فى الأنام شيء تأسى على فقدم العيون^٦

كأنه أخذ من قول سعيد بن المسيّب وقد نزل الماء فى عينيه ، فقيل له :
« لو قدَحْتَهُمَا » ، قال : « وعلى من أفضهما ؟ . . . » . ومثل هذا قول المرمى ،
وهو عندي من اللشذ :

أبا الملاء بن سليمان إن العى أولاك إحساناً
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير إنسانك إنساناً

٤ — عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح فى خلافة عثمان . وهو الذى ولى قتل^٧
جرجير^(١) ملكها واحتز رأسه وجعله فى رحله ، وكبر فانهزم الروم فى خبر طويل
ذكره مصعب بن الزبير فى كتاب « قريش »^(٢) من تأليفه ، فوجه به ابن

(١) كذا ورد الاسم مضموماً بكسر الأول ، والثانى جرجير بضم الجيم . وهو
الطريق جرجوريوس الذى كان قد استند بأمر إفريقية بعد موت الإمبراطور هرقل وقيل
فتح المسلمين المغرب .

(٢) يريد أبا عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب الزبيرى وكتابه « نسب قريش »
(نشره ليق يروفسال ، سلسلة ذخائر العرب ، روم ١١ - القاهرة ١٩٥١) وأعاد نشره
فى صورة أكل ومع فهارس أوفى الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٢) والخبر
وارد فيه فى ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

أبي سرح / بشيراً إلى عثمان ، قدم عليه ، فأخبره بفتح الله ونصره ، وخطب [٧-ب] يومئذ بذلك في مسجد المدينة على المنبر . قال مصعب : « وبُشِّرَ عبدُ الله مقدمه من إفريقية بأبنة حُيَيب بن عبد الله ، وهو أكبر ولده .

وقال ابن عبد الحكم : « بث عبدُ الله بن سعد بالفتح عُقْبَةَ بن نافع ، ويقال بل عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح — فيقال إنه سار على راحلته إلى المدينة من إفريقية في عشرين ليلة ^(١) . قال : « وقد قيل إن عبد الله بن سعد كان قد وجه مروان بن الحكم إلى عثمان من إفريقية ، فلا أدري أفي الفتح أم بعده ؛ والله أعلم ^(٢) .

ثم ولي ابن الزبير الخلافة بالحجاز والعراق وأكثر الشام ، بعد موت معاوية ابن يزيد بن معاوية . وكان قد خرج من المدينة مع الحسين بن علي — إثر موت معاوية بن أبي سفيان ، ممنما من يعة ابنه يزيد — وأقام يسلم عليه بالخلافة تسع سنين ، ثم قتله عبدُ الملك بن مروان على يد الحجاج سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

وحكى الزبير بن بكار في كتاب « نسب قريش » ^(٣) له ، عن هشام بن

(١) انظر ابن عبد الحكم : « كتاب فوج إفريقية والاندلس » ، ضمة حزنية مزفوح ابن عبد الحكم اقتصر على فتح إفريقية والاندلس نشرها أنير جاتو ALBERT GATEAU مع ترجمة فرنسية عنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne* وهي المجلد الحادي عشر من سلسلة Bibliothèque Arabe-Française في نشر في الجزائر ، وهي طبعة جيدة ، تمتاز بتعليقات وترويض فية وفهارس دقيقة . وانظر انتشار إليه وارد فيها في ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

(٣) المراد كتاب « جمهرة نسب قريش وأخبارها » ، لأبي عبد الله الزبير بن بكار (١٧٢ - ٢٥٦/٧٨٨ - ٨٧٠) وهو ابن أخي أبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦ - ٢٣٦/٧٥٤ - ٨٥٦) صاحب كتاب « نسب قريش » التي سبقت الإشارة إليه . وقد نشر =

عروة ، قال : كان أول ما أفصح به عني عبد الله بن الزبير — وهو صبي —
السيف ، وكان لا يضعه من فمه . فكان الزبير بن العوام إذا سمع ذلك منه يقول :
أما والله ليكونن له منه يوم ويوم وأيام .

ومن شعره المشهور عنه :

وكم من عدوٍ قد أراد مساقي بغيبٍ ، ولو لافيته لتندما
كثير الخنا ، حتى إذا ما لقيته أصرَّ على إثمٍ وإن كان أقما

وقال أيضاً ، أنشده له أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « العدة » من
تأليفه ؛ قال غيره : ويروى لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء)^(١) :
لا أحسبُ الشرَّ جاراً لا يفارقي ولا أحرُّ على ما فاتني الودجا
وما لقيتُ من المكروه منزلةً إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا
ويروى أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليه :

رأيتُ كرامَ الناس إن كُفَّ عنهم بحلمٍ ، رأوا فضلاً لمن قد تعلموا
/ ولا سيما إن كان هنواً بقدرةٍ فذلك أحرى أن يجِلَّ ويظلموا

[٥ - ١]

= الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول من القسم الذي عثرنا عليه منه . وهو نصف الكتاب
تقريباً (القاهرة ١٩٦٢) محققاً تحقيقاً جديراً بكل تقدير وتناء . وقدم له بمقدمة وافية عن
الزبير بن يكار وحياته ومؤلفاته ، وقارن بين كتابه في أنساب قريش وكتاب « ٤ » في نفس
الموضوع ، وقارن كذلك بينه وبين كتاب « جهرة أنساب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد
ابن حزم . ومن أسف أن القسم الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا لم نُعثر عليه بعد ، وهو الجزء الثاني عشر
من الكتاب — بحسب تجزئة الأصل — وأول الجزء الثالث عشر ، وهو يتناول أخبار عبد الله
ابن الزبير (راجع ص ٥ من الكتاب ، وهامش ١) .

(١) واضح أن المراد هنا رجل آخر غير ابن الزبير ، وقد راجعت هذه الفقرة
على أصلها في « العدة » لابن رشيق (طبعة بحسب الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤) = ١ -
ص ٢٤ .

ولستُ بذى لؤمٍ فعذر بالذى أتيت من الأخلاق ما كان الأما
وإني لأخشى^(١) أن أهلك بالذى كرهت ، فيخزي الله من كان أعظما
فراجعه ابن الزبير :

ألا سمعَ الله الذى أنا عبده وأخزى إله الناس من كان أعظما
وأجرا^(٢) على الله العظيم بجرمه وأسرعهُ فى اللوقات تنقضا
أغركَ أن قالوا حلیمٌ بقدرة وليس بذى حلمٍ ولكن تنحلما
وأقسمُ نولا يبعة لك لم أكن لأنقضها ، لم تنج منى مسلما

ومما رويته من طريق ابن أبي الحسن بن صخر فى فوائده ، وقرأته على
الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى بإسناده إلى عبد الله بن
البارك ، قال : حدثني يونسُ عن الزهرى ، قال : اجتمع مروان وابن الزبير عند
عائشة رضى الله عنها ، قال : فذكر مروان بيتا من شعر ليبيد :

وما المرء إلا كالشهابِ وضوئه يعود رمادا بعد إذ هو ساطع
فتمعجب منه . قال ابن الزبير : « وما تمعجبك ؟ لو شئتُ قلتُ ما هو
أفضل منه :

فقوض إلى الله الأمورَ إذا اعتَرَّتْ فبالله - لا بالأقربين - تدافعُ »
قال مروان :

وداؤِ ضميرَ القلبِ بالبرِّ والثَّقَى ولا يستوى قلبان : قاسٍ وخاشع

(١) فى الأصل : لا أخشى ، والصواب ما أثبتناه . وقد صوبه كذلك على هذا النحو

ماركوس مولر ، ص ١٨٧ .

(٢) فى الأصل : وأجرى ، والصواب ما أثبتناه . والمراد أجرا .

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبد مصمّمٌ عُنُلٌ لأرحام الأتارب قاطع

قال مروان :

وعُدُّ تجافى جنبه عن فرائده بيت يتاجى ربه وهو راكم

قال ابن الزبير :

ولعير أهل يُعرفون سديهم إذا جمعهم في انخطوب الخامع

قال مروان :

ولشر أهل يُعرفون شكلهم تشير إليهم بالبحر الأصابع

فكفت ابن الزبير ، فقالت له عائشة : « ما سمعتُ محادثة قط أحسن من هذه ، ولكن لمروان إرث في الشر ليس لك » .

٥- مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك

[٨-٣]

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، ووجهه إلى عثمان رضى الله عنه ، على ما ذكره ابن عبد الحكم حسما تقدم . وكان ابن أبي سرح قد كتب إلى عثمان يستأذنه في غزو إفريقية ، فهد عثمان الناس بعد للشورة في ذلك . فلما اجتمعوا أمر عليهم الحرث بن الحكم^(١) أخا مروان ، إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد بن أبي سرح بمصر فيكون الأمر إليه .

(١) عبد الويرى ، هامة الأوب ، امره الخاص بالمرتب ، مخطوط رقم ٢٢ مدار

الكتب بالتأخرة ، ورقة ١٦٣ الحارث

ومن شعر مروان :

اعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ واعلم بأملك بعد اللوت مبعوثُ
واعلم بأملك ما^(١) قَدِمْتَ من عملٍ مُحْصَى عليك ، وما خَلَفْتَ موروثُ
وقد أوردت ما دار بينه وبين عبد الله بن الزبير قبل هذا ؛ وهو القائل
أيضا بين يدي خلافة عند موت معاوية بن يزيد بن معاوية واضطراب
الأمور بالشام :

إني أرى فتنةً تغلي مراجلها والمُلك بعد ألى ليلي لمن غلبا
وذكر له الزبير بن بَكَّار وغيره رجواً في قتل الحسين بن علي حين قُدم
برأسه على المدينة ، تركتُ ذكره ؛ وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم من
فحول الشعراء .

٦ — ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

غزا إفريقية مع معاوية بن حُذَيفٍ سنة أربع وثلاثين في آخر خلافة عُثْمَانَ ،
وبعثه معاوية هذا إلى مدينة يقال لها « جُلُولَا »^(٢) في ألف رجل . « محاصرها

(١) في الأصل قد ، وصوبناه المعى

(٢) جُلُولَا أو حُلُولَا ، مدينة على بعد ٢٤ ميلاً عن خيبروان وكانت مدينة كبيرة
فيها حصن يربطى قديم ، أصل اسمها Cululis وقد وصفها الكرى بأنها كانت مدينة
عنية كثيرة الأسفار والثمار ، وبها قصب السكر (وصف إفريقية ، طبعه دي سلافن ،
الحرائر ١٩١٠) ص ٣١ و ٣٢ و ٥٨ وقد ذكرها الإدريسي باسم حُلُولَه ، ص ٢٠ .

عبد الملك أليماً فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً . فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس غباراً شديداً ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فسكر بجحاجة من الناس لذلك ، وبقي من بقي على مصافئهم ، [وتسرع سرعان الناس] ، فإذا مدينة جلولاً قد وقع حائطها ، فدخلها للسلون وغموا ما فيها ، [وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج] ^(١) .

ولمجد الملك في تنبيه الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأمانى الصادقة ، وقد رويته عن الحافظ أبي الربيع بن سالم بقرأتى عليه من طريق أبي علي بن سُكْرَةَ الصدقي بإسناده إلى الشَّعْبِي ، قال : لقد رأيت عجبا : كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير ^(٢) وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني / ويسأل الله حاجته ، فإنه يُعطى من سعة ؛ قم يا عبد الله ابن الزبير فإليك أول مولود وُلد في الهجرة . فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إني أعظمُ تُرْجِي لكل عظيم ، أسألك بحجرة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تمني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة ؛ وجاء حتى جلس . فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إني أعظمُ تُرْجِي لكل عظيم ، أسألك بقدرتك على كل شيء . ألا تمني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سُكَيْنَةَ بنت الحسين ؛ وجاء حتى جلس . وقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النُّبُت بعد الفَقْر ، أسألك بما سألك

(١) نقل ابن الأثير هذه الفقرة عن منحه ابن عبد الحكم (طبعة توري ، ص ٩٣) وقد راجعها على أصلها هناك وأكلت نقصا منه .

(٢) ورد في الهامش مقابل هذا السطر : ومصعب بن الزبير ، مع إشارة يفهم منها أن هذا الاسم ينبغي أن يدرج في المتن .

صباذك للطيعون لأمرك ، وأسألك بحرمة وجهك ، وأسألك بمحكك على جميع خلقك ،
وبحق الطائفين حول بيتك ، ألا تميمنى من الدنيا حتى تولينى مشرق الأرض
ومغربها ، ولا ينافىنى أحد إلا أتيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس . ثم قالوا :
قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إناك رحمان
رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك
ألا تميمنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناى من
الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل ، وبُشر عبد الله بالجنة ، ورؤيت
له . ومن شعر عبد الملك ، وقد هم بقتل بعض أهله ثم صفح عنه :

همتُ بنفسى همةً لو فعلتها لكان كثيراً بعدها ما ألومها
ولكننى من أسرة عبسيمة إذا هي همت أدركتها حلومها

ويروى أنه لما بلغه إصراف الحجاج بن يوسف فى القتل ، وتبذيره الأموال
بعد ظهوره على عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، كتب إليه ينهاء ويتوعده ، وكتب
فى أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها وتطلب رضائى بالذى أنت طالبة
وتخشى الذى لم يخش مثلك لم تكن كذى الدرر رد الدر فى الضرع حالته
/ فإن تر منى وثبة أموية فهذا وهذا - كل ذا - أنا صاحبه [٩-١٠-بها]
وإن تر منى غفلة قرشية فياربما قد غص بالماء شارب
فلا تأننى والحوادث جبة فإنك تجزئ بما أنت كاسبه
وإلى لأغضى جفن عيني على القذى وأزور بالأسر الذى أنا راكبه
وأملئ لى الذنب العظيم كثنى أخو غفلة عنه وقد جب غاربه
فإن أب لم أمجل عليه ، وإن أبى وثبت عليه وثبة لا أراقبه

لجوابه الججاج برسالة وكتب معها :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأنتقي أذاك، فيؤني لا توارى كواكبك
وما لا يرى يعصى الخليفة جده تقيه من الأمر الذي هو رأكبه
أسالم من سالت من ذي مودة ومن لم تسالته فإني محاربه
إذا قارف الججاج فيك خطيئة فقامت عليه بالصياح بوابه
وإن أما لم أذن النصيح لنصح وأقصي الذي دبّت على عقارب
وأعطي اللوasi [...] ترد الذي ضاقت على مذهب
فن يتقى نوسى وبرعى مودى ويخشى [الردى] والدهرجم مجائبه
فأمرى إليك اليوم : ما قلت قلته وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومها ترد منى فإني أريده وما لم ترد منى فإني مجابيه
[...] بي على الرضا مدى الدهر حتى يرحم الدهر حاله

والذى أوردته من أبيات فمقول عن إثبات ، ومجموع من تصنيفات أشتات ؛
وما كان مقولا عليهم ومنحولا إليهم ، فأما برىء من عهده .

المائة الثانية

٧- أبو جعفر المنصور، عبد الله بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس

دخل إفريقية في أيام بني أمية - وهو إذ ذاك سوقه - فرأى منهم ،
وملكها في خلافته بعد أخيه أبي العباس السفاح ، وخُلع فيها وقتاً ، ثم عادت
إليه وولاهها الأغلب بن سالم التميمي ، جدّ الأغابة للتداولين ملكها إلى أن غلبهم
عليها عبيد الله الشيبى فاحترضوا به .

وكان يقال لأبي جعفر في صغره «مِقْلَاص» ، نُقِبَ ذلك تشبيهاً بالمقلاص
من الإبل ، وهى الناقة التى تسمن فى الصيف وتهزل فى الشتاء ، وكذلك كان
أبو جعفر . حكى ذلك أبو الوليد القُفَيْرى ، قال : وهو مغلوب المادة . وليس
فى خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر للمنصور وعبد الله الأمويّ ، ثم بعدهما
الرشيد والواثق ، ومن متأخريهم للرشيد بن المستظهر^(١) ؛ وأشهرهم أبو العباس
الراضى بن القتندر .

(١) فى الأصل : المسترشد من المستظهر ، والصواب ما أثبتناه . وهو أبو منصور
المصل المسترشد بالله بن أبي العباس أحمد للمستظهر بالله ، وهو التاسع والعشرون من خلفاء
بني العباس فى بغداد (٥١٢-٥٢٩ / ١١١٨-١١٢٥) .

وأبو جعفر ممدود في السكّمة من اللوك ، وكان يفرط في دعواه الاطلاع^(١) ،
ويقرط بقرط نفسه الأسماع ، فن قوله في بعض خطبه : « اللوك أربعة :
معاوية وكفاه زياده ، وعبد الملك وكفاه حجاجه ، وهشام وكفاه مواليه ،
وأنا ولا كافي لي ! » . ولما عزم على الفتك بأبي مسلم صاحب دولتهم والقائم
بدعوتهم — وقد حذر من عاقبة ذلك — كتب إليه عيسى بن موسى بن علي
ابن عبد الله بن العباس مشيراً بالأناة ، وكان قد شاوره فيه :

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا تدبّرٍ فإن فساد الرأي أن يُتَجَبَّلَا
فقال للنصور بحية :

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ فإن فساد الرأي أن يُرَدَّدَا
ولا تهمل الأعداء يوماً بقدرةٍ وبأدرم أن يملكوا مثلها غداً
وينظر إلى هذا قول عبد الله بن المعتز :

وإن فرصةً أمكنت في العدا فلا تَبَدَّ فمك إلا بها
/ فإن لم تَلِجْ بابها مسرعاً أذاك عدوك من بابها
ولإك من ندمٍ بعدها وتأميل أخرى ، وأنى بها ؟

[١٠-ب]

وقال للنصور :

تَقَسَّى أمران لم أتحصهما بحزمٍ ولم تترك قُوَايَ الكراكرز
وما ساور الأحشاء مثلُ دفينَةٍ من ألم رَدَّتْهَا عليك الصادر
وقد علتْ أبناءُ عدنانَ أنقى لدى ما عرّا مقدامةً متجاسر

وقال أيضا مخاطب محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، حين خرجا عليه بالمدينة والبصرة :

بنى عمتنا ، لا نصّرَ عندكم لنا ولكنكم فينا سيوفَ قواطعُ
فلولا دفاعي عنكم إذ هجرتُم وبالله أحى عنكم وأدافع
لكنتم دُنايَ آلِ مروانَ مثلاً عهدناكم ، واللهُ معطيٌ ومانع

٨ — عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

الداخل إلى الأندلس ، ويقال له « صقر قریش » — سماه أبو جعفر للنصور بذلك — وكنيته أبو المطرّف ، وهو الأشهر في كنيته ، وفيل أبو زيد ، وقيل أبو سليمان .

هرب في أول دولة بني العبّاس إلى المغرب ، وتردد بنواحي إفريقية ، وأقام دهرًا في أخواله « نفزة » من قبائل البربر ، وكانت أمه منهم « راح » ، ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهزم أميرها يوسف ابن عبد الرحمن الفهري في يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة من هذه السنة ، واستوفت له الخلافة ليوم^(١) آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة .

ودعا لنفسه عد استغلاظ أمره واستيلائه على دار الإمارة قرطبة ، ويقال إنه أقام أشهرًا دون السنة يدعو لأبي جعفر للنصور ، متقيلاً في ذلك يوسف

(١) أي أن الأمر استقر له في ملى يوم واحد بعد انتصاره على يوسف الفهري : انتصر عليه يوم الخميس ٩ ذي الحجة ١٣٨ واستقر له الأمر في نهاية اليوم التالي وهو يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة ١٣٨ .

[١١ - ١] الْفَهْرِيُّ الْوَالِي قَبْلَهُ ، إِلَى أَنْ أَوْرَدَ نَفْسَهُ / بِالْعَدَاءِ ؛ وَيُقَالُ إِنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ عُمَرَ ابْنَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ^(١) أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ عِنْدَ خُلُوصِهِ إِلَيْهِ قَبْلَهُ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَّعِدْ اسْمَ الْإِمَارَةِ ، وَسَلَّكَ الْأَسْرَاءَ مِنْ وَلَدِهِ سُنَّتَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَهْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّاصِرِ لِهَيْدِنِ اللَّهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَسَمَّى بِاخْتِلَافَةِ بَعْدِ سِنِينَ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَدُعِيَ بِأَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا اسْتَفْضَلَ أَمْرُهُ وَاسْتَبَانَ لَهُ ضَعْفُ وَلَدِ الْعَبَّاسِ وَاسْتِثْنَاءُ سُلْطَانِهِمْ بِالْمَشْرِقِ ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ الْقَتَادِرِ بِاللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ لِلتَّضَدِّ مِنْهُمْ . ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مَرْوَانَ حَيَّانُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ حَيَّانٍ صَاحِبُ « تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ » .

وَمِنْ شِعْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ يَتَشَوَّقُ مِمَّا هَدَّ بِالشَّامِ ، أَنْشَدَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي تَارِيخِهِ :

أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَيِّمُ أَرْضِي أَقْرَبَ مِنْ بَعْضِ السَّلَامِ لِبَعْضٍ^(٢)
إِنْ جَسِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِي وَفَوَادِي وَمَالِكِي بِأَرْضِي
قَدَّرَ الْبَيْنُ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا وَطَوَى الْبَيْنُ عَنْ جَفْوَى حُمْصِي
قَدْ قَضَى اللَّهُ بِالْفِرَاقِ عَلَيْنَا فَمَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي

وَقَالَ أَيْضًا فِي حَيَوَةِ بْنِ مُلَاسٍ الْحَضْرَمِيِّ^(٣) مِنْ جُنْدِ حُمْصِ النَّازِلِينَ إِشْبِيلِيَّةً ، وَكَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ لَطِيفَةٌ فِي أَوَّلِ مَلِكِهِ :

(١) رَاجِعْ : لِلصَّعْبِ الزَّيْرِيِّ ، نَسَبِ قُرَيْشٍ ، ص ١٦١ .

وَابْنُ حَزْمٍ ، جَهْرَةً أَنْسَابِ قُرَيْشٍ (بِتَحْقِيقِ لَيْثٍ بِرُوفُنْسَالِ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٤٨) ص ٨٠ .

(٢) الْأَصْلُ : إِلَى بَعْضٍ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « الْمَعْجَبِ » لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكِنِيِّ ، طَبْعَةٌ

دُوزِي ، ص ١٢ .

(٣) كَذَا وَرَدَ الْأَسْمُ فِي « الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ » أَيْضًا (طَبْعَةٌ لَيْثٍ بِرُوفُنْسَالِ وَكُولَانَ ، لَايْدِنِ

١٩٥١) ٥١/٢ . وَلَمْ يَظَلْ حَيَوَةُ عَلَى وَلاَتِهِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِذْ أَنَّهُ ثَارَ عَلَيْهِ حَوْلًا ١٤٥ / ٧٦٢

وَتَغَلَّبَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةٍ وَاصْتَبَحَ وَأَكْثَرَ الْغَرْبِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَاتَلَهُ قِتَالًا عَنِيفًا بِضْعَةِ أَيَّامٍ .

وَقَدْ كَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ يَهْزِمَ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّهُ ثَبَتَ حَتَّى مَلَكَ نَاصِيَةَ الْمَرْكَةِ فَانْهَزَمَ حَيَوَةُ

وَمِنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَهَرَبَ إِلَى نَاحِيَةِ فَرْغِشَ شَمَالِي قَرْطَبَةٍ ، وَمِنْ هُنَاكَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ -

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حيوة بن ملامس
أخو السيف ، قارى الضيف ، حقاً براهما عليه ، ونافى الضيف عن كل بائس^(١)
وحكى عيسى بن أحد الرازي أن عبد الرحمن بن معاوية — أول نزوله
مُنِيَّة الرصافة بقرطبة واتخاذها — نظر إلى نخلة مفردة ، فهاجت شجته وتذكر
بلد المشرق فقال بديها :

تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطُ الرِّصَافَةِ نَخْلَةٌ تَنَاهَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بِلَادِ النُّخْلِ
قُلْتُ : شَيْبَى فِي التَّغْرُبِ وَالنَّوَى وَطُولِ التَّنَائِي عَنْ بَيْتِي وَعَنْ أَهْلِي
نَشَأَتْ بِأَرْضِي أَنْتَ فِيهَا غَرِيبَةٌ فَتُكِّ فِي الْإِقْصَاءِ وَالْمُنْتَأَى مِثْلِي
سَمَّكَ غَوَادِي الْمُنَزِّينَ مِنْ صَوْبِهَا الَّذِي يَسُحُّ وَيَسْتَمِرُّ السَّكَاكِينِ بِالْوَبْلِ
/ وقال أيضاً فيها :

[١١ - ب]

يَا مَحْلُ أَنْتِ غَرِيبَةٌ مِثْلِي فِي الْغَرْبِ نَائِيَةٌ عَنِ الْأَصْلِ
فَايَكِي ، وَهَلْ تَبْكِي مُكَبَّئَةً عَجَاءَ لَمْ تَطْلُعْ عَلَى خَبْلٍ ؟
لَوْ أَنَّهَا تَبْكِي ، إِذَا لَبَكْتُ مَاءَ الْفَرَاتِ وَمَنْبَيْتِ النُّخْلِ
لَكُنَا ذَهَلَتْ ، وَأَذْهَلَنِي بُغْضِي بَنِي الْعَبَّاسِ عَنْ أَهْلِي

وقد قيل إن الأبيات الأربعة الأول لعبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن
بشر بن مروان بن الحكم ، قالها عند دخوله الأندلس فراراً من بني العباس
في صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية . وقيل في الأبيات الأخيرة إنها لعبد الملك

١٠ يسأله المغو عه . وثورة حيوة بن ملامس حلقة من صراع عبد الرحمن الداخل مع اثنين الذين
ظنوا بعد وصوله إلى الإمارة بفضله (مع البربر) أن الدولة ستكون لهم ، وسأهم أن وجعوا
عبد الرحمن يريد أن ينتهج السياسة التي تتفق ومصالح العرش التي أقامه ، سياسة إنصاف
ومساواة بين السكان جميعاً . وقد انتهت ثورات اثنين بعبد الرحمن إلى الانصراف عنهم بحلة ،
والليل إلى الشامية وتفضيلهم .

(١) كلنا في الأصل ، وقد قرأها دوزي ، ص ٣٤ : يائس .

ابن عمر بن مروان بن الحكم ، وقد اجتاز في قصده قرطبة ، حضرة الأمير عبد الرحمن بن معاوية — [على] ما حكى الحافظ — بمدينة إشبيلية ، فرأى في موضع منها — يعرف بـ « النخيل » إلى اليوم — نخلة مفردة ، فليحقتها^(١) رقة عند النظر إليها ، وقال بديهاً الأبيات المذكورة .

ومما يرُدُّ هذا القول ويقوى نسبتها — أعنى الأبيات الأخيرة — لعبد الرحمن ابن معاوية ، ما حكى الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في تاريخه ، وقرأته على القاضي أبي الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القيسى بمدينة بلنسية عنه قراءة عليه محضرة قرطبة ، قال : قال أبو بكر محمد بن موسى بن فتح ، يُعرف بابن القَرَّاب^(٢) : دخلت يوماً على أبي عثمان بن القَزَّاز وهو يعلِّقُ فقلت له : رأيت الساعة في توجهي إليك القاضي والوزراء والحكام والدول قد نهضوا بمصممهم إلى حيازة^(٣) الجنة المرووفة بـ « رَبَنَاشِ »^(٤) ، وهبها هشام للمظفر بن أبي عامر . قال : فقال لي ابن القَزَّاز : إن هشاماً لضعيف ، هذه الجنة المذكورة

(١) الصارة ابتداء من « حضرة الأمير » إلى هنا وردت في الخامس بخط غُلف مع إساءة في المتن إلى موضعها حيث جعلناها . وعد كلمة « الحافظ » كتب نفس الكاتب كلمة « صح » دون أن يعين اسم الحافظ الذي كتب عنه هذا اللفظ ؛ ويعلب على غنى أن المراد هنا أبو يوسف عمر بن عبد البر .

(٢) كذا في الأصل ، وقد جعلها دوزي ، ص ٣٥ . القَرَّاب ، والصحيح ما أبتناه .
(٣) الأصل حياره ، وقد قرأها دوزي حياره وفسرها بالحدق أو المصيل (une digue) اعتماداً على مادكره فيسِرْز Weijers في تروحه على القطع التي نشرها من كلام ابن خاقان بعنوان *Loc. Ibn Khacanis* ص ٢٣ وتعليق رقم ٦٦ ص ٨٣ .

(٤) الأصل : رَبَنَاشِ ، وقرأها دوزي رَبَنَاشِ والصحيح رَبَنَاشِ وهي Rabanales ، ولا زال هذا الاسم يطلق على منطقة حدائق على خمسة كيلومترات شمال ترفي قرطبة .

cf : LÉVI PROVENÇAL, *L'Espagne musulmane au X^e siècle*, (Paris, 1932), p. 225, note 3

وقد روى نفس الخبر ابن يتشكوال في الصلة في ترجمة سعيد بن حبان بن أبي سعيد بن محمد ابن سعيد بن عبد الله بن يوسف البربري القنوي الذي يعرف بابن القَزَّاز المذكور هنا (رقم ٤٦٢ ص ٢٠٦-٢٠٧) .

هي أول أصل اتخذ عبد الرحمن بن معاوية ؛ وكان فيها غلظة أدركتها بسقي ، ومنها توالفت كل غلظة بالأندلس . قال : وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية ، وقد تنزه إليها ، فرأى تلك النخلة فحنَّ : « يا نخل أنت غريبة مثلي » ، وذكر الأبيات إلى آخرها .

وحكى أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحداثي » للؤلف الحكم السننصر بالله من أشعار الأندلسيين ، قال : بلغني أن بعض الوفود من قریش كتب إلى الإمام عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — يستعظم حقه عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمسطمط ^(١) ، فوقع في ظهر كتابه :

شأن ^(٢) من قام ذا امتعاضٍ مُنتَقِي الشفرتين نَعْلًا [١٢-١]
 نجاب قفراً ، وشق بجرأ مُسَامِيًا لجةً ومَخْلًا
 فشاد مجدًا وبَزَ مُلْكًا ^(٣) ومنيرًا للخطاب فصلا ^(٤)
 وجنَّد الجندَ حين أودى ومعرَّ للصرَّ حين أخل ^(٥)
 ثم دعا أهله جميعًا ^(٦) حيث اتَّخَوْا ، أن : همَّ أهلا ^(٧)

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها دوزي (ص ٣٥) بالمسطمط ، وهي قراءة أركن
 عما في الأصل . وفي نفس المناسبة يقول ابن عشاري : « ومن شعره البديع أترائق ، ما كتب به
 إلى بعض من طرأ عليه من قریش ، وكان قد استقل بجرايته (في نسخة : جزايت) واصطال
 بقرايته ، وسأله الزيادة له والتوسعة ، فكتب إليه هذه الأبيات . . . البيان المغرب ، ٥٩/٢ .
 (٢) قرأها دوزي هنا : سيان (ص ٣٥) وكذلك قرأ ليثي وروفسال وكولان . انظر
 البيان المغرب ، ٥٩/٢ .

(٣) ورد هذا الشطر في صور شق . في نفع الطيب : دبر ملك وشاد جزا .

وعند ابن عشاري (٥٩/٢) : فبَزَ ملكا وشاد جزا .

وفي مخطوطة أخرى من البيان : فشاد ملكا وشاد جزا .

(٤) عند ابن عشاري (٥٩/٢) : وناترا للخطاب فصلا .

(٥) عند ابن عشاري (٥٩/٢) : وأجلا .

(٦) في نفع الطيب : ثم دعا أهله إليه .

(٧) الأصل : اتَّخَوْا ، وكذلك عند ابن عشاري .

فجاء^(١) هذا طريد جوع شريد سيف أباد قتل
فقال أمنا ، ونال شيكاً وحاز مالا ، وضم^(٢) شمالا
ألم يكن حقاً ذا على ذا أعظم من منعم ومولى ؟
وبعض هذا الشعر عن ابن حيان ، وأوله عنده :

شعان من قام ذا امتعاض^(٣) فشال ما قل^(٤) واضمحلا
ومن غدا مضلتا لنزم^(٥) مجرّداً للمعدة نصلا
فجاء قفراً ... البيت .

وبعده :

* فبزّ ملكاً وشاد عزاً *

إلا أن ابن حيان ذكر عن معاوية بن هشام الشيباني^(٦) ، أن جلساء
عبد الرحمن القادمين عليه من قل^(٧) أهل بالشام ، حدثوه يوماً ما كان من

(١) الأصل : فجاد .

(٢) الأصل : قال ، وقد صوبه دوزي كما أئبته في المتن ، وهو أصح .

(٣) هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
القرشي المرواني ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن الشيباني^(٨) ، من جلة
الفقهاء والعلماء على أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، توفي سنة ٢٩٨ / ٩١٠ - ٩١١ (ابن
الأبار ، التكملة ، رقم ١٠٧٧ ص ٣٧٩) . ويعرف أيضاً بالشيباني^(٩) ، وهي نسبة حملها نفر
من سلالة هشام الربضي ثاني أمراء بني أمية في الأندلس ، أول من نعره منهم معاوية هذا ثم ابن
أخيه معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، وهو مؤرخ ومؤلف معروف ينسب إليه كتاب
في تاريخ دولة بني مروان في الأندلس وكتاب في نسب العلوية وغيرهم من قریش سباه والتاج
السني في نسب آل على ، (انظر التكملة لابن الأبار ، رقم ١٠٧٨) . وقد ذكر ابن حزم
في « الطوق » من أبناء هذا البيت أبا محمد قاسم بن محمد القرشي المعروف بالشيباني . وقد ذهب
سانثيث أبودنوت إلى أن الشيباني^(١٠) معرب عن sapientia أي العلم ، ولكن الغالب أنه نسبة إلى
موضع يسمى شيبانيس ، وواضح أن الربط بين الشيباني والشبانسية ولفظ سابيئني^(١١) مفتعل .
(٤) الأصل : جل ، وقد قرأها دوزي : من جوال أهل (ص ٣٦) .

الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن عم أليمان محتهم ، وكلامه للعباس الساطلي بهم — ونسب ذلك إلى عبد الله بن علي ؛ وفي « الأوراق » لصولي أن السفاح عبد الله بن محمد بن علي تولى قتل الغمر ، وقد غمر في مجلسه بمناب قومه — وكثر القوم في وصف ذلك وعجبوا به ، فكان الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهب بنفسه لاقطاع قطعة من مملكة الإسلام عن عدوّه ، وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة .

قال ابن الفرّج^(١) : وأناه في بعض غزواته آت عن كان يعرف كلفه بالصيد ، فأخبره عن غرائيق واقعة^(٢) في جانب من مضطرب المسكر وحركه إلى اصطليادها ، فقال :

دعني وصيد وقّج الغرائق / فإن هتي في اصطلياد للارقي [١٢-ب]
في فني إن كان أو في حالي / إذا التفتت لوانح الضواقي
كان لِقاعي^(٣) ظلّ بندي خافي / غنيت عن روض وقصر شاهق

(١) المراد ابن فرج الجلياني صاحب « كتاب الحقائق » وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجلياني من أهل جيان وفزيل قرطبة ، وكان من شعراء عصر الحكم المستنصر ، وكان أخواه سعيد وعبد الله أيضاً شاعرين . ولا تعرف عن حياته إلا ما ذكره ابن خاقان في المنصّح (تقاهرة ١٣٢٥) ص ٨٦ من أنه كان عفيف الخلق شديد الزهو بنفسه خليفاً ، وقد قرّبه الحكم المستنصر ثم بدرت منه بادرة دفعت الحكم إلى إيداعه السجن فظل فيه إلى أن مات . وقد أثبت ابن فرج الجلياني كتابه معارضاً لكتاب الزهرة لمحمد بن دلوود الأصفهاني وإظهاراً لفضل أهل الأندلس على المتأخرة .

انظر : النضبي ، بنية ، رقم ٣٣١ . المقرئ ، نفع الطيب (طبعة دوزي وكريل ورايت ووجوا) ٢٩٦/٢ و ٤٥٢ .

ed : ELIAS TERÉS, *Ibn Faraj de Jān y su Kitāb al-Hadā'iq*. Al-Andalus, vol. XI (1946) fasc. 1, pp. 131-157.

(٢) قرأ دوزي : واقعة .

(٣) القناع والمخففة ما تُلَفِّعُ به من رداء أولخاف أو قناع ، قال الأزهري : يحلل به الجسد كله كساه كان أو غيره (اللسان : ١٠/١٩٦) .

بالتفكير والإيطان بالسرايق قفل لمن نام على النمارق :
 إن الملا شُدَّتْ بهم طارق فاركب إليها تبيح المضائق
 أولا ، فانت أزدل الخلائق

٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

وَلِيَ الخِلافةَ بِالأندلس بعد أبيه يوم الأحد غرة جمادى الأولى من سنة
 إحدى وسبعين ومائة . وكانت وفاة أبيه وهو بماردة يوم الثلاثاء لست بقين
 من ربيع الآخر ، وقرطبة وُلِدَ له هشام هذا لأربع خلون من شوال سنة
 تسع وثلاثين ومائة ؛ ويعرف بـ « الرضا » لمدله وفضله ، ويكنى « أبا الوليد » .
 واستوزره أبوه عبد الرحمن وأخاه كبيره سليمان اللؤلؤ بالشام تنويهاً بحالهما ،
 وأخذهما بالركوب إلى القصر ومشاهدة مجالس مشورته . وكاما يركبان متداولين
 ومتناوين لا يجتمعان : فإذا كان يوم هشام ، تأهب حاضرو المجلس من كبار
 أهل المملكة [...]^(١) والإفاضة في الحديث إلى إشاد شعر أو ضرب
 مثل أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية
 تدير أو إحماد سيرة ؛ وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله ، وانبسط الحاضرون
 في غث الأحاديث وأخذوا في الدعابة .

ويروى أن رجلا يعرف بالهوّاري دخل على هشام في حياة أبيه عبد الرحمن
 ابن معاوية - وهو مرشح للخلافة - فقال له إن فلانا مات عن ضيعة تعود
 بكذا وكذا من الغلة ، وأنها تباع في دين أو عن وصية ، وهي ناعمة مشمرة وطيبة
 الأرض مخصبة ، وحضه على اشتريها . فقال له : « أما أريد أمراً إن بلفنّه

(١) أسقط الناسخ هنا شيئاً ولم يترك بيانياً .

غَنَيْتُ عَنْهَا ، وَإِنْ قُطِعَ بِي دُونَهُ خَسِرْتُهَا ؛ وَلَاصْطِنَاعَ رَجُلٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ
اِكْتِسَابِ ضِيْعَةٍ . قَالَ لَهُ الْمُوَارِيُّ : / فَاَصْطِنَعِي بِهَا تَجِدُ أَكْرَمَ مَصْطَنَعٍ « . [١٢ - ١]
خَافَرُ بِابْتِيَاعِهَا ^(١) ، فَأَشَارَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِعْدَادَ لِلْمَالِ أَعْوَنُ عَلَى دَرْكِ
الْأَمَالِ ، فَأُطْرَقَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ :

الْبَذْلُ - لَا الْجَمْعُ - فَطَرَةُ الْكَرَمِ فَلَا تُرِدْ نِيَّ مَا لَمْ تُرِدْ شَيْعِي
مَا أَنَا مِنْ ضِيْعَةٍ وَإِنْ تَمَتَّتْ ؟ حَسْبِيَ اصْطِنَاعُ الْأَحْرَارِ بِالْتَّمَعِ
مُلْكُ الْوَرَى ، وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مِلْكَ بَعْضُ الصِّيَاحِ - مِنْ هَمِي ^(٢)
تَقِيضُ كَنِيَّ فِي السَّلْمِ نَحَرَ نَدَى وَفِي سَجَالِ الْحُرُوبِ مَحَرَ دَمِ
تَزَلُّ عَنْ رَاحَتِي الْبَدُورُ ، وَمَا تَمَسَّكَ غَيْرَ الْحَدَمِ وَالْقَلَمِ
لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْمَلِكِ الْأَجْمَدِ - مَعَ نَشْدَانِ ضَالَّةٍ كَلَامِهِ - غَيْرَ هَذَا
الْمُنَشَّدِ . وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً فَكُنِي دَلِيلًا عَلَى سَرَفِ الْحَيَاءِ وَشَرَفِ الْكُوْنَاءِ ، حَتَّى
كَانَ أَعْشَى هَؤُلَاءِ سَمِعَ بِطَوْلِهِ فَاعْتَمَدَهُ بِقَوْلِهِ :

رَأَيْتُكَ أُمْسِرَ خَيْرَ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْتِ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أُمْسِرِ
وَأَنْتِ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عِبْدِ شَمْسٍ

١٠ - إِنَّهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامِ الْمَعْرُوفِ بِالرَّقِي ، أَبُو الْعَاصِي

وَلَمَّا بَعْدَ أَيَّامِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .
وَكَانَ شَجَاعًا بِاسِلًا ، أَدِيبًا مَفْتَنًا ، خَطِيبًا مَفْوَّهًا ، وَشَاعِرًا مَجُودًا ، تُحْذَرُ
صَوَلَاتُهُ ، وَتُسْتَنْدَرُ أَيْيَاتُهُ .

(١) السِّيَاقُ يَقْضِي هُنَا أَنْ تَقْرَأَ : بِابْتِيَاعِهَا لَهُ .

(٢) الْأَصْلُ : هَمِي .

وهو الذي أوقع بأهل « الرِّبَضِ » فنُسب إليه ، وأمر بهدمه وتعطيله ، وصيّر ذلك وصيةً فيمن خلفه وصهداً على بنيهِ ما كان لهم سلطان بالأندلس . فلم يُعَمَّر ولا اختُطَّت فيه دار إلى آخر دولتهم ، ثم بعدها إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وأظم على ذلك نحواً من أربعائة سنة وثلاثين سنة ؛ ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم .

وكانت وقعة الرِّبَضِ الشَّعَاء يوم الأربعاء النِّحْة ثلاث عشرة خلت من [١٣-ب] شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين في آخر / خلافة الحكم ، ويوم الخميس بعده أمر بهدم الرِّبَضِ القبلي الذي منه نشأت الفتنة ، فأعيد بطحاء مزرعة ، بعد أن قتل من أهله مقتلة عظيمة وأسر خلقاً جماً ، صلب منهم نحو ثلثمائة صَفُوا من إزاء « باب القنطرة » إلى آخر « المُصَارَة »^(١) مع ضفة النهر ، لم يُرَ فيها سلف مُسْتَقِلُّون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرأ . وتماذى القتل والنهب لمنازلهم والتتبع لِمُسْتَخْفِيهِمْ ثلاثة أيام ، لم تُقَلْ لمن عُثِرَ عليه منهم عثرة ، وجرت عليهم خلافاً محن لا تضبطها الصفة . وكف الحكم عن الحرِّم ووَصَّى مَن فأتجمل في ذلك ما شاء .

(١) باب المقطرة ، باب من أبواب سور قرطبة ، وكان قريباً من القنطرة - والمراد قنطرة الوادي ، أي الوادي الكبير - وهي القنطرة التي كانت تصل قرطبة بربضها الواقع على الضفة الأخرى من نهر ، وهو رِيش سفينة ، مغرب من اللاتني Secunda . وكان هذا الرِيش مسكن البهال وأهل الأسواق . وفي هذا الرِيش قامت الثورة على الحكم بن هشام ، وانجلت عن هزيمة لثلاثين ومُرد أهله من الأندلس ، وهلم بيونه وتحويل جزء منه إلى مدافع عرفت بمقبرة الرِيش . ولم يصر هذا الموضع إلا بعد أيام المسلمين ، ويقوم فيه اليوم سبي من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم سبي الروح المقدس Barrio del Espíritu Santo ، وعلى مدخل هذا الحي ، في مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة Castillo la Calahorra وقد أنشئ بعد أيام المسلمين . أما المُصَارَة Al-Musara فكان قل القنص العربي ضاحية قريبة من قرطبة إلى جنوب عربي اللد على ضفة النهر ، ثم انصابت بها ، وأصبحت جزءاً منها ، ولكنها ظلت خارج السور .

ولما انقضت الأيام الثلاثة أمر برفع القتل وتأمين القل ، على أن يخرجوا من حضرته قُرْطُبَة ، فساروا عن أوطانهم كُلٍّ بحسب ما أمكنه . واستمعروا ظاعنين على الصعب والدَّلُول ، في يوم الأربعاء لشرِّ بقين من شهر رمضان المؤرخ ، متفرقين في قَصَى الكَوَر وأطراف النخور . ولحق جمهورهم بطلَيْطَلَة لحالفة أهلها الحكم ، ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر . وأصعدت منهم طائفة عظيمة — نحو الخمسة عشر ألفاً — في البحر نحو للشرق ، حتى انتهوا إلى الإسكندرية ، وذلك في أول ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد ، فعَازَهُم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم ، وبذلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيراً منهم وسَطُوا بهم سطوة منكرة ، وملكوا الإسكندرية مُدَيِّدَةً . إلى أن ورد عبدُ الله بن طاهر أميراً على مصر من قبل المأمون ، فصالحهم على التخلي عنها على مالٍ بذله لهم ، وغيرهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي . وكانت يومئذ خالية من الروم ، فاحتلوا إليها بِقِيَّتَنِيهِمْ ، ونزلوها فاعتَمَرُوها ، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم .

وحكى ابنُ حَيَّان ، عن أبي بكر بن القوطية وغيره ، أن الحكم قَرَّبَ في بأساء حربه هذه — عندما حَمَى وَطَيْسُهَا وأَعْضَلُ^(١) خَطْبُهَا — بنادِرَ من نوادر الصبر والتوطين على الموت ما سَمِعَ لأحدٍ من الملوك مِثْلَهَا : وذلك أنه في مقامه بالسطح^(٢) ، وعند بصره اشتداد الحرب وجُثُوم الكَرْبِ وسماعه قعقة السلاح واتناء الأبطال ، دعا بقارورة غالية لَتُدْنِي منه ، فتَوَانَى بها عنه

(١) الأصل : أعْضَل ، ولم أجد له معنى هنا فعدته على ما أثبت في المتن .

(٢) يريد سطح القصر ، وكان يرقب منه جماهير أهل الريض التي أقبلت تهاجه . وسُفِعَ

القصر كثير للورود في أعْيَار المروانيين الأندلسيين .

[١٤-١] خادمه للمسي « يَزَنَتْ »^(١) ، ظناً منه / أنه لمج في منطق ، فصاح به وزجره .
 — وفي رواية أخرى : فكانَّ الخادمُ شكَّ في طلبته واتهم سمعه ، فتوقف عن
 اللقي لأمره ، فصاح به الحكم : انطلق يا ابن اللغناء فتَجَلَّ — فجاءه بالقارورة
 فأفرضها على رأسه ولحيته ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : « وأية ساعة طيب
 هذه يا مولاي فتستعمله ، وقد ترى ما نحن فيه ؟ » فقال له : « اسكت لا أم لك !
 من أين يعرف قاتلُ الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو حزه ، إن لم يفرق
 الطيب بينهما ؟ » . ثم استلَّام للحرب ، وأمر بفرق السلاح والخيال على أجناده ،
 وأنهمهم لقتال من جاش به ، بعد أن كتبهم كتاب قوَد عليها كباراً من
 قواده وأهل بيته ، فانهزمت العامة بعد قتال شديد ، ولم تكن لأحد منهم
 كرامة ؛ وكانوا كالذباب^(٢) كثرة .

قال : ولم ينل الحكم بعد وقعة الرَبَض حلاوة العيش ، وامتنحن بعلته
 صعبة طاولته أربعة أعوام ، فلَّتْ غَرْبَهُ وأطالت ضنَّاه ، وامتجب فيها آخرَ مدته
 واستناب ولده عبد الرحمن في تدمير ملكه ، فأت على توبة من ذنوبه وتدمر على

(١) كذا ورد الاسم في الأصل ، وورد في الأخبار المجموعة « بزنت » بالباء . وقد
 ذهب دوزي إلى أن يَزَنَتْ أو يَزَنَتْ هو الصورة العربية لاسم أيبيري روماني : Jacinto ،
 ولا زال هذا الاسم مستعملاً في إسبانيا إلى اليوم ، وهو مأخوذ من اللفظ اليوناني Hyacinthe
 ومعناه « ياقوت » . أما ريبيرا Julián Ribera فقد قرأه بالباء وكتبه في الترجمة الإسبانية
 للأخبار المجموعة Vicent وهي الصورة القشتالية للاسم المعروف Vincent . والقراحتان
 مقبولتان .

et : DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides*. Nouvelle édition revue et mise à jour
 par E. Lévy-Provençal, Leyde, 1982 vol. I, p. 298 et note.

الحشى ، تاريخ قصاة قرطبة ، بتحقيق خليان ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ . مقالة الترجمة
 الإسبانية ص ٢١ .

(٢) في الأصل : كالذبا ، وهكذا تركها دوزي ، ص ٤١ .

ما اقتترف منها بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين^(١) .

ومن شعره في ذلك يعذر نفسه بالبطاع عن ملكه والحماية لسلطانه ، وهو من أحسن شعر قيل في مناه :

رَأَيْتُ^(٢) صَدْوَعَ الْأَرْضَ بِالسَّيْفِ رَاقِعاً وَقَدْ مَأْ لَأَمْتُ الشَّعْبَ مَذْكَتُ يَافِعاً^(٣)
فَسَأَلْتُ ثَنُورِي : هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثَغْرَةٌ أَبَادُهَا مُسْتَنْصِي السَّيْفِ^(٤) دَارِعاً
وَشَافِهِ عَلَى^(٥) الْأَرْضِ الْفَضَاءَ جَاجِعاً كَأَخَافِ شِرْيَانِ الْهَيْبِ لَوَامِعاً
تُنَبِّئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ يَوَانٍ ، وَقَدْ مَأْ^(٦) كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعاً
وَأِنِّي إِذَا حَادُوا حَذَاراً^(٧) عَنِ الرَّدَى فَلْتُ أَخَا حَيِّدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعاً
حَمَيْتُ ذِمَارِي فَاتَّهَكْتُ ذِمَارَهُمْ وَمَنْ لَا يُحَاسِي ظُلَّ خَزْيَانٍ ضَارِعاً

(١) كانت ثورة الربض - أو هيج الربض ، كما تسمى في النصوص - بمدينة الأثر في سلوكه الحكم الربضي بصفة خاصة وسياسة خلفائه من بني أمية الأندلسيين حيال أهل قرطبة وشعب الأندلس بصفة عامة . فأما الحكم فقد اتعظ بما وقع خلالها فلم يمد إلى الاستبداد والصف والاستخفاف بالناس ، كما كان يفعل قبلها ، لأنه عرف أن سلوكه الأول واستخفافه بالسماء هما سبب هذه الفتنة الكبيرة ، ثم إن إصراره في القتل وإجلاء أهل الربض عن دورهم ثم هدمه وتحويله إلى أرض زرع ، كل ذلك كان بعيد الأثر في نفسه ، فالإثني للتكفير عما اقترف . وقد ظل حل ذلك حتى توفي في ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠٦ / ٢١ مايو ٨٢٢ . وأما بالنسبة لسياسة خلفائه فقد تعلموا احترام الناس وحقوقهم وسلوكوا حيالهم سياسة لين وفهم واحترام ، فلم يقع مثل هيج الربض بعد ذلك .

(٢) قرأها دوزي : رأيت .

(٣) في النسخ : راقعاً .

(٤) في النسخ : الزم .

(٥) في الأصل : مع .

(٦) في النسخ : وإن .

(٧) في النسخ : يزعاً .

وَلَمَّا نَسَقَيْنَا سِجَالَ حُرُوبِنَا سَقَيْتُهُمْ سَجَلًا^(١) مِنَ اللُّوثِ نَاقِمًا
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَقَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَا قَوْأ^(٢) مَنَاقِبًا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعًا
[١٤-ب] / فَهَآكِ بِلَادِي^(٣) إِنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا مِهَادًا ، وَلَمْ أَتْرُكْ عَلَيْهَا مَنَازِعًا

قال عثمان بن اللثمي النحوي^(٤) للؤدب : قدم بعد الوقعة علينا عباس بن
ناصر^(٥) قرطبة أيام الأمير عبد الرحمن الحكم ، فاستغثنى شعر الأمير الحكم
في الهجج فأنشدته إياه ، فلما بلغت إلى قوله :

وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَقَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَا قَوْأَ مَنَاقِبًا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعًا
قال عباس : « لو أن الحكم يخشى^(٦) الخصومة بينه وبين أهل الربض
لقام بمنزله فيهم هذا البيت » . وفي رواية^(٧) : إذا كانت الخصومة بينه وبين
أهل الربض أجبرته^(٨) ، فإن هذا البيت ليحتاج عنه يوم القيامة .

(١) النفع : ساء . والسجل الدلو الفضة المملوء ماء (السان : ٢٤٦/١٣) .

(٢) النفع : قوافوا .

(٣) الأصل : سلاحي ، والتصويب من النفع .

(٤) عثمان بن المنى من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الملك ، من أهل الأدب والنحو . رحل
إلى المشرق فلقى جماعة من رواة القريب وأصحاب النحو والمعاني ، منهم محمد بن زياد الأعرابي ،
أخذ عنه وعن غيره ، وقرأ على حبيب بن أوس (الطائي) وهو أبو تمام) وأدخله الأندلس
رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم وأولاد محمد . وعمر إلى أن بلغ ٩٩ سنة ،
وتوفي رحمه الله سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٧ م) ابن القرضي ، علماء ، رقم ٨٨٩ ص ٢٤٩ .

(٥) عباس بن ناصر اللثمي الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء ، إذ أن الحكم الربضي
ولاه قضاها . كان شاعراً مخوياً مؤدباً ترجم له ابن القرضي (رقم ٨٧٩ ج ١ ص ٢٤٥) وقال
إنه رحل إلى الأندلس ولقى أبا نواس وسمع منه شعره . وترجم له ابن سعيد في المغرب (بتحقيق
الدكتور سوقي ضيف ، القاهرة بدون تاريخ) ١ / ٣٢٤ . وانظر عنه : الدكتور إحسان عباس ،
تاريخ الأدب الأندلسي (بيروت ١٩٦٠) ص ٣٦-٣٧ .

(٦) الأصل : يخشى ، وقد قرأها دوزي : يخشى .

(٧) في الهامش على اليمين مقابل هذا السطر - الخصومة في الربض .

(٨) الأصل : جبرته ، ويمكن قراءته أيضاً : أجبرته .

وله أيضا في ذلك :

غَنَاهُ صَلِيلُ الْبَيْضِ أَشْعَى إِلَى الْأَذْنِ مِنْ الْحَمْنِ فِي الْأَوْتَارِ وَالْهَوِ وَالرَّدَنِ^(١)
إِذَا اخْتَلَفَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا لَرَّتَكَ نَجُومًا يَطْلِمَنَّ مِنَ الطُّغْنِ
بِهَا يَهْتَدِي السَّارَى وَتُكْشَفُ الدَّجَى وَتَسْتَشِيرُ الدُّنْيَا لِبَاسًا مِنَ الْأَمْنِ
شَقَقْتُ غَمَارَ اللَّوْتِ تُضِلُّ مِهْجَتِي سَهْلًا رَدَى قَبْلِي أَصَابَتْ ذَوَى الْجُبْنِ
إِذَا لَقَعْتُ رِيحُ الظُّهَارِ لَمْ يَكُنْ لِقَائِي فِيهَا غَيْرَ فِيهِ الْقَنَا اللَّذَنُ
وَإِنْ لَمْ يَمِذْ حَصَا سَوَى الْفَرِّ مُقَدِّمٌ فَالَى غَيْرِ السِّيفِ وَالرَّمْحِ مِنْ حَمْنِ
قَذَفْتُ بِهِمْ [مِنْ] فَوْقَ هِمَاءِ قَانِرَوْتِ لَهُ الْأَرْضُ وَاسْتَوْلَى عَلَى السَّهْلِ وَالْحَزْنِ
فَسَارَ يَرَوِي كُلَّ صَدِيدٍ سَاهِمٍ وَسَحَّ كَمَا سَحَّتْ عَرَالٍ مِنَ اللَّزْنِ^(٢)
وَإِنْ عَنْ قَتَارٍ مِنْ سَيْلَانِهِ ذُرَى شَاهِقٍ أَضَى كَمُنْتَفِشِ الْعَيْنِ
هَتَاتَ بِهِ حَرْبًا تَحْشَحُ بِمَرْوَاهَا بِحَمَلِ هِنَاءٍ لَيْسَ يَصْلُحُ لِلْبُدْنِ

وله في التسيب :

ظَلٌّ مِنْ فَرَطٍ جَبَّ مَمْلُوكَا وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكَا
إِنْ بَكَى ، أَوْ شَاكَ الْهَوَى ، زَيْدٌ ظَلَمَا وَبَعَادًا يُدْنِي جِهَامَا وَشِيكَا
تَرَكْتَهُ جَادِزُ الْقَعْرِ صَبَا مُسْتَهَامَا عَلَى الصَّيْدِ تَرِيكَا
/ يَجْعَلُ الْخُلْدَ وَاضِحًا^(٣) فَوْقَ تَوْبٍ الَّذِي يَجْمَلُ الْحَرِيرَ أُرِيكَا [١٥- ١]

هَكَذَا يَحْمِنُ التَّنْزَالُ فِي الْحَمْنِ^(٤) إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكَا

(١) الرَّدَنُ هُنَا صَوْتُ وَقَعَ السَّالِحُ بِمَضَى عَلَى بَعْضِ (السان : ٣٧/١٧) .

(٢) الْمَزَّةُ الْعَرَالُ هِيَ السَّحَابَةُ الَّتِي تَنْهَرُ بِالْمَاءِ (السان : ٤٦٩/١٣) .

(٣) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْبَيَانِ لِلْعَرَبِ لِأَبْنِ صُنَارٍ (٨٠/٢) وَتَمَّ وَرَدُ هَذَا

الْقِطْعِ هُنَاكَ : مَائِلًا .

(٤) فِي الْبَيَانِ لِلْعَرَبِ : تَحْرُ .

وله في خمس جَوَارٍ من حظاياها ، كُنَّ مصطبحات قضاصين عليه . وقتاً في طريق النيرة ومجرنه :

قُضِبَ من البان ماست فوق كُتبانٍ ^(١) ولَّين ^(٢) عني وقد أزمعن هجراني
 ناشدتهن بحقِّي فاعترزن على الـ مصيان ^(٣) ، حتى حلامهن عصيان ^(٤)
 مَلَكْتَنِي مَلَكٌ مَن ^(٥) ذَلَّتْ عزائمه لُعب ذُلَّ أسير مُوقِر عات
 من لي بمتنصبات الروح من بدني يَنْصِبْنِي في الهوى عزى وسلطاني !

١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ^(٦)

ابن علي بن أبي طالب

وُلد لعبد الله بن حسن . وكان شيخَ بني هاشم في وقته إدريسُ الأكبر وأمه هِنْدُ بنتُ أبي عبيدة المَطَلِيبِية ، وإدريس الأصغر هذا أمه ^(٧) عائكة بنت عبد الملك بن الحارث الحزومية ، وأخواه منها : عيسى وسليمان ؛ حكى ذلك أبو علي حسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيروانيُّ المعروف بالوكيل في كتابه « المغرب عن أخبار المغرب » واختصرته منه . وذكر أن إسحاق

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذارى (٧٩/٢) . وقد جاء هذا اللفظ هناك : أعرزن .

(٢) رواية البيان : المجران .

(٣) رواية البيان : حتى خلا منهن هيمتي .

(٤) في الأصل : مَلَكَا ، وتصويب من البيان المغرب .

(٥) الأصل : إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وهو خطأ ، وقد صوبناه كما في المتن .

(٦) في الأصل : وأمه .

ابن عيسى كان على المدينة ، فلما مات للهدى وولّى موسى الهادى شَخَصَ واقداً عليه ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد المزيّن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ^(١) ، فخرج عليه بها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن العلوى ، واستخفى الشمرى حتى خرج الحسين إلى مكة في ذى القعدة سنة تسع وستين ومائة .

وكان قد حج في تلك السنة رجال من بنى العباس ، منهم محمد بن سليمان ابن علي ، والعباس بن محمد ، وموسى بن عيسى ، وعليّ اللوم سليمان بن أبي جعفر ؛ فكتب الهادى إلى محمد بن سليمان يولّيه الحرب ، فالتقوا بفتح ، وخلفوا عبيد الله ابن قثم بمكة للقيام بأمرها . وكانت الروقة يوم السبت ، يوم التروية ، فقتل الحسين القائم وسليمان بن عبد الله ؛ وانهزم الناس فتودى فيهم بالأسان ولم يتبع هارب ، وحُزّت الرؤوس فكانت مائة ونيفاً .

وكان فيمن هرب يحيى وإدريس / ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدريس [١٥-ب] فلحق بالمغرب ولجأ إلى أهله فأعظموه ، ولم يزل عندهم إلى أن احتل عليه ؛ وخلف ابنه إدريس بن إدريس ، فملكوا ^(٢) تلك الناحية واقطعت عنهم البعوث . وأما يحيى فصار إلى جبل الذئبة فأقام عند صاحبه ، إلى أن شخص إليه الفضل بن يحيى بن خالد في أيام الرشيد ، فأمنه وحمله إليه .

وقد قيل إن إدريس هرب إلى الغرب في أيام أبي جعفر المنصور ، عند قتل أخويه محمد وإبراهيم القائمين عليه بالمدينة وبالبصرة ، وأن أبا جعفر بعث إليه من سمّه ؛ والصحيح أن ذلك كان في خلافة الهادى بالعراق ، وبعد عشرة أشهر وأيام منها ، وفي آخر خلافة عبد الرحمن بن معاوية بالأندلس ، وقبل وفاته بعامين وأشهر ، وأن إدريس وقع إلى مصر وعليّ بريدتها واضح مولى صالح بن المنصور

(١) واضح أن المراد هنا غير عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة . انظر عن نسب هذا المذكور في المتن « جهرة أنساب العرب » ص ١٤٣ .

(٢) كنّا في الأصل ، والمراد إدريس بن إدريس وآله .

— وكان راضياً — فحمله على البريد إلى أرض المغرب حتى انتهى إلى مدينة « وُلَيْلِي »^(١) من أرض طَنْجَة ، فاستجاب له مَنْ بها وبأعراضها من البربر ، فلما ولى الرشيد علم بذلك ف ضرب عتق واضح وصلبه ، ودسَّ إلى إدريس مَنْ أنس به واطمأن إليه ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية فاحتال حتى سمَّه .

واختلف فيمن سمَّ إدريس وما سُمَّ فيه . فقيل : الشماخ للشماسي^(٢) مولى للمهدي سمَّه في سنون^(٣) سقطت منه أسفانه لما استعمله ومات من وقته ، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله . وقيل : بل سليمان بن جرير الرُّقِّي كان سبب سمَّه ، وكان إدريس به واتهما فأتى من قبَّله ، وهرب مع الرسل الذين أتوا في ذلك ، وطلب فقات .

ويقال : إن سليمان هذا — وكان يقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين — ناظر إدريس يوماً في شيء يخالفه ، ثم دخل الحمام ، فلما خرج بمث إليه سليمان بسمكة مشوية أنكر نفسه عند أكله منها ، فشكا بطنه وقال : « أدركوا

(١) وُلَيْلِي ، وتنطق أحياناً وُلَيْلَى — والأولى أصح — مدينة أثرية في المغرب تسمى عند العامة قصر فرعون ، وتقع على ٣ كيلومترات شمال شرق بلدة مولاي إدريس التي تضم ضريح إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة ، وهذه الأخيرة على نحو ٢٠ كيلومتراً غرب فاس ، وهي من تأسيس المغاربة العدائي الذين يسمون بالمُسرطانيين ، جعل منها الرومان مدينة زاهرة خصوصاً في عهد الإمبراطورية . اكتشفت آثارها سنة ١٨٧٣ وابتدأت عمليات الحفر بها سنة ١٩١٥ ولا تزال متواصلة إلى اليوم .

انظر : أحمد المكناسي : خريطة المغرب الأركيولوجية للمواقع الأثرية لما قبل التاريخ إلى ظهور الإسلام (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .

والبكري : صفة إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) كذا في الأصل ، وقرأها ماركوس مولر : النحاسي ، ص ١٩٨ . وجاء في البيان المغرب لابن عذارى : الشماخ مولى الهادي . « وذكر أنه متطلب من نعيمهم العلوية » (٨٣/١) .

(٣) السُّنُون كل مسحوق كانوا يستعملونه لدواء الأسنان .

سليمان ! فأدرك ، وقيل له : « أجب ! » فامتنع ، فضرب على وجهه بسيف ، وضرب أخرى على يده فاقطعت أصبعه ، وأقلت . وقيل : سُم في طيب تطيب به . وولده وأهل بيته يقولون : إنما سُم في بطيخة . وهم وإن اختلفوا في الشيء الذي سُم به ، فهم مجمعون على أنه مات مسوما . ومن شعره :

أليس أبونا هائم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان والضرب
/ فلنسا نمل الحرب حتى تملنا ولا تشكّي ما يهول من التكب [١-١٦]

١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود

قال أبو الحسن علي بن محمد النعماني : توفي إدريس بن عبد الله جارية من جواريه حبلى اسمها كنزة ، فقام « راشد » مولده - ويقال إنه مولى أخيه عيسى بن عبد الله ، وهو الذي خرج به حتى أقدمه المغرب - بأمر البربر . إلى أن ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه « إدريس » ، وقام بأمره حتى بلغ الفلام وأدبه ؛ وكان مولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة .

وتوفي راشد سنة ست وثمانين ، فقام بأمر الفلام أبو خالد يزيد بن إلياس ، وأخذ بيعة البربر له يوم الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ، وهو ابن إحدى عشرة سنة . وأسس مدينة القرويين ^(١) سنة ثلاث وتسعين ، وخرج إلى

(١) يريد فاس القرويين ، أي فاس الأولى التي أنشأها القيروانيون ، وهي منسوبة إليهم . وسيتشبه مهاجرة الأندلس الذين خرجوا منها بعد هيج الريف ضاحية لفاس هذه تعرف باسم فاس الأندلسيين ، وتسمى كل منهما عدوة فيقال عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ، ومنهما ما يتكون فاس . انظر بيان ذلك في « البيان المغرب » لابن عذاري (٢ / ٢١١) .

نِقيس^(١) في الحرم سنة سبع وتسعين ، ثم غزا قرنة وتلسان وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة : مُمٌّ في حبة عنب فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات .

وعن غير التَّوَفِّي أن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هو الذي احتال عليه حتى اغتاله .

وعامة مَنْ في القرب من الحسَنِيِّين من ولد إدريس هذا ، ومنهم بنو سُخُود الخلفاء في قُرُطْبَة بعد الأربعمائة .

وذكر أبو بكر الرازي^(٢) أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين

(١) نِقيس ، هكذا ورد الاسم مضبوطاً في الأصل ، ولكن الأغلب نِقيس . ذكرها البكري (ص ١٦٠) وقال إنها قرب أنعات وقال إنها تعرف بالبلد النقيس وأنها بلد كثير الأنهار والثمار ، « ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجل مطراً » ، وقال إنها بلدة عامرة آهلة بينها وبين البحر مسيرة يوم ، أي حوالي ٥٠ كيلومتراً . وهو تقدير غير دقيق ، لأن وادي نقيس واد صغير معروف يصب في بحيرة جنوبي مراكش . ومكانها اليوم قرية صغيرة تعرف بالمدينة بين تانزوت ودركالة .

(٢) المراد أبو بكر محمد الرازي المؤرخ ، وهو أبو أحمد بن محمد الرازي وجد عيسى ابن أحمد الرازي مؤرخي الأندلس المعروفين .

وهذه العادة ذات أهمية تاريخية كبرى ، فهي تقرر بوضوح أن الذي اخطأ فاس كان إدريس بن عبد الله أي إدريس الأول ، لا ابنه إدريس الثاني كما كان يظن اعتماداً على كلام ابن أبي زرع مؤرخ فاس في كتابه المعروف « روض القرمطاس » . وقد ناقش الموضوع مناقشة شاملة ليثي پروندسال في بحثه القيم عن « اضططاط فاس » واعتمد على عبارة الرازي هذه وعبارات أخرى لابن الفاضل في « جنوة الاقباس » والجزناني في « زهرة الآس » . وثابت بالفعل أن اضططاط فاس كان على يد إدريس الأول في رمضان ١٧٢ فبراير / ٧٨٩ . انظر :

E. LÉVI-PROVENCAL, *L'Islam d'Occident*, chapitre 1 : *La Fondation de Fès*, pp. ٨-٤١.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان : « دراسات في تاريخ المغرب والأندلس » ، ترجمه الدكتور صلاح الدين حلمي وراجعه الدكتور لطفي عبد البديع ، ونشرت الترجمة في سلسلة الألف كتاب في القاهرة سنة ١٩٥٧ .

وجدير بالذكر هنا أن « روض القرمطاس » سرغ ما يتمتع به من مكانة بين مراجعنا - يعتبر من أحفلها بالأخطاء ، ولا بد من الحذر الشديد في استعماله .

وسبعين في شهر رمضان هارباً بنفسه من أبي جعفر ؛ فنزل موضعاً يقال له « وُلَيْلِي » بوادي الزيتون ، فاجتمعت إليه قبائل من البربر قدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس ؛ وكانت أجمة شعراء ، ولما احترت أساساتها ألنى في بعضها فأسُ فسُيت بمدينة « فاس » وسكنها البربر ، فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة . وترك جارية حاملاته ، فولدت بعده ابناً سُمي بإدريس ابن إدريس ، ملك بعد أبيه مدينة فاس وطالت مدته ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين^(١) . كذا قال الرازي ، وقد تقدم التنبيه على غلط القائل بدخول إدريس للغرب في خلافة أبي جعفر للنصور .

ومن شعر إدريس بن إدريس مخاطب البهلول بن عبد الواحد المدغري ، ذاهباً إلى مراجعة طاعته ومخبراً مكر / إبراهيم بن الأغلب ، وهو الذي كان [١٦ - ب] أقصده عليه حتى قاتله البهلول :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبٍ وَمَا قَدْ رَمَى بِالْكَيْدِ كُلَّ بِلَادٍ
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ خَالِيًا وَمَتَاكَ إِبْرَاهِيمُ خَرَطُ قَتَادٍ
وَكُتِبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ أَوْ الْكَفِّ عَنْ نَاحِيَتِهِ ،
وَيَذْكُرُهُ قِرَائَتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي أَصْفَلِ كِتَابِهِ :

أَذْكُرُ إِبْرَاهِيمَ حَقًّا مُحَمَّدٍ وَعِزَّتِهِ وَالْحَقُّ خَيْرٌ مَقُولٍ
وَأَدْعُوهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ رَشْدُهُ وَمَا هُوَ لَوْلَا رَأْيُهُ بِمَجْهُولٍ
فَإِنَّ آثَرَ الدُّنْيَا فَإِنَّ أَمَامَهُ زَلَزَلُ يَوْمٍ لِلْعَقَابِ طَوِيلٍ
وَلَهُ يَنْشَوِقُ أَهْلُ بَيْتِهِ :

لَوْ مَالٌ صَبْرِي بِصَبْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ نُضَلَّ فِي رَوْعَتِي أَوْ ضَلَّ فِي جَرَحِي

(١) لم تطل مدته على هذا ، فقد ولد سنة ٢٧٥ هـ وتوفي سنة ٢٩٢ .

وما أَرِيجُ إِلَى يَاسٍ لِبُسْلَيْقٍ إِلَّا [...] يَأْسُ إِلَى طَمَعٍ
وَكَيْفَ بَصِيرَ مَطْوِيٍّ هَضَانُهُ عَلَى وَسَاوِسٍ مَرٍّ غَيْرِ مُقْطَعٍ
إِذَا الْمَوْمُ تَوَافَتْ بِمَدِّ حِجَّتِهِ كَرَّمَتْ عَلَيْهِ بِكَأْسٍ مَرَّةَ الْجُرْعِ
بِأَنَّ الْأَحْبَةَ وَاسْتَبْدَلَتْ بِمَدْمُومٍ هُمًّا مَقِيماً وَشَمَلًا غَيْرَ مُجْتَمِعٍ
كَأَنِّي حِينَ يُجْرَى الْمُهْمُ ذَكَرَهُمْ عَلَى ضَمِيرِي خَبُولٍ مِنَ الْفَرْعِ
تَأْوَى هُمُوِي إِذَا حَرَّ كَتُّ ذَكَرَهُمْ إِلَى جَوَانِحِ جِسْمِهِ دَائِمٍ الْوَلَعِ

١٣ - عبد الملك بن عمرو بن مروان بن الحكم ، أبو مروان

/وقيل أبو الوليد

[١٧-١]

قعيدُ جماعة آل مروان في وقته وطارسُهم وشهابهم . قديم من مصر على
عبد الرحمن بن معاوية في سنة أربعين ومائة ، أولَ ولايته بالأندلس ، وهو
في عشرة رجال من بنيه فرسان ، فولاه إشبيلية ، وولَّى ابنه عبد الله موزور ،
وأغنى في حرب يوسف بن عبد الرحمن الفهري عند نكته وفراره من قرطبة
حتى قُتل .

وقيل : كان والياً على ماردة ، وابنه على لقنت . ولما زحف أهل خُص (١)
إلى عبد الرحمن بن معاوية يطلبونه بثَّار أبي الصَّبَّاح اليَصْطَحي — وكان قد طاح
على يديه — أبلى عبد الملك هذا بلاءً حسناً ، وقتل ولده أُمَيَّةً صَبْرًا لما انحاز إليه
منهزماً : قدَّمه ففُضِرْبَ عُنُقِهِ ، فهاهنا الجند وشدوا معه ومع سائر بنيهِ ، فكانت

(١) يريد أهل إشبيلية وناحيتها من العرب ، وكذلك كانت تسمى بعد أن أنزل أبو الخطار
الحسام بن ضرار الكلبي جند حصن في إشبيلية .

الدبرة على أهل حصن ومن معهم ، وفتح الله على يديه فتحاً لا كفاء له ، وأجلت الحرب عنه جريحاً فأحفظه عبد الرحمن . وقيل : بل قتل ابنه اللذكور في حرب يوسف القهري حين^(١) انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ، ولم تقم له بعد قاعة ، فأحفظه عبد الرحمن وقدمه واستوزر بنيه عبد الله وإبراهيم وحكما ، وزوج ابنته كنزة^(٢) من ابنه هشام ولي عهده ، فقال عبد الملك في ذلك من قصيدة طويلة :

فيا زمناً أودى بأهل ومشرى لقد صيرت في أحشائنا لاذعاً جراً
ويزداد دهره سوء غشاً وظلمة كأن على شمس الضحى دوتنا سيراً
إلى أن بدا من آل مروان مقبر أضاء لنا من بعد ظلمته الدهرا
هيجان أصيل الرأي ندب مهذب أقام لنا ملكاً وشد لنا أزرأ
وأثبت آمالاً وأثبت نعمة وجننا فألينا الكرامة والبرأ
أنال وأغنى متنعماً متضلاً وأضيق لنا مأمولاً أبانه صهرا
فنحن حوالبه النجوم تجمعت إلى البدر حتى صيرن من حوله حجراً^(٣)
ومنها يذكر زفاف ابنته كنزة هذه :

لعمري لقد أهديت بيضاء حرة إلى خير من أغلى بأنعامها للهرأ
لها حسب يأتي على كل مقرب وبرضى لها تلك الخضامة الزهرا [١٧-مه]
وآل أبي العاصي هم نظراؤها فأكرم بشمس أنكحت قرأ بلدا

(١) الأصل : حتى .

(٢) قرأها دوزي ، ص ٤٣ : كنزة .

(٣) الحبر هو السحر والملاح (السان : ٢٣٩/٥) .

١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر ابن مروان بن الحكم

كان أبوه بشر من أمراء الأموية ، قتلته أبو جعفر للنصور مع يزيد بن عمر
ابن هبيرة الفزاري آخر عمال بني أمية على العراق ، ونجا ابنه عبد الملك هذا
في قلّة القوم إلى المغرب ، قصد الأندلس ، ودخلها في صدر أيام الأمير عبد الرحمن
ابن معاوية ، مع ابن عمه جزي بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز ،
وسكن جواره بقرطبة ، ويعرف بالشري . وهو القاتل في مقتل أبيه :

لستُ أسى مصرعاً من والدٍ سيدٍ ضخمٍ وعمٍّ مفتقدٍ
غادرته الخيلُ في معتركٍ بين عمٍّ وأبٍ زاكٍ وجَدٍ
نَشَهْكَ^(١) الريحُ عليه بالصحي وتُغْفِيهِ أعاصيرُ الأبدِ
لم يَرِدْ الموتَ عنه إذ سَما نَحْوُهُ كثرةُ مالٍ وعددِ
أُمُوئِي حَكِيئِي عَرَفْتُ سَوْرَةَ الحدِّ له عُلْيَا مَعْدِ
عاش في ملكٍ عزيزاً دونه حُجُبُ المُلُكِ وأبوابُ الرِّصْدِ
فامتحنه بالنِّايَا فنَوَى لِعَوافِي الطَّيْرِ مَلُوبَ الجَسَدِ
وله :

يا معشراً شغفَ الطعامِ قلوبهم فهم طيَّاحٌ حو كلِّ دُخَانِ
يَهْدِي لَوَائِمُهُمْ ويَحْمِلُ بَنَدَمُهُمْ في كلِّ معتركٍ أبو سَعْدَانِ

(١) سَهَكَتِ الرِّيحُ وَسَهَكَتِ الدَّاءَةُ سَهوكاً حَرَّتْ حَرِيّاً حَمِيّاً ، وقيل سهوكها استناتها

عِيناً وشمالاً . (اللسان : ٣٣٠/١٢)

يمشى كشور الليث راح عشيّة من غاه وأمامه شيلان
 لو يمرض الضعف دون وليمة مشروعة في صدره لطلان
 لمضى بصادق نية وبصيرة فيها قلب^(١) مشجع شيعان^(٢)
 / حتى ينيب في الثريد ذراعه ويمحوسها بأشاح^(٣) ويتان [١٨-١]

وله :

وبنفسي من عندها اليوم قلبى علق في جالها معود
 كلما قلت قد تناهيت عنها عادى من غرامها ما يعود
 فقلبي من لاجع الحب منها كل يوم سئم وحزن جديد

١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، أبو سليمان

كان بالأندلس في سلطان عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت له منه خاصة
 لم تكن لأحد من أهل بيته ، وولاه طليطلة وأعمالها ؛ وهو القائل يخاطبه
 مغنياً بأبي الصنّاح^(١) عليه :

يا ابن الخلاف إني ماصح لكم في قتل ذى الحن يرتاد لقتلهم

(١) قرأها دورى (ص ٤٤) وقلت .

(٢) سأل الرجل حدّ في الأمر ، والشّيعان الذى يتّهمس عدواً ، أراد
 السرعة (السان : ٣٣٢/٤) .

(٣) الأصاحى من الحيات ، جمع أشجع ، وقيل جمع أشجعة . وأسمه جمع نحاح وهو
 الحية (السان : ١٠/١٠) .

(٤) هو أبو الصبّاح بن يحيى اليحصبي من كبار ايميين الذين أعانوا
 عبد الرحمن الداخل على الوصول إلى الإمارة . وقد ولاه عبد الرحمن على إشبيلية ، ثم عزله

لَا يُفْلِتَنَّكَ فَيَأْتِنَا بِبَاقَةٍ وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ تَبْرَأُ مِنَ السَّعْمِ
جَلَّةُ عَضْبًا مِنَ الْهِنْدِيِّ ذَا شُطْبٍ إِنَّ الصَّرَامَةَ فِيهِ قَذَلَةُ الْكُرْمِ
ذكر ذلك ابنُ حَيَّانَ ، وقيل إن هذا الشعر لعبد الملك بن عمر بن مروان
ابن الحكم .

وتوفي حبيب هذا في أيامه ، فشهد جنازته ومعه ستة من ولده ، فلما صلى
عليه قدم وهو يُوَارَى ، فالتفت عبدُ الرحمن فرأى ولده هشاماً قاعداً ناحيةً
قد [...] ^(١) في قعوده ، فقال : « ما هذا يا أبا الوليد ؟ أيدفن عثك وخيرُ
أهل بيتك وأنت قاعد ؟ قم واشدد نطاق الحزن عليك ، فلن ترى في قومك
مثل أبي سليمان » ، فقام .

وكان حبيب من الذين يشاورهم في رأيه وإدارته عبدُ الرحمن بن معاوية
ويُدْنِي مجالسهم منه [ويضمه] ^(٢) إلى خاصته من مُقْبَاه دولته وسائر أصحابه
ومواليه .

* * *

نرجع إلى ذكر الأمراء من غير الهاشمية والأموية على الترتيب كما شرطنا
في صدر الكتاب :

== عنها ، فجمع أنصاره وتار عليه . فأرسل إليه عبد الرحمن مولاة تَحَمَّاماً ، فأقنعه بالاستسلام
دون قتال ، وأمن به قرطبة مع ٤٠٠ من أنصاره دون عهد . فلما اتى بعد الرحمن عاتبه ، فأغلظ له
أبو الصلاح في الحوابع ، فأمر بقتله ، وقتل سنة ٧٦٦/١٤٩ .

انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٣/٢ .

(١) يياض يقدر كلمة .

(٢) يياض في الأصل .

١٦ - الحُسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ،

أبو الخطار (بالراء)

وُلِيَ إمارة الأندلس في سنة خمس وعشرين ومائة ، من قِبَل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والي إفريقية لهشام بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان / الكلبي [١٨ - ب] أخى حنظلة ، ويقال إن أهل الأندلس الشاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والي إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم والياً يتمتعون عليه ، فبعث أبا الخطار هذا ، فأقبل إليهم حتى قدم عليهم ، فطاعه أهلها واجتمعوا عليه ، ودانت له الأندلس جمعا^(١) إلى ولاية مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية .

ولم يقدّم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين والغالبين على البلد عن دار الإمارة قُرطُبة ، إذ كانت لا تحملهم ، وأزلم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كُور شاميهم . وتوسّع لهم في البلاد :

فأنزل في كورتي أكنشونبة وباجة جند مصر مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم في كورة تدمير ؛

وأنزل في كورتي لَبَّلة وإشبيلية جند حصص [مع البلديين] الأول أيضاً ؛
وأنزل في كورة شذونة والجزيرة جند فلسطين ؛
وأنزل في كورة رنة جند الأردن ؛

وأنزل في كورة البيرة جند دمشق ؛ وأنزل في كورة جتيان جند قنشرين^(١) ؛

(١) هذه الإشارة تدل على أن الأندلس كان في ذلك الوقت المبكر مقبلاً إلى كور محددة واضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو إلى آخر أيام الخلافة ، مما يدل على أنه كان تقسيماً سليماً قائماً على أسس سليمة قديمة ، فلم يحتاج بعد إلى تعديل ، وهذا ما حدثنا إلى القول في « فجر الأندلس » بأن العرب وجنوه قائماً ، فأقروه مع تعديلات طفيفة . وهذه الكور التسع هي التي صرفت بالكور المحبنة ، وكلها واقعة على الرأى الكبير أوجنوبه أوفى مستواه ، وهي تكون معظم جنوب شبه الجزيرة . انظر عن حدودها « صفة الأندلس » للرازي التي لم تبق لنا إلا في ترجمتها البرتغالية والإسبانية ، وقد ترجمها ليثي بروفنسال إلى الفرنسية :

LÉVI-PROVENÇAL, *La Description de L'Espagne de Razi, Al-Andalus, XVIII (1954) pp 59. sqq.*

وسنشير إلى هذه الترجمة دائماً باسم « صفة الأندلس للرازي » .

وقد أوردنا فيما بعد بيان معظم الأعلام الجغرافية الواردة في هذا النص (انظر فهرس الأعلام) فيما عدا أكشونية وباجة وتلمبرورية ، وفيما يلي التعريف بهذه الكور :

أكشُونِيَّة أو أخشُونِيَّة (تكتب خطأ في بعض المراجع أشكُونِيَّة) اسم بلدة

رومانية قديمة في الموضع الذي يسميه العرب شَسْتَمَرِيَّة الغرب Santa Maria de Algarve التي تسمى حالياً فارو Faro جنوبي البرتغال . ويقال إن Ocsonoba الرومانية كانت تقع في الموضع الذي تقوم فيه قرية Milram في البرتغال التابعة لمركز Estoy . وقد أطلق اسم أكشونية في التقسيم الإداري الأندلسي على كورة تحتل الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، من نهر وادي آفة إلى المحيط الأطلسي (صفة الأندلس للرازي رقم ٥٤ ص ٩١) . وورد ذكر هذه الكورة في « التعليق المنى » على أنها مدينة ، أي كورة عسكرية (ص ٢٢) ، وفي حالة أكشونية تعتبر كورة بحرية عسكرية . وقاعدة هذه الكورة شَلْب Silves في البرتغال الحالية . وستنكم عنها وعن شتمربة الغرب في موضعيهما (انظر فهرس الأعلام) .

انظر : دائرة المعارف الإسبانية ، مادق Ocsonoba و Santa Maria de Algarve ، و « الروض المطار » ، مواد : أكشونية وشلب ، والترجمة الفرنسية والتعليقات .

باجة ، في البرتغال الحالية ، وتسمى اليوم : بيجا Beja وهي قاعدة مديرية أليتيجو السفلى Baixo Alentejo ، وتقع على ١٤٠ كيلومتراً جنوب شرق الأشبوة (لَشَبُونَة ، لَيْسَبُونَا) وكانت في التقسيم الإداري الأندلسي كورة واسعة تشمل مديرية أليتيجو السفلى الحالية في البرتغال وجزءاً من مديرتي بطليوس ووكلبة Huelva في إسبانيا الحالية .

انظر : صفة الأندلس للرازي رقم ٤٨ و ٤٩ ص ٨٧ - ٨٨ .

وجعل لهم ثلث أموال أهل القعة من العجم طعمة .
 وبقي العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض
 لهم في شيء منها ، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعةً سكنوا واعتبطوا ،
 وتمولوا^(١) .

= والتعليق المتفق ص ٢١ .

والروض المطار ، رقم ٣٥ ص ٣٦-٣٧ .

تُدْمِير: هو الاسم القديم لكورة مرسية نسبت إلى تدمير وتيودومير حاكم هذه
 الناحية أيام فتح العرب للأندلس ، والذي عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى احتفظ لنفسه
 فيها بشيء من الاستقلال (انظر فجر الأندلس ، ص ١١٧) ثم سوط عبد الرحمن الداخل إلى
 كورة عادية . وكانت قاعة الكورة بلدة أوريوالة Oribuela . فيها اختطت مرسية
 سنة ٨٣١/٢١٦ أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن ليبد عامل تدمير
 يومئذ نقلت القاعدة إليها ، وسُميت الكورة كلها كورة مرسية . وقد استبد بأمر مرسية
 وكورتها الموليان العامريان غير أن وزهيد بعد انتصاره أخذته ، ثم ضمت الكورة إلى بنسية ،
 وانفصلت عنها بعد ذلك . وفي أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب
 بالمتوكل ، وأصبحت تسمى في النصوص الإسبانية باسم مملكة مرسية El Reino de Murcia .
 وقد خرجت مرسية عن يد المسلمين نهائياً في جمادى الأولى سنة ٦٦٤/فبراير ١٢٦٦ على يد
 خايمه الأول ملك أرغون الملقب بالفتاح .

انظر :

MARIANO GASPAR REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* (Zaragoza, 1905).

وفي تعليقاتنا التالية تفصيلات أخرى كثيرة عن تدمير ومرسية . (انظر فهرس الأعلام)
 رية ، وتكتب أيضاً رية وهو الأصح ، بفتح أن أصل اسمها Regio في قديم .
 اسم كورة من الكور الصغيرة جنوب الوادي الكبير كانت تضم قواء كبيرة من أرثوننة Archidona
 ومالقة (انظر صفة الأندلس للرازي ، رقم ٦٩ ص ٩٨ - ٩٩) . وقد ذهب دوزي إلى
 أن اسم الإقليم كان قبل العرب Malacitana Regio . ولم توجد مدينة يدعى رية ، ولوان
 الإصطخري أطلقاً فاصبرها مدينة ، وذهب ابن خلدون إلى أن رية اسم للمقعة . والثابت -
 بشهادة ابن القوطية - أن رية اسم كورة عاصمتها أرثوننة . وقد اختفت الكورة في عهد
 الطوائف ، ولا وجود لها في «التعليق المتفق» .

انظر البحث الطويل عنها في أبحاث دوزي ، ص ٣١٧ - ٣٢٤ .

(١) جعلت هذا الخبر في فقرات متميزة كنص على أهيمته . وقد نقله ابن الأبار عن أبي =

وطالعا موسى بن نصير ويُنَجِّ بنِ بَشْرَهما التَّانِ تَعْرِفَانِ بِالْأَنْدَلُسِ بِالْجَنْدِينِ .
 ثم لم يلبث أبو الخطار - مع مكانته من السداد - أن تعصَّبَ لِيَمَانِيَةِ
 . وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْمُصَرِّيَّةِ ، فَآلَ بِهِ الْأَمْرَ إِلَى الْخُلُوعِ وَالْفِرَارِ إِلَى جَبَةِ بَاجَةَ فِي غَرْبِ
 الْأَنْدَلُسِ فِي قَعَصٍ طَوِيلَةٍ ، وَذَلِكَ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَةٍ ، بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ
 وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَوْلَايَتِهِ ؛ وَقِيلَ : كَانَتْ أَوْلَايَتُهُ سِتَّةً أَثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ . وَمِنْ شَعْرِهِ :
 أَفَأَنْتُمْ بَنِي مَرْوَانَ قَبَسًا دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ - إِنْ لَمْ تُنْصَفُوا - حَكْمٌ عَدْلٌ
 (وَيُرْوَى : إِبَاءَةُ بَنِي مَرْوَانَ ، وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى)

كَأَنْتُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ
 وَقَيْنَاكُمْ حَسْرَةً الْقَنَا بِنُحُورِنَا وَلَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سَوَانَا وَلَا رَجُلٌ
 إِنْهَا يَلْتَمِسُ نَيْلَ مَا قَدْ أَرَدْتُمْ وَطَلَبَ لَكُمْ مِنَ الشَّارِبِ وَالْأَكْلِ
 تَعْلِمْتُمْ عَنَا بَيْنَ جَلِيَّةٍ وَأَنْتُمْ كَذَا مَا قَدْ عَلَيْنَا لَهَا فَعُلُ
 فَلَا تَأْمَنُوا إِنْ دَارَتْ الْحَرْبُ دَوْرَةً وَزَلَّتْ عَنِ الرِّقَابَةِ بِالْقَدَمِ الْمَعْلُ
 فَيُخْتَضُّ الْحَبْلُ الَّذِي قَدْ فَتَلْتُمْ أَلَا رَبِّمَا يُلَوِّي فَيَنْقَضُّ الْحَبْلُ
 [١٩٥-١٩٦]

قال أبو الخطار هذا الشعر ، لأن هشام بن عبد الملك ولي عبيدة بن عبد الرحمن
 - ابن أخى أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين - إفريقية ،
 وصرف بشر بن حنظلة الكلبي ، فوحدت لذلك اليمانية . ويقال إنه قدم
 القتيرون - ولم يكن عليها إذ ذاك سور^(١) - فألقى بشر بن صفوان قد تهيأ

- مروان بن حيان كما نقله أيضاً ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان ، الجزء
 الأول ، للقاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٩ ، وابن عذاري في البيان المغرب ٣٣/٢ . وقد نصرف
 فيه كل منهم بحسب منهجه في كتابه ، واعتقد أن الصورة التي أوردها فيها ابن الأبار من أصح
 الصور التي ورد فيها . وقد ناقشنا هذا الموضوع وبسطنا القول فيه في كتابنا « فخر الأندلس » .
 (١) وردت هذه العبارة التي وضعناها بين ترطتين في الهامش بخط مختلف .

لشهود الجمة وليس ثيابه ، قليل له : « هذا الأمير قد قدم ! » ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! هكذا هموم الساعة » ، فاحمته رجلاه . ودخل عبيدة بن عبد الرحمن فجصع بالناس ^(١) .

وقيل إنه لما تابع ولأه إفريقية والأندلس من قيس ، قال أبو الخطار هذا الشعر يعرض فيه بيوم مرج راهط ، وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان ابن الحكم ، وقيام القيسية مع الضحاح بن قيس الفهري أمير عبد الله بن الزبير . فلما بلغ الشعر هشام بن عبد الملك سأل عن فائده فأعلم أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد ولّى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر المذكور ، فكتب إليه يأمره أن يولى أبا الخطار الأندلس . وهو الرابع عشر من ولاتها ، ثم ولى بعده ثوبة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري - وكان خلعاً بعبد الرحمن بن معاوية . وأنشد الحميدي في تاريخه الشعر ، وقال فيه : « أفادت بنو مروان » ، وقال : « إن لم تعدلوا » ، وقال : « وقيناكم حد القنا بسيوفنا » ؛ وقال في البيت الرابع وما بعده :

فلما رأيتم واقدَ الحرب قد خبا وطاب لكم فيها المشارب والأكل
تغافتمُ عنا كأن لم نكن لكم صديقاً ، وأنتم ما علمت لها قُتلُ
فلا تمجلوا إن دارت الحربُ دورةً وزلتُ عن اللِّهواة بالقدمِ النعلُ

/ ولم ينشد البيت الأخير

[١٩-ب]

وقال أبو الخطار أيضاً مخاطب الصميل بن حاتم الكلبي ، رئيس المضربة ورأس التميميين معها على الجمانية في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

(١) الخبر وارد بتفصيل في البيان انشرب لابن عسارى (٥٠/١) ونص 'لفترة الأخيرة' منه هناك : ودخل عبيدة فأخذ عمالٍ بشر وأصحابه فحبسه وعمره - وعذب بعضهم .

وكان دخول عبيدة بن عبد الرحمن القيروان في ربيع الأول ١١٠ هـ / يونيو ٧٢٨ .

لِإِنْ ابْنِ بَكْرٍ كَفَانِي كُلَّ مَضَلَةٍ وَحَطَّ عَنْ غَارِبِي مَا كَانَ يُؤْذِنِي
إِذَا اتَّخَذْتَ صَدِيقًا أَوْ هَمَّتْ بِهِ فَاعْدِلْنِي حَسَبَ إِنْ شِئْتَ أَوْ دِينِ
مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي وَفِي وَلَدِي لَا بَدَّ يَدْرِكُنِي لَوْ كُنْتُ بِالصَّيْنِ^(١)
وَأَنْشُدْهُ الْحَمِيدِي :

فَلَيْتَ ابْنَ حَوَاسٍ يُخَبِّرُ أَتَى سَمِعْتُ بِهِ سَعَى أَمْرِي غَيْرِ غَافِلِ
قُلْتُ بِهِ نَسَعِينَ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ جَذُوعُ نَخِيلٍ صُرْعَتْ بِالمَسَائِلِ
وَلَوْ كَانَتْ لِلْوَقْتِ تَبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ بِكَفِّي ، وَمَا اسْتَقْبَلْتُ مِنْهَا أَنَامِلِ

وحكى أبو علي الحسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » من تأليفه ، أن عبيدة بن عبد الرحمن لما قدم القيروان أخذ عمالَ بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم وأغرسهم وتعامل عليهم ، وكان فيهم أبو الخطار ، فصنع هذه الأبيات وبث بها إلى الأبرش الكلبي ، فدخل بها على هشام بن عبد الملك بن مروان فأنشدها ، فنضب هشام . وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن إفريقية . قال أبو علي : وهذا الشعر مشهور بالشرق كشهرة بالمغرب ؛ ذكره صاحب « كتاب الخصال » وجاء به بعض المؤلفين في اختياره ، وأتى به أبو الحسن اللدائي ، وقال : لما أنشده سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي هشام بن عبد الملك غضب وشم عبيدة وقال : « قبح الله ابن النصرانية ! » وعزله .

(١) الأصل :

مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي لَا يَدْرِكُنِي وَفِي وَلَدِي لَوْ كُنْتُ فِي الصَّيْنِ
وَوُورِدَ بِصُورَتِهِ الصَّحِيحَةُ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا الْوِزْنُ فِي الْخَامِشِ .

١٧ - الصَّيْلُ بْنُ حَاتِمٍ بْنِ شَمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ

الْكَلَابِيُّ الضَّبَّابِيُّ ، أَبُو جَوْشَن

كان جده شَمْرٌ من أشرف عرب الكوفة ، وهو أحد قَتَلَةِ الحسين بن علي رضي الله عنهما ، والتي قدم برأسه على يزيد بن معاوية . وقَتَلَ المختارُ بعد ذلك — حين قام ثائراً بقتلة الحسين — جماعةً منهم ، فهرب شَمْرٌ بولده وعياله ولحق بالشام فأقام بها في عز ومنعة .

وقد قيل إن المختارَ قَتَلَ شَمْرًا وفرَّ ولهُهُ / إلى أن خرج كلثوم بن عياض [٢٠-١]
القشيري غازياً إلى الغرب ، فكان الصَّيْلُ ممن ضُرِبَ عليه البعثُ في أشرف أهل الشام ، ودخل الأندلسَ في طاعة بلج بن بشر فَلَ أصحاب كلثوم ^(١) .

(١) كان هشام بن عبد الملك قد ولَّى كلثوم بن عياض القشيري على إفريقية سنة ١٢٣٪ ٧٤٠-٧٤١ بعد عيِّد الله بن الحبحاب ليتلافى أمرها بعد انهزام قوات ابن الحبحاب أمام مسيرة الملقري في معركة الأنراف وإقدام جند إفريقية على عزه . وقد دخل كلثوم إفريقية في جيش عدته ثلاثون ألفاً ، يقال إن عشرة آلاف منهم كانوا من صلب بني أمية ، وعشرين ألفاً من سائر العرب . « وكان مع كلثوم ابن أخيه بلج بن بشر . وقد نهزم هذا الجيش الكبير أمام خالد بن حيد الزناتي رئيس البربر الذي خُفَّ مسيرة الملقري . وقتل كلثوم بن عياض ومناقبه حبيب بن أبي عتبة وسليمان بن أبي المهاجر ووجوه العرب . فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس ، وهزيمة أهل مصر وإفريقية إلى الأندلس » .

وقد نجح بلج بن بشر من المعركة ولجأ إلى سبحة فخصص بها من البربر ، وغلب هناك مع من معه من العرب حتى صاه حاتم واستجدوا بعبه الملك بن قُصَّ عامر الأندلس ، فأذن لهم بعد أن كادوا يهلكون جوعاً ، واشترط عليهم أن يخرجوا من الأندلس بعد أن يفرغوا من حرب البربر التائرين عليه في الأندلس . ولكنهم لم يخرجوا ، وانتهى الأمر بتولي بلج بن بشر أمر الأندلس .

انظر : البيان المغرب ١/ ٥٥-٥٦ .

وكان شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً . وهو الذي قام بأمر المضرية في الأندلس عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلابي العصبية الليمانية ، إلا أنه كان رجلاً أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، وكانت له في قلب الدول وتديير الحروب أخبار مشهورة .

وحكى أبو بكر بن القوطية في تاريخه أنه مر بمعلمٍ يقول ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ فوقف يتفهم ، وكان أميناً لا يقرأ ، ونادى المعلم : « يا هناه ! كذا نزلت هذه الآية ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فأرى والله أن سيشركنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة » .

وغلب على أمر يوسف بن عبد الرحمن القهري في ولايته ، وكان معه في حربه لعبد الرحمن بن معاوية بعد أن ولاء مدينة سَرْفُطَةَ ثم طُلَيْطَلَةَ ؛ وهو القائل عندما أغار الطائفيون على داره بشَقْنَدَةَ يوم المصارة عند انهزام القهري واستخلاف عبد الرحمن :

ألا إن مالى عند طيِّ وديعة ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
سَلُّوا يَمَنَّا عن فعل رُمعي ومنصلي فإن سكتوا أئنْتُ على الوقائعُ
أنشدهما أبو بكر الرازي في تاريخه .

وتوفي الضَّمِيل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة اثنتين وأربعين ومائة .

١٨- الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التيمي ، أبو جعفر

كان ممن سعى في القيام بدعوة بني العباس مع أبي مسلم وحارب معه [عبد الله بن]^(١) علي ، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هُبَيْرَة

(١) أكلت المبارة على هذا التحول يتصل السياق . ولم أجد اسم الأغلب بين أنصار أبي مسلم -

وفي قتل أبي مسلم ، ويقال إنه الذي ضربه فأطار يده ، ثم تولى حزر رأسه ^(١) ؛
 ووجه أبو جعفر للنصور مع محمد بن الأشعث بن عقبة الخراساني إلى قتال البربر .
 وهو أول [قدومه إلى] ^(٢) إفريقية ، وكان عامل مصر ، وذلك في سنة
 أربع وأربعين ومائة . فخرج في أربعين ألفاً عليهم مائة وثمانية وعشرون قائداً من
 تحت يد ابن الأشعث ، منهم ثلاثون ألفاً من خراسان وعشرة آلاف من الشام
 — وقيل ألفان فقط من الشام . وقال للنصور : إن حدث به حدث كان الأغلب
 أميرهم بعده . فولى طُبَّنة / إلى أن خرج ابن الأشعث من القيروان في شهر [٢٠ - ٢١]
 ربيع الأول سنة ثمان وأربعين — وكان قد بنى سور القيروان — فبث أبو جعفر
 إلى الأغلب عهده بولاية القيروان ، فاستقامت له الأمور . ثم اضطربت بقب
 ذلك لخروج أبي قرة البربري عليه واشتغاله بحربه ، [وخرج] ^(٣) الحسن

الخراساني ورجاله . وقد أورد الطبري (طبع المطبعة التجارية ، القاهرة ١٩٣٩) ج ٦ ص ٥٣
 قائمة بأصحاب أبي مسلم وقواده لم أجد من بينها اسم الأغلب ، ولكن وجدت مقتل بن حكيم
 المكي ، وهو أبو محمد بن مقتل المكي الذي تولى إفريقية قبل إبراهيم بن الأغلب . ففعل ذلك
 هو السبب في قول المؤرخين أن الأغلب كان من رجال أبي مسلم . وربما كان من صفار ورجاله
 فلم يذكر ضمن أنفواد وانتقباد .

(١) لا وجود هنا عند الطبري ، وهو توسع مرجع لينت عن قتل أبي مسلم : ١٣٧/٦ .
 (٢) عبارة (وهو أول [...] إفريقية) قسنا هنا . وقد توهمنا من هذا النحو سياق .
 وعلى أي حال فهذه رواية ابن خنار في هذا الموضع ، ويبدو أنه يأخذ من نفس المرجع الذي
 يعتمد عليه ابن الأثير هنا : ذكر وثبة محمد بن الأشعث الخراساني على إفريقية : لما خلبت
 القشقرية على إفريقية بعد أن قتلت ورفقوها من قتلت من قریش وبنوهم . خرج جمعة من
 مرجها إلى النصور يستنصرون به على البربر . ويصفون له ما قام منهم . فوفد أبو جعفر
 ابن الأشعث مصر ، فوجه أبا الحوص . فبثت البربر . كما سمع : فكسب أبو جعفر
 إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألفاً . الخ .

اليان ٧٢/١ (وكان ذلك سنة ١٤٤/٧٦١ - ٧٦٢) .

(٣) أضفت هذه الكلمة سياق .

ابن حرب الكندي عليه ، وخاطب القواد مَضْرِيًّا^(١) فلحق به منهم جماعة وهو بتونس ، فأقبل إلى القيروان فدخلها . وبلغ الخبرُ الأغلبَ فأقبل في عدة يسيرة من أطاعه ، وكتب إلى الحسن :

أَلَا مَن مُبْلِغٌ عَنِّي مَقَالًا يسير به إلى الحسن بن حرب
فَإِنَّ التَّبَنِيَّ أَبَدُهُ وَبَالَ عليك وقربه لك شر قرب
فَإِنْ لَمْ تَدْعُنِي لَتَنَالَ سَلْمًا وعفوى فادن من طعنى وضرى^(٢)

فقدم الحسنُ الأغلبَ ، فقتلوا قتالا شديداً انهزم الحسنُ عنه وكرَّ راجعاً إلى تونس ، ودخل الأغلبُ القيروان . ثم زحف الحسنُ إليه ثانية ، وخرج الأغلبُ من « باب أضرم »^(٣) فتواقف الفريقان ، فبرز الأغلب وقال :

(١) الأصل : مضرباً ، وقد صوبتها هكذا السياق ، وكذلك فعل مولر . وإليك توضيحاً لهذه الأحاديف نقلاً عن ابن عذاري (البيان : ٧٤/١) :

« وفي سنة ١٥٠ ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم ، وسبب ذلك أن أبا قرّة الصغرى خرج في جمع كبير من البربر ، فسار إليه الأغلب في عامة القواد الذين معه ، وحلّت على القيروان سالم بن سودة . فلما علم أبو قرّة أن الأغلب قريب منه هرب ، وتفرق أصحابه ، وقدم الأغلب الراب ، وهزم على الرحيل منه إلى تلمسان ، قاعلة زفاته ، ثم إلى طنجة . فكره الجندُ المسير معه ، وقالوا : وقد هرب أبو قرّة الذي خرجنا إليه وجعلوا يتسللون عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلا نفر يسير من وجوههم . وكان الحسن بن حرب بتونس ، فلما خرج الأغلب يريد أبا قرّة ، كاتب جميع القواد ، فلحق به بعضهم ، وأقبل معهم إلى القيروان ، فدخلها ، وأخذ سالم بن سودة عاملها ، فحبسه . وبلغ الخبرُ الأغلبَ ، فأقبل في عدة يسيرة ، وكتب إليه يعرفه بفضل الطاعة ووبال المصيبة ، فأعاد الجوابَ إلى الأغلب ، وفي آخره :

أَلَا قَوْلُوا لِأَغْلَبَ غَيْرَ سَوْءٍ مُخْطَلَةً عَنْ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ
بِأَنَّ الْبَنِيَّ مَرْتَمَهُ وَخِمْ عليك ، وقربه لك شر قرب
فَإِنْ لَمْ تَتَّقِنِ لَتَنَالَ سَلْمًا وعفوى ، فادن من طعنى وضرى

(٢) واضح أن الأبيات الواردة في الحاشي السابق رد على هذه الأبيات . ويلاحظ التارئ تشابه شعر الأغلب وشعر الحسن بن حرب على هاتين الروايتين . والحقيقة أن ابن عذاري أخطأ فجعل أبيات ابن الأغلب لحسن بن حرب ، أما أبيات هذا فتد في ترجمته التالية .

(٣) من أبواب القيروان المعروفة .

أغزو إلى الله بأمره يرزأه [لا خير في]
 إن يهزني اللوت ، فإني أهواه كلُّ امرئٍ يلقي يومًا ^(١) [...]
 ثم شدَّ على اللينة في أصحابه ، فكشفها ، وانصرف إلى موته وهو يقول :
 أحربُ في القوم ، ومثل يضربُ فإن [يكن حربًا] فإني الأغلبُ
 لا أجزعُ اليوم ولا أكذبُ ^(٢)

ثم شدَّ على الليرة ، فقتل مثل فعله في اللينة ، وانصرف وهو يقول :
 لم يبق إلا القلبُ أو أموتُ إن تنحني الحربُ فقد حيتُ
 وإن تولَّيتُ فما بقيتُ
 ثم حمل على القلب ، فلم يُثنَّ حذو ، حتى قتل بسهم رمى به ، وذلك
 في شعبان سنة خمس ومائة .

وبلغ للنصور موته فقال : « إن سبني بالمغرب قد انقطع ، فإن دفع الله عن
 المغرب برح دولتنا وإلا فلا مغرب » . وقال الحكم بن ثابت السدي من وفد
 سلامة بن جندل يرى الأغلب :

لقد أفسد اللوت الحياة بأغلبه غداة غدا للوت في الحرب مُطْلِمًا
 / تبدت له أم اللابا فأقصدت [فتى حين] يلقي اللوت في الحرب صَحْمًا ^(٣) [٢١-١]
 أبا غزواتٍ ما تزال جِادُهُ تُصْبِحُ عنه غارةٌ حيث يما
 أنه للابا في القنا فاخرمته وغادرته في ملقى الخمل مسلما
 كأن على أثوابه من دماهِ عَيْطًا ، وبالغدير والنخِر عندما
 حَبَاتٍ شهيدًا نال أكرمَ ميتةٍ ولم يَبْنِ عُمرًا أن يطول ويسقما

(١) وردت هذه الأبيات في سياق الفخر ، ولم ينتبه الناس إلى أنها شعر .

(٢) الشطر الأخير من هذا الرجز مكسور . وقد أضفت ما بين حاصرتين في الشطر
 الثاني لسياق الوزن ، وظاهر أنه يخاطب الحسن بن حرب ، ومن هنا أخذت عبارة « يكن حربا » .

(٣) ورد الشطر ناقصا في الأصل فأكلته بما يقم الوزن .

١٩ - الحسن بن حرب الكندي

كان بتونس ، قدام على الأغلب بن سالم — حسبما تقدم خبره — وخالفه وسار إلى القيروان فلم يذفقه أحد عنها حتى دخلها . وبلغ أبا جعفر للنصور تنازعهما ، فكتب إلى الحسن بن حرب يحضه على الطاعة . وكان من كبار القواد وأبطال الفرسان بإفريقية ؛ وهو القاتل يوجب الأغلب عن آياته للذكورة قبل :

ألا قولاً لأغلبَ غيرَ سِرِّ مُثَلَّةَ عن الحسن بن حرب
بأنَّ للوتَ ينكمُّ ويبنى وكأسُ اللوتِ أكره كلِّ شربِ
رويدكم ، فيومكم ويومى — وإنَّ بقُداً — مصيرهما لقربِ
ثم تقاتلا بعد ذلك ، قُتِلَ الأغلبُ وصاح صائح : « مات الأمير ! » . وكان سالم بن سودة التميمي في الليمة ، وهو ابن عم الأغلب ، فقال : « لا أنظر إلى الدنيا بعد اليوم » . ووقع في عسكر الحسن الصياح : « مات الأمير ! » فظنَّ أن الحسن هو القاتل ، فولوا منهزمين ، وركبهم سالمُ بن سودة والخارق بن غفار الطائي بالسيف ، فقتل من أصحاب الحسن مقتلة عظيمة ، واتَّبَع هو قُتِلَ بتونس . ويقال إنه أتوا به مقتولاً إلى القيروان ، فصلبه الخارق يومَ السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة .

٢٠ — يزيد بن حاتم بن قيسبة بن المهلب بن أبي صفرة

الأزدى العتكي ، أبو خالد

ولى إفريقية في خلافة أبي جعفر للنصور ، فأصلحها ورتَّب أمر القيروان

وجدد أمر للمسجد / الجامع . وكان غايةً في الجود مُمدِّحاً ، كثيرَ الشبه بمجده [٢١-ب] **المُهَلَّب** في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه ، خاصاً بأبي جعفر للنصور ، وكان لا يُحِبُّ عنه . وولّى ولاياتٍ كثيرةً قبل قدومه إلى الغرب ، منها : أرمينية ، والسُّد ، ومصر ، وأذربيجان وغير ذلك .

وقدم إفريقيةً من مصر — وكان والياً عليها — في ذى الحجة سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة اثنتين وخمسين^(١) . وحُكي عنه [أنه] قال : لما ولاني أبو جعفر دخلتُ عليه فقال لي : « يا [أبا] خالد ، بادر النيل قبل خروج الرايات الصُفُر وأصحاب الدواب البُتُر »^(٢) .

(١) تولى يزيد بن حاتم مصر من يوم الاثنين ١٥ ذى قعدة ١٧/١٤٤ مارس ٧٦٢ إلى يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ٣/١٥٢ مايو ٧٧٠ .
انظر : أبو الحسن بن قنبري ، انجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب بالقاهرة) ج ٢ (١٩٣٠) ص ١ وما يليها .

(٢) المراد بهذه الإشارة هنا العلويون ، وكان أبو جعفر المنصور مهموماً بأمرهم خلفته كلها ، وعلى رغم ما أنزل بهم من مقاتل وبنصايرهم من أذى وتغليب فقد غل متخوفاً منهم إلى آخر أيامه . وكان أنصار العلويين في مصر كثيرين ، فكان المنصور يخشى أن يثوروا بها ، فبادر إلى عزل حميد بن قسطل^١ وأرسل يزيد بن حاتم ، وكان من قُمر ولانته وأثرجه إلى نفسه . وقد كان أبو جعفر مخفياً في تخوفه ، فتمن فمراً عند أبي الحسن : « وفي أيام يزيد بن حاتم المذكور ظهرت بمصر دعوة بني الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتكلم بها شمس ، وبيع الكثير منهم لبني الحسن في الباطن ، وماجت أئناس بمصر ، وكذا أمر بني الحسن بن علي ، وبيعة كانت باسم علي بن محمد بن عبد الله (بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وعال هذا هو ابن محمد النفس الزكية ادعى قله المنصور في المكنية وأخاه إبراهيم في البصرة سنة ١٤٥) .

وبينا الناس في ذلك قلم الزيد برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، فنصب في المسجد ألياما . (ر. لمحاسن ١/٢ - ٢) .

وقد بلغ من خوف يزيد بن حاتم من دعاة الدعوة أن منع أهل مصر من أخرج سنة ١٤٥ هـ . ولم يوفق يزيد بن حاتم في القضاء على دعوة العلوية في مصر ، فزله المنصور سنة ١٥٢ وأقام مكانه عبد الله بن عبد الرحمن حفيد معاوية بن حنبلج زعيم الثمانية في مصر وعمل على أبي طالب أثناء الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .

ثم استقدمه — بعد أن قُتل عمر بن حفص المُهَلَّبِيّ — فولاه إفريقية والمغرب
وشيّعه إلى فلسطين ، ففسده الأمراء والرؤساء . وكان المنصور يقول : « ما أخطأت
في شيء من تدبيرى إلا في ثلاثة أشياء : تشييع يزيد بن حاتم .. أرايت لو نكث ،
أكان يحسن بى أن أرجع ، أو كان يحسن بى أن ألقى الجيش بنفسى ؟ ويوم
الراوندية ^(١) وقوفى على باب الذهب .. أرايت لو أن رجلا رمى بسهم ، أليس
دى كان يذهب ضياعاً ؟ وقتل أبامسلم وأنا فى الخرق ^(٢) ، ومعه أهل خراسان
ثلاثون ألفاً يهدونه من دون الله » .

وفى يزيد هذا يقول ربيعة بن ثابت الرُّقِّيّ من بنى أسد — وقد وفد عليه —
آيياته السائرة فى الناس إلى اليوم :

لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَغْرُ بْنُ حَاتِمٍ
يَزِيدُ سُلَيْمٌ سَالِمٌ لِلْمَالِ ، وَالْفَتَى أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمٍ
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيّ إِنْ لَافُ مَا لِه وَمُ الْفَتَى الْقَبِيسِيّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسِبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْكَارِمِ
يريد بالتَّمَتُّامِ — وهو المتردد فى التَّاء — يزيد بن أسيد السُّلَيسِيّ . سماء للمبرد ،
وهى من قصيدة حسنة يقول فيها :

أَبَا خَالِدٍ أَنْتَ النَّوْءُ بِاسْمِهِ إِذَا زَلْتَ بِالنَّاسِ إِحْدَى الْعِظَامِ
كَفَيْتَ بَنَى الْعِبَاسِ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَكَفْتَ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ مَزَاحِمِ

(١) الراوندية جماعة من شيعة فرس ينسبون إلى راوندقرب أصفهان ، أسرفوا فى تشييعهم
لعل بن أبي طالب حتى قنوا إلى الروح التي كانت فى عيسى بن مريم حلت فيه ، ودعوا إلى تأليه
الأئمة ، وذهبت جمعة منهم إلى عبادة أبي جعفر المنصور ، وقد حاربهم المنصور وقتل منهم
كثيرين وحبس كثيرين أيضاً فى سجون بغداد ، فاجتمعوا فى السجن وكسروا أبوابه ، وخرجوا
واتجهوا إلى قصر المنصور ، فخرج إليهم بنفسه ، فتكاثروا عليه وكادوا يقتلونه لولا أن أنقذه
من بن زائدة الشيباني . وقد كداه المنصور على ذلك بولاية اليمن . وإلى يومه هذا مع الراوندية
يشير هنا . (راجع خبرى ، ج ٦ ص ٣٠٧ وما بعدها)
(٢) لى وأنا فى وقت ثورة واضطراب .

ويقال إن ربيعة لما مدحه بهذه القصيدة استبطأ يره وصلته فقال :

أراني — ولا كفران لله — راجعاً بخفي حنين من يزيد بن حاتم [١-٢٢]

فبلغ ذلك يزيد ، فدعا به وقال : « ازعوا خفيه » ، فزعوا وهو خائف من عقوبته على ذكره خفي حنين ، فلأما له دراهم ودنانير — وكانا كبيرين كأخفاف الجند — ثم وصله بعد ذلك بصلاتٍ جزيلة . وهذه القصة ^(١) شبيهة بقصة أبي المتاهية مع عمر بن العلاء ^(٢) حين استدحه بقصيدته التي يقول فيها :

إني أمنتُ من الزمان ورَبِّيهِ لما عَلِقْتُ من الأمير حبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لَخَذُوا له حُرَّ الخدودِ نعالاً
ما كان هذا الجودُ حتى كنتَ يا عمرُ ، ولو يوماً نزولُ لزالا
إنَّ للطايا تشكيك لأنها قطعتُ إليك سَبَاسِياً ورملاً
فإذا وَرَدَنَ بنا وَرَدَنَ نُحْفَةً وإذا صَدَرَنَ بنا صَدَرَنَ قِبالاً
فأخَّرَ عنه يره قليلاً ، فكتب إليه يستعطيه :

أصابتُ علينا جودك العينُ يا عمرُ وعزَّ ليما نبغي التمامُ والنشرُ
سنزقيك بالأشعار حتى تملأ فإن لم تُفِقْ منها رقيقك بالشورُ
وقال أيضاً :

يا ابنَ العلاءِ يا ابنَ القرمِ مرداسٍ إني لأطربك في صُخبي وجُلَاسِي
أثنى عليك — ولي حال تكذُّبِي فيا أقول — فأستحيي من الناسِ
حتى إذا قيل : ما أعطاك من صَدِيدٍ ؟ طأطأتُ ، من سوءِ حالِ عندها ، راسِي
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : « لا تدخله عليَّ فإني أستحي منه » .
وروي أنه وصله عليها بسمعين ألف درهم ، فحسده الشراء وقالوا : « لنا بيباب

(١) الأصل : القصيدة .

(٢) هو عمر بن العلاء ، معنوق عمرو بن حريث (انظر : الأغاني : ٤٤/٣ و ١٣٧)

الأمير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا إلى بعض هذا » ، فانصل ذلك به فأمر بإحضارهم . وقال : « قد بلغني الذي قلتم . وإن أحذركم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها ، فلا يصل إلى اللدح حتى تذهب لثة حلاوته ورائق طلاوته . وإن أبا المتاهية أتى [٢٢-ب] فشبب / بأبيات يسيرة ، ثم قال : إن الطايا تشتكيك » ، وأنشد الأبيات .

ومن شعر يزيد بن حاتم :

ما يألف الذرم للضروب خير قتنا إلا لتماماً قليلاً ، ثم ينطلق
يمرّ مرّاً عليها وهي تلفظ إني امرؤ لم يحالف خير قتي الوراق^(١)
وتوفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائة .

٢١- الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب^(٢)

ولاه الرشيد إفريقية ، فقدم على القيروان في الحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، ويقال إنه لم يلب إفريقية أجلاً منه ومن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب .

(١) وردت هذه أبيات أيضاً في عين مغرب لابن عماري (٨١/١)

(٢) هذا الخامس رجب من سنة المنصب يتولى أمر إفريقية للعباسيين . واخليفة أنه منذ قرر المنصب بن سه بن عتار في سنة ٧٦٥/١٤٩ إلى ولاية ابنه إبراهيم سنة ٨٠٠/١٨٤ ، أي في هذه نسوة لأخيه . كانت إفريقية في يد رجل من بيت المهلب بن أبي صفرة فيما عدا فترات قصيرة جداً . وهذا البيت الذي تولى مصائر إفريقية خلال أعصاب فترة مورت بتاريخها قبل المنية جدير بدمية وحده . فقد كان رجلاً عربياً خالصاً تمثل فيهم صفات العرب الأولى في جري صورته . كانوا نجباءً كرماء ذوي ثبات وحزم وعزم ، وكانوا إلى جانب ذلك - وهم في حجة محلية من خلتهم - متلونين لا ينتظرون إلى بعيد . ولا يفكرون في خلة بعيدة مدى اتلاف الخطر حتى تحاطت إفريقية على أيادهم ، إنما كانوا ينتظرون حتى تشد الأزمة ويعظم الخطر فيهبون لنفخه في بؤنة وعزم وذكاء وحيلة ، ولم تكن تلك هي السياسة =

واستعمل على تونس المنيرة بن بشر بن روح ابن أخيه ، وكانت تونس
ظليمة القيروان حتى إن أبا جعفر التصور كان يقول : « ما ضلت إحدى
القيرواَيْن ؟ » ، يعنى تونس .

وكان المنيرة غزياً لا تجربة له بالأمر ولا معرفة بتصاريفها ، فاستخف
بالجند وسار فيهم بما أنكره ، فكتبوا إلى الفضل بذلك فلم يزل عنهم ، فقدّموا
— في قصة طويلة — عبد الله بن الجارود المبدى^(١) وأخرجوا المنيرة .

وكتب ابن الجارود إلى الفضل : « إلى الأمير الفضل بن روح من عبد الله
ابن الجارود . أما بعد ، فإننا لم نُخرج المنيرة إخراجاً خلاف عن الطاعة ، ولكن
لأحداث فيها فساد الدولة . فولّ علينا من نرضاه ، وإلا نظرنا لأفسنا . وواسنا
بالأسلاف^(٢) كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك ، وإلا فلا طاعة لك علينا » .
وكتب في أسفل الكتاب :

— الكفيلة بتأمين بلد استعرب أهله وأيقظ الإسلام فهم وعياً بعيد المدى حفزهم على طلب الحكم
والرفعة في الاستئثار به وإقامة دول عربية مستقلة . وقد قام تفكير الكثيرين منه على مبادئ
الإباضية ، وهي دعوة خارجية سياسية ترمي إلى إنكار حق الاستئثار بالحكم والخلافة على بيت
سمين ، وتجعل الحكم ولاية يتولاها الأصلح بترافق المسلمين ، وتدعو من فاسية أخرى إلى
التعاون والتأخي بين أفراد الجماعة الواحدة . ولم يبرز عما الإباضية على هذه المبادئ ، وإن كان
أتباعها قد طبقوها فيما بينهم وأنشأوا جماعات عربية إسلامية من التجار والزرايع والصناعات ،
كما نرى عند الإباضية جربة . وكان من الطبيعي ألا يستطيع ولاية بني العباس من آل المهلب نيات
طويلاً أمام جماعات الإباضيين ، وكان أكبر ما أضعف الولاة حرص خلفاء بني العباس على تقصير
مدد ولايتهم خوفاً من وثوبهم . وقد تبين بنو العباس خطأهم في ذلك ، وافتحوا إلى ترك فريقية
في يد إبراهيم بن الأعلب وأولاده تحت طاعتهم ، وبهذا بدأ عصر جديد في تاريخ السيمى الإفريقية
الإسلامية .

(١) هو عبد الله بن الجارود بن عبدويه . وقد وهم ناشر ابن عذاري فجعله عبد ربه .

(٢) الأسلاف هنا مصطلح خاص لم أجده له تعريفاً فيما بين يدي من المراجع ، ولكني

فهمت من التفصيل الطويل الذي يقدمه التويرى عما وقع بين الفضل بن روح وعبد الله بن
الجارود بن عبدويه أن الأسلاف كانت معاونات مالية يرسلها الولاة إلى الظاهرين من أهل النواحي —

[٢٢-١] / إنا أنى عنك ما سئَلُ منهُ وبالأ إن عَصَيْتَ عَلَى الْعَقْلِ
فإن تَرْجِعْ تَنَلْ سَلَامًا وَأَمْنًا وإن تَجْمَعْ فَلَسْتَ بِمُسْتَغَالٍ
وإن لِيَنْ أَطَاعَ عَلَيْكَ فَضْلًا كَفَضْلِ يَدِ الْيَمِينِ عَلَى الشَّامِ
وَلَسْتَ بِمَدْرَكِ الْأَسْلَافِ حَتَّى تَفَاوَلَهُنَّ قَسْرًا بِأَهْوَالِ

ثم بعث عبد الله بن يزيد المهدي والياً وضم إليه كثيراً من أصحابه . فأخرج
 أن الجرود جماعة يختبرون ما قد واه له ، ونهزم عن الحرب . فلقوهم ببسمة
 توس فقتل عبد الله — في خبر يطول ذكره — وأسر القواد الذين معه . وأدى
 ذلك إلى محاربة النصل لغيروان ، فغلب عليها جنادي الآخرة سنة ثمان وسبعين

هو: ذر، حركته يصوب حسب بؤرة؛ صرعه مع اسلوي عليم. وقد قطعها الفصل بن حاتم
ووصف من حوس مغيرة بن حرق روح. وهو بن أبي فصل.

عمر سويدي: مائة كبر. حرمان، حصار بحريقية والأندلس، نثرهما مارقاتو
حسب ربحو في:

Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino.
Granada.

أشاع من عدد ربيع (محمد حامد) سنة ١٩١٥ وأخطئه الخاصة بالحوادث التي نشأت إليها
وربما في عدد - من محمد - سنة (١٩١٦) ص ١٢٦ - ١٤١ .

وسند. و قد مرّ من آراء مصطلح "مادة" - مادة لأرب لمويري .
(١) دُعي دحوب و يعود هي حيوف .

ومائة ، وسُيِّرَ في أهل بيته ، ثم استُرجِعَ من طريقه وهو متوجه إلى قابس ،
فحبس مع رجلين من أصحابه ، ثم دخل عليه الجند فقتلوه في محبسه . ومن
شعر الفضل :

وَمَارَسْتُ هَذَا الدَّهْرَ خَمِينَ حَبَّةً وَنَصَفَا أَرْجَى قَابِلًا بَدَّ قَابِلِ
فَلَا أَمَا فِي الدُّنْيَا بَلَنْتُ جَسِمَهَا وَلَا فِي الدِّيْ أَمْوَى كَدَخْتُ بَطَائِلِ
وَقَدْ أَثْمَرَعَتْ فِينَا الْمَنَايَا أَكْفَهَا وَأَبْقَيْتُ أُنَى رَهْنُ مَوْتٍ مُعَاجِلِ

٢٢ — سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى

لما عَظُمَ على الفضل بن روح أمرُ ابنِ الجارود وخروجه عليه بتونس وزحفه
إليه ، جمع أهل بيته وقال : « ما ترون في هذا الأمر الذى لا يَخْصُنِي دُونَكُمْ ؟ »
فكَثُرَتِ الآرَاءُ ، فقال ابن عمه سعيد : « أَطِئْنِي الْيَوْمَ وَاعَصْنِي فِيمَا يَسْتَأْفُ .
سَدُّ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا إِلَّا بَابًا وَاحِدًا ، وَتَدْخُلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَصَارُ سَنَةً .
فَوَاللَّهِ لَكُنْى أَنْظَرُ — إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ — قَدْ دَخِلَ عَلَيْكَ مِنْ آمَنِيهَا
عِنْدَكَ » . وقال في ذلك يخاطب الفضل :

أَرَى الْحَرْبَ قَدْ مَدَّتْ إِلَيْنَا سِاقِيهَا وَقَلْبُكَ يَقْظَانُ شَيْئَهُ بِنَاقِمِ
نَحْذَرُ لِيُهَوِّدَ الْحَرْبُ أَهْبَةً يَوْمِهَا وَتُثْمَرُ لَهَا الْأَذْيَالُ قَبْلَ التَّنَادِمِ
/ فَإِنْ كُنْتَ تَحْمَى الْقَرْبَ فَاشْدُدْهَا الْقَوَى تَنْلُ ظَفَرًا ، أَوْ تَلَقَّ مَوْتَ الْأَكَارِمِ [٢٢-٢٣]
فَلَيْسَ يُرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا فَوْسَنَا أَوْ النَّقَى مِنْهَا يَا ابْنَ رُوحِ بْنِ حَاتِمِ

وقال أيضا :

ألا قلّ لفضلٍ إنّي لك ناصحٌ فلا تسمعنُ بما يُشيرُ ابنُ وائلٍ^(١)
فإنك إن تسمعَ لأقواله تَمُدَّ إلى أسدٍ في كُبَّةِ الخيلِ لا يدُ
ستذكرُ قولي حينَ ليسَ بنافعٍ إذا شَقَّتِ الأرماعُ نحرَ القلائدِ
نخاله الفضلُ فكانَ ما تقدم من أمره .

٢٣ — أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم

كان مع ابن عمه الفضل بن روح بن حاتم في حروبه بإفريقية ، ثم قُرفَ
عنده بمالائه عدوه الخارج عليه ابن الجارود المعروف بعبْدُوِيَّة ، فغلَّ صدرُ
الفضل عليه حتى كتب إليه :

أرى السُّنَّ الحسادَ فيك كأنها سهامٌ تنكأ من قِبيٍّ نِصالٍ

(١) لم نستطعُ نحرف عن ابن وائلٍ ، ولكن يطلب على أن المراد به محمد بن يزيد
النفارسي ، وكان من أُمُر من رذل الفضل بن روح بن حاتم ، وكان سعيد بن يزيد بن حاتم
يشك فيه ويحذر عنه نصراً . وقد كان اختلاف آراء رجال الفضل سبب ضياع أمره ، وقد
أشهر ابن زنادي ذلك بقوله بعد ذكر القتال الثَّوْنُ بين الفضل وابن الجارود وحصار
هذا الأخير للقيروان : فاجتمع بعض مع بني عمه وخاصته ، وتشارروا معهم في أمره فاضطرب
الأمر عليه ، ويصحُّ به أمره . وقد تولى الأمر يستخول ابن الجارود القيروان واستيلائه على
الأمر ، ثم خرج يفسد وجهه في حرارة فخر من رجاله ليخرجوه من حدود إفريقية ،
وكن ابن الجارود قته بعد ذلك في صعد من ١٧٨ / أكتوبر ٧٩٤ (ابن زنادي : ٨٨ / ١ -
٨٩) . وقد قتل حاتم محمد بن يزيد لندري (ونظر أنه ابن وائل) اللقاع عن نفسه ،
وأثار على رجل ابن الجارود بذا يقتلوه ، فلم يسموا له . (التويري ١٢٧ - ١٢٩) .

يقولون قد كاتبَ عَبْدُؤَيٍّ^(١) في التي إذا نلما أولئك شرًّا وِإِلِ
وقالوا وعدت القومَ عندَ لقائهم رجوعاً عن الهيجا بغير قتال
وليس الذي مَنَّاكَ عَبْدُؤَيٍّ كائنًا فدفعهُ ولا تَركنَ لِقولِ ضلال
ألا إني لم أَسِرْ فيكَ مُصَدِّقًا لأقوالهم ، والصدقُ خيرُ مقال
فلما وردت الآيات على عبد الله علم أنه اتهمه ، فأجابهُ بقوله :

لَعَمْرُكَ لولا ما اتَّهمتُ لما أَنتَ قوارضُ أبداهنَّ شرُّ مقالِ
أظنُّ ابنَ رُوحٍ أني كنتُ قاطعًا يميني التي أسطو بها بشالي^(٢)
وهبني تناولتُ التي كنتُ خِفَتها فكيف اعتذارى فيكَ بعدَ فِعالِ^(٣)
فلا تحسبني مُسْلِمًا إن لقيتهم لأسيهم ظهري بغير قتال
فقال الفضل عند قراءة جوابه : « لو كان حسادنا يتركون البغي على حال
لتركوه على مثل حالنا هذه » . ثم أخرجه إلى قتال عَبْدُؤَيٍّ بن الجارود فهزمه
عبدُ الله بن يزيد ، ثم عاوده الحرب فهزمه عَبْدُؤَيٍّ / وانصرف عبد الله إلى [١-٢٤]

(١) المراد هنا عبد الله بن الجارود بن عتبويه . نرى نثره رجيحاً ، وقد كان عوًّا مُفضِّل
ابن رُوح وزعم الخارجين عليه ، وتمكن من قتله وإخراجه بغيته يميني مُسلم من إفريقية وتولاها
سبعة أشهر انتهت في ربيع الآخر سنة ١٧٩ / يونيو ٧٩٥ بقسوم حرمة بن عيسى "مير" على
إفريقية من قبل نرسية . وقد قص التوتري عملاً بن الجارود على خروجه من إفريقية بتنصيب
(١٧٦ - ١٨١) .

هذا وضعت سم عبوي على هذه الصورة في شعر نفس وابن عمه عبد الله بن دليم
واضح من أن الاسم كان يتعلق عبويّة متابعه سلق نغراسي . لا عبويّة كما تعود أن تقرأ .
وهذا يؤيد ما ذهب إليه المستشرق إينو ليان من أن الأسماء التي تسمى به - وبه - مثل سيويه - ينفرد
تتعلق سيويه ونظويّه وعالويّه . وهكذا كان العرب ينطقون كما ترى في هذا الشعر .

(٢) في الأصل : بشال .

(٣) في الأصل : بفعل .

القيروان مفلولاً ، فكان مع ابن عمه الفضل إلى أن تكلم عليه ابن الجارود ، ثم قتله بعد أن استرجعه من طريقه ، وأطلق عبد الله بن يزيد وأمره وأخاه للهرب بن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالتجوز والخروج من إفريقية ، فخرجوا إلى الشرق .

٢٤ — سليمان بن حميد الغافقي ، أبو داود^(١)

فارس العرب فاطمة بالمغرب في عصره ، وأحسن الناس لساناً ، وأبلغهم إلى معرفة أيام العرب وأخبارها ، ورواية لوقائعها وأشعارها ، مع دعاية كانت فيه وعبث لا يدعه ؛ مجلت عنه في ذلك نواذر مستطرفة وحكايات مستملحة .

وخافه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع التهمري فسجنه وأخاه محمداً ، ولم يكن يدونه . وكان محمد — وهو أكبر من سليمان — والياً على الأزرُس ، فنار على عبد الرحمن بن حبيب . وسرحهما إلياس بن حبيب — حين قتل أخاه عبد الرحمن^(٢) — وولى إفريقية بعده ، واستعان بهما في ذلك وعاش

(١) فرغ ابن الأثير بعد الترجمة لعبد الله بن يزيد بن حاتم من أمراء مصر الأول في المغرب والأندلس الذين روى لهم شعر ، وبدأ بعد ذلك بالترجمة لمن عاصروا من وجوه الناس من ثمر عنه شعر ، وبدأ بسليمان بن حميد الغافقي هذا ، وكان معاصراً لعبد الرحمن بن حبيب الذي سئلت عنه في التعليق التالي .

(٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع التهمري مفاسد كبير قضي عمره كله في طلب الولاية والفتن والقتال في الأندلس والمغرب . وقد ظهر أمره بعد مقتل كلثوم ابن عياض القشيري في معركة حامية دارت بينه وبين خالد بن حميد الزناتي خليفة ميسرة المدغري وأنصارها من الإباضيين والصفرين ، وكان أبوه حبيب بن أبي عبيدة يتولى قتال خالد بن حميد الزناتي قبل أن يأتي كلثوم ويتولى القيادة بعده ، فتم حبيب بن أبي عبيدة واختلط مع كلثوم ابن عياض القشيري ، وكانت نتيجة انهزام كلثوم ومقتله وفرار حبيب بن أبي عبيدة إلى =

سليمان [... ...]^(١) يزيد بن حاتم الملقب بقصدوا قسطنطينية . وهو القاتل في يوم أبي زرجونة^(٢) :

وما إن صددنا عنهم خوفَ بأسهم وحاشا لنا أن تنقِ بأسَ بربرنا
وإنا إذا ما الحربُ أشمرَ نارها لَلقَى النايَا دارعينَ وحُسرنا
وتقدُّو بصيرٍ حينَ تشتجرُ القنا فلستَ ترى منا على الموتِ أصبرنا
ولكنْ أردنا ذلَّ قومٍ تظاولوا علينا وأبدوا نخوةً وتكبرنا

= إفريقية بدستة من فل الجليش وفر بلج بن يتر ابن أخت عياض بدستة أخرى إلى غرب حيث تحصنوا بسبته كز رويتا . وفي أثناء ذلك هرب عبد الرحمن بن حبيب إلى الأندلس ، وحاول الوصول إلى سلطان فيها ففشل ، فقاد إلى إفريقية في جادى سنة ١٢٧ ، وجمع ففرا من أنصار ببنه - بيت عنة بن فافع - وسار لمدينة حصنة بن صفوان انتهى تولد أمر إفريقية في ربيع الآخر سنة ١٢٤ . وقد رأى حنبل من مو- فمر عبد الرحمن وفنه تورعه عن أى عمل للوصول إلى السلطان ما جعله من العمل في إفريقية تركها في جادى لآخر سنة ١٢٧/ مارس ٧٤٥ وانفرد بمهرها عبد الرحمن بن حبيب ، وتار عليه مصر رؤسائ ، فخاص معهم حروبا طويلة انتصر فيها ، وتمكن من أن يستصدر من مروان بن محمد أمرا بدقائه وأيا على إفريقية والأندلس . ولما انتقل الأمر إلى العباسيين دخل في صاحة عبد الله سلفاح ثم انقلب عليه . وكان يعينه في ذلك كمة إخوانه إلياس وعمر بن عبد الوارث . ثم غلب مع أخويه إلياس وعبد الوارث ، فدبر اغتيال أخيهما عبد الرحمن وإعادة دعوة بني عباس ، وتمكن من قتله . وتولى الأمر إلياس بن حبيب ، ولكن حبيب ابن أخيه عبد الرحمن لم يسكت لمقتل أبيه وانضم إليه عمران . ودرت رحى حرب طويلة انتصر فيها حسب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلياس وقتله ، وتولى أمر إفريقية . وهرب عبد الوارث نحو إلياس وحليفه إلى قبيصة من البربر تسمى ورغوجوت وتارده على حبيب بن عبد الرحمن . ولم يستطع هذا البيت لورقجومة وزعيمها حاسم بن جيل ، فانهزم وقتل في نحره سنة ١٤٠/ مايو ٧٥٧ . وكانت ولاية عبد الرحمن ابن حبيب ١٠ سنين وأشبها ، وولاية إلياس ٦ شبر . وولاية حبيب بن عبد الرحمن ستواحدة و٦ أشهر . التويرى : ٤١ - ٤٦ .

(١) عياض بالمصل ، يمكن ملؤه بعبارة مثل ، وينوه إلى أيامه .

(٢) لم أجد تعريفا لهذا اليوم فبق بين يدي من مراجع .

فی الصلۃ ، قال أئلمہ بآسماء بنید ہرئمۃ أحاب دئسم و صلفۃ ، کہہ رکھ احروح =

وهو القاتل أيضاً في مصرع مالك بن المنذر ، مخاطب القلاء بن سعيد
عند ما رُحِفَ إليه :

أني كلُّ يومٍ نائمٌ قَتُفٌ بفضلي^(١) ، وما يفكُّ لفضلٍ نائمٌ
قَتِيتُ لِنَفْسِي النَّذْرَ في قتلِ مالك وإني لها قتلَ القلاء لَناذِرُ
فما للقلاء خيرةٌ في لقائنا وليس له في الناس إن مرَّ عاذِرُ

٢٦ - مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله

كان والياً على «ميلة» ، فدعاه جند حصن وغيرهم من العرب فأثروه
لطلب ذر الفضل بن روح . واجتمع إليه الناس والتقى هو وابن الجارود فانهزم
أصحابُ مالك ، فترجّل عن فرسه وشدّ في مرٍ من أصحابه وهو يقول :

يا موتُ إني مالكُ بنُ المنذرِ أَهِيكَ حَنَوُ التَّيْهِمِ وَالسَّوَرِ
[٢٥-١] / أَقْتُلْ مَنْ صَارَ أَوْ لَمْ يَصِرْ كَأَنِّي أَفْلُ مَا لَمْ يُقَدَّرِ

من يمنية وقد وقع له مر ، فترك شير وقت لمر فأحسوه ، وقتلوا
هذه . وفي سنة ١٠٠٠ م ، فُكُو سَام حُلِي على هذا العرب ، ولكن أخرج
في سنة ١٠٠٠ م من مصر فمكّم به . وما صدرتُ أسيراً فموتُ هزيمة . وم يصح
أن يكون له مر ١٠٠٠ م . من صدر به معسكر يمنية وقد أسوى الله على الصبر
به ذلك من صدر به . وفي سنة ١٠٠٠ م ، صاحب حصن في إخراج ابن الجارود من المغرب
وتخيم به . فآخذه هزيمة حردسية . وترس به برسد ١٠٠ ألف درهم سوى الكساء ،
وخرج يريه . وقت مصر . وكان سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٥٠ م . أسيرى ١٢٩ - ١٣٠ .

(١) يريه حصن روح حة

نخرج إليه ابن الجارود وهو يقول :

إلى فاذن ، مالكَ بنَ مُنذرٍ أنا الذى قتلْتُ ربَّ النَّبَرِ^(١)
جرَّهْتُه كائنَ الحِجَامِ الأحمرِ فاصبرْ ستلقاهُ وإن لم يصبرِ
فقتل مالكَ بسهمٍ وانهزم أصحابه .

٢٧ — العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى

كان والياً على الزاب ، فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود . ولما وصل إلى
الأرُس اجتمع مع أهل الشام ، وبلغ ذلك ابن الجارود فقال : « أفى كلِّ يومٍ
ثأرتُ قد قتلته » . . الأبيات الرائية المقدمة ، وكتب إليه كتاباً معها لحاوبه
العلاء عنه وقال يخاطبه :

لمرك يا عَبْدُوى ما كنتُ تاركاً دمَ الفضلِ أو يكسُونِي التُّربُ ثأرُ
نذرتَ دى فأنظرُ إذا ما قيتنِي على مَنْ بكأسِها تدورُ السَّوائرُ
ستعلمُ إنْ أشبتُ فيكَ محالِي إلى أَى قِرْنٍ أَسَلْتِكَ للقادرُ
ثم أقبل العلاء فصادف ابن الجارود قد خرج إلى يحيى بن موسى خليفة
هرثمة بن أعين ، فكان العلاء يدعى أنه الذى أخرج ابن الجارود من إفريقية .

(١) الإشارة هنا إلى عصر بن روح بن حاتم أيضاً .

٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي^(١)

أصل سلفه من أكنشونبة ، وصارت بها لقبه رئاسة بعد افتراق الجماعة بقرطبة إلى أن غلب على آخرم للمتصد عباد بن محمد صاحب إشبيلية .

وسكن إبراهيم هذا - وهو والد يحيى بن إبراهيم بن مزين النقيع صاحب تفسير اللوطا - قرطبة ، وكان يتعاقب مع الحجاب وجليه الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام . ثم ولاء إمارة طليطلة أحوالاً متصلة ، وكان قد وليها قبله جده إبراهيم بن مزين الكاتب ، وابن الفرغسي يجعل بني مزين موالى [٢٠-ب] رمة بنت عثمان بن عفان / رضى الله عنه . وإبراهيم بن محمد هو القائل :

يأبى أنت من غزالٍ مليح ليس فيه لمن تأمل «لولا»
روضة الحسن فيك تزهى ولكن كل حول يبق ريبك حولا

٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم العكي

ولاه الرشيد إفريقية بعد هرثمة بن أعين ، وكان - فيما يقال - رضيع

(١) بنو مزين أسرة معروفة في الأندلس ، وأشتهر رجلاها محمد بن يحيى بن مزين المؤرخ والنقيع المعروف . ولا جد عن إبراهيم هذا إلا إشارة يسيرة يبدو أنها تدور على جده إبراهيم بن مزين أيضاً (نحسى . بغية الختم ، رقم ٥٢١ ص ٢١٠) . أما يحيى ابنه فقد ترجم له ابن الفرغسي وقد رآه مولد بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، من أهل قرطبة ونسبه من ضبيعة ، وهو تسمية يحيى بن دثار ويحيى بن يحيى والتغزوين قيس وطبقهم ، أى أنه من طبقة الثانية من ملكية الأندلس . وله كتب كثيرة ذكرها ابن الفرغسي (رقم ١٥٥٦ ص ٢٤-٤٧) توفي ١٢ جمادى الأولى ٢٥٩/١٧ مارس ٨٧٢ .

الرشيد . وكان جعفر بن يحيى شديد العناية به ، فقدم القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان ، وكان أبوه مقاتل بن حكيم من كبار القائمين بالدعوة العباسية ، وحضر مع قسطنطين بن شبيب حروب الرواية ، ثم قتله عبد الله بن علي لما خلع وأدعى الأمر .

ولم يلبث محمد بن مقاتل أن اضطرب أمره ، واختلف عليه جنده ، وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي — وكان عامله عليها ، وهو جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب « طبقات إفريقية » — فزحف إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، فخرج إليه ابن العكبي فانهزم ، ودخل تمام القيروان في آخر رمضان المذكور ، فأمنه على دمه وماله على أن يخرج عنهم .

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزاب ، فنهض منها في نصرة محمد بن مقاتل . وعلم تمام أنه لا طاقة له به ، فدخل عن القيروان ورجع إلى تونس .

ودخل إبراهيم القيروان ، فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب الناس وأعلمهم أن أميرهم محمد بن مقاتل . وكتب إليه فأقبل راجعاً^(١) .

وأراد تمام أن يُحرش بينهما فكتب إلى محمد بن مقاتل كتاباً في آخره^(٢) :
وما كان إبراهيم من فضل طاعة يرُد عليك الشكر لكن لتقتلا
فلو كنت ذا علم وعقل بكيديه ما كنت منه يا ابن عك لتقبلا
فهما تشا يمتنعك منه ابن غالب ومهما يشا فيك ابن أغلب يفعلا

(١) ورد التويري (١٣١ - ١٣٢) وابن عذري (٩٠/٢) أخبر بتفصيل . قال ابن عذري : « فشل ابن أغلب بغيره ، وابتدر المسجد اجمع ، وصعد المنبر ، وكان بليغاً ، فعلم الناس أنه ما وصى إلا لنصرة محمد بن مقاتل ، وقد هو أمرهم انقده عليهم من أمير المؤمنين ، وكتب إلى العكبي يخبره بما فعل في حقّه ، ويؤكد عليه في الوصول . فأقبل راجعاً . . . »

(٢) راجع نص هذا الكتاب عند ابن عذري : ٩١/٢ .

فجأوبه العكي بضمض ذلك وكتب في أسفل كتابه :

٢٦-١ / وإني لأرجو إن نصبت ابن الأغلب غداً في النفايا أن تُقَلَّ وتُقتلا
تُلاقى فتى يستصحب الموت في الوغى ويمسى بصدور الرمح عزاً مؤثلاً
كأنك قد صاحت في بطن كفه من البيض محمود الهزة مفصلاً
وأقبل تمام ثانية في عسكر ضخم ، فخرج إليه إبراهيم وابن العكي وراعه ،
فأنهزم تمام عند التقائهما . وعاد ابن العكي إلى القيروان وأنبه^(١) إبراهيم
إلى تونس ، فطلب منه الأمان فأمنه ورحل به إلى القيروان . وبسبب هذا ورد
كتاب الرشيد بزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن الأغلب .

٣٠ - الخصيب مولى ابن العكي

قدّمه محمد بن مقاتل مولاه لحرب غلاد بن مرة^(٢) - الخارج عليه قبل
تمام بن تميم - وأمره على الجيش الفاهد لمحبته ، فصبح القوم آمنين ما كانوا ؛

(١) حسب ما ذكره عن محمد بن تميم . ويبدو أن النسخ أسقط هنا شيئاً ، وإليك الخبر
كما ينقصه بن عذري في حدود ٧٩٩/١١٣ و ١٨٤/٨٠٠ : « وأقبل تمام من تونس بعسكر
عظيم . وأمر به حكيم من معه من أهل الصفة بالخروج إليه مع إبراهيم بن الأغلب ، فقاتلوا
قتلاً شديداً . فأنهزم تمام . ونصرت بن حكيم إلى القيروان ، وأمر إبراهيم بن الأغلب
بمسيره إلى تونس . وفي سنة ١٩٤ خرج العسكر من القيروان خصار تونس وقتل تمام وذلك
في محرم سنة ١٩٤ ، فمضى تمام بعد صبح يومين منه ، فمضى إبراهيم ، وأقبل به إلى القيروان
يوم الجمعة . حدثنا عن محمد بن حمزة المذكور » (٩٣-٩٢/٢) .

(٢) ياندة في تعريف بحدود حتى يذكرها ابن الأبار هنا فورد الفقرة التالية من
المنية : « ثوب خنوبى (ص ١٣١) : « وفي كتب هرمة [ابن أعين] إلى هارون [الرشيد]
يسأله بخدمته وجه محمد بن مقدّر [حكيم أمير مغرب] ، وكان رضيع هارون ، فقدم القيروان
في شهر رمضان سنة ١٨١ ، ولم يكن يحمود لسيرة ، فاضطربت عليه أحواله واعتلفت جنده ، =

وم خمسمائة من أهل خراسان والشام . وكان الذي هاج ذلك فلاح بن
 عهد الرحمن الكلاعي ، قتل محمد بن مرة أميرهم وعدة ممن كان معه ، وانهزم
 أصحابه إلى تونس . ومّر الخصب بمنزل فلاح فأحرقه ، وأخذ امرأته فأنطلق
 بها وقال في ذلك :

لو كنت حرّاً يا فلاح صبرت لي وحيث عرسك والفقى ينجي
 لكن هربت من القراع وأسلت كفاك حرمتها على الرغم
 ما النجم أبعد منك - لو طالبت له لتأله يديك - من سلمي

٣١- تمام بن تميم الدارمي التيمي ، أبو الجهم

القائم على ابن العكي المذكور آنفاً

وهو ابن عم إبراهيم بن الأغلب . قد تقدم من خبره وشعره ما أغنى عن
 إعادته هنا ؛ وفي « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » تأليف أبي علي
 الحسن بن أبي سعيد القيرواني ، أن تماماً هذا لما سمع بحركة إبراهيم بن الأغلب
 إليه من الزاب في محاربه ونصر ابن السكيت ، كتب إليه كتاباً يستدعيه
 ويستعطفه وكتب في أسفله :

« وكان سبب الإضراب عليه أنه اقتنع من أوزق بخند وسماء تسيرة فهم وفي لرعية ، فقام
 فلاح [بن عبد الرحمن الكلاعي القندي] ، ومشى في أحد ثلثه وخراسان ، حتى اجتمع رأيهم
 على تقديم مرة بن محمد الكندي (وفي مخطوط آخر : المسمى ، وكنتك عنه ابن عذارى وابن
 الأثير) وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التيمي ، وكان عمله عليها ، فزيهه بدعة من القواد
 وأهل الشام وأهل خراسان ، فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ١٨٣ إلى القيروان ،
 وخرج إليه ابن العكي ، فيمين معه ، فقتله قتالا شديداً في « منية الخيل » فانهزم ابن العكي ،
 ودخل القيروان ، وتحصن في دار كان قد بناها ، وجلا عن دار الإمارة . . » ، وقد أضفت
 الحواصر والأقواس وما بينها زيادة في التوضيح .

[٢٩٦-ب] / أَقْدَمَ إِبْرَاهِيمَ حِلًّا بِفَضْلِهِ وَحُقَّ لَهُ فِي الْأَمْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ ،
وَقُلْتُ لَهُ : فَاحْكَمْ فَحُكْمُكَ جَائِزٌ عَلَيْنَا فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِينَا مُقَدِّمًا
وَرُدَّ فِي بِلَادِ الزَّيْبِ مَا شِئْتَ قَادِرًا وَإِنْ شِئْتَ مُلْكَ الْغُرَبِ خُذْهُ مُسَلِّمًا ،
فَجَاوَبَهُ ابْنُ الْأَغْلَبِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

دَعَوْتَ إِلَى مَا لَوْ رَضِيتُ بِمَثَلِهِ لَمَا كُنْتُ — يَا تَمَامٌ — فِيهِ مُقَدِّمًا
سَأَجْعَلُ حُكْمِي فِيكَ ضَرْبَةَ صَارِمٍ إِذَا مَا عَلَا مِنْكَ التَّفَارِقُ صَمِيمًا
سَتَعْلَمُ لَوْ قَدْ صَاحَقْتُكَ رَمَاحُنَا بِكَفٍّ لِلنَّايَا ، أَيُّنَا كَانَ أَظْلَمًا
فَذَكَرَ عَنْ فَلَاحِ الْكَلَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ : « كُنْتُ عِنْدَ تَمَامٍ يَوْمَ قَرَأَ كِتَابَ
إِبْرَاهِيمَ ، فَذَهَبَ لَوْنُهُ نَحْمُ ارْتَدَحَتْ سَقَطَ الْكِتَابُ مِنْ يَدِهِ » . وَكَانَ صَارِمًا
شَجَاعًا مُنْذَحًا ، وَفِيهِ يَقُولُ الْفَضْلُ بْنُ النَّهْشَلِيِّ يَمْدَحُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَمَحْتُ وَمَنْزَلُهَا مِصْرٌ وَمَنْزَلُنَا بِأَقْيَرِوَانِ ، وَيَا تَشْوَقَ مُغْتَرِبِ
أَخَا بَنِي نَهْشَلٍ ، دَعَا قَدْ نَزَحْتُ وَأَمْدَحُ قَرِيعَ مَعْدٍ وَاحِدَ الْعَرَبِ
تَمَامُ كَبِشُ بْنُ عَدَدَانَ قَاطِبَةُ الدَّارِمِيِّ الْكَرِيمِ الْيَتِيمِ وَالنَّسَبِ
الْفَارِسِيِّ الْبَطْلُ الْحَمِيُّ حَقِيقَتُهُ وَالنَّاعِشُ الرَّائِسُ الْفَرَّاجُ لِلْكَرْبِ
تَدْوَى إِلَيْهِ نِزَارٌ حِينَ يَدْعُهُمْ رَبُّنَا أَرْمَانُ وَتَحْشَى سَطْوَةَ النَّوَبِ
أَعْطَتْ بَنُو دَرَمٍ فِي عُجْدِ رَايَتِهِ بَنِي الْمُجْتَنِعِ يَوْمَ الْفَقْرِ وَالْحَسْبِ
قُلْ أَبُو نَعْرَبٍ ، وَذَكَرَ وَلَايَةَ جَدِّهِ تَمَامِ هَذِهِ الْوَرَقِيَّةَ بِعَدِّ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلَ
الْعَكِّيَّ : « تَمَّ مِنْ تَمِيمٍ : هَذَا هُوَ جَدُّنَا ، هُوَ ابْنُ الْقَادِمِ مِنَ الشَّرْقِ » . قَالَ :
« وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً يَبْنُدُ » .

وَفِي « الْكِتَابِ خُرُوبٍ عَنْ أَخْبَرِ خُرُوبٍ » أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ لَمَّا صَارَ
الْأَمْرُ إِلَيْهِ بَشَّ بِهِ وَغَرَاةَ مَعَهُ — مِنْ وَجْهِهِ اجْتَدَى التَّمِيمِ كَانَ شَأْنُهُمُ الْوُثُوبُ

على الأمراء — إلى الرشيد ، فأما تمام فإنه حُبس إلى أن مات في حبسه .

وحكى أن الرشيد / وعد أخاه سَلَمَةَ بن تميم إطلاقه ، وبلغ ذلك إبراهيم [٢٧-١]
ابن الأغلب فكتب إلى عمته وهي يينداد في سجنه ، فاشتبهى تمام حوثاً فسَمَنَتْه
له ، فمات من أكله بعد أن ذهب بصره في المُطَبِّق قبل موته بشهر . وعلم
الرشيد بذلك فترحم عليه وتوجع له ، وأحسن إلى سَلَمَةَ أخيه وصرقه إلى إفريقية .

٣٢ — إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أبو إسحق

ولاه الرشيدُ إفريقيةَ بعد محمد بن مقاتل السكّني فاستقلَّ بملسها وأورث
سلطانها بنيه نيفاً على مائة سنة . وكان قفياً علماً أديباً شاعراً خطيباً ، ذا رأى
وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها ، جرىء الجذآن طويلَ اللسان حسنَ
السيرة ، لم يَلِ إفريقيةَ أحدٌ قبله من الأمراء أعدى في سيرة ولا أحسنَ سياسةً
ولا أرفقَ برعيةٍ ولا أضبطَ لأمرٍ منه .

وكان في أول حالته كثيرَ الطلب للعلم والاختلاف إلى الليث بن سعد
النفقي ؛ و«لَيْثٌ وَهَبٌ لَهُ «بَلَّاجِلٌ» أُمُّ ابْنِهِ زِيَادَةُ اللَّهِ ، نَفَرَجَ بِهَا حَتَّى وَصَلَ
الزَّابُ — وعلى إفريقية يومئذ الفضلُ بنُ رُوْحٍ بنِ حاتم — فلقى من تعصُّبه
وسوء مجاورته عظيماً . وأقام أخوه عبد الله بن الأغلب ببصر ، وكان ذا نعمة
عظيمة ، فلما توفى ارتحل بنوه إلى إفريقية .

وولى الزَّابُ من قِبَلِ هَارُونَ الرشيد وابنُ السكّني على إفريقية ، وقد تقدم
ذكرُ نُصْرَتِهِ لابن السكّني إلى أن صُرِفَ إبراهيم سنة أربع وثمانين ومائة .

وتوجه إلى الشرق ، فلما بلغ طرابلس دُكِّن له كاتبه داوود القيرواني على لسان
الرشيد كتاباً بإقراره على إفريقية وانصرافه إلى عمله ، فتمشى ذلك زماناً .
وبلغ الرشيد فضاخه ، وأسجل لإبراهيم بولاية إفريقية ثانية ، فاشتد عند ذلك
سلطانُه وعظمُ دون الملوك الذين تقدموه شأنه ، وخرج ابنُ العسكى من إفريقية
وأعمالها . وعلى هذه الحال لم يُكافِ إبراهيم على حُسن ما أسلفه في جانبهِ .
إلا بأفصح الأفعال .

ومن فضائل إبراهيم الأثورة ، وجلال أنبائه للسطورة ، أنه عفا عن داوود
كاتب ابن العسكى وأسقط التثريب عليه وقبِلَ متابَه فأنته واستعمله ، وقد
ذكرتُ ذلك في ذيلني للترجم بـ « إعتاب الكتاب »^(١) ، وهو القائل وقد
خُفَّ أهله بمصر في قصده الزَّاب :

[٢٧-ب] / ما سرتُ ميلاً ولا جاوزتُ مرحلةً إلا وذكرتكُ يثني دائباً عُنقِي

ولا ذكرتُك إلا بتُ مُرتَفَقاً أرعى النجوم كأنَّ الموتَ مُعْجِنِي

البيت الأول نظير قول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في زوجه :

إذا سرتُ ميلاً أو تنفَّتْ حامةً دعتني دواعي الشوق من أمِّ خالدٍ

وكان محمد بن سيرين يقول : « هو أشوق بيتِ قائله العرب » .

وقال إبراهيم وهو بزاز في قتل ابن الجارود للفضل بن رَوْح بن حاتم ،

وقد بلغه أن نصر بن حبيب نهى^(٢) أشار برْدَ الفضل من طريقه ، لأنه خاف

(١) النص : عتاب نكَّاب يثني دُكِّن . بتحقيق نذكر صريح المتن (مطبوعات

مجمع مكة حربية بدمشق) دمشق ١٩٦١ . رقم ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) نصر بن حبيب نهى . ريع من توت . أمر إفريقية من نهابة ، ولها في ٢٠

ومضافاً ٣١/١١٤ يناير ١٩٩١ بعد موت رَوْح بن حاتم بن قيسة بن نهيل بن أبي صفرة ، =

أَنْ يُحَدِّثَ حَدَثًا فَيَقْتُلَهُ ابْنُ الْجَارُودِ بِسِيهِ^(١) :

يَا نَصْرُ قَدْ أَصْبَحْتَ الْأَمَّ مِنْ مَغَى^(٢) مِنْكُمْ^(٣) وَالْأَمَّ حَاضِرٍ مَعْلُومٍ
لَمَّا أَشْرَتْ بَرْدٌ فَضْلٍ بَعْدَمَا نَطَعَ الْبِلَادَ عَلَى أَقْب^(٤) رَسُومٍ
لَمْ تَرَضَ بِالْخِلْدَانِ حَتَّى كِدَّتَهُ لَا زَلَّ غُذُولًا بَنِيهِ حَمِيمٍ
مَا كَفَتْ حِينَ غَدَوْتَ تَنْشُرُ لِحْيَةً فِيهَا لِقَوْمِكَ غَذْوَةٌ بِكَرِيمٍ
لَوْ كَانَ نَادَايَ أَجِبْتُ دَعَاةَ بِالْخِلِّيلِ أَقْبَحُهَا بِسَمَدِ نَمِيمٍ^(٥)
خَيْلٌ بِهَا أُهْدِيَ لِلنَّايَا لِلْعِدَى وَبِهَا أُنْفِجَ كُرْبَةُ الْمَكْظُومِ

= وكان هذا الأخير شيخاً مسناً غلب عليه الضعف حتى كان يغلبه انتماسه بد' جلس مناس . فكتب أبو العزير لقنند وصاحب البريد إلى الرشيد يقترحان تولية نصر بن حبيب سر . حتى إذا مات الفضل ، يضرب الأمر ، فأجاب الرشيد . وعندما توفي روح بن حاتم في تاريخ المذكور حاول ابنه قبيصة أن يتولى الأمر بدون عهد . ولكنه اضطر لسخي انصر عنه بين أن يرشيد عهد إليه . وقد أقام نصر والياً على المغرب سنتين وثلاثة أشهر . إذ عزز بنفسه بن روح بن حاتم في المهر ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

نصر : التويري ، ص ١٢٧ .

(١) يفهم من هذا أن إبراهيم بن الأغلب قل هذه الميقات قبل ولايته أمر إفريقية بزم طويل ، فقد قتل الفضل سنة ١٧٨ / ٧٩٤ . وتوفى إبراهيم إفريقية في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٨٤ / يونيو ٨٠٠ . وظاهر من الأدبيات أن ابن الأغلب كان يسه نصر بن حبيب المهلبى بأنه كان سبب قتل الفضل بن روح بن حاتم عن يد ابن الجارود . وذلك أن هذا الأخير بعد أن هزم الفضل ودخل القيروان أخرج الفضل منه وتركه ليعود إلى المشرق . ثم رده برأى نصر بن حبيب المهلبى كما يفهم من ذلك خبر . وكذبت نتيجة أن قتل الفضل وأخرج بقية بني المهلب من إفريقية . ويبدو أن نصر بن حبيب فعل ذلك انتقاماً من الفضل . لأن هذا ، بعد وفاة أبيه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في رمضان سنة ١٧٤ ، ذهب إلى بغداد وأقام على باب الرشيد يلج في طلب الولاية حتى أجيب إلى طلبه ، فعزل نصر بن حبيب وتوفى الفضل في المهر ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

(٢) الإشارة هنا إلى بني المهلب .

(٣) القرس الأقرب هو الذي لحقت خاصرته بجاليه ، كناية عن الضمور . الحسان :

١٥٢ / ٢ . والرسوم هو القرس اللين اللين مع سريته .

(٤) من المعلوم أن بني الأغلب تميميون .

وقال أيضاً في دخوله القيروان قائماً بنصرة ابن العسكى وهرب تمام بن
تميم ألامه :

لو كنتُ لاحتُ تماماً لصالٍ به ضربٌ يفرقُ بين الروح والجسدِ
لكنه حين شام الموتُ يقدُمنى ولّى فراراً وخلّى لى عن البلدِ
إن يستقمُ نَفْءٌ عما كان قدّمهُ وإن يقدُ بعدها في غدره تعدُ
ثم نزل عن المنبر وكتب إلى محمد بن مقاتل يستعيده إلى عمله وقال
في ذلك :

أتشكرُ عنا ما صنعتُ ربِّها^(١) وردى عليها النثرَ أم هي تكفرُ ؟
[٢٨-١] / ففيت لها التمام^(٢) بالسيفِ عنوةً ولم يُعينه في الله ما يتمضّرُ
فأقبل إلى ما كنتُ خلّفتُ كارهاً فقد ذاد سيفي عنك ما كنتُ تحدرُ
وقال أيضاً في ذلك :

ألم ترفى ردّدتُ طريدَ عكٍ وقد نزحتُ به أبدي الركابِ
أخذتُ النثر في سمين مِنّا وقد أوى على شرف الذهبِ
هزمتُ لهم يمدّتهم أوقاً كنّ رعيّهم فزعُ السحابِ
قال إبراهيم هذا لأنه قصد بنصرة ابن العككى في سمين فارساً من أهل بيته
وخاصته قدماً ومجدة ، فقد بعص شعراء إفریقیة في ذلك :

ما سر يوم لإبراهيم صمهُ إلا وشيمهُ للجود والباسِ

(١) وردت في نسخة واحدة ، ووردت في نسخة أخرى : تشكر .
تمكى إن يودى به هروه .
(٢) تمام هو تلمه بن تميم تميمي .

ولما حارب تماماً وابن السكيت بالقيروان ، حمل على الليثة وهو يقول :

أطعنهم ولا أرى لي كفواً حتى أئال ما أريدُ غنواً

أو أخسون كأساً للفأيا حنواً

ثم رجع إلى الليسة بعد أن كسر الليثة وهو يقول :

قد علتُ سداً وأجاء مُفَرّاً أتى مَننتُ عزّها أن يُقتصر

وأنتى فخارها لمن فخر

خَفَعَهَا ، ثم رجع إلى القلب فشذّ عليه وهو يقول :

يا قلبُ قد أبصرتَ صاحيكا ما قُتِيا منى فخذُ إليكا

خرباً يَمُورُ وقته عليك كيف ترى دَمى بجاييك

وحمل أصحابه فكانت المزعجة على تمام .

وله حين وجهه بن كان يخاف أمرهم من وجوه الجند إلى الرشيد^(١) :

حاسار كيدي إلى قومٍ وإن كَثُرُوا إلا رَمَى شعبهم بالحزم فأنصدعوا

ولا أقول ، إذا ما الأمرُ نالني : « ياليتّه كان مصروفاً » ، وقد وقفاً

/ حتى أجليته قهراً ممتزماً كما يُجَلَّى الدُّجَى ندرٌ إذا طلماً [٢٨-ب]

قوماً قتلُ وقوماً قد هَتَّتهمُ ساموا الحلاف بأرضِ الغربِ والبِدَعَا

كلُّ جزيتهم صدعاً بصدعهم وكلُّ ذى عملٍ يُجزَى بما صنعا

(١) سبق ذكر ابن الأثير كيف أرسل إبراهيم بن محمد تيمم بن تيمم تميمي ونحوه

صحة بن محمد ، حيث حمله الرشيد في مدح حتى مات فيه . وحده في هدية كُرب سوزرى

، منها صار دُسر إلى إبراهيم بن الأخطب مع تيمم بن تيمم وغيره من وجوه أحد بني شهم

الوثوب عن أزمراء إلى بغداد ، فجهلوا إسحق ، (ص ١٢٤) .

وله أيضاً وهو من جيد شعره :

الم ترني أزدبت بالكيد راشداً وأنى بأخري لابن إدريس واحد
تأولته عزي على تلبي داره بمخومة في طيبن للكائد
وقد كان يرجو أن يفوت مكائدي كما كان يخشاني على البدر راشد
ثلاثون ألفاً ستمين لقتله لأصلح بالقرب الذي هو فاسد
فأضحي لدينا راشداً ينقذته بتات للبايا والحسان الخرائد
فصاه أخو عك بتهلك راشداً وقد كنت فيه سامراً وهو راقداً^(١)

راشد هذا هو مولى عيسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكان عاقلاً شجاعاً أيداً ، خرج بإدريس بن عبد الله أخى مولاة عند نهزامة في وقعة « فتح » — وقد تقدم ذكرها — وانضم به في حاج أهل مصر ، وغير زيه وابنه مدرعة وعمامة غليظة ، وصيَّره كالغلام يخدمه ، وإن أمره ونهيه أسرع في ذلك . وتخلص إلى إفريقية في خبر طويل ، فترك دغوف ثم سار به في بلاد البربر حتى انتهى إلى قاس وطنجة ، فظهر إدريس هناك أمره وأخبر بنسبه ، ودعا البربر إليه فجابوه ، وذلك سنة اثنين وسبعين ومائة ، في السنة التي تولى فيها عبد الرحمن بن معاوية ووي ابنه هشام أرضاً ، وفي السنة الثانية من خلافة هرون الرشيد ، أقام بين أظهر البربر ملكاً مطاعاً . وبلغ الرشيد خبره فشق عليه ، وشكا ذلك إلى يحيى بن خالد قدس إليه من

(١) قيل في نسخة أخرى : « وقد كنت فيه سامراً وهو راقداً » . وكان
عند ذلك في مصر . وروى في نسخة أخرى : « وقد كنت فيه سامراً وهو راقداً » . وكان
عند ذلك في مصر . وروى في نسخة أخرى : « وقد كنت فيه سامراً وهو راقداً » . وكان
عند ذلك في مصر . وروى في نسخة أخرى : « وقد كنت فيه سامراً وهو راقداً » . وكان
عند ذلك في مصر . وروى في نسخة أخرى : « وقد كنت فيه سامراً وهو راقداً » . وكان

سَمَّه في غالية ، وقيل في دَرور^(١) اسْتَنَّ به ، وقيل في دُلَاعَة^(٢) قطعها بسكين ،
نصفها مسموم والثاني غير مسموم ، وقيل في بطيخة . وهرب هو / وصاحب له ، [٢٩-١]
فيقل إن راشداً اتبعهما وقد بعدا فأدركهما وهو وحده على فرسه ، فشده عليهما
بسيفه فضرب أحدهما وقات الآخر ؛ وانصرف راشد وهلك إدريس .

ويقال إن الذي دَسَّ الرشيدُ إليه ليسه هو الشياخ البياض^(٣) ، وكتب له
إلى إبراهيم بن الأغلب . فوصل إلى إدريس وعرفه أنه مُتَطَبِّبٌ وأنه من
أولياهم ، فاطمأن إليه وأنس به . وشكا إليه عِلَّةً في أسنانه ، فأعطاه سَنُونَا
مسموماً وأمره أن يَسْتَنَّ به عند طلوع الفجر ، وهرب تحت الليل . فلما طلع
الفجر اسْتَنَّ إدريس بذلك السنون فقتله ، وطُلب الشياخ فلم يُقدَّر عليه . وقدم

(١) الدَرور كن مسحوق يتداوى به ، والسنون كن مسحوق يستعمل دواءً للأسنان ،
وكانوا يمتنون أو يستاكون به .

(٢) الدُلَاعَة مفرد دُلَاع ، وهو البطيخ أنواع منه ، وقد عرفه صاحب الكتاب المنصوري
بأنه البطيخ اخنسي أو السندي نسبة إلى السند (ومن هنا تسمى البقيعة في إسبانيا إلى يومنا هذا sandia)
ويسمى أيضاً البطيخ الفلسطيني ، وقال أبو القاسم الزهراوي إنه البقيع الشامي . ويفهم من النص
هنا أن الدُلَاع غير البطيخ ، أو أنه صنف منه على أي حال . وقد قال لرحانة ريتشاردسون إن الدلاع
بطيخ صغير مرّ القم . وفي المغرب إلى اليوم يسمى البطيخ : دُلُوح . أما ما نعرفه بالبنام فيسمى
البطيخ ، وعن هنا فيكون تفسير عبارة 'بين الأبناء أن إدريس المأمون سم في نعمة أو بطيخة .
والروايات كثيرة عن ذلك الحادث .

نقش : دوزي . مسحق تقواميس : ١٤٥٧/١ .

ودروس تقرطاس لابن عبد الخليم أو ابن أبي زرع . طبعة حجر في دس . ص ٥ .

وإبن خسون ، تاريخ (بولاني) : ١٣/٤ .

وإبن عذري ، تبيين : ٨٣/١ .

(٣) هو إدريس شيخ بني سبق ذكره . وقتل عنه ابن خلون : ودس إليه الرشيد
مولى من مولى أُمَيَّة سم سليمان بن حريز ويعرف بالشيخ (١٣/٤) . وورد اسمه
في دوس تقرطاس : سليمان بن حريز (ص ٩) ، وذكره أبو العباس أحمد بن خالد المنصوري
المنصوري صاحب كتاب 'المنتقى أخبار دول المغرب الأقصى' (١٩٥٤ ، طبعه ١٩٥٤)
ص ١٥٩ : سليمان بن حريز ويعرف بالشيخ .

على إبراهيم بن الأغلب فأخبره ، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك ، فَوَلَّى
الشماعَ بريدَ مصر وأجازَه . وقد تقدم عند ذكره أن القدي سمح سليمان بن جرير
في سمكة مشوية ، وقال في ذلك أشجع السلي من شعراء الرشيد :

أَتَقْنِ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الْخَلِيفَةِ أَوْ يَتِيكَ حِذَارُ
إِنِ السَّيْفِ إِذَا انْقَضَا عَزْمُهُ طَالَتْ وَتَقَصَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
هَبَاتٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِلَهْجَةٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ

وكانت مدة سلطان إدريس بالمغرب ، إلى أن مات بربلي سنة خمس
— وقيل سنة أربع — وسبعين ومائة ، ثلاثة أعوام وستة أشهر .

وكان قد خرج إلى سبتة في شيان سنة ثلاث وسبعين ، وإلى تازا في
جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين ، وترك حلا من إحدى جواريه ، قام راشد
بأمر البربر حتى ولت غلاماً ، فسماه باسم أبيه « إدريس » وكفله إلى أن
بلغ الغلام .

وعلا أمر راشد واستفحل ، وهم بجزو إفريقية لما كان فيه من القوة وكثرة
الجنود ، فسكاه إبراهيم بن الأغلب من الزاب موضع ولايته ، ودمس إلى
أصحابه ، وبذل لهم الأموال إلى أن اغتالوه وبشوا برأسه إليه ، فبعث به إلى ابن
مقاتل التسككي وأخبره بكيدهم إياه وتديره في قتله ، فبعث به التسككي إلى هارون
[٢٩ - ب] الرشيد ونسب ذلك إلى نفسه / دون إبراهيم ، فكتب صاحبُ بريد المغرب
إلى هارون بصنيع إبراهيم في راشد . فعلى إثر ذلك ولى الرشيدُ إبراهيمَ بنَ
الأغلب إفريقيةً وصرف عنها التسككي .

وقد قيلَ إِنَّ الرشيدَ إِنَّمَا دَسَّ إِلَى إِدْرِيسَ مَنِ اغْتَالَهُ وَخَاطَبَ إِبراهيمَ
[... (١) ...] به وهو عامل له على إفريقية ؛ والأولُ أصح . وتوفى إبراهيمُ

(١) يعرض بعض المصادر يمكن أن يكتفه بعدة مش : بن الأغلب بن يحيى .

في شوال ثمانٍ ليالٍ بقيت منه سنة ست وتسعين ومائة ، وهو ابنُ ست وخسين سنة ؛ فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام .

٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان التيمي ، أبو العباس

كان صاحبَ بريد المغرب أيامَ ابنِ العسكى ، وهو القائل لتمام بن تميم حين بلغه إقبالُ إبراهيم بنِ الأغلب إليه :

أَتَمَّامٌ لَا تَقْعُدُ فَإِنِّي نَاصِحٌ وَخُذْ مَهْلَةً إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ هَارِبًا
وَلَا فُتْدٌ مِنْ سُخْطِهِ بِأَمَانِهِ فَلَسْتَ بِلَايٍ لِابْنِ أَغْلَبٍ غَالِبًا
وَلَا تَخْشَوْنَ كَأْسًا فَلَيْسَ بِنَافِعٍ تَحْشِيكَ مَا فِيهَا إِذَا كُنْتَ^(١) شَارِبًا

٣٤ - خُرَيْش^(٢) بن عبد الرحمن بن خُرَيْش الكِنْدِي

ثار بتونس ، وكان صهرَ الحسن بن حرب الكِنْدِي الخُلفاءِ على الأغلب ابنِ سالم . ولم يكن من الجند ، ولكنه من أبناء العرب الذين كانوا يافريقية

(١) في الأصل : ولا يستقيم بها وزن .

(٢) كما ورد في الأصل بكسر وضم ، ولكن سورى (ص ١٤٥) وابن خلون (١٩٦/٤) جمده : حمس ، وقابعهما في ذلك قوقلهماين في نسخة عن لأعنية :

M. VONDERHEYDEN, *La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'Arabi*, 800-909 (Paris, 1929) pp. 87 sqq.

وقد كتب هذا المؤلف اسم 'أغلب' هكذا : *Arabi* لكن ينص حرف 'أ' حيث كان هو في المتن عرسي ، وهو منذهب مستبعد ؛ يراه فيه حمس .

كما بين عذري فقد أكتفى بقوله : «ورعيه كندى بتونس» و«رح نفسه» . ومنتهين من «رب» خبر فيه بن «سليم» - يورده ابن الأثير فيده - في صفة «اسم خريش» .

وقد يكون بخاء لا بقاء . فقد وجدت اسم خريش كبير لتورد .

قبل المسودة ، نفل المسودة وأناه العرب والبربر من كل ناحية^(١) . فلما كثر
جمه كتب إلى إبراهيم بن الأغلب :

« من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلب .

أما بعد ، فإني أفت عن الخروج قبل يومى هذا لأنى كنت أنتظر أن
تفنيكم الحرب ؛ فلمرى لقد أرانا الله فيكم ما قوى به أهل دعوة الحق عليكم .
فلما وليت أنت وعلت أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاءك ، عرفت قلة
طمعهم فيك . ولو كان أحد ممن ولى هذا الثمر ممن لا يرى طاعته يستحق أن
نرضى بولايته ، لكنت أت ذلك . وقد كان على من أبى طالب رحمة الله عليه
يقول : « إذا ولى عنكم عدوكم من أهل الله فلا تقبموم » . ولست أطلبك أن
خرجت عن الثمر ، ولا نريد أن تفلى عزمى ، وليكن رأيك طلب سلى ؛
والسلام »

وكتب فى آخر كتابه :

قُلْ جَبْرَةٌ لَأَنى إِسْحَاقَ تَنْصَحُ هَذَا فَرَأَيْتُمْ لِّلْعَرَبِ قَدْ حَانَ
[١-٣٠] / فَلَا يَبُودُ إِلَيْهِ مَكْرٌ أَحَدٌ حَتَّى يَمُودَ مِنَ الْأَجْدَلِ مَوَاتَانَا
فَارْجِعْ عَنِ الْعَرَبِ أَوْ أَتَى السَّوَادُ^(٢) هِ لَا تَخْتَرِمَكَ الْمَلَايَا حِينَ تَلْقَانَا

(١) هذه المسودة من كتب خريش . وهي كسب . عن حقيقة - ركبت بن عبيدة بن عتبة
ابن دفع ، هذه من كتب وسيد . هي حقا وقس حارود ومن إليه . هؤلاء هم عرب
معيشة بين حارود . ومعهم وسيد . وسيد هذا هو يروى أنفسهم أهل البلد
وأولئك هم من حارود عن ربيعة حارود وحسم . وهذه حقيقة كسب . مر هذا الصراع
وسمه . وقد سمى دؤس حرب دؤس جمع من العرب . لأنه كانوا أقرب إليهم من
أولاد وحسم

(٢) كتاب عمرو بن محمد بن دؤس دعوة بن حسان . وكان هو وحسم كاهن لها ،
حتى كان قصده يقتلوه . وقد سمع مع حارود بن دؤس . هذا . هذا ولا والله
لا اتحد بكم صراحة يومئذ (حوزي ١٣٥ - ١٣٦) . وهذا هو يدعو ابن الأغلب
هنا إلى جمع سود . سرية محروجة عن بن حسان . وكان عمرو بن دؤس . وهذا . وكان أول =

وَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ لِلْوَتِّ يَسْمَعُ لِي إِذَا انْقَضَتْ بَوَاحِي الْفَحْصِ ^(١) خَيْلَانَا
فَلَمَّا قَرَأَ إِبْرَاهِيمُ كِتَابَهُ كَتَبَ إِلَيْهِ :
« مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ إِلَى عُرَيْشِ بْنِ رَأْسِ الضَّلَالِ .
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَا بَدَّ

فَإِنْ مِثْلَكَ مِثْلُ الْبَعُوضَةِ الَّتِي قَالَتْ لِلنَّخْلَةِ إِذْ ^(٢) سَقَطَتْ عَلَيْهَا : « اسْتَنْسِكِي
فَإِنِّي أُرِيدُ الطَّيْرَانَ ! » قَالَتْ النَّخْلَةُ : « مَا شَعَرْتُ بِسُقُوطِكَ فَيُكْرِئُنِي
طَيْرَانُكَ » . فَمَا اسْتَظَارَكَ فِي الْحَرْبِ فَنَاءً ، فَلَوْلَمْ يَتَّبِعْ فِي الْغَرْبِ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ
غَيْرِي مَا وَصَلَتْ أُنْتُ فِي مَنْ مَعَكَ بِخِلَافِكُمْ إِلَيْهِ ، وَلَرَحُوتُ أَنْ أَظْهَرَ بِكُمْ بَطَاقَتِي
وَنُصْرَةَ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ؛ فَكَيْفَ وَعِنْدِي مِنْ شَيْعَتِهِ وَأَبْنَاءِ
أَنْصَارِهِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنَّى أَرْجُوهُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْكَ عَلَى يَدِي ؟ وَأَمَا مَا ذَكَرْتَ عَنْ عَلِيِّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ أَمْرٌ غَابَ عَنْكَ . وَإِنْ كَانَ كَمَا ذَكَرْتَ
فَلَسْتُ مِنْهُمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْمِلَّةِ خِلَافَهُمْ خِلَافَ هُدًى ^(٣) فِي نَقْمَةٍ عَلَى جُورِ ،
وَخِلَافَكُمْ خِلَافَ فِرْقَةِ دِينَ وَشَقِّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، وَقَمْنَهُمْ مَا هُوَ اللَّهُ رِضَا .
وَسَتَعْلَمُ أُنْتُ وَأَصْحَابُكَ إِنْ لَقِينَاكُمْ غَدًا أَنَا سَتَتَّبِعُكُمْ ، وَإِنْ صَبِرْتُمْ أَنَا سَتَنْفِيَكُمْ .

١ - يُرْمَى مِنْ نُصْرَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي حَرْبِ تَحْكِيهِ سُوَيْرِي دَسَائِيصَ مُنْصَحِهِ
تَا عَمْرًا سَرَّ مَعَ إِبْرَاهِيمَ مَرَّةً بِحَدِّهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ سَوْرَةُ كَيْفِهِ . مُصَبِّحًا ثُمَّ
كَانَتْ حَرْبٌ دَسَائِيصَ ، وَهُوَ سَبَّ فِيهَا يَلُوحَا تَاهَهُ . وَاحْتِيقَةً - كَمَا تَسْتَبِينَ مِنْ لَيْلٍ - حُدُوثِ -
أَبِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ - بِحَدِّهِ مَا لِيُؤَدِّي أَرْزَاقَ حَيْدِهِ . فَهَتَّ - فَيَدِي يَسُو - يَسْبُ مَدَدًا مِنْ
أَحْيَاةٍ ، فَخَرَّ وَوَيْ أَسَاءَ دُخْرَ فَكَّرَ عَمْرَاءُ فِي حُلُجِّ عَمَاعَةٍ . وَرَدَّ سَرَّ دَسَائِيصَ يَدِي يَسْبُ
نَقْمَةٍ . فَدَرَّ ، فَكَانَ أَحَدًا .

- (١) - يُرْمَى مِنْ دَسَائِيصِ وَسَرِّ ، وَهُوَ السَّهْلُ الْمُحِيطُ بِهَا .
- (٢) - يُصْبَحُ . وَسَقَطَتْ عَيْنًا - وَمَا أَشْنَاءُ وَفَقِّ سَمْعِي .
- (٣) - فِي دَسَائِيصِ هَوًى . وَقَدْ قَوْمَهُ لِمَعْنَى .

وأما ذكرك القمص فإن تركتك حتى تصير إليه فانا في مثل جلدك^(١) .
وكتب إليه :

بَلِّغْ خُرَيْشًا بَأَيِّ سَوْفَ أَصْبَحُهُ كَلِمًا سَيَقْرَعُ مِنْهَا سِنَّ حَبْرَانَا
تُهْدِي الطَّعْمَانَ لَهُ مُنْمَرٌ مُتَقَفٌّ تَقْرَى أَسْتَهَا فِي الْحَرْبِ أَعْدَانَا
مِنْ كُلِّ أَرْزَقَ يُقَاتِلُ النُّفُوسَ بِهِ يَضْحَى بِهِ مِنْ دَمِ الْأَجَافِ مَلَانَا
وَسَوْفَ تَقْلُمُ هَلْ أَتَى السَّوَادَ إِذَا أَرَسَتْ إِلَيْكَ الْمُنَايَا حِينَ تَلْقَانَا
إِنِّي سَأَهْدِي إِلَيْكَ الْمَوْتَ فِي عَطَبٍ فَاشْرَبْ مِنْتَهُ مِنْ كَفِّ عِرَانَا

ثم بحث إلى عمران بن مُجَالِدٍ^(٢) يحضه على قتاله ولقائه قبل خروجه من
تونس ، وأوصاه بما يعمل . فلقبه عمران بِسَيْفَةِ تُونِسَ ، فأنكشف خُرَيْشٌ
[٢٠ ص] وأصحابه وقُتِلَ ، ودخل عمرانُ تُونِسَ يُتْبِعُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى أَفْنَامَ / وَكَانَ خُرُوجُهُ
سَنَةً سِتْ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .

٣٥ - عمران بن مجالد بن يزيد الرَّبَعِيّ

ثار على إبراهيم بن الأغلب ، وكان قبلَ ذلك في طاعته ومُطَاعَتِهِ ، وحضر
معه قِتْلَ تَمِّمَ بْنِ تَمِيمٍ ، وخرج نائبًا عنه لِقِتَالِ خُرَيْشِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورِ
أَفْنَاءً . وَلَمَّا قَوِيَ أَمْرُهُ أَتَى بِسَكْرِهِ حَتَّى نَزَلَ بَيْنَ الْقَيْرَوَانِ وَبَيْنَ قَصْرِ إِبْرَاهِيمَ ،

(١) الرُّمْلُ : حديد . وبن الأغلب يريد أن يقول أنه إذا تركه يصل إلى فحمس
تونس صبح منه ، وهذا صحيح ، إذ جسدك وكذلك قل ما ركوس مولر .

(٢) في الرُّمْلُ : مجده . وهو خصاك سقوى في ترجمته التي تلى هذه الترجمة . وهو عند
ابن خنسون : عمران بن مجالد (١٩٦/٤) وعند أنطوي : ابن مجالد ، وفي نسخة : مُجَالِدُ
(ص ١٣٥) وعند ابن زبير : بن محمد (ج ٦ ص ١٠٧ من طبعة تورنبيرج بأوريسالا بالسويد) .

وصارت القيروان في يده . وبعث إلى أسد بن القرات ليخرج معه فأبى أسد وتمارض ، فبعث إليه : « إما أن تخرج وإلا بعثت من يمر برجلك ا » قال أسد : « والله لئن أخرجتني لأناديئن في الناس : القاتل والقتول في النار ا » فتركه عند ذلك .

وخندق إبراهيم حول مدينته^(١) ، ودامت الحرب بينهما سنة . ثم ضعف عمران فهرب إلى ناحية الزاب ، وسأل الأمان — هو وعمرو بن معاوية وعاصم ابن العمر — من إبراهيم ، فأجابهم إلى ذلك .

وبقي عمران بالزاب إلى وفاة إبراهيم ومصير الأمر إلى ابنه أبي العباس عبد الله ، فكتب إليه عمران يسأله تجديد الأمان فأمنه وأسكنه القصر معه ، وكان يندو عليه ويروح إلى أن سعى به ، وقيل لمبد الله : « هذا نار على أيك وحاله حاله » . فبعث إليه في الظهيرة ، فلم يشك في الشر . وكان عبد الله قد قال لمولى له : « إذا ورد على وهو مشتتل بالنظر فلا يشتر إلا وقد رميت برأسه » ، فكان ذلك على ما حده . وكان يحيى بن سلام الفقيه صاحب التفسير قد ستر بينهما في الأمان على ماله ونفسه وولده ، فلما قتله وجد لذلك وقال : « لا أسكن بلدًا أخفّر فيه العهد على يدي » ، فخرج إلى مصر ثم مضى إلى مكة فنج ، ورجع فلم يلبث إلا يسيراً حتى اعتل ومات ، ودُفن بمصر سنة مائتين . ومن شعر عمران في حرب إبراهيم بن الأغلب مع تميم بن تميم ، وقد برز من الصف :

(١) مدينته هي «مصر» لتقديم قرب القيروان . وهي حصن ابتناه إبراهيم بن الأغلب لينتشر إليه مع أهله وجنده وحشمه ، إذ كان يخشى اجتداد العرب وخراسانيين لكثرة ثوراتهم عن نواذيه . وقد بدأ إبراهيم بن الأغلب في شراء تصقّية والمنايك حتى يكون منهم جيشاً ، ثم نفّس ذلك لخصم بني عوف بن بقصر لتقديم ، وثبّ حول قصور حري ومسجداً ومعسكراً بخنده . وابن خنّون يسميه أنبساطية (١٩٦/٤) .

يَا رُسُلَ الْوُثِّ أَنَا عِمْرَانُ أَنَا الَّذِي أَتَمُّ لَهُ أَعْوَانُ
تُصَتَّقُ مِنْ خِيْفَتِي الْفَرَسَانُ يَضْحَكُ عَنْ أَيَّامِنَا الزَّمَانُ
نَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَقًّا دَانُوا قَتَلُوا أَهْلَ النَّكْثِ حَيْثُ كَانُوا
فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ تَمَامٍ وَهُوَ يَقُولُ :

لَوَجِعَ عَلَى ظَلَمِكَ يَا عِمْرَانُ قَدْ جَاءَكَ الْوُثُّ لَهُ نَهْتَانُ
/بِسَقِيكَهُ مِنْ رَاحَتِي سِنَانُ وَالظَّنُّ يَمْلُو شَكَّهُ الْعِيَانُ [٢١-١]
فَشَدَّ عَلَيْهِ عِمْرَانُ فَطَمَنَهُ فِي نُتْدُوته فَبَدَأَ عَامِلُ الرُّمَحِ مِنْ خَلْفِهِ .

٣٢ - عامر بن المعمر بن سنان التيمي ، تيم الرباب^(١)

كَانَ عَلَى شُرْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ مُجَالِدٍ
وَعَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَارْتِنَاسَةٌ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الثَّوْرَةِ لِعِمْرَانَ ، إِلَى أَنْ اسْتَأْمَنُوا
جَمِيعًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَأَمَّنَهُمْ . وَكَانَ عَامِرٌ عَلَى قَسْطِيلِيَّةٍ وَالْيَا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فَبِأَوْقَعِ
بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلٍ وَتَمَامِ بْنِ تَيْمٍ مِنَ الْحَرْبِ وَقِيَامِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ بِنُصْرَتِهِ :
إِذَا كُرْبَةٌ شَدَّتْ خِطَافَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا ابْنُ أَغْلَبٍ فَارْجُ
أَنَّهُ بَتَّامٌ عَلَى بَاسِهِ بِهِ يُقَادُّ وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْخَارِجُ
وَقَدْ كَانَ بِالْإِسْرَافِ أَلْقَى سَوَادَهُ وَلَمْ تَخْتَلِجْهُ فِي الْخِلَافِ الْخَوَالِجُ

(١) يَرِيدُهُ مِنْ تَيْمِ رَبَابٍ مِنْ عِبْدِ مَنَافٍ لَا مِنْ تَيْمِ بْنِ مَرَّةٍ أَوْ مِنْ تَيْمِ بْنِ ثَعْلَبَةٍ بْنِ عِكَابَةَ بْنِ
صَبَّحٍ أَوْ تَيْمِ دُورَةَ بْنِ خَالِبٍ .

فماجه بالكيد حتى استعاده وأدركه من بعد ما قيل خارج
ولو أنه يستودع الشمس منه إذا وبلت منه عليه الولائم
وله في خروج خريش بن عبد الرحمن بنونس :

لولا دفاعك يا ابن أغلب أصبحت أرض التروب رهينة لفساد
ولمنا ذلك الخلاف بفتنة تعدو كتابها بغير سواد
قالوا غداة لقائهم : لا تنفي حتى تحل « أغلدة » من بغداد
فمنوا بأشوس ما تزال حياؤه تشكو الوحي من غارة وطراد
نفرت به سمعد فأصبح يتها فوق الفرقد ثابت الأوتاد
ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر بن الممر ، كان أديبا ظريفا .

وأما أبوه للممر بن سنان قدّم مع يزيد بن حاتم المهلبى في ولايته إفريقية ،
وكان زميله في طريقه إذا ركب في عماريته ، لأنه به واستأجعه من حديثه . [٣١ - ٣٢]
وكان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها ، وعنه أخذ أهل
إفريقية حرب غطفان وغيرها من وقائع العرب .

٣٧ - حمزة بن السبال

المعروف بالحرون

أحد رؤساء القواد وشجعان الأجداد ، وكان له من إبراهيم بن الأغلب أثر
مكان والطف محل ، لقدّم محبته إياه وتصرّفه معه حيث تصرف حاله ،
فمكّان لا يدانيه عنده أخ ولا ولد ولا أحد من عشيرته . وكان واليا على طنبجة ،

ووجهه إلى الرشيد في القواد التوثيين على الولاية بالقيروان [...]^(١) ولده
ولد إبراهيم يقولون لم [...]^(٢) إلى قيادة إلى عمالة حتى انقضت دولة
بني الأغلب . ومن شعره في إقصاءه بالمذكورين فيه^(٣) :

سائلٌ بأبرأسي عَنَّا وَوَقَمْتَنَا لما صَبَبْنَا القَنَا نحو ابنِ مِرْدَاسٍ
وَلَّى وَخَلَّى سَعِيداً رَفْعَ نَافَذَةٍ مِن طَمَنِ أَزْوَاجِ الأَرْوَاحِ خَلَّاسِ
فَإِنْ يَتُوبُوا فَقَدْ ذَاقُوا وَفَاتَمَنَا وَإِنْ يَعُودُوا نَمْدُ أُخْرَى مِنَ الرَّاسِ
وله في حرب خُرَيْش الخارج على ابن الأغلب :

إِنْ غَابَ إِبْرَاهِيمُ عَنَّا أَوْ حَضَرَ فَإِنِّي أَنْصُرُهُ فِيمَنْ نَقَصَرُ
وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِظَفَرٍ لَيْسَ يَمُوتُ لِلرَّءِ إِلَّا بِقَدَرٍ
وَكُلُّ مَنْ خَالَفَنَا فَقَدْ كَفَرَ

فجبل ما يَشُدُّ على ناحيةٍ إِلَّا هَذَا . وبرز فارس من عسكر تمام بن تميم
في خلافه وهو يقول :

إِنْ ظَفَرْتُ كَفَى إِبْرَاهِيمَ هَدَدْتُ رَأْسَ الْمَرْءِ مِنْ تَمِيمٍ

(١) يياص بـ ص . ومن تيسر أن نسه هذا الفراغ ونقرأ العبارة هكذا : « [ثم خلد]
ولده ولد إبراهيم يقولون لم [من ولاية] إلى قيادة إلى عمالة » .

ويلاحظ أن إبراهيم بن الأغلب بعد أن صار إليه الأمر أراد أن يبعد عن إفريقية كل من
كان يخشى انقلابه عليه من وحوه العرب والقواد ، ف أرسلهم إلى بغداد حيث سجنوا هناك ،
ومن بينهم حزّة هذا مع أنه كان صديقه . أما أولاد حزّة فاستمر منهم محمد بن حزّة في حروب
أبي محمد زيادة إلى بن إبراهيم بن الأغلب مع منصور الضنبي . وقد قتل حزّة في شهر صفر
٢٠٩ / مايو ٨٢٣ في معركة حامية مع الضنبي ورجله في تونس .

(٢) استعج تقوى هذا لفظ ، وهو غير مفهوم . وقد جعله مولره بالمذكورين .
فيه وهو تقوى مقبول على اعتبار أن المراد : المذكورين في هذا الشعر .

فلا سمح إبراهيم فادي حمزة : « يا حمزة ، اخرج إلى هذا الكلب ا »
مخرج إليه وهو يقول :

أحلف بالركن والخطيم ما فيكم كفتو لإبراهيم
ليصين اليوم كالقصر

ثم شد عليه قتله .

٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيعي

/ من أبناء أهل خراسان ووجوه أصحاب إبراهيم بن الأغلب ، وكان أقرب [١-٢٢]
الناس إليه في [... ..]^(١) الداعية أهل خراسان ثم أهل الشام ثم أهل
البلد^(٢) ، وأغذاه رسولا إلى الرشيد وبث صحبته برسل بهلول بن عبد الواحد^(٣)
المدغري ، فدخلوا عليه في اليوم الثالث من قدومهم ببلاد . واستأذن الشيعي
هذا في الكلام بعد أن قال : « يا أمير المؤمنين ، رسول سيفك [... ..]^(٤)
دولتك إبراهيم بن الأغلب » ، فأذن له على إثر هذا فخطب [... ..]^(٤) . وكان

(١) يبايع بالأصل ، نستطيع أن نسند بقولنا : في [قتال] الداعية . والله عية 'نستد
إليه هنا هو إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسي ثاني أمراء الإدارة بغفس . وكان بين الإدارة
والأغلبية تنافس وصراع ، وقد رأينا أن إبراهيم بن سالم بن الأغلب كن من التهمين بقتل
إدريس الأول .

(٢) هذه العبارة على أكبر جانب من الأهمية التاريخية . فهي تنق ضوء واضح على
تكوين القوة العسكرية للأغلبية ، وقيمة كل فريق من الفرق التي كانت تكونها . ويضاف إليه
فرقة من العبيد السود كانوا هم الحرس الخاص لإبراهيم بن الأغلب وبنيه من بعده .

(٣) يستحسن أن نقرأ هنا : وبث صحبته برسل [منه] بهلول بن عبد الواحد المدغري .

(٤) يبايع بالأصل ، لا يصر تصور ما ينبغي أن يكون فيه .

بليناً مدركاً ، وهو القاتل في مجلس ابن الأغلب بالقيروان ودار الإمارة منها.
عند قدومه لمحاربة تمام بن نعيم بعد محاربة حسنة :

لولا ابن أغلب أضحت الغرب ليس به عدل ولا لبني العباس سلطان
ثم الخلاف قلوب القوم فاجدهوا إلا خصائص أدتها خراسان
جلا ابن أغلب عنا كل مظلة فيها الطمع يسكر الخوف حيرانه
كادت شياطين تمام ترذن بنا بحر الضلالة والتمائم [شيط] بأن^(١)

٣٩- عمرو^(٢) بن معاوية القيسي

هو من ولد عُمر بن الحباب السلمي أحد فرسان قبس وساداتها الأربعة
في الإسلام ، وم : عبد الله بن حازم ، والجحاف بن حكيم ، وعُمر بن الحباب
للذكور ، وزُفر بن الحرث . وكان عمرو بن معاوية [يشول] ^(٣) ناحية القصرين
من إفريقية ، وخرج على إبراهيم بن الأغلب مع عمران بن مجاهد ، وكان وزيره
الغالب عليه في أموره . ثم خرج ثانية على ولده زيادة الله بن إبراهيم — وكان
قد ولّاه القصرين وما إليهما — فغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف ،
فلما غفر به زيادة الله قتله وبليده الحباب وسكتان^(٤) ، ودعا أهل بيته فشرّب
معهم ورؤوسهم بيت يديه ، فغضب لهم منصور بن نصر الجشعي^(٥) المعروف
بالطنبذني — وكان عاملاً على طرابلس — وتابته الجند ، فاضطربت إفريقية.

(١) يبرص في الأصل .

(٢) في الأصل عمرو ولكنه في بقية النسخ عمرو فقومته على هذا النحو .

(٣) شفت هذه الكلمة لسياق ، مستعياً بما سيأتى بعد .

(٤) سبق أن قلنا على هذين الاسمين . انظر فهرس الأعلام .

(٥) كذا في الأصل ، وربما كانت أيضاً : الجشعي .

على زيادة الله وحُصِرَ في قصره ، ولم يبق في يده إلا الساحلُ وقابس^(١) / إلى أن [٣٢-ب]:
 قتل منصور واستأنس [٣٣-ب] إلى زيادة الله وصَفَتْ له إفريقية واستقامت
 بعد حروب طويلة وخطوب جليلة .

ومن شعر عمرو بن معاوية ما حُكِيَ أن بعض أصحاب تمام بن تميم — يومَ
 التقى هو وإبراهيم بن الأغلب ، عند خروج تمام على ابن التَّكِيّ — برز من
 الصف وهو يقول :

اليومَ نسقيمُ سِوَى الدِّمَامِ بالبيض يَهْوَى حَدُّهَا بِالْهَامِ
 حتى تُخَلَّوْا القَرَبَ لِلتَّامِ

وبرز إليه عمرو وهو يقول :

من مُبْلَغٍ قَوْلِي إِلَى التَّامِ حَلَقًا رِبِّ الْجِلِّ وَالْحَرَامِ
 إياكَ محمول على الصَّمَمِ وقد تَلَاكَ حَلَقُ الْحِرَامِ
 ثم شد عليه فأرداه عن فرسه .

٤٠ — بهلول بن عبد الواحد المدغري

كان رئيساً في قومه ، وهو قام بأمر إدريس بن إدريس الحسني صاحب
 المغرب ، ثم تنبر عليه وفارقه ورجع إلى إبراهيم بن الأغلب عند ظهوره على إفريقية ،
 وذلك بتلطف إبراهيم في إفساد ما بينه وبين إدريس ، فجرت بينهما مكاتبات
 كان في بعضها مما كتبه بهلول إلى إبراهيم :

(١) الأصل : وقاس ، وهو تحريف من السخ .

(٢) بياض في الأصل ، والمعنى مستقيم دون زيادة شيء .

لئن كنت تدعوني إلى الحق ناصحاً لتكشف عن قلبي ضميرٍ خلافِ
 قديماً أنا عاكٍ أنك ناصحٌ لئن قال بالصلح الخلافة كافٍ
 وأنت عمودُ النقابِ عديمٌ تزيينٌ ما تأتي لم بغافٍ
 فعجلُ عليٍّ ردُّ رأيي فأتني أردُّ الهوى الحقُّ حين يُوافي
 فجأبه إبراهيم بقوله:

عرضتُ على البهلول ما إن أصابهُ نعوضُ منه طاعةً بخلافِ
 ليركبَ نهجَ الحقِّ، والحقُّ واضحٌ ونهجُ القبي وعُرُ السالكِ عافٍ
 فلا تتركنَ رُشدَ الهدى لصلاةٍ كمُستبدلٍ رنقِ الشرابِ بطافِ
 / وابع هارونَ الإمامِ بطاعةٍ تجده على الإسلام خير مكانِ

المائة الثالثة

٤١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن
الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،
أبو المطرف

وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس . بويج له يوم
وفاة أبيه الحكم المعروف بالربضي يوم الخميس لثلاث - وقيل لأربع - بقين
من ذي الحجة سنة ست ومائتين ^(١) .

وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام . وكان فصيحاً
مفوهاً شاعراً ، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبغي والسمائيات . وهو الذي
استكمل نخامة الملك بالأندلس ، وكسا الخلافة أبهة الجلالة . وظهر في أيامه

(١) بويج لعبد الرحمن الأوسط بعد موت أبيه الحكم الربضي بيوم واحد ، أي يوم
الخميس ٢٦ ذي الحجة ٢٠٦ . وتاريخ وفاة الحكم الربضي ليس ثابتاً ، لأنه عندما شعر
بإقتراب منيته أخذ النية لآله عبد الرحمن ثم لآله المنيرة من بعده يوم الأربعاء ١١ ذي الحجة
٢٠٦ ، ثم دخل قصره واحتجب حتى مات بعد ذلك بأيام . والتأريخ هو تاريخ ولاية عبد الرحمن ،
ولما تأمنا فيما قلناه هنا ما ذكره ابن عذاري في البيان المنعوب : ٧٧/٢ .

الوزراء والقواد وأهل الكور ، وشيد القصور ، وجلب المياه من الجبل ، وبني
الرصيف على الوادى ؛ وهو القائل منشوقاً ومفتخراً :

قدتُ الهوى مذ قدتُ الحيبا فا أقطع الليلَ إلا نحيماً
وإما بدتُ لى شمسُ النها ر طالمةٌ ذكرْتُنى « طروباً »^(١)

(١) طروب هى جارية عبد الرحمن الأوسط المحببة إليه وأكبر جواريه سلطاناً عليه ،
ونعم أنها كانت أظهن وفاءً له . وقد كان عبد الرحمن مولماً بالنساء ، فاستكثر من
الجوارى ، وكثر لهذا أولاده ما بين ذكور وإناث . وكان أكبر أولاده ، والمرشح لخلافة
تيمناً لذلك ، ابنه محمد . ولم تذكر المراجع أمه ، لأنها توفيت بعيد ولادته على الأغلب ، لأن
ابن أرمسته جارية أخرى من جوارى عبد الرحمن هى « الشفاء » وكانت جميلة تقيّة عاقلة ،
خرجت مع زوجها الأمير فى إحدى غزواته فأصابها المرض ، فأعادها إلى قرطبة ، فانت فى
الطريق ، ودفنت فى قرية مجاورة لطليطلة . وقد أنجبت طروب من الأمير عبد الرحمن ابناً
سمى عبد الله ، فسلمت نفسها إلى أن تحوز ولاية العهد له ، واجتهدت فى ذلك اجتهاداً عظيماً
دون توفيق ، وأخيراً بلغت إلى ما بلغت إليه مثيلاتها فى ظروف مشابهة : دبرت اغتيال
عبد الرحمن وابنه محمد ليخلو الجولانها ، واشترك فى المؤامرة نصر الفقى كبير خصيان القصر .
فكلفا مطيلاً ، وقد من العراق فى ذلك الحين يسمى الحرانى بأن يعد سماً ، فأعده خوفاً على نفسه
من طروب ، وألقى السر إلى جارية أخرى تسمى « فخر » فأبلغت الأمير ، فلما أتاه نصر بالشراب
المسموم طلب إلى نصر أن يشربه فى حضرتة ، فلم يستطع إلا أن يقل ومات . أما طروب
فلا تسمع أن الأمير غضب عليها . وهذا يعيل بى إلى الشك فى حكاية المؤامرة كلها ، وإن كانت
قد وردت عند النشأت من مؤرخينا ، إذ كيف يعقل أن تقوم طروب بذلك ثم لا يصيبها عقاب ؟
وإذا كان المراد هو التخلص من محمد ولى العهد وأبيه عبد الرحمن ، فلماذا لم يقدم السم إلى هذا
أيضاً ؟ الحقيقة - فيما أحسب - أن عبد الرحمن أكثر من الجوارى ، وكانت جواريه معروفات
لناس بأسمائهن ، ذكر المؤرخون منهن طروباً والمؤمرة والشفاء والمدنيات الثلاث فضل وقلم
وعلم ، فكان ذلك مثاراً لكثير من الشائعات والأقاويل .

A. GONZALEZ PALENCIA انظر : التكملة لابن الأبار ، القسم الذى نشره

M. ALARCON فى الكتاب المسمى *Miscelánea de Estudios y textos Arabes*. Madrid.

أرقام ٢٨٥٢ و ٢٨٥٣ و ٢٨٥٤ و ٢٨٥٥ و ٢٨٥٦ و ٢٨٥٨ .

وابن القوطية : انتاح الأندلس ، ص ٧٦ - ٧٧ .

فيا طولَ شوقٍ إلى وجهها وبأكبداً أورتها فُدوبا
ويا أحسنَ الخلقِ في مقلتي وأوفرهم في قوادى نصيبا
لئن حال دونك بُدءُ الزا رِ من بعد أن كنتِ منى قريبا
لقد أورث الشوقُ جسمى الضنى وأضرم في القلب منى لهيا
عداني عنك حزارُ العدا^(١) وقودى إليهم لهاكاً لهيا
كأئنْ تخطيتُ من سبب^(٢) وجاوزتُ بعد دروبِ دروبا
ألقى بوجهي حرَّ المجير^(٣) إذا كاد منه الحصى أن يذوبا^(٤)
وأدريغُ النفعَ حتى لَبَسَ تَ من بعد نضرة وجهي شحوبا
أريدُ بذلك ثوابَ الإله ومن غيره أجنه سُنبا [٢٣-٧]
أنا ابنُ الهشامِينِ من غالبِ أشبُ حروباً وأظنى حروبا
بِي إِذْ أَرَاكَ اللهُ دِينَ الْهُدَى فَأَحْيَيْتُهُ واضطَلَّتْ العليا
سَمَوْتُ إِلَى الشَّرْكِ فِي جَفَلٍ ملأتُ الحُزْنَ بِهِ وَالشُّوبَا
وَذَكَرَ سَكَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبُ^(٥) وَغَيْرُهُ أَنَّهُ أَمْرُ

(١) أورد ابن عذاري الآيات ابتداء من هنا ، وقال إن عبد الرحمن قنفاً عندما خرج
لفزو جليقية سنة ٢٣٥ ، وأخطأ فقال : فقال عبد الرحمن ابن الشَّير (٨٥/٢ - ٨٦) ،
وصحبا « فقال عبد الرحمن بن الحكم » .

(٢) عند ابن عذاري : وكم قد تصقت من سبب .

(٣) عند ابن عذاري :

ألقى بوجهي سمومَ المجير — ير وقد كاد منه الحصى أن يذوبا

(٤) لم نشر على أي تفصيل خاص بجيئة سكن بن إبراهيم الكاتب على الرغم من أنه
كان من أوائل المؤرخين في الأندلس ومجيدهم ، فهو مصر من مصدر ابن حبان : وابن سبيد -
في الذيل الذي علقه على رسالة فضل الأندلس لابن حزم - يسميه بالأخبارى ، ويثنى عليه ويذكر
له كتاباً عن طبقات الكتاب في الأندلس ، وقد ساء ابن حزم « سكن بن سبيد » . ولكن ما لدينا
من المعلومات عنه أنه كان من إشبيلية وأنه توفي سنة ١٠٦٥/٤٥٧ .

انظر : النصبى ، بغية ، رقم ٨٣٤ ص ٢٠٣ .

لجارية^(١) من خطاياء بقدر جوهر كانت قيمته عشرة آلاف دينار ، فجعل بعض من حضره من وزرائه وخاصته يُعظم ذلك عليه ويقول : « إن هذا من الأعلام للضنون بها ، المدخرة للتأبئة » ، فقال له عبد الرحمن : « ويحك ! إن لايس المقدر أنفس خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهرأ . ولئن راق من هذه الحصباء منظرها ، ولعلت إفرئذها ، لقد برا الله من خلقه البشري جوهرأ تنقى منه الأبصار وتذيق الألباب . وهل على الأرض من شريف جوهرها ، وسقى زيرجها^(٢) ، ومُسْتَلَد نعيمها ، وفاتن بهجتها ، أقر لعين ، أو أجمع لزين ، من وجه أكل الله حسنه ، وألقى عليه الجلال بهجته ؟ » ثم دعا بمبد الله بن الشر^(٣) شاعره وجليسه فذكر له ما كان بينه وبين وزيره في شأن العقد وقال : « هل يحضرك

= المقرئ ، فتح الطيب (لايدن) : ١١٩/٢ .

جيانجوس . ترجمة انقسم الأول من فتح الطيب المروقة باسم *History of the Muhammedan Dynasties in Spain* . ٤٦٤/١ .

الغزيري ، فهرس الإسكريال : ١٣٧/٢ .

پونس بوييس : المؤرخون والجغرافيون ، رقم ١٠٤ ص ١٣٨ .

ترجمة الفرنسية لرسالة ابن حزم في فضل الأندلس التي عملها *Charles Pellat* ونشرها باسم : *Ibn Hazm, Bibliographie et Apologisme (Al-Andalus, XIX (1954) fasc. 1, § 27, p. 87 et n. 16.*

وأنتج جنته^(٤) بالثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة ناشر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٥٥) ص ٢١٠ .

(١) قرأها دوزي (٦٢) : بجارية . وأورد نفس الخبر ابن عذارى في البيان (٩٢/٢) وقال إن هذه الجارية هي طروب .

(٢) ثيان (٩٢/٢) : زيرجها .

(٣) عبد الله بن الشر بن نعيم القرطبي ، شاعر عبد الرحمن الأوسط ومنجبه .

ترجم له ابن سمي في « المغرب » ترجمة واسعة وجعله تحت علماء التنجيم ، وأورد كثيراً من شعره ونوادره في التنجيم (طبعة الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣) رقم ٥٩ ج ١ ص ١٢٤ .

شيء في تأكيد ما احتجنا به ١ ، قال : « نعم » ، وأطرق برئته
ثم أنشأ يقول :

أَتَقَرَّنُ^(١) حِصْبَاءَ الْيَوَاقِيتِ وَالشَّذَرِ إِلَى مَنْ تَعَالَى عَنْ سَنَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ ؟
إِلَى مَنْ بَرَّتْ قَدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلْقَهُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا غَيْرُهُ أَحَدٌ يَبْزِي^(٢) ؟
فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صِنْفِ^(٣) اللَّهِ جَوْهَرًا تَضَالَّ عَنْهُ جَوْهَرُ الْكَبْرِ وَالْبَحْرِ
لَهُ خَلَقَ الرَّحْمَنُ مَا فِي سَمَائِهِ وَمَا فَوْقَ أَرْضِيهِ وَمَسَكَنَ فِي الْأَمْرِ
فَأَعْجَبَ الْأَمِيرُ عَهْدُ الرَّحْمَنِ يَدَيْهِتَهُ ، وَنَحْرُكَ طَبَعُهُ لَقَوْلٍ وَأَنْشَأَ يَقُولُ مَنَافِيًا
عَلَى رَوِيَّةٍ :

قَرِيبُكَ يَا ابْنَ الشَّمْرِ عَنِّي عَلَى الشَّرِّ وَأَشْرَقَ بِالْإِيضَاحِ فِي الْوَمِّ وَالْفَكْرِ^(٤)
إِذَا جَالَ فِي سَمْعٍ يُؤَدِّي بِسَحْرِهِ إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا يَجِلُّ^(٥) عَنِ السَّحْرِ^(٥)
/ وَهَلْ بَرَأَ الرَّحْمَنُ فِي كُلِّ مَا بَرَأَ أَفْرَ لَمِينٍ مِنْ مُنَمَّعَةٍ بِكَرٍ [١-٢٤]
تَرَى الْوَرْدَ فَوْقَ الْيَاسْمِينِ بَجْدَهَا كَمَا قَوَّفَ^(٦) الرُّوحُ لِلنَّوْرِ بِالْزَهْرِ
فَلَوْ أَنِّي مُلْكْتُ قَلْبِي وَنَظَرِي نَظَّمْتُهُمَا مِنْهَا عَلَى الْجِيدِ وَالنَّحْرِ
قَالَ لَهُ ابْنُ الشَّمْرِ : « يَا ابْنَ الْخِلَافِ ، شِعْرُكَ وَاللَّهِ أَجُودُ مِنْ شِعْرِي ،

(١) الأصل : أَيْقَرَنُ ، والتصويب من البيان للغرب : ٩٢/٢ .

(٢) الأصل : يَبْزِي ، والتصويب من البيان : ٩٢/٢ .

(٣) في البيان : صِنْفَةٍ .

(٤) في البيان (٩٢/٢) : وَجِلَّ عَنِ الْأَوْهَامِ وَاتَّعَنَ وَتَفَكَّرَ .

(٥) في البيان (٩٢/٢) :

إِذَا شَافَهُتْهُ الْأُذُنُ أَدَى بِسَحْرِهَا إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا يَجِلُّ عَنِ الشَّمْرِ

(٦) عند دوزي : قَوَّفَ ، ورواية الأصل صحيحة . قَوَّفَ مِنْ أَغْوَفَ ، وَهُوَ نَبِيضُ

مَعَ رَقَّةٍ (السان : ١٨٠/١١) .

وثأؤك عليه أفضل من صلتى ، وما منحتك لى إلا تطولاً منك بنير استحقاق
منى ، فأضف جائزته وأكثر التناء عليه ^(١) .

وله أيضاً فى النسيب :

قلتقى بهـواكا وما أجبـهـواكا
من لى بسحر جئون تديره عيناكا
وحرة فى مياض تكسى به وجتاك
اعطى على قليلاً وأخينى برضاكا
قد قعت وحسنى بأن أرى من رآكا

وحكى ابن فرج صاحب « كتاب الخدائق » أنه فرّق فى يوم فقصه له
بدرأ على من حضره ، وصيّد الله بن قرلمان أحد خواصه ومواليه غائب فى باديته ،
فاجدر فوجد أمراً قد فذ ، فكتب إليه بأبيات منها :

يا ملىكا حلّ ذرى المجد وعمّ بالإسمام والرّفد
طوبى لمن أسمعته دعوة فى يومك المانوس بالقصد
فظلّ ذاك اليوم من قصّيه مستوطناً فى جنة الخلد
وقد عدّانى أن أرى حاضراً جدّ منى يحظى الورى يكدي ^(٢)
فأمّن بنو طىّ جدّاً لم يزل يهـ أهـل القرب والبعد

(١) روى ابن عسارى (اللباب : ٩٣/٢) نادرة لطيفة ، قال : ثم أمر لابين الشمر
ببصرة ميا خمسة ديار ، فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه ، فلما تواريا عن الأمير

قال له الوصيف : « أين كسات العمر يا ابن الشمر ؟ » فقال : « تحت إبطك يا سيدي . . »

(٢) الأصل : من يحيط الورى يكدي .

نوقع في أسفل كتابه : « مَن آتَرَ التَّضَيُّعَ فَلْيَرْضَ بِحُظِّهِ مِنَ النُّومِ » ١ ، فجوابه
ابن قزمان بأبيات أولها :

* لَانْتُ إِنْ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ مَحْرُومًا *

فأمره بالصَّلة وردَّ في جوابه :

لَا غَرَّ أَنْ كُنْتُ مَمْنُومًا وَمَحْرُومًا إِذْ غَبَتْ عَنَّا وَكَانَ الْعَرَفُ مَقْسُومًا
غَلَنَ يَنَالُ أَمْرُؤُ مِنْ حُظِّهِ أَمَلًا حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الْإِجَادِ حَبْزُومًا
/ فَهَآكُ مِنْ مَيِّبِنَا مَا كُنْتُ تَأَمَّلُهُ إِذْ نُحِتَ فَوْقَ رِجَاءِ الْوَرْدِ تَحْوِيمًا [٢٤-٧]

٤٢ - ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، أبو عبد الله

يُوعِي لَهُ فِي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا أَبُوهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غَرَّةَ شَهْرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَ أَيْمَنَ الْخُلَفَاءِ
بِالْأَنْدَلُسِ مُلْكًا ، وَأَسْرَامَ نَفْسًا ، وَأَكْرَمَهُمْ تَنْبِيْثًا وَأَنَاةً ؛ وَكَانَ السَّيِّدَ عِنْدَهُ
سَاقَطًا . يَجْمَعُ إِلَى هَذِهِ الْخُلَالِ الشَّرِيفَةِ الْبَلَاغَةَ وَالْأَدَبَ . وَتَوَفَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ
مُنْسَلَخَ صَفَرٍ - وَقِيلَ لَيْلَةَ بَقِيَّتِ مِنْهُ - سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ
وَسِتِينَ [سَنَةٍ] ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَاحِدَ عَشَرَ شَهْرًا . وَهُوَ
الْقَاتِلُ فِي مَنْصَرَفِهِ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ :

قَهَلْتُ فَأَغْدَتُ السُّيُوفَ عَنْ الْحَرْبِ وَمَا أَغْدَتُ عَنِ السُّيُوفِ مِنَ الْحُبِّ
صَدْرْتُ وَبِىَ الْبَيْدَ مَا بَى ، فَرَادَنِي إِلَى الشُّوقِ أَشْوَقًا رَجَائِي فِي الْقَرَبِ
أَحُلُّ شِدَادِي فِي السَّرَاقِ نَازِلًا وَلِلشُّوقِ عَقْدٌ لَيْسَ يَنْعَلُ عَنْ قَلْبِي
أَقْرُبَةً ، هَلْ لِي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ تَرَى بَيْنِي أَوْ تَمْنَى مِنْ جَنبِي ؟

سقى القصرَ حيثُ بالمرصاة^(١) مثلهُ وجلت عزَّ اليه^(٢) كجودى في الجلب
عدانى عدوً عن حبيبٍ ، فزرتُهُ بجيشٍ تضيق الأرضُ عن عَرْضه الرحب
إذا اسودَّ من ليلِ الدروع تليحتُ أسفتهُ فيه عن الأنجم الشهب
على أتقِ حصنٍ لجيشٍ إذا تقوّا وعزى بهم أذى السيوف إلى الضرب
وله :

ذَكَرَ الصُّبْحَ فظَلَّ مصطبِحًا يستعمل الإبريقَ والقِدْحًا
ما زال حيًّا وهوَ يشرُّها حتى أمانته الكؤوسُ ضَحَى

٤٣ — ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد

وُلِيَ بعد أخيه أبى الحكم للتذر بن محمد بن عبد الرحمن فى صفر سنة خمس
[١-٣٥] وسبعين ومائتين ، ووقى سنة ثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، / فكانت
خلافته حساً وعشرين سنة . وكان أدبياً ، شاعراً ، بليغاً ، بصيراً بالغة والغريب
وأيام العرب . وفى أيامه اضطربت نار الفتنة بالأندلس فتفتنَّص عليه مُلكه .

ومن مشهور شعره ما وقع به إلى الوزراء فى قصة موسى بن حُدَيْر وعيسى
ابن أحمد بن أبى عبدة^(٣) ، إذ أراد كل واحد منهما أن يكون مجلسه فوق الآخر ،

(١) قرأ حوزى هنا (ص ٦٥) : فالمرصاة .

(٢) يقال السحابة إذا انهمرت بالمطر الجود قد حلت عزَّ اليها وأرسلت عزَّ اليها (السان :
٤٦٩/١٤ - ٤٧٠) .

(٣) بنو حُدَيْر وبنو أبى عبدة من بيوت الأندلس الكبيرة التى تقاسمت الوظائف الكبرى
فى الإمارة ثم فى الخلافة الأندلسية ، وكانت تعرف بالبيوتات ، وأكبرها هذان البيتان ثم
بنو شهيد وبنو عبد أرموف وبنو فطيس ، وكلهم من موالى الأمويين للشرقيين أو الأندلسيين
وموالى مواليهم . فبنو حُدَيْر كانوا من موالى البيت الأموى للشرقي ولهذا كانوا معلولين فى -

فَسَخَا لَمَّا كَانَ قَدْ رَقِبَهُ وَالِدُهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ رَفْعِ الْمَوَالِي الشَّامِيِّينَ
عَلَى الْبَلَدِيِّينَ :

مَوَالِي قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدَّمُوا مَوَالِي قُرَيْشٍ لَا مَوَالِي مُعْتَبٍ
إِذَا كَانَ مَوْلَانَا يَسَاوِمُ عِنْدَنَا سِوَاهُ فَمَوْلَانَا كَأَخَرِ أَجْنَبِي
حَوْلَ اسْمِ « مَنِيث » إِلَى « مُعْتَبٍ » إِمَّا ضَاً وَاقْتِيَاداً لِقَافِيَةٍ .
وَلَهُ فِي النَّسِيبِ :

يَا كَيْدَ الْمَشَاقِّ مَا أَوْجَعَكَ وَيَا أَسِيرَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ
وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظَهَا بِالرَّدِّ وَالتَّبْلِغِ مَا أَسْرَعَكَ
تَنْهَبُ بِالسَّرِّ وَتَأْتِي بِهِ فِي مَجْلِسٍ يَخْتَنِي عَلَى مَنْ مَعَكَ
كَمْ حَاجَةٍ أَنْجَزْتَ مَوْعِدَهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ ، مَا أَلْطَمَعَكَ !
وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

وَيُنْجِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ
كَأَنَّمَا وَجَّتَاهُ وَرَدَّ خَالَعَهُ النُّورُ وَالْبَهَارُ
قَضِيبُ بَانٍ إِذَا تَلَقَّى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارُ
وَقَفَّ عَلَيْهِ صَفَاهُ وَدَّى مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

= الشَّامِيِّينَ ، أَمَا بَنُو أَبِي عُبَيْدَةَ فَكَانُوا مَوَالِي مَنِيثِ الرُّومِ مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهَذَا فَقَدْ
كَانُوا مَعُودِينَ فِي الْبَلَدِيِّينَ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ ، لِأَنَّهُمْ مِنْ الْأَنْدَلُسِ . وَهَذَا كَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ قَدْ قَرَّرَ
أَنَّهُ يَتَقَدَّمُ الشَّامِيُّونَ عَلَى الْبَلَدِيِّينَ ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْوِزَارَةَ فِي الْأَنْدَلُسِ كَانَتْ تَتَأَلَّفُ مِنْ حَاجِبٍ
أَشْبَهَ بِرئيسِ الْوُزَرَاءِ ثُمَّ عِدَدٌ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، فَهُوَ اجْتَمَعَ فِي الْوِزَارَةِ شَأْنٌ وَيُكَلِّفُ كَانَ الْقَتْمُ لِلأَوَّلِ .
وَكَانَ كُلُّ مَنْ مَوْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ وَعِيسَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ أَكْبَرِ رِجَالِ بَيْتِهِمَا ،
وَقَدْ وَلِيَ أَوَّلَهَا الْحِجَابَةَ لِمُنَاصَرٍ . فَلَمَّا اجْتَمَعَا فِي الْوِزَارَةِ أَيَّامَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ أَرَادَ عِيسَى بْنُ أَحْمَدَ
ابْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى صَاحِبِهِ ، لِأَنَّ أَبَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ كَانَ أَكْبَرَ قُرَوَادِ الْأَمِيرِ
عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ فِي إِتْقَادِ الْإِمَارَةِ مِنَ الْفُضَيَّاحِ ، وَلَكِنْ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ أَثَرُ أَنْ يَضِلَّ
الْأَمْرَ كَمَا رَسَمَهُ أَبُوهُ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَنْظُرَ بَنُو حُدَيْرٍ مُتَقَدِّمِينَ عَلَى بَنِي أَبِي عُبَيْدَةَ .

وله في الزهد :

يَا مَنْ يَرَاوُهُ الْأَجَلُ حَتَّامٌ مُبْلِيكَ الْأَمَلِ
حَتَّامٌ لَا تَخْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ
أَغْلَقْتَ عَنْ طَلَبِ النِّجَاةِ وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَقَلَ
هِيَاتَ بَشْطِكَ الرَّجَا ، وَلَا يَدُومُ لَكَ الشُّغْلُ

/ وله في مثله : [٢٠-٧٠]

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ وَمَا فِيهَا لَشَيْءٍ مِنْ بَقَاءٍ
فَبَادِرْ بِالْإِنْيَابَةِ غَيْرَ لَاحِظٍ عَلَى شَيْءٍ يَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ
كَأَنَّكَ قَدْ مُحِلْتَ عَلَى سِرْبٍ وَصَارَ جَدِيدُ حُسْنِكَ لِلْبَلَاءِ
فَنَفْسِكَ فَابْكِيهَا أَوْ تُخِّ عَلَيْهَا فَرُبَّمَا رُحِمْتَ عَلَى الْبُكَاءِ
وَكَانَ ، بِفَضْلِ أَدَبِهِ ، رُبَّمَا اسْتَرْسَلَ ، فَقَالَ بِحَسَبِ ذَلِكَ أَوْ تَمَثَّلَ ، ثُمَّ لَا يَدَعُهُ
كَرُمُ الْأَوَائِلِ ، وَشَرَفُ الشَّمَائِلِ ، حَتَّى يُدْنِيَ مِنْ أَقْصَاءِ ، وَيُيَدِّي لِمَنْ أَهْتَبَ
رِضَاهُ . قَالَ فِي النَّصْرِ^(١) بَنُ سَلْمَةَ الْكِلَابِيِّ :

أَنْتَ يَا نَضْرَ آيِدَةٍ لَسْتَ تُؤْجِي لِفَائِدَةٍ
إِنَّمَا أَنْتَ عِدَّةٌ لِكُنُفٍ وَمَائِدَةٍ

(١) في الأصل : انظر بوضوح ، وكذلك عند ابن عثاري (١٥٤/٢) . ولكن فرانتيسكو كوديرا نشر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرغى قرأه : نصر . وهو النصر بن سلمة ابن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي . ترجم له ابن الفرغى تحت رقم ١٤٩٦ ، ج ٢٨/٢٩ وقال إنه من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد ، استقضاء الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة مرتين ثم استوزره . . وقال الرازي إنه توفي يوم الثلاثاء ٩ ذي الحجة ٢٠٢/٢٦ يونيو ٩١٥ . وترجم ابن الفرغى لأخيه محمد تحت رقم ١١٣٩ (٢/٢٢٠) وقال إن الأمير عبد الله استقضاء بعد أخيه النصر (كذا وصحتها : النصر) بن سلمة ، وكان رجلاً صالحاً كبير النعم . توفي في ذي الحجة ٢٨٩/نوفمبر ٩٠٢ .

وعلى ذلك استنشاء مرتين ، ثم استوزره واستغنى أيضاً أخاه محمد بن سلمة
تقيلاً للأخلاق الحكيمية^(١) ، وجرياً على الأعراق التبشمية .

وقرأتُ في تاريخ الحميدى ، أن الوزير سليمان بن وانسوس^(٢) — وكان
من رؤساء البربر — دخل عليه يوماً — وكان عظيم اللحية — فلما رآه مقبلاً
جعل الأمير عبد الله ينشد :

هَلْوَقة^(٣) كأنها جوالقُ نكراء لا بارك فيها الخالقُ

للقمل في حافاتها ضائقُ فيها لباغى للتكا مرافقُ

وفي احتدام الصيف ظلٌّ رائقُ إن الذى يحملها لماثقُ

ثم قال له : « اجلس يا بربرى ! » فجلس وقد غضب فقال : « أيها الأمير ،
إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الغيم ، وأما إذ صارت
جالبة للذل فمَنِينا عتكم ، فإن حُلْمَ بيننا وبينها فلنا دور تسعنا ، لا تقدرُونَ على
أن تحولوا [بيننا و]^(٤) بيننا » ثم وضع يديه في الأرض وقام من غير أن يسلم ،

(١) هنا يلحق ابن الأبار ويشير إلى ما تقتضيه « الأخلاق الحكيمية » و « الأعراق التبشمية »
إشارة إلى غضب السلطان أبى زكريا عليه وإبعاده وإلزامه بيته ، بما حقر ابن الأبار على تأليف
كتابه « إعتاب الكتاب » على ما هو معروف وما ذكرناه في المقدمة . وقد كان ابن الأبار
حسبى الحظ في تونس بسبب حدة مزاجه وعدم ضبطه لسانه ، فكان معظم أيامه مبعساً أو مغضوباً
عليه كالمجهد ، ولهذا تكرر في كتبه مثل هذه الإنذارات .

(٢) سترجم ابن الأبار لسليمان بن وانسوس هذا فيما بعد .

(٣) الهلوة والهلوف اللحية المنفضة .

(٤) وردت هذه العبارة مضطربة بالأصل ، بعضها في المتن وبعضها في الهامش ، وقد
وردت « فتينا » و « تنينا » وقد قومها دوزى (ص ٦٧) على هذا النحو ، وهو تقويم مقبول ،
فأغلفناه . وقوله : « فإن حُلْمَ بيننا وبيننا » المراد بها المنزلة أو وظيفة الوزارة التي كان يحتلها
سليمان بن وانسوس في ذلك الحين . وأما قوله : « فلنا دور تسعنا لا تقدرُونَ على أن تحولوا
بيننا وبيننا » فإشارة إلى بيت أسرته الأول في ماردة ، وكان جده قد ثار فيها وامتنع على الحكم
الربضى وسبب له متاعب طويلة حتى استسلم ولده وانسوس ونشأ ابنه سليمان في قرطبة على
الطاعة . وتصرف الأمير عبد الله مع سليمان يعرض علينا جانباً من سياسته العامة ، فقد كان
يدارى الناس ما أمكن تجنباً لمزيد من التوريات التي ملأت عصره كله .

ونهب إلى منزله ، فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دَسْتَهُ^(١) التي كان يجلس عليه ؛ وبقي كذلك مدة .

ثم إن الأمير عبد الله وجد قَدَهُ^(٢) لفنائه وأمانته ونصيحه وفضل رأيه ، فقال للوزراء : « لقد وجدتُ لفقْد سليمان تأثيراً ، وإن أردتُ استرجاعه ابتداءً [١-٥٩] منا كان ذلك غضاظةً علينا ، ولوددتُ أن يتدنأ بالرضا » ، فقال له / الوزير محمد بن الوليد بن غانم : « إن أذنت لي في المسير إليه استهنضته إلى هذا » فأذن له . فنهض ابنُ غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن ، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بني أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبة ولا يحجبه أولاً لحظة^(٣) ، فأبطأ الإذنُ على ابن غانم حيناً ، ثم أذن له ، فدخل عليه فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ولا قام إليه . فقال له ابن غانم : « ما هذا الكبر ؟ هدى بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه تتلقاني على قَدَم وتزحزح لي عن صدر مجلسك ، وأنت الآن في موجدته بضد ذلك ! » فقال له : « نعم . لأنني كنت حينئذ عبداً مثلك ، وأنا اليوم حر » ، فبئس ابنُ غانم منه وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ؛ فابتدأ الأمير بالإرسال إليه وورده إلى أفضل ما كان عليه .

٤٤ - يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

ويُكنى أبا قُصَيٍّ ؛ كان أديباً شاعراً مطبوعاً كلفاً بالعلوم ، جواداً لا يُليق

(١) أي عزله من الوزارة . وقد كان لكل صمو من أعضائها دست أي مقعد يجلس عليه عند اجتماع الوزراء . وكانت دست رئيسه - وهو الخاجب - أعلى من دست الآخرين .

(٢) الأصح : نَفَرَأَ هنا ؛ وجد لفقده . أي حزن لفنايه .

(٣) كذا في الأصح بوضوح . وأصح أن نقرأ هنا : ولا لحظة .

شيئاً^(١) ، وهو القائل في ابن أخيه أبي أمية العاصي ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن من قصيدة :

تُنَادِي مَاجِدًا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ زَكَّى الْفَرْعَ مِفْضَالَ الْيَدَيْنِ
سَمَا لِلْكَرُمَاتِ قَدْ حَوَاها بَهْدِي وَخَطَارِ رُدِّي
وَعَيْنًا حِينَ يَنْكَبُ لَا الثَّرِيَا بِهِ جَادَتْ وَلَا نَوَى الْبُطَيْنِ

ما أحسن قول أبي سروان بن حيان ، وذَكَرَ ثناء معاوية بن هشام الشيبني على أبي قصي هذا : أقول : وصفه بالطبع في الشعر ، ثم لم ينشد له ما يصدق وصفه ، بل أشد له ثلاثة أبيات [من قصيدة مدح بها ابن أخيه العاصي ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن]^(٢) ليست بظائل . وله مما قرأتُ في « كتاب الحدايق » لابن فرج :

يَا ابْنَ الْخِلَافِ مِنْ بَنِي فِهْرٍ [... ...] الزَّهْرِ^(٣)
يَا أَكْرَمَ^(٤) الْأَمْلاكِ كُلِّهِمْ [... ...] مَضْطَرِ
إِنْ الصِّيَامُ قَدْ انْقَضَى وَمَضَى يَنْدَى يَدِيكَ [... ...] الْبَشْرِ

-
- (١) يقال : فلان ما يليق شيئاً من شأنه ، أي ما يملك . (المساند ١٢/ ٢١٠) .
(٢) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حيان ، وقد وجدت الموضوع في مخطوطة تسمى عثر علىها ، وأُعِدَّ للنشر مع الدكتور محمود علي مكِّي (١٩٥ - ١) ، وأكدت نقص متن ابن حيان منها . وقد علق ابن حيان على هذه الأبيات بقوله : اصغرته القافية إلى أن قرئت بين أنزور ' لأنو' وأنزورها ، فأحال جنداء . والأبيات الثلاثة هي المذكورة آنفاً ، وبين روي ' ابن حيان وابن الأبار لما نقلاه عن معاوية ابن هشام الشيبني بعض خلاف في الألفاظ .
(٣) وردت هذه الأبيات في الأصل مبتورة هكذا ، ومن أسف أننا قدنا كتب حديثاً لابن فرج ، ولم نستطع إكمالها من أي مرجع آخر .
(٤) في الأصل : كرام ، وصوبتها للوزن .

٤٥/ - أخوه بشر ابن الأمير عبد الرحمن

[٣٦ - ب]

ذكر أبو محمد بن حزم في كتاب «جهرة الأنساب»^(١) أنه كان شاعراً ،
وأشده أبو عمر بن فرج صاحب «كتاب الحقائق» :

حجابك لي عن الدنيا حجابٌ ويوم لا أراك به عذابٌ
وقد كانت تضيق الأرضُ عندي إذا وارك سِتْرٌ أو نقابٌ
فكيف أعيش إذ^(٢) وارك عنى قصور دونها بابٌ فبابٌ ؟

وليعقوب وبشر هذين إخوة جلة [منهم]^(٣) هشام ، وكان من أهل العلم
والفضل والبصر بالبرية ، وأكثر من الرواية عن يحيى بن يحيى . وكان أبوه
الأمير عبد الرحمن الحكيم قد نصّبه في خلافته لصلاته على جنازة أهل قصره
وأكابر رجاله ، كما نصب عبد الرحمن [بن معاوية] ابنه هشاماً . [ومنهم أبان
وع] [شأن على اختلاف فيه] ، [وما]^(٤) ابنا عبد الرحمن بن الحكم ، وكانا أدبيين
شاعرين ، وسيأتي ذكرهما في آخر التأليف إن شاء الله تعالى .

(١) لا وجود لهذا في «جهرة أنساب العرب» لابن حزم التي بين أيدينا ، مما يدل
على أن نسخة مختصرة . ومن أسف أن ذلك الاختصار نال الكثير مما وصلنا من الكتب .

(٢) الأصل : إذا ، ولا يستقيم به الوزن .

(٣) أمدها دوزي ها (٦٩) وهي إضافة في موضعها .

(٤) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، بعضها في المتن وبعضها في الهامش ،
وقد رتبناها على هذا النحو كما فعل دوزي (ص ٦٩) . وقد أثبت دوزي اسم أبان أصحاً على
أن ابن الأبار ترجم له مع أخيه عثمان بعد ذلك . ولم أجده اسم أبان بين أولاد عبد الرحمن بن الحكم
كما أوردهم ابن حبان فقلا عن الرازي (مخطوط ١٩٤ ب) ، وليس له ذكر كذلك في نسب
بني أمية الأندلسيين كما ذكره ابن حزم في «الجمهرة» (ص ٩٠) ، وربما كان هذا هو السبب
في قول ابن الأبار بعد أن ذكر أبان وعثمان : «على اختلاف فيه» .

٤٦ - القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، أبو محمد

كان من الأدباء الشعراء ، إلا أنه مُقِلٌّ . وكان أحد الجبابرة للموصوفين ، شديد البُتْأ وتَيَّاهَا ؛ وقَبِضَ عليه أخوه الأمير عبد الله فأت في حبسه مسموماً . ومن شعره [و] ^(١) بديهته السائرة في الناس ، وقد دخل دار أخيه عثمان بن محمد فاستسقى ماء فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها ، وأنشأ يقول :

لله في دارِ عثمانٍ له ثمنٌ وأُخْبِرُ فيها له شأنٌ من الشأنِ
فاسلِّحْ على كلِّ عثمانٍ مررتَ به إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ
كذا قال ابنُ حبانٍ ، وهو غلط لاخفاء به . وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدهما أبو عمر [بن عبد البر النمري في كتاب « بهجة » ^(٢) المجالس » من تأليفه وهي :

يا أختَ كِنْدَةَ جاني شربِ عثمان وأزِمِي لبني أودٍ بهجرانِ
يا أختَ كِنْدَةَ سِيرِي سِرِ سَاخِطَةٍ كَيْ تَقْرِي مُتَوَكِّيَ غَضَبِي وَغَضبانِ
/ لله في دارِ عثمانٍ له ثمنٌ وأُخْبِرُ فيه له شأنٌ من الشأنِ [١-٢٧]
عثمان يعلمُ أنَّ الحَدَّ ذو ثمنٍ لكِنَّهُ يَشْتِي حَداً بَجانِ
والناسُ أكْبَسُ من أنْ يَحْمَدوا رجلاً حتى يَرَوْا عِندَهُ آفَارَ إِحسانِ
اغْصِلْ يَدَيْكَ بِأُشْتانٍ وَأَقْهِمَا غُصْلَ الْجَنائَةِ من معروفِ عثمانِ
واسلِّحْ على كلِّ عثمانٍ مررتَ به إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ

(١) أضفنا الوارد هنا لسياقه .

(٢) يياض في الأصل ، وهكذا أكله دوزي ، وهو حسن .

وأنشد له الحَسِيدِي وقال فيه [... ..] القاسم غلط منه ^(١) :
 مَسَكَنْتُ مِنْ قَلْبِي الْمَوَى مَا أَمَكْنَا ولقد أراء للصباية مَسَدَنَا
 هذا هلالٌ قد بدا ومدامَةٌ تجرى براسته وعيش قد هَنَا
 وله أبيات كتب بها إلى محمد بن عبد العزيز الصبي الأديب لم يُجِدْ رصفها
 غرأيت حذفها .

٤٧ - المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم

شقيق القاسم للذكور آنفاً . برع في الشعر وهو ابن عشرين سنة ، وتوفي
 معتبطاً في حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ، وكان آدَبَ وَلَدِ الأمير محمد
 وأشعرهم . ذكر ذلك ابن حَيَّان ، وقال أبو محمد بن حزم في كتاب « جمهرة
 الأنساب » من تأليفه — وذكر للمطرف هذا : « كان شاعراً مفلحاً ، عالماً
 بالفناء . وكان له عَقِبٌ قد اُخْرَضَ » .

وأنشد له صاحب « الحداثق » يرثي أخاه عبد الرحمن بن محمد :
 أُنْخِ كانَ إنْ لم يَمِرْعِ النَّاسُ أَصْبَحَتْ مواهبُهُ للناسِ وهي مِراجُ
 كثيرٌ عَلَيْكَ الْحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كما كَثُرَتْ مِنْ راحتيكَ الصَّغَائِمُ
 عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ ، إنَّ النَّدَى لَهُ زوالٌ وإنَّ السَّعَى بِدَكَ ضائعٌ
 وله فيه :

يا عابِدَ الرَّحْمَنِ ما أَوْضَحَ فِينا سُبُكُ

(١) كذا في الأصل ، ولم أستطع تقويم العبارة من جلوة المقتبس للحميدي كما وصلتنا .

أيقظت^(١) شِعرى أبداً فاقول لى والفعل لك
 ما التَّكَلُّ والحسرة [...] [... ..]^(٢)
 يا موت أجملتَ فتى^(٣) فى الرُّوع قَدَمًا أجمَلتَ

/وله أيضا :

[٣٧-ب]

أشهى من الكاسِ حاملُ الكاسِ أرعاه ما طاف حول جُلَاسِ
 يثقل من أجله الجليسُ ولو كان من النسك آمِنَ الناسِ
 وكتب إلى أخيه اللذذ من محمد ، وكان ما ذكر إليه :
 هل أتىكى مُشْرِةً على نهري أرى بطرئى إليه من قصرى
 عند أخْرِ لو دَهَتْه حادثةٌ أعطيتُ ما أحبُّ من عمرى
 نشرب نخلية^(٤) فضيبتها أتحتفِ الخمرَ ذِةَ الخمرِ ؟
 فوعده الكونَ عنده ، فكتب إليه يستنجزه :

ولوعُ النفسِ بالوعْدِ الوَفَى وإنجازُ الثقالِ على الوَفَى
 فإن أرضاك أن تقدو ضحاه وإلا كان ذاك مع العَشَى
 نكون ذِلةً أنتَ البُبدَى ونحن إليك ، ثم أبو عى

(١) الأصم : نهضت . ولا يستقيم من نخل . وقد حسب دوزى : نهضت . وم : نهضت .
 قُرب سيق .

(٢) تركها : مسح يمسح . وم : مسح .

ما تكرر وخسرة [ف] تكرر وخسرة [ف]

(٣) نسي دوزى (ص ١١) قد خرف .

(٤) كذا فى المصدر . وقرئ دوزى (ص ١١) : قهبة . وه : شجرة فى مسين و
 م يقرب منها فى باب تخلف فى شخص بن سيرة . ولا وجدت محمد معن يفسر بالخمر فى
 المعجم ، وكما ما وجدت فى مردد بن جعفر غفر نخس - عذركم يتسبب به .

وله في الشَّيب :

إِن شَيْبًا وَصَبَوَةً لِّمَحَالُ قَدْ أُنِيَ أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالُ
رَكِبَ الشَّيْبُ لِمَتَى خَلَّ الشَّعْرُ رِ لَوْ قَتِرَ حَالُهُ بِهِ الْأَحْوَالُ
فَدَعِ^(١) النَّفْسَ عَنْ مَزَاحِرِ وَلَهْوِ تِلْكَ حَالُ مَضَتْ وَجَاءَتْ حَالُ
ولحمد بن عبد العزيز العُتَيْبِي فِيهِ ، يَفْضُلُ شَعْرَهُ عَلَى أَشْجَارِ إِخْوَتِهِ وَأَقْرَبَاتِهِ :
يُغْنِي^(٢) مَسَامِعَنَا لَهُ بِهَوَالِيَا بِلَاكُ مِنْ لَفِظِهِ وَزَبْرُجْدِ
وَالشَّعْرُ يُسَجِّدُ نَحْوَ قِبْلَتِهِ شَعْرِهِ وَلَنْ يَرَى قِبْلَتَهُ شَعْرِهِ لَمْ يُسَجِّدِ

٤٨ - إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوها

أَنشَدَهُ ابْنُ فَرَجٍ فِي « كِتَابِ الْخَدَائِقِ » :

دُنُوًّا مَعْنَى فِي مَنْزِلِي هُوَ الْمَلِكُ بِسَرِّهِ اللَّهُ لِي
/ فَيَكْفُنُنَا جَانِبَ وَاحِدٍ وَيَجْمَعُنَا الشَّرْبُ مِنْ مَسْهَلٍ
وَأِنْ حَالَ دَوْلِكَ بِأَبَا حَدِيدٍ وَقَصْرُ مَشِيدٍ مِنْ الْجَنْدَلِ

[١-٢٨]

هؤلاء المروانيون في هذه المائة .

ومن الحسينيين فيها :

(١) دَعَا : فَرَعَ .

(٢) غَضِبَ : يَغْنَى . وَلَا مَعْنَى لَهُ هَذَا ، وَقَدْ تَكُونُ مَعْنَاهُ مَا أَثْبَتَاهُ .

٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي

وَلَى الْبَصْرَةَ^(١) وَطَنْجَةَ وَمَا يَلِيهَا لِأَخِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الْقَاسِمِ بَعْدَ أَبِيهِ
سُلْطَانَ الْمَغْرِبِ . وَكَانَ إِدْرِيسُ قَدْ وَلَدَ مُحَمَّدًا هَذَا وَالْقَاسِمَ وَاحِدًا وَعَبْدَ اللَّهِ وَعِيسَى
وإِدْرِيسَ وَجُفْرًا وَيَحْيَى وَحَمْزَةَ وَعَبِيدَ اللَّهِ وَدَاوُدَ - وَبِهِ كَانَ يُكْنَى -
وَعُمَرَ ، وَبَنَاتٍ .

وَلَمَّا تَوَفَّى إِدْرِيسُ مَسْجُومًا فِي حَبَّةِ غَنَبٍ^(٢) سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ
- كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ - اجْتَمَعَتِ الْبُرُجُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَبَايَعُوا لَهُ إِخْوَتَهُ جَمِيعًا ،
وَاتَّخَذَ مَدِينَةَ قَاسٍ قَرَارًا ، وَفَرَّقَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ^(٣) ؛ فَكَثُرَ أَخُوهُ عِيسَى

(١) يريد بَصْرَةَ الْمَغْرِبِ وَكَانَتْ بِلَدًا إِسْلَامِيَّةً مَنْسُورًا . وَلَا زِلَّاتٌ كَثُرَتْ بَاقِيَةَ ظَاهِرَةِ
عَلَى إِسَارِ الْمَغْرِبِ مِنْ طَنْجَةِ إِذْ سَوَّى يُرْبَعًا ، وَهِيَ عَلَى نَحْوِ ١٠٠ كِيلُومَتَرٍ جَنُوبَ طَنْجَةِ فِي خُفِّ
مُسْتَنِيمٍ قُرْبِيِّ . وَنَسَبِي بَصْرَةَ كُنْتُ وَبَصْرَةَ بَنَاتٍ . حَسْبَا مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ سَنَةَ ٢١٠ /
٨٣٣ . وَقَدْ خُذَ كَلِمَةُ غَنَبٍ بِوَعْدٍ لِبُكْرَى (ص ١١٠ - ١١١) وَذَكَرَهُ بْنُ حَوْقَلٍ
وَالْإِدْرِيسِيُّ وَغَيْرُهُمَا .

الْفَرَسُ : مُحَمَّدٌ مَكْنَسٌ . غُرَيْبَةُ الْمَغْرِبِ بِمُزَيْنُوجِيَّةٍ (مَكْنَسٌ - ١٩٣١) ص ١١ .
وَأَمَّا غَنَبٌ : لِاسْتِغْنَاءِ سَعْدِ بْنِ (- ر. س. ١٩٥٤) ١٧٣ / ١ .

(٢) هَذِهِ يُقَالُ رَوَايَةُ رُوِيَ عَنْ شَرَحِ (ص ٦) وَكَانَتْ وَهَذِهِ حَسْبُ رَوَايَةٍ .
لِكُتَابِ فِي لِيَّةِ ١٢ جَدِي سَنَةِ ٢١٣ / ٢٩ عَمَلُ ٢١ وَكَانَتْ سَنَةَ ٣١٠ .

(٣) كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ قَدْ قَسَمَ نَوَاحِيَ دَوْلَتِ بْنِ حَوْقَلٍ . نَصَحَتْ
بَنَاتُ جَدِّهِ كَلْدَةَ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا تَقْسِيمُ أَيْنَ فِي زُرْعَةٍ وَرُوسٍ غُرُوسٍ (طَبْعَةُ قَس - ص ٢٠) ،
وَأَبْنُ عَدَارِي فِي تَبْيِينِ الْمَغْرِبِ (٢١٠ / ١) ، وَلَمْ يَزَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ (١٧٣ / ١) ، وَبُكْرَى فِي
وَصَفِّ الْإِفْرِيقِيَّةِ ؛ وَهَذَا تَقْسِيمُ مِمَّا هَذَا لِمَا يَرْتَبِعُ حَوْدُودَ خُدَّهِ مِنْ بَنَاتِ بْنِ مُبَارَكٍ
مِنَ الْأَدَارَةِ . وَفِيهِ بَنَاتُ جَدِّهِ مَثَارُونَ سَهْلٌ تَقْسِيمٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُ نَصْرُ بْنُ عَدَارِي رَأً لَا يُضَيِّفُ
شَيْئًا ذَا بَالٍ :

ابن إدريس وخرج عليه ، فكتب محمد إلى القاسم يأمره بمحاربته إذا كان بمحاذيه^(١) في ولايته ، فأبى القاسم وكتب إليه معتذراً من توقفه عما أمره به :
سأترك للراغب الغرب نهياً وإن كنت في الغرب قتيلاً ونذياً
وأسمو إلى الشرق في همة يعز بها ربكاً من أحبا
وأترك عيسى على رأيه يعالج في الغرب هما وكرها

وصف إفريقية	روض القرباس	الاستعصا
أندلس : البصرة ومنجة وما ولاها .	ضجة . سبتة . قلعة حجر التمر . تطوان . بلاد صمود وما إلى ذلك من البلاد ونقبائل .	مثل روض القرباس .
دود : هوارة تاسمت .	بلاد هوارة . تسول . بلاد غياثة .	بلاد هوارة . تسولوتازا وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغياثة .
يحيى : دى وما ولاها .	البصرة . أصيلة . العرائش و بلاد وروغة .	أصيلة . البصرة . العرائش و وروغة .
عمر : صناجة ونجارة .	مدينة تمجاس . بلاد هوارة وما ولاها .	تيكاس . قرفة وما بينهما من قبائل صناجة ونجارة .
محمد : لم يذكره في هذه الولايات .	مكناسة . بلاد فازاز . بلاد قادلا .	مكناسة . قادلا وما بينهما من بلاد فازاز .
عبد الله : سعة وما ولاها .	مدينة نعمت . بلاد نفيس . بلاد المصامة . السوس .	أغاث . نفيس . جبال المصامة . بلاد لمطة . السوس الأقصى .
حزرة : يهودية بقرب ويين .	نمسان وعمالها .	وليل وعمالها .
عيسى : وزمر . ورس .	مدينة سلة وبلاد تامنا .	سلا . شالة . آزمو . تامنا وما انضم إلى ذلك من القبائل .

رجوع : أربعة عشر من حوزة كانوا صفراء . فبقوا في كفالة جدتهم كزرة .
وبعد من بين الذين كرمه هذا حوزة من حوزة البصرة إلى جانب طنجة متابعاً البكري
في حين أن - حسب روض غرور و الاستقصاء - كذبت من نصيب يحيى .

(١) كذا في النص . وأما ما ورد ونسخ يعني . فأن كان أراد أن حدود ولايتهما
منحدرة . صحح ذلك . كما يفتح من جنود المديق . ولما كتب أنها تصحيف للفظ يعاديه أو يحاذيه .

ولو كان قلبي عن قلبي لكتبت له في القربة قلباً
وإن أحدث الدهر من ربه شقاءً علينا وأحدث حرباً
فإني أرى البعد سيراً لنا نجدد شوقاً لدينا وجباً
ولم نجن قطماً لأرحامنا فلاق به آخر الدهر عتياً
وتبقى العداوة في عتبا وأكرم به حين نقب عتبا
وأوفى من ذلك جوب القلة وقطع الحارم حقاً فتعبا

/ فكتب محمد إلى أخيه عمر - وكان على صباهة وغزاة^(١) - يثمه [٢٧-٢٨ ب]
بمحاربة عيسى، فأجابه وسارع وخرج يريد عيسى بسكره. فلما قرب من أحواز
فأس كتب إلى محمد يستعده، فبعث إليه من كان معه، وفذ في أصحابه قبل
لحاق اللد، فوقع بعيسى وفاء من عمله واستولى عليه، فثمه محمد بإقامة فيه،
ثم أمره بمحاربة القاسم، فخاربه وتغلب على ما كان بيده، فتخلى القاسم عن
ذلك لحمد وعمر، وتزهد وبني مسجداً على ساحل البحر فيملاً وزمه.

فلما عين البرز ذلك نهضوا إليه وهو بمرو بغيره نصر فوه إلى عمه، ورجع
إليه كل من صدر إلى أخويه محمد وعمر.

وقال نرزي. وذكر أولاد إدريس بن إدريس: «فأما محمد بن إدريس
فوالى مدينة فأس بعد أبيه، وقسم عمر أبيه على إخوته وأخرجهم عملاً،
ثم أخذ إلى الهو واشتهر يشرب ويخمر بنس^(٢). فخمه إخوته وبك كل
واحد منهم ما تحت يده. ثم يبعث محمد أن هلك وه يقب. فوالى أمر فأس

(١) هنا أيضاً يختلف التقسيم من قوردة إلى حسن صاحب. سابقة نذكر من ررض
انقرطاس.

(٢) هنا وقع نرزي في خطأ كبير. فخط بين مدرسة لحد. فذكر كيف يقع
فيه مثلا. فإن محمد بن إدريس بن إدريس كان من صحن عمر. فدرسه وتدرسه. وقد خزل

بعد [هـ] ^(١) القاسم أخوه ، وملكها ملك سيادة ، وتجمع الناس إليه من كل ناحية ^(٢) ، ولحق للنفى عن ربيع قرطبة بها ، وتعدت وكثر أهلها .

* * *

= يحكم إلى أن توفي في ربيع الثاني سنة ٢٢١/مارس ٨٣٥ . وخلفه ابنه علي بن محمد بن إدريس ابن إدريس الملقب بـ **بهدرة** ، ومثل في الحكم بإدريس ٢٣٤/يناير ٨٤٨ ، وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وكان أميراً قادراً ذا عناية بشئون العمران ، وفي أيامه بني جامع القرويين سنة ٢٤٥/٨٥٩ . ثم خلفه ابنه يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وغدا هو الذي أساء السيرة وكثر عنه في الحرم حتى دخل الحمام على امرأة ، فثار الناس عليه بزعامة رجل من أهل فاس يسمى عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وأخرجوه منها فهرب إلى علوة الأندلسيين فأتى بها من ليلته (البكري ؛ ص ١٢٤ - ١٢٥)

وكانت زوجة يحيى غدا هي عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس ، صاحب الأرياف والسواحل كما يفوق السدي . فكتبته إلى أبيها فعلمه بما وقع ، فجمع رجاله ودخل فاس وتولى الأمر . أما ما يقوله رزي من أن القاسم تولى الأمر ، ففرده إلى غلط بين القاسم وابنه يحيى . ذلك أن علي بن عمر المذكور لم يستطع إبقائه طويلاً في الحكم ، إذ ناز عليه رجل من الخوارج أصغر من يحيى بن عمر بن إدريس ، ورأى عليه من عمر . وفر عمر بنفسه إلى بلاد أوربة ، وملك عبد الرحمن بن عمر الأندلسيين من فاس . أما أهل علوة القرويين فامتنعوا عليه ، وبسوا إلى يحيى بن عمر بن إدريس . فذكر وولوه عليه . فتمكن من حزمه عبد الرازق الفهري ، وصك بلاد إدريس يد أنه حاكم على ربيع بن سببان سنة ٢٩٢/٩٠٤ .

نظر : دوس ترطاس : ص ٦٠ ودسها . ابن حلمون . تاريخ : ١٤/٤ - ١٨ . أبو عبد سكرى : ص ١٢٣ - ١٣٢ . سدي . ذمتها : ١٧٣/١ - ١٨٣ . أما ابن عذارى فرويه لأبى إدريس بن إدريس بن إدريس من خلفاء ، فهو يخلط بين يحيى الأول ويحيى الثاني ، ويخطئ فيهما غرضاً : ١/٥١٠ - ٥١٦ .

(١) زيادة إليه ما سبق .

(٢) أنه يثبت ما في روض أغرطاس (ص ٧) . قال في شأن القاسم بعد أن ذكر مسير أبي سكرى : فكانت فيها حروب عقيمة ، ثم هزم القاسم ، واحتوى عمر على ما بيده من بلاد . ودر تقسيم ساحل البحر مما إلى مدينة أصيلا ، فبنى هناك مسجداً على ضفة البحر بموضع يعرف بـ **بهدرة** ، فقامت عليه ، وزهد في الدنيا إلى أن مات رحمه الله تعالى . ونظر في البكري . ص ١٢٤

ومن رجال الرواية :

٥٠ - عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث^(١)

الحجاب ، أبو حفص

استحبه الحكم الربضي ، وكان أبوه عبد الواحد حاجباً لهشام الرضا
والله الحكم . وعن ابن حبان أن هشاماً ولّى عبد الكريم هذا كورة جيان ،
وأنه أغزاه ألبه والقلاع^(٢) ، وأغزى أيضاً أخاه عبد الملك وولاه سرقسطة .

(١) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من كبار رجال سيرة مروية إمامية أيام الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن ، وهو في الغلب من أولاد مغيث أروى مولى نوبت بن عبد الملك ، وقد كان أخوه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث من قواد المير هذه أرضاً ابن عبد الرحمن الداخل . وقد كان عبد الكريم قائداً من قواد الحكم ثم استوزره وولاه حجابة فأقام في هذه الوظيفة حتى وفاة الحكم . واستحبه أيضاً عبد الرحمن الأوسط مع بقائه عن قيده . وقوف عبد الكريم في طريقه إلى غزو جيقيّة سنة ٨٢٤/٢٠٩ - ١٢٥ . وهجده عبد الرحمن من يقيمه مكانه ، فعهده في قيادة الصنعة إلى أمية بن معاوية بن هشام . وبعد موت عبد الكريم تنافس الوزراء في الوصول إلى حجابة وكثروا إلى وسدعت حتى صجروه ، فقرر ألا يولها أحداً منهم . وعطاه مدة من حصارها رجلاً من مغربيين إليه يمكن من الوزراء ولا سبقت له خمسة عوسفيان بن عبد ربه . وحسه من بربريّة ، فتوعد إلى من مات : ثم خلفه فيها عبد الرحمن بن غانم ، ثم صارت إلى عيسى بن شبيب معظم أيام عبد الرحمن الأوسط . ويجمع مؤرخو الأندلس على أنه لم يزل الحجابة قسراً ولا أصلح من عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وعيسى بن شبيب ، وهم يقولون إن عبد الكريم كان أكف وأقدر من صاحبه ، ولكن عيسى كان أسلم خلقاً إذ لم يكن يقبل المكافأة عن قضاء حجة ، ما عدا تكريم فإنه كان يقبل ذلك ولا يأباه . (أبو بكر بن تقيّة . برواية ابن حبان . المختصر ص ١١٩٥ . ١٩٥ ب) .

(٢) ألبه والقلاع ، هذان جغرافيان يستعملان عادة معاً في التصوص العربية . أما ألبه فهي Alava وهي الإقليم الواقع عند منبع نهر إلبه عن الضفة اليمنى (لسمانية) شهر . وأصل الاسم غير معروف ، فلهب بعضهم إلى أنه مشتق من Uraba و Alba . بل ذهب بعضهم =

وكان عبدُ الكريم بليغاً مفوهاً شاعراً ، وولى الكتابة للحكم إثر عهد بن أمية ، وفاد الصوائف ، وجرت على يديه فتوح جسام . وعلى يديه اسقامن أهل الرِّبَيس ؛ وله رسائل عن الحكم في الهَيْج . ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازى ، قال : « وأحرجه الحكمُ إلى عمرو^(١) » - وكان قد خلع بسرقُسطة - فاستأله وقدم به قُرُطْبَةَ ، فوصله الحكمُ وخَلَعَ عليه وسَجَّلَ له على سَرَقُسطة وتُطِيلَة ووَشَقَه ، وصرفه إلى التفرقات هناك . وأشد ابنُ حَيَّانُ لعبد الكريم هذا في رثاء الحكم بن هشام وتهنئة ولده الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالخلافة .

[١-٢٩] / كان الزمانُ مَرُوراً بخليفة أودى فكاد نهائنا أن يُظِلَّما
حتى إدا قد الإمام لبيعة كالنبيش شَحَّ بوبله ثم انهمى
له أبة يمين ما أعظما وأجل نفراً في الأمام وأنخما
أعطت قريش بيعة مرضية لإمامها الملك الكريم المتقى
وبدا كمثل البدر ينصدع الذجي عنه ويكشف نوره ما أبهما
له أت أبو نظرف في الوعى ونخائف ولمعتب قد أعدما

عبد بن مكي Araba رُبَ دَمَرٌ بهر لا بعد دخول العرب . أما الملاح فمراد .
مُغْتَبِثٌ عرب يوم سبتة سنة ١٠٠٠ Castila a Vieja ، سماها العرب كذلك
كثير قديم . وقد كثر العرب رحوا ذلك اسمها التديم Castellae . وأتة اليدم
بعض العربات من العرب في كور من إقليم Vascongadas وهو الذي كان العرب
يسمونه العرب . وكان في هذه العرب في Guipuzcoa وقاعدتها سان سباستيان
وسمى ١٢٦٢٨ وسمي Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة
وسمى ١٢٦٢٨ وسمي Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة
ومسمى ١٢٦٢٨ وسمي Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة
ومسمى ١٢٦٢٨ وسمي Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة
ومسمى ١٢٦٢٨ وسمي Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة
(١) وسمي ١٢٦٢٨ وسمي Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة .

٥١ - هاشم^(١) بن عبد العزيز

الوزير . أبو خالد

هو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز وكبيره ، وولاء سلفيهما لعثمان بن عفان رضى الله عنه^(٢) . وكان هاشم خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن : يؤثره بالوزارة ، ويرشحه مع بنيه - ومفرداً - للقيادة ولإمارة . وولاه كورة جيان ، فعلى يده بُنيت أبدة وأكثر معاقليها المنفعة . وهو أحد رجالات الموالى للرؤية بالأندلس .

اجتمعت فيه خصائل لم تجتمع في سواه من أهل زمانه ، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتانة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة ، إلى ماله من القديم والبيت والسابقة . هو لم يُعنه سلفه ، نهضت به أدوته هذه الرفيعة .

وسكبه المنذر بن محمد لأشهر من خلافته ، بعد أن ولاه الحجابة وأظهر عنه الرضا ، وذلك لأشياء حقدتها عليه في خلافة أبيه محمد ، إذ كان يُخرج به معه قائداً للجيش وبعد ذلك^(٣) .

(١) في بعض النسخ . وزير

(٢) ذكر بن جرير في كتابه "معجم" أن هاشم بن عبد العزيز كان من بني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(٣) عبارة مقصورة على وقت توليه حربه في قرطبة في رجب ٣٠٥/١٠١٥ .

(٤) في بعض النسخ .

(٥) في بعض النسخ .

(٦) في بعض النسخ .

(٧) في بعض النسخ .

(٨) في بعض النسخ .

(٩) في بعض النسخ .

(١٠) في بعض النسخ .

(١١) في بعض النسخ .

(١٢) في بعض النسخ .

(١٣) في بعض النسخ .

(١٤) في بعض النسخ .

(١٥) في بعض النسخ .

(١٦) في بعض النسخ .

(١٧) في بعض النسخ .

(١٨) في بعض النسخ .

(١٩) في بعض النسخ .

(٢٠) في بعض النسخ .

(٢١) في بعض النسخ .

(٢٢) في بعض النسخ .

(٢٣) في بعض النسخ .

(٢٤) في بعض النسخ .

(٢٥) في بعض النسخ .

(٢٦) في بعض النسخ .

(٢٧) في بعض النسخ .

(٢٨) في بعض النسخ .

(٢٩) في بعض النسخ .

(٣٠) في بعض النسخ .

(٣١) في بعض النسخ .

(٣٢) في بعض النسخ .

(٣٣) في بعض النسخ .

(٣٤) في بعض النسخ .

(٣٥) في بعض النسخ .

(٣٦) في بعض النسخ .

(٣٧) في بعض النسخ .

(٣٨) في بعض النسخ .

(٣٩) في بعض النسخ .

(٤٠) في بعض النسخ .

(٤١) في بعض النسخ .

(٤٢) في بعض النسخ .

(٤٣) في بعض النسخ .

(٤٤) في بعض النسخ .

(٤٥) في بعض النسخ .

(٤٦) في بعض النسخ .

(٤٧) في بعض النسخ .

(٤٨) في بعض النسخ .

(٤٩) في بعض النسخ .

(٥٠) في بعض النسخ .

(٥١) في بعض النسخ .

(٥٢) في بعض النسخ .

(٥٣) في بعض النسخ .

(٥٤) في بعض النسخ .

(٥٥) في بعض النسخ .

(٥٦) في بعض النسخ .

(٥٧) في بعض النسخ .

(٥٨) في بعض النسخ .

(٥٩) في بعض النسخ .

(٦٠) في بعض النسخ .

(٦١) في بعض النسخ .

(٦٢) في بعض النسخ .

(٦٣) في بعض النسخ .

(٦٤) في بعض النسخ .

(٦٥) في بعض النسخ .

(٦٦) في بعض النسخ .

(٦٧) في بعض النسخ .

(٦٨) في بعض النسخ .

(٦٩) في بعض النسخ .

(٧٠) في بعض النسخ .

(٧١) في بعض النسخ .

(٧٢) في بعض النسخ .

(٧٣) في بعض النسخ .

(٧٤) في بعض النسخ .

(٧٥) في بعض النسخ .

(٧٦) في بعض النسخ .

(٧٧) في بعض النسخ .

(٧٨) في بعض النسخ .

(٧٩) في بعض النسخ .

(٨٠) في بعض النسخ .

(٨١) في بعض النسخ .

(٨٢) في بعض النسخ .

(٨٣) في بعض النسخ .

(٨٤) في بعض النسخ .

(٨٥) في بعض النسخ .

(٨٦) في بعض النسخ .

(٨٧) في بعض النسخ .

(٨٨) في بعض النسخ .

(٨٩) في بعض النسخ .

(٩٠) في بعض النسخ .

(٩١) في بعض النسخ .

(٩٢) في بعض النسخ .

(٩٣) في بعض النسخ .

(٩٤) في بعض النسخ .

(٩٥) في بعض النسخ .

(٩٦) في بعض النسخ .

(٩٧) في بعض النسخ .

(٩٨) في بعض النسخ .

(٩٩) في بعض النسخ .

(١٠٠) في بعض النسخ .

وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في كتاب «الحجّاب للخلفاء بالأندلس» من تأليفه ، أن للنذر بن محمد استُخلف يومَ الأحد لثلاث^(١) خلونَ من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، بعد وفاة أبيه بأربع ليالٍ ، إذ كان غليظاً بناحية ريةً ، فأغذَّ السَّيرَ ودخل القصرَ يومَ الأحد وصلى على أبيه — وكانت وقته ليلة الخميس ليلة بقيت من صفر — ودُفِنَ . وبيع للمنذر [٣٩ - ٤٠] بقيةَ الأحد ويوم الاثنين بعده ، واستحجب هاشم بن عبد العزيز / إلى أن قتله .

قال : ولما قدم للنذر نزل في السطح وقعد للبيعة في ثياب سفره ، وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصب وألم السفر لطيفه الراحل . فلما دخل الناس قام هاشم ويده كتاب البيعة فافتتح قراءته ، فلما بلغ إلى ذكر الإمام محمد خففته العبوة ، فلم يبن كلامه . ثم استدرك أمره ورجع من أول الكتاب ، حتى إذا انتهى إلى للموضع الذي انتهى إليه أولاً أخذه أيضاً الحصر ، فلحظه المنذر لحظة منكراً ، ورآه هاشم ففزع في قراءة الكتاب حتى أكمله . فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله . قال : ولما وُضع نعش الإمام محمد على قبره ، ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال متمثلاً وهو يعبر :

أَعَزَّيْ يَا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي مَعَاذَ اللَّهِ وَلِلَّيْنِ الْجِسَامِ

فَهَلَا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا وَدُفِنَ عَنْكَ لِي كَأْسُ الْحَامِ

فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة للنذر ؛ والبيتان لأبي نواس الحسن ابن هاني^٢ يقولهما في محمد الأمين حين قُتل .

قال الرازي : وذكر أن محمد بن جهور وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه ويفريان به ، وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وهم ، فتنفس هاشم

فرفع عنه . قال : وحَدَّثَ مَنْ كَانَ [حاضراً عند]^(١) هاشم — يعني يوم القبض عليه — إذ أقبل صاحب الرسائل مستحسناً له ، فخرج هاشم ومعه عمر ابنه فقبضَ منه كتباً كانت بيده . وكان في رحبة داره قوم من أهل لَبْلَةٍ قد أتوا لشكر ابن أخيه — وكان عاملهم — فلما خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر ، فاستهرم الفتى الذي أتى فيه وخرج إليهم^(٢) وأغلظ لهم وقال لهم : « يَا كَذَبَةَ ! » . قال : فرأيت هاشماً قد أريد وجهه ، غير أنه لم يُعَارِضْهُ بكلمة ، ومضى .

وكان تحت فرس رائع أشقر ، فلما أتى عند باب الجنان^(٣) كبا القرسُ بهاشم فاستقل^(٤) به ووقف [و] قد امتنع لونه ساعة ، ثم تقدم ودخل . قال : فلم يَنْقُصْ أَهْلُ مُوكَبِهِ حتى خرج راجلاً مكبلاً ، فوالله ما رأيت يوماً أكثرُ باكياً من ذلك اليوم ، ولو قلتُ إنه / لم يُخَلْ دَارُ بَقْرُطَبَةٍ من بكاء على هاشم [١٠-١] يوم حُبِسَ لما أَبْثَدْتُ وَلِصَدَقْتُ ، فإنه كان رَحْمَةً مبسوطة للعامة والخاصة^(٥) .

قال : وأمر للذ [نذر] بحبس أكابر أولاده ، [غي] ر^(٦) فإنه كان عينا

(١) يياض في الأصل ، أكلناه لسباق .

(٢) الأصل : خرج . وخرج على : بمعنى سب ونسب ، وهو استعمال يرد كثيراً عند ابن حبان بهذا المعنى .

(٣) باب معروف من أبواب قصر الإمارة بقرطبة ، وكان باباً خلفياً يفضى إلى حدائق القصر ، والغالب أنه كان يقع على شفة الوادي الكبير .

(٤) الأصل : وكبه . وقد صرّحها دوزى : وكبه ، وهو تصويب صحيح . وقد تركت النسبة فوقه تاء استقل كما هي في الأصل .

(٥) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، وبضها في الهامش على الجين ، فقومتها كما في المتن .

(٦) ورد هذا اللفظ في الأصل : غي . وقد أكله على هذا النحو كما يقتضيه السياق . وواضح أنه سقط اسم ذلك الولد من أولاد هاشم بن عبد العزيز الذي كان عيناً للنتنر عليه . ولم أجد فيما بين يدي من المراجع ما أسد به هذا النقص ، ولو أنني أستبعد أن يكون هذا الجاسوس ابناً مباشراً لهاشم بن عبد العزيز ، لأنه لو كان كذلك لما فات أصحاب الكتب التي بين—

للمنذر عليه ، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره ، ولم يزل عبدُ الملك بن أمية يغري به ^(١) ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت المنذر في مطالبته ، حتى كان من ضرب به وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان .

قال : وأخرج هاشم صبيحة الليلة التي قُتل فيها — ليلة الأحد لأربع بقين من شوال سنة ثلاث وسبعين — غُطيت ^(٢) جثته ورأسه بثوب ، وبُعث به إلى أهله . وكان مولده في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم . ومن شعره ، وكتب به من محبسه إلى جاريته « عاج » :

وإني عَدَّائي أن أزوركِ مطبقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبٌ
فإن تعجبي يا « عاجُ » مما أصابني ففي رَيْبِ هذا الدهر ما يتمعجبُ
وفي النفسِ أشيا أُبَيَّتْ بغمها كأنني على جمر الغضى أُنْقَلَبُ
تركت رشادَ الأمرِ إذ كنتُ قادراً عليه فلاقيتُ القدى كنتُ أُرهبُ

— أيدينا (وكلها مختصرات عدا مخطوطة ابن حيان) الإشارة إلى هذه الفرية . فإين عذارى يقول : « ثم بُعث فيه الأمير ليلاً ، قُتله وبُحِن أولاده وحاشيته ، وانتهب ماله وهدم داره ، وأُتي أولاده في السجن ، وأُزْمِهْم غرم ٢٠٠٠٠٠ دينار ، فلم يزلوا في السجن والقرم إلى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله ، ثم أطلقهم عبد الله ، وصرف عليهم ضياعهم ، وولى أحدهم الوزارة والقيادة » (البيان : ١١٦/٢)

(١) العداوة بين عبد الملك بن عبد الله بن أمية وهاشم بن عبد العزيز عداوة قديمة ترجع إلى أول ولاية ابن أمية الكتابة العليا للأمير محمد ، وكانت خطة كبرى تجعل صاحبها في عداد الوزراء ، وكان يتولاها قبله حامد بن محمد الزجالي ، وكان عبد الملك بن أمية غير مؤهل لصنعة الكتابة ، فهاجمه هاشم بن عبد العزيز من هذه الناحية ، ومضى ينتقصه ، فنهج الأمير محمد إلى سوء تصرفه فتوقف حيناً عن مهاجمة عبد الملك بن أمية . وقد صرح ابنُ أمية الأميرَ بأنه لا يحيد الكتابة ، فأبقاه الأمير فيها رغم ذلك ووعده بأن يمه بمن يمينه فيها . ثم عاد هاشم إلى تنقص عبد الملك وفقده ، واستندت العداوة بينهما . وقد ظلت الغلبة لهاشم ما عاش الأمير محمد ، فلما مات وخلفه ابنه المنذر أمكنت الفرصة لعبد الملك بن أمية في هاشم ، فلم يتوان في الانتقام (ابن حيان ، مخطوط ، ص ٢٢٤ ب ، ١٢٢٥)

(٢) الأصل : وغطيت .

وكم قاتل قال : انج وبعك سالماً
فقلت له : إن الفرار مذلة
سأرضى بحكم الله فيما يتوئبني
فمن يك مسروراً بحالي فإنه^(١)
ففي الأرض عنهم مُستتراد ومذهب
ونضى على الأسواء أحلى وأطيب
وما من قضاء الله للمرء مهرب
سينهل في كاسي وشيكاً ويشرب

وله ، وكتب به إلى وليد بن غانم^(٢) الوزير أسره أثناء مخاطبة :

فكم غصية بالدمع نهنت خوف أن يسرّ بما أبدية شنان كاشع
تحملت عنه ثم نادمت في الدجى نجوم الثريا والدموع سوافع
وله مما قاله بديهاً ، ووقع بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها
بشعر ضعيف :

لا تفل - إن عزمت - إلا قريضاً راثماً لفظه ، قفيماً رصينا

(١) في البيان لابن عذاري (١١٦/٢) :

« فمن يك أسمى شامتاً بي فإنه »

(٢) وليد بن عبد الرحمن بن غانم من أجل وزراء الأمير محمد وأقربهم وأعظمهم
مروءة وأكثرهم ثقافة وعلماً . كانت أول الوظائف الكبيرة التي وليها وظيفته « صاحب المدينة »
ولاه إياها الأمير محمد ، ثم استغنى عنها لخلاف في الرأي مع الأمير محمد حول مسألة تتصل بالإدارة
والمال ، ثم ثبتت صحة رأيه ، فعاد الأمير محمد واستعاه ليشغل وظيفته صاحب المدينة كما كان ،
فأبى ، وظل معزلاً إلى أن رفعه محمد إلى مرتبة الوزارة . وكان وليد صديقاً لهاشم بن عبد العزيز ،
فلما وقع هاشم أسيراً في غزوة خرج إليها تحت قيادة المنذر بن محمد ولى العهد للقضاء على ابن
مروان الجليقي فغضب الأمير محمد إذ رأى في وقوع هذا الوزير القائد الأثير إليه مهانة للبيعة ،
فجعل « يلومه ويستصره ويحمل عليه ويبال منه » ولم يبق في المجلس من لم يحسن على هاشم ،
إلا وليد بن غانم فقد تصدى للدفاع والاعتذار عنه ، فأعجبت هذه النهاية الأمير محمداً . وفي
سنة ٢٦٣ هـ خرج وليد في الغزاة تحت إمرة الأمير المنذر لقتال ابن مروان الجليقي وكان هاشم
في أسره . وقد أطلق ابن مروان أسره هاشم سنة ٢٦٤ هـ .

ابن حبان ، المخطوط : ١٢٣٢ ، ب . ابن عذاري ، البيان : ١٠٢/٢ - ١٠٣ .

[٥٠-ب] / أودع الشعر ، فهو خير من التثت ، إذا لم تجد مقالا مميّناً

وما أحسن قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي في هذا المعنى :

حرر لمنك لقطاً كي تزان به وقل من الشعر سحراً ، أو فلا تُقل
فالكحل لا يفتن الأبصار منظره حتى يُصيرَ حشو الأعين النُّجُل

ولهاشم في البيرة ينم وروده عليها ، وهي مكان أوليته :

إذا نحن رُحنا عنك يا شرّ بلدة فلا سقيت رباك صوب الرواعد^(١)
ولا زال سوط من عذاب مُنزَل على قائم من ساكنيك وقاعد
فأجابه فتى من أهلها المتأدين يعرف بابن وجيه :

قد حُرّم التوفيق من ذم بلدة يروح بها في نعمة وفوائد
ومن يمتنى سوط خزي مُنزَل على قائم من ساكنيها وقاعد
فإن كنتم لم تحمدوا ما اخترتم فكلّ لكلّ لائم غير حامد

٥٢ - ابنه عمر بن هاشم

سجنه الأمير للنذر بن محمد مع إخوته لما نكب أباهم ، ثم أمر بصلبهم
في النزاة التي توفي فيها ، وولى أخوه الأمير عبد الله بن محمد فجبل الكتاب
بإطلاقم ، ثم قدم وولى عمر هذا كورة جيان ، وأخاه أحمد بن هاشم الوزارة
والقيادة . ومن شعر عمر :

يا خليلاً فضله يا د على كلّ خليل
والجيد الشعر في ك ل بسيط وطويل

(١) كذا عند ابن حيان وابن الأبار ، وفي البيت زحاف ظاهر .

بضروب الضرب والإيد . فباع والقول الأصيل
لا تلقى واصفحن عَدَّ (م) ي ومهَّل لي سبيل
في خلاصى [...] [...] العذر الجليل^(١)

٥٣ - تمام بن عامر الثقفي الوزير ، أبو غالب

هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة^(٢) ، مولى عبد الرحمن
ابن أم الحكم الثقفي ؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية
ابن أبي سفيان ، / عُرِفَ بها ابنه لشرفها . [١ - ٤١]

ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس في طالعة بُلُج ، وهو أحد النقباء
القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية ، وولى له الحجابة والقيادة . وهو افتتح
طَلَيْطَلَةَ عَنْوَةَ مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم ولى وَشَقَّةَ وطُرُوشَةَ
وطَرَسُونَةَ ؛ وعمر طويلاً وتوفى في آخر دولة الحكم الربيعي .

وقد وُلِدَ تمام بن عامر هذا [سنة أربع وثمانين ومائة]^(٣) ، وكان غالب بن نعيم

(١) الأصل : العذر الجليل . وقد جعلها دوزى (ص ٧٧) : الجهل الجليل .

(٢) ذكر ابن حبان قتيلا عن « كتاب الفاضل أبي الوليد بن الفرضي المؤلف في الأدياء »
نسبه الكامل ، قال : « هو تمام بن أحمد بن عامر بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن
ابن أم الحكم الثقفي »

(٣) أكلت العبارة بهذا لسياق ، وسيذكر ابن الأبار نفسه تاريخ مولده في آخر
ترجمه ، ولكن إذا حسبنا هذا التاريخ على أساس تاريخ وفاته وعمره بحسب ما يذكره ابن
الأبار ، لكان ميلاده سنة ١٩٧ هـ .

والياً على طَلَيْطَلَة ، وقتله سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثل به في انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما .

وَوَلَّى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله ، فانتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء . وعُمرَ عمرًا طويلاً زائداً على عمر جده الأكبر ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ ستاً وتسعين سنة . وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولائها والخلفاء فيها ووصف حروبها ، من وقت دخول طارق بن زياد مُفْتَتِحِهَا إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حبان . وقال أبو بكر الرازي : ولد عامر ابن أحمد تماماً ؛ وَلَّى الوزارة والخيل والقيادة ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين — يعني ومائتين — ومولده سنة أربع وتسعين ومائة . ومن شعره :

يُكَلِّفُنِي الْعُدَالُ صَبْرًا عَلَى التِّي (١) أَبَى الصَّبْرُ عَنْهَا أَنْ يَحْمَلَ مَحَلَّهَا
إِذَا مَا قَرَعْتُ (٢) النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصَرْتُ سَبِيلَ الْمَدَى عَادَ الْهَوَى فَأَضَلَّهَا
وَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ النَّفْسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً أَقَادَ الْهَوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذَلَّهَا
عَجِبْتُ لِمَعْدُولٍ (٣) عَلَى حَبِّ نَفْسِهِ يَكَلِّفُهُ عُدَالَهُ أَنْ يَمْلَأَهَا

(٢) الأصل : إني ، وقد جعلها دوزي (ص ٧٨) : أنسى ، والصواب من ابن حبان . وقد مال تمام هذا الشعر في زوجه أم الوليد بنت حلف بن رومان الصرانية ، قال ابن حبان : « ففجاء من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن فضيس ، فقام جده لأمه . وكانت أم الوليد بارعة الجلال سامة للألباب ، فرآها تمام مملعها وهام فيها ، فانقاد لهواه في نكاحها ، فكان أعداؤه يميئونه بها ، ومن قوله فيها لما عدل في نكاحها . . » ثم أورد أدبيات الواردة في من ابن الأبار . (٣) ابن حبان : وزعت .

(٤) الأصل : لمعذور ، والصواب للنورى ، ص ٧٨ . وقد جعل ابن حبان هذا البيت :

عجبت لمعذور على الحب نفسه يكلفه عداله أن يسملها

٥٤ - منصور بن محمد بن أبي البهلول

دخل الأندلس جدُّه أبو البهلول - واسمه منصور بن صدقة - في أيام
 الأمير عبد الرحمن بن معاوية فاستعمله ، وكان يُسكنه لِسْنَةً وفضله ؛ ثم تصرف
 ابنه محمد للأمير الحَكَم في بعض أشغاله ؛ وحجب منصور هذا مسئلة^(١) بن
 عبد الرحمن بن الحَكَم / في الكور المجنّدة^(٢) دهرأ ، ثم ولى القرض^(٣) [٤١-٥١]
 للأميرين محمد وابنه للنذر بن محمد ؛ ذكره الرازي ، قال : وكان فيه تصرف
 ورواية غزيرة وشعر حسن يمدح به الخلقاء ، وأنشد له :

كما أن خير المملين محمدٌ براحة عين من الجود تنعُ

وله :

بمحمّدٍ مُحمّدَ الزمان كما بفعاله قد أحسن^(٤) الذكْرُ

(١) الأصل : سلمة ، وكذلك عند دوزي (ص ٧٨) ، وقد صوّت الاسم من قائمة
 أمّاء أبناء عبد الرحمن عند ابن حبان (مخطوط ص ١٢) .
 (٢) هذا التعبير غير واضح لي ، لأن الكور المجنّدة هي الكور التي أنزل فيها جند
 العرب على أيام أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي كما هو واضح في ترجمته وفي أصول أخرى ،
 وقد عالجنا هذا الموضوع في «فجر الأندلس» . ولكن : كيف يجب رجل لمسلمة بن عبد الرحمن
 الأوسط في هذه الكور؟ ربما جاز تفسيره على أنه كانت هناك إدارة خاصة للكور المجنّدة ،
 أي خاصة بما ينشئ على كل منها من جند وأرزاقهم وحقوقهم وما إلى ذلك ، تولّاها أيام عبد الرحمن
 ابنه مسلمة ، وكان منصور هذا حاجبه في هذه الإدارة ، وحاجبه هنا تعني شيئاً مثل مدير مكتبه
 في تمييزنا الحديث . فإذا صدق هذا الفرض كانت وظيفة إدارية كبيرة ، لأن الكور المجنّدة
 كانت تقدم بلجش الإمارة معظم جنده العربي .

(٣) القرض : وظيفة من وظائف التثقيف العسكري ، وهي اسمراض الجنود المقيدين
 في الديوان في أوقات متقطعة للتأكد من وجودهم والثبت من سلاحهم وغيل الفرسان منهم وحالاتها
 وما إلى ذلك . وتسمى أيضاً الاعتراض والتهيز . وكان القرض يجري في ميدان كبير خارج
 العاصمة ، وفي صحبته ينادي بوق جهير ليحضر الجند .

(٤) في الأصل : حسن مشكولة هكذا . ولا يستقيم بها الوزن .

أيامُه يبيضُ مهذبةٌ لولا مكارمُه اضمحلت الدهرُ
وله :

كَمْ ، إلى كَمْ أنسى ؟ ليس لي صبرٌ .. أجل ، لا !
بأبي أنت وأمي وترى قلبي حياً ؟
حاشَ الله بأن أسـ لو عن الحب وكلاً

٥٥ - عيد الله بن محمد بن النعمان بن أبي عبيدة

الوزير ، أبو عثمان^(١)

تصرف للأمير عبد الله بن محمد في السكور وحجابه الأولاد والمدينة والخليل
والقيادة ، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة . وكان — مع اقتنائه في الأدب
وأنصافه بالبلاغة — ذا بأس وغناء في الحروب ، وكانت له فتوح جمة ومقاوم^(٢)

(١) استكثر الأمير عبد الله بن محمد من الوزراء أول عهد سني بلغوا في بعض الأوقات
ثلاثة عشر وزيراً ، ثم تناقص عددهم حتى أصبحوا أربعة عند موته . أما الحجابة فقد استغنى
عنها أخريات أيامه مكفياً بيدر بن أحمد الخصى الصقلبي وصيفه « الصيق بنفسه » الخفيف
عليه « كما يقول ابن حيان (ص ٤ من الجزء الذي نشره الأب ملشور أنطونيا) . قال ابن حيان
(ص ٥ من ذلك الجزء) : « ومن الغريب أن اجتمع في بيت الوزارة في أيامه أربعة رجال
من وزراءه — أي وزراء الأمير عبد الله — فأرب من بيت واحد من صميم الموالي آل أبي عبيدة
حسان بن مالك ، هم :

أبو عثمان عيد الله بن محمد بن أبي عبيدة (صاحب الترجمة) .

وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبيدة .

وسلم بن علي بن أبي عبيدة .

وعبد الرحمن بن حمون بن أبي عبيدة المعروف بـ ^{عمر}يلحم .

(٢) هذه الصيغة — جمعاً لمقام — غريبة من ابن الأبار ، وقد أخذها عن ابن حيان .

محمودة . وتوفى خاملاً بصاحل بذر الوصف^(١) عليه بعد أن استأذن الحج ، فأدى
فرضه وكرّ إلى قرطبة فلم داره ؛ وسيأتي ذكر هذا مع نسبه مستوفى عند ذكر
ابنيه جهور الوزير وعمد . وفيه يقول القتيبي الشاعر^(٢) ، وقد اعتل وهو
يل الكتابة :

لأُبيعَ إليّ مذُ أصبحت مرتدياً ثوبَ السقام وجئت زهرة الكلام
واستوحش الطرسُ من أنسِ الهديج إذا نشبت فيه وطالت عجمة القلم
ومن شعر عبيد الله :

صدودٌ ليس يُلغنه عقابُ وعتبٌ ليس يثنيه عتابُ
وإبعادٌ — بلا ذنبٍ — طويلٌ وإعراضٌ وهجرٌ واجتبابُ
فلا سهرٌ يطيبُ ولا رقادٌ ولا طمٌ يسوغُ ولا شرابُ
/جسِي ناعِلٌ والجفنُ مني قريحٌ ، والفؤادُ له اضطرابُ [١-٤٢]
وموتٌ عاجلٌ أحلى وأشهى إلى من أن يطاولني المذابُ

٥٦ — سوار بن حمدون القيسي المحاربي

من محارب بن خصة بن قيس عيلان . ثار بناحية البراجلة من كورة
البيرة في سنة ست وسبعين ومائتين ، وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله

(١) ذكرنا اسمه الكامل في التعليق الذي قبل السابق ، وقد أورد ابن حيان في سيرة الأمير
عبد الله ما يدل على ذكائه بدر هذا وحسن رأيه ، فهو صاحب الفضل في استتلاف بني الحجاج
الناشرين في إنشيلية وكسهم إلى جانب الأمير عبد الله .

(٢) محمد بن عبد العزيز القتيبي ، نعل ابن سعيد من « المسهب » أنه كان من نبهاء
شعراء دولة الأمير محمد ، وكان مخصوصاً بالقاسم ابنه ، كما كان مؤمن بن سعيد مخصوصاً
بسلمة ابن الأمير محمد (المغرب ، ١/ ١٢٤) .

ابن محمد ، وانضوت إليه بيوتات العرب من البيرة وجيآن وريّة وغيرها ، عند ما تميزت الأحزاب^(١) بالمصيبة وشبّوا نار الفتنة . وكان مبتدأ رئاسة سوار هذا أنه كان صاحباً ليحيى بن صقالة — أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة — عن استيصار شديد وحيلة ، فصبّ على المولدين والمجم منه ومن أصحابه أعظم آفة ، إلى أن أصابوا منه غرة فثاروا به بغتة وقتلوه^(٢) . فرأس أصحابه بعده سواراً هذا ، فاشتد به أمرهم وقام طالباً بثأر صاحبه . وكان شجاعاً مخزباً^(٣) ، فكثرت أتباعه واشتدت شوكته واعتز العرب بمكانه ، فلفف جوصها وحى ذمارها وسعى لإدراك ثارها . وقصد حصناً^(٤) اجتمع فيه من المولدين والنصارى نحو من ستة آلاف رجل ، فنازلهم بالعرب حتى قهرهم ، وأخرج نائلاً^(٥) رئيسهم للقيم

(١) جعلها دوزى « الأعراب » دون مبرر (ص ٨٠) . والمبارة متفولة بنسبها من ابن حيان : « قال عيسى بن أحمد (الرازي) : في صدر هذه السنة ثار سوار بن حنون القيسى بناحية البراجلة من كورة البيرة ، وقد انضوت إليه بيوتات العرب من كور البيرة وحيآن وريّة وغيرها عندما تميزت الأحزاب بالمصيبة وشبوا نار الفتنة وقد أراد دوزى بهذا أن يلقى تبعه هذه الفتنة الكبرى — التي شغلت كل أيام الأمير عبد الله وجزماً من أيام عبد الرحمن الناصر — على العرب ، وهو غير صحيح كما يتضح من البيان الشاقى الذى يقدمه ابن حيان عن هذه الفتنة في الجزء الذى نشره منشور أنطونيا .

(٢) كان يحيى بن صقالة القيسى قد « وادع أهل حاضرة البيرة الذين دعونهم للمولدين والمسألة وعقد بيته وبينهم أمناً مؤكداً ، حلفوا عليه أيماناً مغلظة توثق بها منهم ، واطمأن إليهم فجعل يأتي حاضرتهم بزل فيها ويقم الأيام ، وهم يرصدون منه غرة في بعض قدّماته إليهم ، فثاروا به بغتة وقتلوه ، فرأس أصحابه سواراً » . ابن حيان ، المقتبس (تحقيق منشور أنطونيا) ص ٥٥ .

(٣) محترّب مصطلح يستعمله ابن الأبار كثيراً ، ويريد به الكثير الحرب . وقد ورد اللفظ عند ابن حيان (ص ٥٥) : محارباً .

(٤) هو حصن منت شاعر Monte Sacro على الجبل الذى يحمل نفس الاسم ، وهو مطل على سهل غرناطة .

(٥) الأصل نائل ، والصحيح من ابن حيان (المقتبس ، ص ٥٥) . كان زعيماً من زعماء المولدين الذين قاموا على العرب في كورة البيرة . وقد كانت أول حرب نابل مع يحيى بن صقالة ، فغلبه على حصن منت شاعر وانزعه منه ، فاسترده سوار .

فيه عنه وملكه . وكان نابلٌ قد انتزعه من يحيى بن صقالة ، فاسترده سوار إلى ملكه .

ثم افتتح حصون المسالمة والنصارى حصناً حصناً ، وقتل من ظفر به وغنم أموالهم . ولقيه جند بن عبد النافر — عامل الأمير عبد الله — فهزمه سوار وقتل من أصحابه نحواً من سبعة آلاف ، وأسر جنداً فن عليه وأطاعه وأبْلغَه وأمنه^(١) .

وغلظ أمره فاستبق حينئذ إلى حصن غرناطة بالقرب من مدينة البيرة ، وصعد إليه فتبوأه داراً اجتمعت إليه فيه عرب كورة البيرة وكابنته عرب النواحي إلى حدود « قلعة ربّاح » وغيرها ، وكانت دار المهاجرين إلى الأندلس من بكر ابن وائل ، فصاروا إليها معه على اللواتين . ويصح^(٢) سوار بما تهيأ له على أعدائه ، وعلت حمته ، وأملت العرب ، وعلا في الناس ذكره ، وقال الأشعار الجزلة ، / وأكثرت الفخار بنفسه وقومه . ذكر ذلك ابن حبان ، وحكى أنه أوقع بأصحاب [٢٢-ب] ابن حفصون ثانية ، ويقال إن قتلام كانوا فيها اثني عشر ألفاً ، وتعرف

(١) بعد أن انصر سوار الحاربي على نابل ومن معه من المولدين والمسالمة استمرى أمره وانطلق يستولى على حصونهم ويقتل من يظفر به منهم ويغنم أمواله ، وكانت نتيجة إسرائه أن أخذ بقيه المولدين والمسالمة ينضمون إلى الثورة ، فخاف جند بن عبد النافر عامل كورة البيرة للأمير عبد الله أن يؤدي ذلك إلى خروج الكورة كلها من يده ، فصار إلى حرب سوار وانضم إليه المولدون ، فانهزم جند ووقع في أسر سوار ، ثم أطلق هذا سراجه . وكان جند من أقدر قواد الأمير عبد الله ، وكذلك كان أخوه أمية ، وقد ظل أمية يقاتل في سبيل الإمارة القرطبية والجماعة حتى استشهد في معركة مع بني الحجاج أنصار جين في إشبيلية في موقف يغيض حمية ورجولة .

(٢) جعلها دوزي (ص ٨١) : فتم ، ولا محل للتغيير ، لأن الكلمة صحيحة في موضعها : يجمع بمعنى فرج وعظمت نفسه عنه (اللسان : ٢٢٨/٣) .

بـ « وقعة المدينة »^(١) . قال : وقد ذكرها سعيد بن جردى السمدى صاحب
سوار والوالى رئاسة العرب بعده فى شعر له ، منه :

ولما رأونا راجعين إليهم تولوا سراحاً خوفَ وقعِ المناصِلِ
فميرنا إليهم والرماحُ تنوشهم كوقع الصياصى تحت رَهجِ القسايلِ
فلم يَبْقَ منهم غيرُ طينٍ مُصفَدٍ يُقادُ أسيراً موتهاً فى السلاسلِ
وآخرُ منهم هاربٌ قد تضايقت به الأرضُ بهفو من جوى وبلايلِ
ومنه :

لقد سلَّ سوارٌ عليكم مُهنّداً يَحْدُ به الهاماتِ جَدُّ المفاصلِ
به قتلَ اللهَ الذينَ تحزَّبوا علينا وكانوا أهلَ إفاكٍ وباطلِ
سما لبى الحراءِ إذ حانَ حَتِينُهُم بجميعِ كَيْلِ الطَّودِ أَرعنَ راقِلِ
أدرتم رعى حربٍ فدارتْ عليكم لحلفٍ قد أفناكم به اللهُ عاجِلِ
لنقيمُ لنا ملومةً مستجيبةً تُجيدُ ضربابِ الهامِ تحتِ العوامِلِ
بها من بنى عدنانَ فتیانُ غارةٍ ومن آلِ قحطانِ كَيْلُ الأَجْدَلِ
يقودهمُ لَيْثٌ هِزْزٌ مُبْكَارِمٌ مَحْشُ حروبٍ ماجدٌ غيرُ خاملِ

(١) كسب سوار بن حنون القيسى انتصارين كبيرين ، الأول انتصاره على جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله على البيرة وأهل البيرة الذين يعرفون هنا بأهل الحاضرة ، وقد ذكرنا هذا الانتصار ويسمى بوقعة جعد . والانتصار الثانى كان على أهل البيرة أيضاً ، وكان سوار وأصحابه قد احتلوا حصن غرناطة واقتلوه قاعلة لم فأراد خصومهم من المولدين والمسالمة أن يخرجهم منه ، وهاجموا الحصن ، ولكن سواراً استطاع الانتصار عليهم وأوقع بهم بعد مقتل عظيمة ، قال ابن حيان : « يقال إن قلام فى هذه الوقعة كانوا انى عشر ألفاً ، وهذه هى وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة » . هذا ، وقد كانت نتيجة شدة سوار أن انضم المولدون والمسالمة فى كور جيان والبيرة ورية إلى عمر بن حفصون ، قال الأمر إلى أن قتل سوار فى إحدى المعارك . (ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٨ - ٦١) .

أرومته من خير قيس سما به إلى المجد قدماً والملا كل فاضل
 له سورة قيسية عريضة بها ذاد عن دين الهدى كل جاهل^(١)
 وهي طويلة . وقال في ذلك :

فما كان إلا ساعة ثم غودروا كمثل حصيدٍ فوق ظهرٍ صعيدٍ
 وقال أيضاً قصيدة أخرى ذكر فيها أشر جعد بن عبد النافر يخاطب
 للمولدين^(٢) :

لم تزلوا تبغونها عوجاً - حتى وردتم الموت شرّ ورودٍ
 فاصطلوا حرّها وحرّ سيفٍ تنظّلي عليكم كالرفود
 / قد قتلناكم يحيى وما إن كان حكمُ الإله بالردود [١-٤٢]
 هيجمُ ما بنى المييد^(٣) ليونا لم يكونوا عن نارم بقود

(١) أورد القصيدة بكاملها ابن حيان في المقتبس (تحقيق منشور أنطونيا ، ص ٥٧ - ٥٨) فيما عدا الأبيات الخمسة الأخيرة التي ذكرها ابن الأبار . ويلاحظ أن هذه الأبيات واضحة الوضع ، فإن سواراً لم يكن يلود عن «دين الهدى» وإنما كان يحارب جند إمارة قرطبة اللاتنة عن «دين الهدى» ، وكان يحارب المولدين والمسألة وهم مسلمون^٤ ، بل كان عمر بن حفصون إلى ذلك الحين مسلماً ، وإنما كان خارجاً عن طاعة الإمارة . وهذا يكتفى للدلالة على أنها أضيفت فيما بعد ، أضافها رجل لا يعرف الظروف التي أحاطت بثورته يحيى بن صفالة وخلفه سوار بن حنون ثم خلفهما سعيد بن جردى ، وكلهم قيسيون .

(٢) قال ابن حيان في التقديم لهذه الأبيات : «ولسعيد بن جردى في مطلع سوار بن حنون وذكروتيه الأولى بأهل حاضرة البيرة وأسرهم بلعد بن عبد القافر حامل الأمير عبد الله وأعلمه بئار يحيى بن صفالة أميرهم قبله قصيدة طويلة منها .» (المقتبس ، ص ٥٨) .

هذا ، وقد أورد ابن الأبار مختاراً من هذه القصيدة وترتيب الأبيات عنده يختلف عن ترتيبها في المقتبس (ص ٥٩) ، ولم نر ضرورة للإشارة إلى اختلافات الترتيب في المرجعين .
 (٣) المقتبس : العبود .

وهذه اللفظة هنا تكشف عن حقيقة هذه الفتنة التي جرت على الإمارة الأندلسية وأهلها بلاد حظيماً . فإن أبا الظاهر الحسام بن ضرار عندما فرق الجند العرب على الكور التي عرفت باسم =

جاءكم ماجدٌ يقود إليكم فتيةً ذادةً كمثل الأسود^(١)
 يطلب الثار، ثار قوم كرام آزرُوا باليهود بعدَ اليهود^(٢)
 فاستباح الحمراء^(٣) لم يبق منهم غير عانٍ في قِده مصفود
 قد قتلنا منكم أوفاً وما ينف دِلُّ قتلِ الكريم قتلُ الميِّد
 فتن كان قتله غدرَةً ما كان بالنكس، لا ولا الرعديد

يريد يحيى بن صفالة أمير العرب القائم على الولدين . وقال يحيى بن أخى

= الكور المجندة ، وهى : البيرة ودية وجيان وإشبيلية وشلونة وباجة وتسير ، أنزلهم فيها
 « على أموال العجم من مال ونعم » أى جعلهم سادة هذه الكور ، « وجعل لهم ثلث أموال أهل
 النعمة من العجم طعمة » . وقد أسلم أهل هذه الكور شيئاً فشيئاً ، ولم يعودوا أهل ذمة ولا عبداً ،
 ولم يعد من الشرعية أن يقدوا ثلث أموالهم لأولئك العرب ، ثم إن أعدادهم تكاثرت نتيجة للأمان
 والاستقرار فى ظل أمراء قرطبة ، وثقلت عليهم تلك الجباية الكبيرة ، ومن ناحية أخرى لم تعد
 لهذا الوضع ضرورة بعد قيام الإمارة وقيامها بأمر جميع أهل الأندلس ، ولهذا فقد بدأوا
 يطمعون من هذا الوضع ، وقاصروهم الإمارة ورجالها . ولكن العرب المستقرين فى تلك الكور
 استمسكوا بضرورة الأداء على هذا النحو ، ثار المولون والمسالمة وأيدهم عمال الإمارة وحاربوا
 أولئك العرب ، ثم تطور الأمر بعد ذلك واتسع مداه ودخلت فيه عوامل أخرى ، وخاصة بعد
 أن دخل فى الموضوع عمر بن حفصون.

(١) المقتبس (ص ٥٩) : فتية منهم كمثل الأسود .

(٢) الأصل : أدروا باليهود قبل اليهود . وقد قرأ دوزى : إذ وفوا . وعند ابن
 حيان : أغلوا باليهود قبل اليهود . وفى مخطوط « الإحاطة » فى أكاديمية التاريخ فى
 مدريد :

يطلب الثار ابن قوم كرام أغلوا باليهود قبل اليهود

وقوله : « أغلوا باليهود » يؤيد ما قلناه من أن أولئك العرب كانوا يستمسكون بما
 مالههم عليه أبو الخطار .

(٣) الحمراء هنا اختصار « بنى الحمراء » ، وهكذا كان أولئك العرب يسمون أهل
 لبلاط .

يحيى بن صفالة ، من قصيدة طويلة يمدح فيها سواراً ويذكر وقعة البيرة
ويناقض الثبلي^(١) شاعر المولدين ، وقيل إنها لسعيد بن جودي^(٢) :

لسوارٍ على الأعداء سيفٌ أباد ذوى العواية فاضمحلوا
سقام كأسٍ حنّ بعدَ حنٍّ بها نهَلَ العبيدُ معاً وعلّوا
قتلَ بواحدٍ سوارُ ألفاً وألقهمُ بواحدنا يَقلُّ
وأكثرُ قتلنا لهمُ حلالٌ بما ارتكبه ظلماً واستحلوا
فأوردنا رقابهمُ سيقوا تشبُّ النارُ منها إذ تُسلُّ^(٣)
ورثنا العِزَّ من آباءِ صديقٍ وإرثكمُ بنى الثبديانِ ذُلُّ^(٤)
وأولُ شمرِ العيلِ^(٥) :

قد انقصت قناتهم وذُلُّوا وضمض^(٦) ركن عزم الأذلّ

(١) الأصل : الصل ، والتصويب من المقتبس لابن حيان (ص ٦٢ - ٦٣) وهو
عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالصل ، ينسب إلى قرية عله التي منها أصله ، وكان شاعر البيرة
الحامى من المولدين ، وكان يقابله في الجانب العربي محمد بن سعيد بن غمارق الأسدي أسد بني
غزيمه ، شاعر العرب القاتم فيها مقام العيل في المولدين ، وكان كل منهما يحرص قومه ويتأصل
عن ملحه ويصف ما يجرى لقومه على أصدادهم من الوقائع المحزنة ، فلهما في ذلك أشعار كثيرة ،
وكل منهما كان بعيد المدى في فرط العصية .

(٢) قلت هذه الأبيات رداً على قصيدة العيل ومطلعها :

قد انقصت قناتهم وذُلُّوا وزعزع ركن عزم الأذلّ

وقد أورد ابن حيان الأبيات في المقتبس (ص ٦٥) وبين روايته ورواية ابن الأبار

خلاف .

(٣) الأصل : العيل ، وهو تصحيف .

(٤) في المقتبس (ص ٦٤) : وزعزع .

فما طَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ لِيَسِيَهُمْ وَهَامَ عُنْدَنَا فِي «الْبِيرِ» طَلٌّ^(١)
ومن شعر سَوَّار قوله من قصيدة طويلة :

صَرَمَ النَّوَانِي يَا هُنَيْدُ مودني إِذَا شَابَ مِفرقُ لِيَتَى وَقْدَالِي^(٢)
[٤٢-ب] / وَصَدَدَنَ عَنِي يَا هُنَيْدُ وَمَلَلًا عَلَقَتْ حِيَالُ وَصَالِهِنَّ حِيَالُ
وَقُتِلَ فِي صَدْرِ سِتَّةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ ، فَكَانَ أَمَلُهُ فِي رِثَاثَةِ
نَحْوِ الْعَامِ^(٣) .

٥٧- سعيد بن جودي السعدي ، أبو عثمان

هو سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي ؛ هو من
هو أزن من جند قنسرين .

(١) الأصل : ظل دون شكل . وقد تكون : غلٌّ ، وهي قراءة طيبة تعطى معنى جميلاً .
وقد جعلناها : كَلٌّ منابتاً لرواية ابن حيوان ، ص ٦٦ .
و «البير» يراد بها «إلبيرة» .

وذكر ابن حيوان لمناسبة هذا البيت أنه «لما ظهرت العرب على أهل حاضرة إلبيرة وبعيل
الأمير عبد الله لأمرهم سعيد بن جودي على الكورة ، فدخل الحاضرة ، وأناه ناعهم عبد الله
بن أحد العيل (كلها) ، وقد ذكر قبل ذلك أن اسمه عبد الرحمن) بشعر يمنحه فيه ، فاستمع له
وأمر له بمجازاة . ثم ذكره أحد الحاضرين بشعره الذي قال فيه هذا البيت ، فأمر سعيد بن جودي
بعض بني صقالة بقتله وإلقاء جثته في «بئر غامضة» ففعل ، فكانه فهم لفظ «البير» على أنها
«البئر» لا ترخيماً لفظ إلبيرة .

(٢) صحف حوزي هذا البيت صحيحاً شديداً أفرد وزنه ومعناه :

صرمن النوانى يا هنيذ مودنى إذا شاب مفرق لى وقْدَالِي
ثم أضاف حاشية طويلة يفهم منها أنه خلط بين البيت وما قبله ، ووضح أنه من قصيدة
أخرى . ومن الغريب أن يصر عليه هذا البيت مع وضوحه ومع أنه قرأ وفسر ما هو أعسر منه
بكثير .

(٣) راجع المقتبس ، ص ٦٠ .

وَلَى جُدَّة جُودَى بِنَ أَسْبَاطِ الشَّرْطَةِ لِلْأَمِيرِ الصَّكْمِ الرَّبَيعِيِّ ، وَوَلَى
أَيْضًا قِضَاءَ بِلْدِهِ لِابْنَةِ — وَقَعَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي « الْمُقَنِّعِ » مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ بَطَّالٍ
فِي الْأَحْكَامِ ^(١) . وَلَمَّا قُتِلَ سَوَّارُ بْنُ حَمْدُونَ ذَلِكَ الْعَرَبُ بِمَقْتَلِهِ ، وَكُلَّ حَذَّاهَا
بِمَا نَزَلَ فِيهِ ، وَكَانَ قَدْ أَصِيبَ عَلَى يَدَيْ بَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ خَفْصُونَ ^(٢) . فَيُقَالُ
إِنْ جَسَّتْ مَرْقَاهَا ثَكَالَى نِسَاءَ الْمَوْلَدِينَ قِطْعًا ، وَأَكَلَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ حَقًّا عَلَيْهِ ،
لَمَّا نَافَلْنَ بِهِ الْمَرَّةَ بِمَدَلِّ الْمَرَّةِ مِنَ الثَّكَلِ فِي بَعُولَتَيْنِ وَأَهْلِيَيْنِ . فَنَصَبَتْ الْعَرَبُ
لِإِمَارَتِهَا بَعْدَهُ سَعِيدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودَى صَاحِبَهُ ، وَعَلَّقَتْ أَمَالَهَا بِهِ ، فَلَمْ يَسُدَّ
مَكَانَهُ ، وَلَا بَلَغَ مَدَاهُ فِي السِّيَاسَةِ . عَلَى أَنَّهُ كَانَ شَجَاعًا بَطْلًا وَقَارِسًا مَخْرِيًا ،
قَدْ تَصَرَّفَ مَعَ فُرُوسِيَّتِهِ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَتَحَقَّقَ بِضُرُوبِ الْأَدَبِ ، فَانْغَدَى أَدِيبًا
مَخْرِيرًا ، وَشَاعِرًا مُحَسِّنًا ، تُعَدُّ لَهُ عَشْرُ خُصَالٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ عَنْهَا :
الْجُودُ ، وَالشَّجَاعَةُ ، وَالْفُرُوسِيَّةُ ، وَالْجَمَالُ ، وَالشَّعْرُ ، وَالْخَطَابَةُ ، وَالشَّدَّةُ ، وَالطَّمَنُ ،
وَالضَّرْبُ ، وَالرَّمَايَةُ . وَهَابَةُ ابْنِ خَفْصُونَ هَيْبَةً لَمْ يَهَبْهَا أَحَدًا مِنْ مَارِسِهِ ،
إِذْ لَمْ يَلْقَهُ قَطُّ إِلَّا عِلَاءً وَهَزَمَهُ .

وَلَقَدْ دَعَاهُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَلَمْ يَجِبْهُ ابْنُ خَفْصُونَ إِلَيْهَا وَحَادَ عَنْهُ .
وَوَاجِبُهُ يَوْمًا فَالْتَقَى عَلَيْهِ ذِرَاعُهُ وَاجْتَذَبَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَمَا نَجَّاهُ مِنْهُ إِلَّا أَصْحَابُهُ

(١) هُوَ أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانَ بْنُ عَمْدِ بْنِ بَطَّالِ الْبَطْلِيوسِيِّ ، أَسْلَمَهُ مِنْ بَطْلِيُوسٍ وَاسْتَقَرَّ
فِي الْبَيْرَةِ وَعَاشَ فِيهَا . تَرَجَّمَ لَهُ ابْنُ بَشْكَوَالٍ ، وَذَكَرَ كِتَابُ « الْمُقَنِّعِ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ »
وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَسْتَفْنِي عَنْهُ الْعُكَّامُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ شَاعِرًا مَجِيدًا ، وَقَدْ سَمِيَ « الْعَيْنِ جُودَى »
لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَرِدُّ فِي أَشْعَارِهِ « يَا عَيْنِ جُودَى » ، وَقَدْ انْصَرَفَ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَمَا كَبُرَتْ سِنُهُ
وَتَزَهَّدَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٤ هـ أَوْ نَحْوَهَا .

« الصَّلَاة » لِابْنِ بَشْكَوَالٍ ، رَقْمٌ ٤٤٠ ص ١٩٦ . فَهَرَسْتُ ابْنَ خَيْرٍ ، ص ٢٥٢ .

(٢) قَتَلَ صَوَّارٌ عَلَى يَدِ خَفْصِ بْنِ الْمَرَّةِ قَائِدَ عَمْرِ بْنِ خَفْصُونَ « الشَّدِيدَ التَّمَرْدِ وَالْعَنَةِ »
كَأَيُّ قَوْلِ ابْنِ حَيَّانٍ (ص ٥١) وَقَدْ قَتَلَ خَفْصُ هَذَا سَنَةَ ٢٨٠ عَلَى يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ أُمَيَّةٍ قَائِدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ عَلِقَ ابْنُ حَيَّانٍ عَلَى قَتْلِهِ بِقَوْلِهِ : « كَبِيرُ قَوَادِهِ وَلِزَازُ حُرُوبِهِ
وَخَلِيفَتُهُ فِيمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ سَاعِيهِ ، فَكَانَ وَجَدَهُ عَلَيْهِ حَسَبُ مَكَانِهِ مِنْ أَثَرَتِهِ » (ص ١٠٨) .

الذين اتفقوا على سميد فتفقذوا عمر من يده . وله زَرْقَةٌ بريدة للذى إلى بعض
القناطر المتلية مشهورة النسبة إليه ، لم يقدر أحد بعده من يعاطى الشدة يبلغ
إليها — ذكر ذلك أبو مروان بن حيان فى تاريخه^(١) .

وقال فى موضع آخر : كان ، مع رئاسته وشجاعته ، شاعراً مقلقاً وخطيباً
مِصْقَافاً ، فصيح اللسان ، ريط الجنان ، جميل الشارة ، حسن الإشارة ، ثبت
[١-٤٤] الأصالة ، واسع الأدب / وللمعرفة ، يضرب فى صنعة الشعر بُسْمة وافرة ،
ويتصرف من سبله بكل منيعة^(٢) . وحكى أن الأمير عبد الله بن محمد أسجّل له
على كورة البيرة ، لما ظهرت العرب على حاضرتها . فأتصل قيامه بأمر العرب ،
إلى أن قُتل غيلةً بأيدى بعض أصحابه فى ذى القعدة من سنة أربع وثمانين ومائتين .
قال : وزعموا أن من أقوى الأسباب فى قتله أحياناً من الشعر قالها فى غصص
الأئمة من بنى مروان . منها ، قال لعبد الله :

يا بنى مروان جِدُّوا فى الحربِ نَجَمَ الثائرُ من وادى القصبِ
يا بنى مروان خَلُّوا مَلَكُنَا إِمَّا الْمَلِكُ لأبناء العرب^(٣)
ورثاه الأسدى شاعر العرب فى ذلك الأوان ، وقال فيه مُقَدِّمٌ بن مُعافى يرثيه :
من ذا الذى يُطعمُ أو يكسو وقد حوى حِلْفَ الندى رَمْسُ ؟
لا اخضرتِ الأرضُ ولا أ ورقَ لا مودُ ولا أشرقتِ الشمسُ

(١) روى ذلك ابن حيان ونصه عن تاريخ عادة بن ماء السماء . انظر « المقتبس » ،
ص ٢٩-٣١ .

(٢) كلما فى الأصل ، وكذلك صد ابن حيان « المقتبس » ، ص ١٢٣ .

(٣) روى هذه الأبيات أيضاً ابن حيان (المقتبس ، ص ٣٠) ولكنه حمل صدر
البيت الأول :

• قل لعبد الله يجذد فى الحرب •

وأضاف إليها بيتاً ثالثاً :

قربوا الورد المحلى بالمحب واسرحوه ، إن نَحْيَ قد عُلِّقَ

بعد ابن جودي الذي لن ترى أكرم منه الجن والإنس
دموع عيني في سبيل الأسي على سعيد أبداً خبئ
وقام بأمر العرب بعده محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الحمداني صاحب
حصن الحمة ، إلى أن استنزله الناصر عبد الرحمن بن محمد . ولسعيد بن جودي
شعر كثير ، وقد ذكرنا منه جملة . وسمع يوماً منشداً ينشد قول أبي قيس بن
الأنث :

قد حصت البيضة رأسي فما أعلم يوماً غير تهجاع
أسي على جُلّ بني مالك كل امرئ في شأنه ساع^(١)
فقال معارضاً له على البديهة :

الدرع قد صارت شماری فما أبسط حاشاها تهجاع
والسيف إن قصره صانع طوله يوم الوغى باعي
/ وما كنت لي بـسـتـقصـر^(٢) إذا دعاني للقاء داغ
هذا الذي أسي له جاهداً كل امرئ في شأنه ساع
[٤٤-ب]

وله في جارية سمعا بقرطبة تفتي للأمير عبد الله بن محمد — وذلك في إمارة
أبيه الأمير محمد — فهاجم بها واشترى جارية سماها باسمها « جيجان » ، فلم يسله
ذلك عنها وهام بها دهرأ^(٣) :

سمى أبي أن يكون الروح في بدني فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن
أعطيت جيجان روي عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترني

(١) وردت هذه الأبيات في الأغانى (١٥ / ١٥٣) وقد راحتها حل أصلها هناك
وقدمتها بمقتضاه .

(٢) في المقتبس (ص ١٢٤) مختصر .

(٣) روى الحكاية بالتفصيل ابن حبان في المقتبس (ص ١٢٤) ، وقد ورد اسم
الجارية عنده « جيجان » . وكلما صورق هذا الاسم عند ابن حبان واس الأمار قلقة يملأها محبة .

كَأَنِّي وَاسْمِهَا وَالْأَمْعُ مَنْسَكَبٌ مِنْ مَقَلَّتِي رَاهِبٌ صَلَّى إِلَى وَثْنٍ^(١)
وَلَهُ فِي جَارِيَةٍ حُمِلَتْ إِلَيْهِ مِنْ قُرْطُبَةٍ ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ وَرَمَتْ
بَطْرُفَهَا إِلَى الْأَرْضِ خَجَلًا فَقَالَ :

أَمَّا لَئِذَا الْخُلَاطِيزُ عَنَى إِلَى الْأَرْضِ أَهَذَا الَّذِي تُبْدِينَ سَوْحَكَ لِمَنْ بُغِضَ؟
فَإِنْ كَانَ بُغْضًا لَسْتُ وَاللَّهِ أَهْلَهُ وَوَجْهِي بِذَلِكَ اللَّحْظِ أَوْلَى مِنَ الْأَرْضِ
وَلَهُ أَيْضًا يَهْزُلُ وَيَتَنَزَّلُ :

لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ سَاقِي عَلَى عُنُقِي وَمِنْ مَنَاقِلَةٍ كَأَسَا عَلَى طَبَقِي
وَمِنْ مُوَاصِلَةٍ مِنْ بَعْدِ مَعْتَبَةٍ وَمِنْ مَرَاثِلَةِ الْأَحْبَابِ بِالْخُلُقِ
جَرِيَتْ جَرَى جَوْحٍ فِي الصَّبَا طَلَقًا وَمَا خَرَجْتُ لَصْرِفِ الدَّهْرِ عَنْ طَلَقِي
وَلَا ائْتَيْتُ لِمَا عَى لِلْوَيْ يَوْمَ وَغَى كَمَا ائْتَيْتُ وَحِيلَ الْحُبُّ فِي عُنُقِي
وَمَقَاصِدُهُ فِي غَزَلِهِ لِلشُّوَبِ بِشَجَاعَتِهِ تَشَبَّهُ مَقَاصِدَ أَبِي دَلْفِ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى
الْمِجْلِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ أَيْضًا رِثَاةٌ وَنُورَةٌ .

وَلِسَعِيدٍ أَيْضًا فِي جَارِيَةٍ جَمِيلَةٍ عَرَضَتْ لَهُ صَبَاحًا فِي غِلَاةٍ حَرَاءَ وَهُوَ خَارِجٌ
إِلَى مَجْلِسِهِ ، لَتَأْخُذَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ وَهِيَ تَتَنَبَّأُ فِي حَرَكَتِهَا فَقَالَ :

فَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقِ حُمْرٍ
ثُمَّ أَعْيَتْهُ الْإِجَارَةُ طَوْلَ نَهَارِهِ وَقَدْ شَفَلَ بِهَا فِكْرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ
[١٥-٤] فَاسْتَأْذَنَ لِعَبِيدِيسَ / الشَّاعِرِ السَّكَانِبِ — وَكَانَ يَنْتَابُهُ هُوَ وَغَيْرُهُ — فَسَاعَةً
دَخَلَ عَلَيْهِ نَادَاهُ سَعِيدٌ :

فَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقِ حُمْرٍ

(١) أورد ابن حيّان مثل هذا البيت بيتاً هو .

مثل لحيان يا سؤلى وما أملك استوص حيراً بروح رال من يند

فأجابه من قبل أن يجلس :

وعهدى بالريحان في ورق خضر

فسر وأجزل صلته .

وله يرثى :

أُستصرأ بالصبر قد دفن الصبر مع الحسن^(١) للأمول إذ ضمه القبر

فياجباً للقبر منه بضعة وقد كان سهل الأرض يخشاه والوعر

وما مات ذاك للمجد الترم وحده بل الجود والإقدام والبأس والصبر

وإن يكن الشيطان زين حبرة لقاتله في الكفر ، بل دونه الكفر

فشمس الضحى ترجو لفقدان نوره وندر الدجى ييكيه والأجمم الزهر

وله حين أسره عمر بن حفصون ، رأس الفتنة بالأندلس ومضرم مارها وركن

المصيبة للعجم والمولدين ، وذلك قبل إمارة سميد وراثته للعرب :

خليل صبرا ، راحة الحر في الصبر ولا شيء مثل الصبر في السكر الحر

فكم من أسير كان في القيد مؤثقا فأطلقه الرحمن من حلق الأسير

لئن كنت مأخوذا أسيرا وكننا فليس على حرب ولكن على غدير

ولو كنت أخشى بعض ما قد أصابنى تحتفى أطراف الزدنية السمر

قد علم العتبان أى كميها وفارمها للقدام في ساعة الدهر

(١) لم أر على شيء يكتشف عن شخصيه الحسن هذا ، والمال أنه من راءى جماعة

عسى بن مماله وسوار بن حنون وصمد بن حوى .

(٢) جعلها دورى (ص ٨٧) وملسور أنطونيا (المقتبس ، ص ١٢٦) : ائقيد ،

ولا داعى لذلك فالمد صحة فى معنى العيد ، واستمالها فى الشعر كثير .

ومن هذه القصيدة :

يَهْمَكِ الْتَى خَالَقِي يَوْمَ مَوْفِي وَكَرْبُكَ أَفْضَى لِي مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ^(١)
وإن لم يكن قبرٌ فأحسنُ موطنًا من القبرِ لفتيانِ حَوْصَلَةِ النَّسْرِ

٥٨ - سليمان بن وانسوس

الوزير ، أبو أيوب

هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوس للكناسي مولى سليمان
[٥٠ - ب] ابن عبد الملك . أصله من البرابر ، وله فيهم بيت شرف / بالأندلس . وكان جده
أصبغ رئيساً بماردة مطاعاً ، ثار فيها على الأمير الحكم بن هشام فلكنها لنفسه
واتصل خلافه فيها ستين ، وجرت له خطوب كبار في حالي للمصية والطاعة .

وتعهد ابن ابنه هذا سهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه ، وعلق حبال الخدمة ،
فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة ، إلى أن ارتقى القدوة من خطة الوزارة للأمير
عبد الله ، وصارت له حظوة . وكان أدبياً مُفْتَنًا ، وشاعراً مطبوعاً ، حسن
البيان ، بليغاً ، حقيقاً ، داهياً ؛ وكان في لحيته كوسجاً^(٢) . ومن شعره يغري

(١) أسقط ابن الأبار هنا يبين يروضان المقصود باليتين اللتين أتى بهما ، وهما :

فيا غافراً أبلغ سلاى تحيةً إلى واليِّ الهائمين لدى ذكرى
وأد إلى عرسى السلام وفل لها عليك تحياتي إلى موقف الحشر

ويعهم من هذين البيتين أنه يخاطب زوجه في البيتين اللتين أوردتهما ابن الأبار .

(٢) الأصل : وكان في لحينه كوسجاً له . والكوسج هو الذي لا شعر حل عارضيه ،

ولهذا فقد علب على ثلثي أن « حلية » هي « لحية » وهم الناسخ في كتابها . وكان سليمان بن وانسوس
كوسجاً أي لا شعر حل عارضيه ، في حين أن لحينه كانت طويلة ضخمة وصفها الأمير عبد الله
كما رأينا بأنها « حلوة » . وهذا التماثل بين ضخامة اللحية وانعدام شعر العارضين هو الذي
جعل الأمير عبد الله يسخر من لحية سليمان بن وانسوس .

الأمير عبد الله بن محمد بجهور بن عبد الملك البُخْتِي ، وكان قد صُرف عن عمله
بكورة لبيدة لتعظم الرعية :

جاء الحارث - حارث المرج - محشياً^(١) مما أفاد من الأموال والطرفِ
خلى لبيدة قد أودت مساكنها ببيع سيرته والعنفِ والسرفِ
فاحمل على العير حملاً يستقل به وأترك له سبياً للتبن والملفِ
فلما قرأ الأمير عبد الله آياته أمر بإدخاله إليه فضحك منه وقال له :
« يا سليمان لو زدتنا في الآيات زدنا الحارث في العزم » ، وأمر بإغرامه ثلاثة
آلاف دينار . وقد تقدم لسليمان هذا خبر مع الأمير عبد الله يدل على شرف ذاته
وعلو همة .

٥٩ - عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي ، أبو مروان

ولّى أبوه عامر طليطلة ، ثم صرفه عنها عبد الرحمن بن الحكم بأخيه
عبد الله بن كليب . وكان أحد وجوه أصحاب السلطان ، واختص بصحبة هاشم
ابن عبد العزيز . وكانت فيه - مع أدبه وبلاغته - حدة ومعارضة للناس ،
ومحكك بالشراء ، فلم يسل منهم ؛ وهو القائل في الاحتذار :

عَظُمُ الخَطَاةِ فَمَلُّ تَقِيلُ يا سيدي ، أو ما تقول ؟
أنت العزيز بهنوتي وأنا بها العبد القليلُ
والله لو أرى استطعتُ لما بدتُ مني فضولُ
ولما رأى مني الصديقُ قُ سوى قوامٍ لا يميلُ

(١) روى الحكاية ابن حبان عن أبي الوليد القرظي بتفصيل . وقد ورد هذا اللفظ فيه :
محشياً ، وقرأها دوزي (ص ٨٨) : محشياً ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه .

[١-٤٦] / ولسان صدق لا يزو ل من الصواب ولا يحول
فأبْتُ على الكاسِ إلاً لَأ أن يُدَاخَلَنِي الذَّهولُ^(١)

٦٠- عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد

ابن غانم

كان هو وأخوه محمد وأبوهما وليد في بيت أدب رائع وكتابة وجلالة ،
وولّى وليد للأمير محمد بن عبد الرحمن خِطَّتِي الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة
التي قدّم عليه ابنه عبد الرحمن بن محمد ، وكان عدده عظيماً . وولّى أيضاً محمد
ابن وليد خطة المدينة ، وسيأتي ذكرهما . وعبد الرحمن هو القائل (وسمع
هبيد الله بن يحيى بن يحيى صاحب مالِك وقد سئل عن النعامة ففسرها
بطير الماء) :

ذهب الزمان بصفوة العلماء وبقيت في ظلم وفي عياء
وأنى طنائم رُفِعَ من بعدهم لا فرق بينهم وبين الشاء
فإذا سألت عن النعام أسدّم علماً ، يفسره بطير الماء

(١) نقل ابن الأبار هذا عن ابن حيان ، وفعله ابن حيان عن أبي الوليد القرضي (غلطوط
ابن حيان ، ص ٢٢٧ أ ب) وقد روى حكاياه مع الوزير محمد بن جهور وكشف أمر هذا
الأخير بفسرده وبجبهه ، وكيف حاول الوزير هاشم بن عبد العزيز إنعاده من يد ابن جهور
فلم يسطع ، مما حط من قدره أمام الناس . ولماه بعض في هذه الأبيات الوزير ابن جهور .
انظر أيضاً : « المغرب لابن سيدة » : ٩٤/١ - ٩٥ .

وهؤلاء شعراء بني الأغلب ملوك إفريقية في هذه المائة ،
وفي آخرها انقرض ملكهم حسبما يُذكر بعد :

٦١ - زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد

وُلِيَ بعد أخيه أبي العباس عبد الله الجليل^(١) سنة إحدى ومائتين . وكان
أبوه - إبراهيم بن الأغلب - إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية
والشعراء ، أصحبهم ابنه زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته ، فكان أفضل أهل بيته
وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً . وكان يعرب كلامه ولا يلحن ، دون تشاؤق
ولا تقعر ، ويصوغ الشعر الجيد . ولا يُفلم أحد قبله سُمِّي « زيادة الله »
ولا « هبة الله » قبل وَلَدِ إبراهيم بن المهدي^(٢) .

وَوُلِدَ زيادةُ الله قبلَ هبة الله هذا بنحو من ثلاثين سنة .

وهو الذي بنى جامع القيروان بالصخر^(٣) والآجر والرخام بعد أن هدمه ،
وبنى الحراب كله بالرخام / من أسفله إلى أعلاه ، وهو منقوش بكتاب وغير [٤٦ - ب]
كتاب ، ويستدير به سوار حسان ، بعضها مجزعة بأسود ناصعة البياض
شديدة السواد ، ويقابل الحراب عمودان أحمران ، فيهما توشية بحمرة صافية

(١) قال ابن خلدون عن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب هذا : « . . . وكان من أجل
اللباس وجهاً وأصحبهم قولا وأعظمهم علماً . . . » وله حكاية مسجورة في كتب التاريخ مغربي
مع صلحاء القيروان ، إذ نصحوه بأن يمدل عن سياسته فلبى ، فدعوا عليه « فقال إن فرسة
خرجت تحت أذنه ، فقتلته في السادس من دعاء اتوم . وقال من حضر غشله أنه لما كسفت
عنه ثيابه ، ظن أنه عد أسود بعد جماله ، وذلك بسبب سوء فضاء » . توفي في ذي الحجة ٢٠١ /
يوليو ٨١٧ .

ولهذا يلقبه ابن الأبار بالجميل .

انظر : البيان المغرب ، ٩٥ / ١ - ٩٦ .

(٢) وردت هذه العبارة أيضاً عند النويري . نهاية الأرب ، طبة جسيار ريمبرو ،

ص ١٣٩ .

(٣) الأصل : بالصحن ، وقد صوئناها السياق .

دون حمرة سائرهما ، يقول كلٌّ من رأهما من أهل المشرق والغرب أنه لم ير مثلهما . وقد بذل فيهما صاحب القسطنطينية وزتهما ذهباً فلم يُجِبْهُ الناظرُ للإسلام في ذلك^(١) .

وأول من بنى هذا الجامع الأشرف عقبة بن نافع الفهري ، وهو الذي اختط مدينة القيروان في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة .

فلما وليَ حسان بن النعمان النَّسَائِيَّ إفريقيةَ هدمه — حاشى الحراب — وبناءه بالطوب . فلما وليَ يزيد بن حاتم إفريقيةَ ، سنة خمس وخمسين ومائة ، هدمه وبناءه . فلما وليَ زيادةُ الله هذا ، هدمه وبناءه مع الحراب كما وُصف وتم بنيانه سنة اثنين وعشرين ومائتين .

وبعد ذلك بعام أو نحوه توفي في رجب سنة ثلاث وعشرين .

ولأبي إبراهيم أحمد بن محمد — والد إبراهيم بن أحمد السفاك — زيادة في هذا الجامع كملت سنة ثمان وأربعين ومائتين^(٢) ، وهي عليها إلى اليوم .

(١) يروى أن زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب كان يقول بعد أن فرغ من تجديد الجامع : « ما أبالي ما قُتِلْتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات : بنياني المسجد الجامع بالقيروان ، وبنياني قنطرة أم الربيع ، وبنياني مدينة سوسة ، وتوليقي أحمد بن أبي محرز قاضي إفريقية » — ابن حنّان ، البيان ، ١٠٦/١ .

(٢) تحدث التويري (ص ١٥٠) بشيء من التفصيل عن تلك الزيادة التي أضافها أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، قال : « ولأبي إبراهيم آثار عظيمة في المياني بإفريقية ، فمن ذلك بنيان الماجل الكبير بباب تونس — وهو بمعنى الصبر بفتح الصاد — وزاد في جامع القيروان النهر والمجنبات والقبّة ، وبني الماجل الذي بباب أبي الربيع ، والماجل الكبير الذي بالقصر القديم ، وبني المسجد الجامع بمدينة تونس ، وبني سور مدينة سوسة ، وكان آخر ما عمل الماجل الذي بالقصر القديم » .

وأبو إبراهيم هذا من أحسن أمراء بني الأغلب سيرة وأبواقهم أثراً مع أنه كان من أصغر من تولي منهم سناً ، فقد تولّى في الثانية والعشرين — أو الثالثة والعشرين — من عمره ، ولم يحكم غير سبع سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان موته يوم الثلاثاء ١٤ ذي قعدة سنة ٢٤٩/٢٠ =

ومن شعر زيادة الله - على أنه كان يصنعه ويكتبه - ما يروى أن
للمؤمن كتب إليه أن يدعو على منابر لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، فأنف
من ذلك وأمر بإدخال الرسول عليه - بعد أن تَمَلَّأ من الشراب ، وحلَّ
شره ، ونارَ عظيمة بين يديه في كَوَانين ، وقد احمرت عيناه - فقال الرسول
ذلك للنظر ، ثم قال : « قد علم أمير المؤمنين طاعتي له وطاعة آبائي لأبائهم ،
وتقدّم سلفي في دعوتهم ، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خُرَاعَة ؟ هذا والله
أمر لا يكون أبداً » . ثم مدي يده إلى كيس إلى جانبه فيه ألف دينار فدفعه
إلى الرسول ليوصله إلى المؤمن ، وكانت الدنانير مضروبة باسم إدريس الحنفي ،
ليُقلَّله ما هو عليه من فتنة للغرب ومناضلة العلويين ، وكتب جواب الكتاب
وهو سكران في آخره آيات منها :

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنتَ من يقدح الزند فاقدر
أنا الليث يحى غِيْلَه بزئيره فإن كنتَ كلباً حان موتك فانير
/ أنا البحر في أمواجه وجبايه فإن كنتَ ممن يسبحُ البحرَ فاسبح [٤٧-١]

فلما صحا بحث في طلب الرسول فقائه ، وكتب كتاباً آخر يتلطف فيه ،
فوصل الكتاب الأول والثاني ، فأعرضوا عن ذكر الأول وجوابه عن الثاني
بما أحب . وصدر البيت الأول من هذه الأبيات وقع في ما تمثل به المؤمن ،

= يناير ٨٦٢ ، أما ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب فقد كان مصاباً بشبه
جنون جعل منه أكبر سفاك للعلاء عرفه تاريخنا ، ولم تقتصر جرائمه على خصومه السياسيين
أو من يخشى عظمهم ، بل كان يقتل للذة القتل ، وقد أورد النويري - نقلاً عن أبي إسحاق إبراهيم
الرقبي - بياناً مفزحاً ببعض المذابح التي أوقعتها بأهل بيته وخلفه حتى لقد قتل ٣٠٠ خادم
بسبب منديل ضاع منه ، وقتل ابناً من أبنائه وثمانية من إخوته ، وقتل ١٦ من بناته مرة
واحدة . وكان به شذوذ وميل للفيلان ، وكان عليه منهم نيف وستون ، فشك في أمرهم مرة
فقتلهم جميعاً على أبشع صورة ، إلى آخر هذا البيان الأسود . وكان يتلذذ لمظهر القتل ويتفنن
فيه ، ومن هنا فإن لقب السفاك الذي سباه به ابن الأبار قليل في حقه .

إذ قتل ليلاً بالمطابق إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة وأصحابه ، قال حين فرغ من ذلك :

أنا النار في أحجارها مسكنة متى ما يهيجها فادخُ تنصّرُم
حكاه للمسعودي .

وكان زيادة الله يدعو للمأمون ، وابنُ شَكْلَة^(١) — وهو إبراهيم بن المهدي — ببغداد قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين ، إلى أن قدم المأمون ببغداد فكاتبه وشكر له فعله .

وله يخاطب أمّه « جلال » — جارية الليث بن سعد^(٢) — وقد استنحل أمر الجند في خلافهم عليه ، واستولوا على إفريقية كلها ، إثر وقعة على أصحابه شديدة خاف منها على ملكه ، وأيقن باقطاع مدته ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ، فدخلت عليه أمه تصبره وتسهّل الأمر عليه ، ففكر ساعة ثم رفع رأسه وأنشد أبياتاً منها :

أمنت سبيبة كل قرمر باسلي ومن العبيد جاجاً أبطالاً
فإذا ذكرت مصايباً بسبيبة فابكي جلال واندي إصوالاً

(١) ورد الاسم على هذا الضبط عند المسعودي ، انظر « مروج الذهب » (تحقيق باربييه دي مينارد ، باريس ١٨٧١) : ١٠/٦ .

(٢) سمع إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبية من الليث بن سعد قبل أن يلى حكم إفريقية ، ويقال إن الليث وهب له « جلال » أم ولده « لمكانته منه » كما يقول ابن عذارى . وزيادة الله الأول هو ثاني ولده من أولاد إبراهيم بن الأغلب يلى الإمارة (ابن عذارى ، البيان ، ٩٢/١) .

يا ويح نفسي حين أركب غادياً بالقدروان تخالني غثالاً
في خفية مثل النجوم طوالم وتخالني بين النجوم هلالاً
فالיום أركب في الرعاع ولا أرى إلا العبيد ومعثراً أنذالاً^(١)
وله في النسيب :

بالله لا تقطنَ بالمجر أنفاسي فأتَ تملك إنطاق وإخراسي
صدودُ طرفك من طرفي إذا التقيا جُرَّعي كلسٍ لإرغام وإتماسي
لوم أبحك حتى قلبي ترؤد به لم تستبح مهجتي يا أملك الناس
/ وله أيضاً في تقاحة :

[٤٧ - ب]

ولابسة ثوبٍ اصفرارٍ بلا جسم تَمُّ بأفاسٍ الحبيبِ لُشْمٌ
تجمع معشوقٌ لنبها وعاشقٌ فذو نظري يزو إليها وذو شَمٌ
سأفنيك أو أفنى عليك تذكراً لمن أنتِ عطرمته في الرشف والشم
قد هجبت في قلبي لنظي لذكركي وعنوانه في مقلتي دمةً تنهي
كأنني أدنى حين أدنيك من به أثرتِ اشتياقي في عناقٍ وفي ضمٍ

(١) كانت أيام زيادة الله بن الأغب كلها أيام فتنة واضطراب ، بسبب قلة كفايته
وسوء تصرفه ما كان سبباً في ثورة منصور الطنبلي التي كادت تطيح بدولة بني الأغب . وقد
كان زيادة الله لهذا في ضيق وهم دائمين ، وربما كان هذا بسبب إسهائه في الشراب . وتشير
آيات زيادة الله إلى وقعة سيئة التي كانت سنة ٨٢٥/٢١٠ - ٨٢٦ ، أوقفها بجند زيادة الله
حامد بن قاض صاحب منصور الطنبلي وقسيمه في الثورة ، وكان يقود جند زيادة الله فيها ابن
أخيه محمد بن عبد الله بن الأغب ، قتل في المعركة ، وقد كاد أمر زيادة الله يتلاشى بطلها قال
ابن عماري : « ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلا قابس والساحل وقفزاوة وإطرابلس ،
فلهم تمسكوا بطاعته ، ولم يتقصوه شيئاً من جبايته . وملك منصور جميع عمل زيادة الله ،
وضرب السكة باسم نفسه » (البيان المغرب ، ١/ ١٠٠ - ١٠١) .

٦٢ - الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال (ويلقب بخزر)

وَلَىٰ لِمُفْرِقِيَّةٍ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَبْنَائِهِ لَصَلْبِهِ ، أَوْلَاهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ : وَلَىٰ بَعْدَهُ أَبِيهِ ، وَكَانَ عِنْدَ وَفَاتِهِ بَطْرَابِلُسَ ، قَامَ أَخُوهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بِالْأَمْرِ فِي مَنِيَّهِ ، وَأَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ ، فَكَانَ يَتَحَامَلُ عَلَيْهِ فِي وَلَايَتِهِ وَيَنْتَقِصُهُ ، وَهُوَ يَظْهَرُ التَّجَبُّلَ وَالْإِحْتِمَالَ ^(١) ؛ وَعَوَّجِلَ فَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ ، وَلَمْ يُوصَفْ بِأَدَبٍ فَتَذَكَّرَهُ . وَثَانِيهِمْ أَبُو مُحَمَّدٍ زِيَادَةُ اللَّهِ الْمُتَقَدِّمُ الْقَدْرُ : وَهُوَ كَانَ أَطْوَلَهُمْ وَلَايَةً ، وَأَمْتَنُهُمْ بَعْدَ أَبِيهِمْ أَدْبَا . وَثَالِثُهُمْ أَبُو عَقَالِ الْأَغْلَبِ هَذَا : وَلَىٰ بَعْدَ أَخِيهِ زِيَادَةَ اللَّهِ ، وَهُوَ كَانَ أَقْصَرَهُمْ وَلَايَةً ؛ أَقَامَ سِتْنَيْنِ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا ، غَيْرَ أَنَّ الْمُلُوكَ مِنْهُمْ مِنْ عَقِبِهِ ^(٢) دُونَ أَخُوهِ . وَكُلٌّ مِنْ وَلَىٰ بَعْدَهُ مِنْ آلِ الْأَغْلَبِ — إِلَىٰ أَنْ أَهْرَضَ مَلِكُهُمْ وَزَالَ سُلْطَانُهُمْ — مِنْ وَلَدِهِ . وَآثَارُهُ صَالِحَةٌ : أَمَّنَ الْجَنْدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي أَيَّامِهِ — عَلَى قَصْرِهَا وَقِلَصِهَا — حُرُوبٌ . وَغَيْرُ مَا أَحْدَثَ الْعَمَالُ كَثِيرًا ، وَقَبِضَ أَيْدِيَهُمْ عَنْ أَمْوَالِ الرِّعْيَةِ ، وَقَطَعَ النَّيْذَ مِنَ الْقِيَرَوَانِ ؛ فَحُدِّثَتْ سِيرَتُهُ ، وَظَهَرَتْ فَضِيلَتُهُ ، وَانْتَشَرَ عَدْلُهُ . وَكَانَ لَهُ حِفْظٌ مِنَ الْأَدَبِ يَصُورُغُ بِهِ مَقْطَعَاتٌ مِنَ الشُّعْرِ ، فَتَنَاهَا قَوْلُهُ :

(١) عِنَّمَا تَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ فِي شَوَّالِ ١٩٦ / يُونْيُو ٨١٢ كَانَ ابْنُهُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ عَبْدُ اللَّهِ بَطْرَابِلُسَ ، قَامَ ابْنُهُ الثَّانِي زِيَادَةُ اللَّهِ بِأَعْزَ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَرِجَالِ الثَّلَاةِ لِأَخِيهِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْقِيَرَوَانِ سَلَّمَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ ، وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يُعِجِدْ لِأَخِيهِ هَذَا الْفَضْلَ وَجَمَلَ دَأْبِهِ التَّحَامُلَ عَلَى أَخِيهِ وَإِطْلَاقَ لِسَانِهِ فِيهِ ، فَخَافَ زِيَادَةُ اللَّهِ وَخَرَجَ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَعِنَّمَا تَوَفَّى أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ فِي صَفَرِ ١٩٧ / أَكْتُوبرِ ٨١٢ تَوَلَّى زِيَادَةُ اللَّهِ بَعْدَهُ .

(٢) الْأَمْسَلُ : غَيْبُهُ .

له مقلة تكفيه حمل سلاحه محاربة الحاظها من تسالمة
سقى صبه من خرما فبدا بها كما تفعل الصبياء ما هو كائن
وقد سكرت أجفائه فكأنما نسقي من صبياتها وتنادمه

٦٣/ - ابنه محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، [١-٤٨]
أبو العباس

وُلِيَ بعد أبيه ألى عقال في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين
ومائتين ، وتوفي يوم الاثنين ليلتين خلتا من المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين
وهو ابن ست وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر
واثنى عشر يوماً .

وكان كوسجاً : كان وجهه وجه خصى ليس فيه إلا شعرات يسيرة ، عقيماً
يولد له ، موصوفاً بحلم وجود . وحاربه أخوه أحمد فظفروه وأخرجه إلى للشرق ،
وكانت في أيامه حروب كثيرة نصر فيها . وأما أخوه الثاني - ويسى أيضاً
محمدًا ، ويكنى أبا عبد الله - فكان والياً على طرابلس من قبله ، ومات بها في
أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ ومن ولده أمراء بني الأغلب الولاية بعد أبي
العباس هذا ^(١) .

(١) هذه المعلومات نصح خطأ كبيراً حارياً في نسب بني الأغلب ، فإن كل المؤرخين
يتابعون ابن عذارى وابن حلقون والنوري في القول بأن أمراء بني الأغلب بعد أبي العباس
محمد بن الأغلب السعدي كانوا من نسله ، وأن أحمد اللواتي بعده ابنه . ولكن ما يذكره ابن
الأبارها من أن عمداً الأول كان عقيماً لا ولد له ، وأن أحمد الذي جاء بعده هو ابن أخيه -
واسمه محمد أيضاً - الذي تولي طرابلس ، يغير الوضع . ولم يفتحه لذلك زامبور في معجمه -

وأبو العباس [هو] القاتل يفخر — في ما نسب إليه بعض خاصته ، وقيل إنه لعبد الرحمن بن مسلمة — قاله على لسانه عند ظفروه بخارج عليه :

أليسَ أبي وجدِّي أوطأني — وجدُّ أبي وعمِّي — الرقابا ؟
ورثتُ الملكَ والسلطانَ عنهمُ فصرتُ أعزَّ من وطئِ الترابا
وقدَّمنى الخلائفُ واصطفَوْنى فمن مثلي قديماً وانتسابا
أنا الملك الذي أسمى بنفسى فأبلغ بالسوء بها السحابا
إذا تَهَبَّتْ عن كرمي ومجدي وجدَّتني المصاصة^(١) واللُّبابا
أنا الملك الذي أَيْدَتْ مُلْكِي بسيفي إذ كشفتُ به الضبابا
فأمضى إن سرَدَتْ^(٢) الجفن عنه فأغصبُ النفوسَ به اغتصابا
لقد فتح للميمنُ لي بسيفي وإقداي ، إذا ما الجمُ هابا
أعنتُ به ابنَ حمزة^(٣) حين دبتُ عقاربُ غدره وسعى نخابا

= الأنساب ، ولا الذين ترجحوه إلى العربية (١٠٥/١) ، بل لم ينتبه للملك ثوندرهايدن الذي ألف كتاباً ضخماً عن الأغالبة بالفرنسية سبق أن أشرنا إليه (ص ٢١٣ - ٢١٦) .

وقد وصف ابن عذارى والنويري عمداً هذا بالجهل والغباء ، بل أورد ابن عذارى حكاية أيدها هذا الوصف ، ولكن الحقيقة — كما يتضح من التفاصيل التي يقدمها النويري — أنه كان من أذكى بني الأغلب وأتدلم مكرراً .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٧/١ - ١١٤ . النويري ، ١٤٦ - ١٥٠ .

(١) كذا في الأصل ، على اعتبار أن المصاصة الصارة التي تمص . وقد تكون صفة اللفظ : الخلاصة .

(٢) الأصل : أمضى إذا سررت ، ولا يستقيم به الوزن أو المعنى .

(٣) ابن حمزة هو نصر بن حمزة الجروى وزير أبي جعفر أحمد بن أبي عقاب الأغلب

ابن إبراهيم بن الأغلب ، وأحد هذا هو أخو أبي العباس محمد المترحم له هنا ، وكان قد ثار عليه بمعاونة صاحبه نصر بن حمزة الجروى وأخيه داود ، وتمكن من أن يتولى الأمر دون أخيه دون أن يخلمه . وقد تمكن محمد بالحيلة من أن يستعيد سلطانه ويتغلب على أخيه أحمد وأنصاره ، ثم أخرجه مبعداً إلى المشرق ، وقتل نصر بن حمزة الجروى ، وبهذا يفخر هنا . أما داود بن حمزة الجروى فكان قد انضم إلى محمد نكاية في أحد بن الأغلب لآفة فضل أخاه عليه .

أَسَلْتُ بِهِ دَمَ الْأَوْدَاجِ مِنْهُ فَصَارَ لَشَيْبٍ لِحْيَتُهُ خَضَابًا^(١)
 / أَظْلُ عَشِيرَتِي بِمَنْحِ عِزِّي وَأَمْنَحُ الْكِرَامَةَ وَالثَّوَابَ [٤٨-ب]
 وَأَصْطَنَعُ الرِّجَالَ وَأَصْطَفِيهِمْ^(٢) وَأَغْفِرُ لِلْعَمَى إِذَا أَنَا بَا
 وَأَسْمُو بَانْعَلِيْسٍ إِلَى الْأَعَادَى فَأَكْرَهُ بِالْقَابِ لَهَا الْقَابَا
 أَنَا ابْنُ الْحَرْبِ رَيْتِي وَلِيدًا إِلَى أَنْ صَرْتُ مَمْلُوكًا شَبَابَا
 لَعَمْرُؤُا أَيْمَكُ مَا أَنْ عَيْتُ قَوَى وَمَا أَحْنَى بَقْوَى أَنْ أَعَابَا
 بَنِيْتُ لَمْ مَكَارِمَ بَاقِيَاتٍ إِذَا مَا صَارَتْ الدُّنْيَا خَرَابَا

٦٤- إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقاب الأغلب

وهو خَزَرُ اللَّذْكَورِ قَبْلَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، أَبُو إِسْحَاقَ .
 وَلَى بَعْدَ أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ ، الَّذِي يُعْرَفُ بِأَبِي الْفَرَانِيْقِ ، لَكُنْزُهُ
 وَلَوْعُهُ بِتَصْيِيدِهَا . وَكَانَ عَمْدُ هَذَا قَدْ عَقَدَ لِابْنِهِ أَبِي عِقَابِ الْأَغْلَبِ وَلَايَةً صَهِدَهُ ،
 وَاسْتَحْلَفَ إِبْرَاهِيمَ هَذَا خَمْسِينَ يَمِينًا بِمَجَامِعِ مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ أَلَّا يَنْزَعَهُ ، وَذَلِكَ
 بِمَحْضَرِ مَشِيخَةِ الْأَغْلَبِ^(٣) وَقَضَاةِ الْقَيْرَوَانِ وَقَهَّائِهَا ، فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو الْفَرَانِيْقِ

(١) ورد هذا الشطر في الأصل هكذا :

• فَصَارَتْ لَشَيْبٍ لِحْيَتُهُ خَضَابَا •

ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومت على هذا النحو .

(٢) الأصل : أَطْيَبِهِمْ .

(٣) في النويري : وذلك بمحضرة مشائخة بني الأغلب وقضاة القيروان وقهائنها (ص ١٥٣)

لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين ، خلع ابنه أهل القيروان وقدموا إبراهيم بن أحمد في قصة طويلة ، فاجتلام الله بظلمه ، وامتنعهم بإسرافه ، حتى سموه « الفاسق » . وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً من سبع سنين ، ثم ارتكب من المدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله ، وأخذ في قتل أصحابه وكتابه وحجابه ، حتى إنه قتل ابنه أبا عقاب وبناته ؛ والأخبار عنه في ذلك فضيحة شنيعة . وكان كثير المال شديد الحسد ، على اتصافه بالحزم والعزم والضبط للأمور . ولم يكن يوصف بعم بارع ولا أدب ، وكان ربما صنع من الشر شيئاً ضميماً ، فمن ذلك قوله :

نحن النجوم بنو النجوم ، وجدنا قرأ السماء أبو النجوم تميم
والشمس جدتنا ، فن ذا مثلنا متواصلان : كريمةٌ وكريمٌ ؟

[٤٩-١] / وحذف هذا النظم الثلث أولى من إثباته ، ولَيْتَهُ بِقَابِ أَهْلِ بَيْتِهِ عَوِّبَ
على أعيانه . ولم يَلِ إفريقية قبله أطولُ عمرًا منه في سلطانها . مَلَكَ تسعاً وعشرين
سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ليطول به الابتلاء ؛ والله يفعل ما يشاء .
وحكى أبو حبيد البكري في كتاب « الممالك والمسالك » من تأليفه أن
إبراهيم بن أحمد هو الذي بنى مدينة رَقَادَة وانخذها وطنًا ، وانتقل إليها من
مدينة « القصر القديم » وبنى بها قصوراً عجبية وجامعاً . ولم تزل بعد ذلك
دار مُلْك لبني الأغلب ، إلى أن هرب عنها زيادةُ الله أمام أبي عبد الله الشيعي .
وسكنها عبيدُ الله المهدي ، إلى أن احتل إلى « المهدي » ، فدخلها الوَهْنُ وانتقل
عنها ساكنوها . ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء ، إلى أن وَلَّى مَعْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ،
تخرَّب ما بقي منها وعقَى آثارها ولم يبق منها غير بساتينها .

قال : وليس بإفريقية أعدل هواء ، ولا أرق نسيماً ، ولا أطيب تربة من
مدينة رَقَادَة . وذكروا أن أحد بني الأغلب أَرِقَ وَشَرَدَ عنه النوم أياماً ، فصاله

إسحاق — يعنى طيبيهم ، وهو الذى ينسب إليه إطريرقُ إسحاق^(١) — فلم يبق ، فأمره بالخروج والمشي ، فلما وصل إلى موضع رَقَادَة نام ، فسميت رَقَادَة من يومئذ ، وأتخذت داراً وسكناً وموضع فرجة للملك . قال : ولما بناها إبراهيم ابن أحمد منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رَقَادَة ، فقال بعض ظرفاء أهل القيروان :

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَإِنَّ سَيِّدِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِ الرَّقَابُ مُنْقَادُهُ
مَا حَرَّمَ الشَّرْبَ فِي مَدِينَتِنَا وَهُوَ حَلَالٌ بِأَرْضِ رَقَادَةِ ؟

ومع بُد إبراهيم في اللسكة عن الإسحاق ، فقد كان لا يخلُ بنصيبه من السباح . حكى أبو إسحاق الرقيق أن بكر بن حماد التاهرتي^(٢) كان ينسج هذا الطاغية ويمدحه ، فعذا يوماً بمدح له على « بلاغ » الخادم فقال له : « الأمير عنا مشغول في هذا اليوم » ، قال : « فالطف بي في إيصال رقعة إليه » ، قال : « إنه مصطبغ في الجنان مع الجوارى ، ولا يصل إليه أحد » ؛ فكتب بكر في رقعة ، واحتال « بلاغ » في / توصيلها مساعدة له ، وفيها أبيات منها :

[٩٠ - ب]

- (١) العبارة كلها منقولة عن المسالك والممالك للكرى (صفة إفريقية ، ص ٢٧ - ٢٨) . والإطريرقُ أو الإطريرفال — كما جاء في معجم الكتاب المنصوري المعروف باسم « مفيد العلوم ومبيد العموم » لابن الحناء — دواء مركب فيه لا محالة بعض الحليحات أو كلها ، ويزاد فيه بحسب الحاجة من الأفاويه ، وصوابه بضم الفاء . وانظر : دوزي ، ملحق القواميس ، ٢٨/١ .
- (٢) ترجم له أبو بكر المالكي في «رياض النفوس» : ١٦/٢ - ١٩ ، وأورد كثيراً من الشعر في رثاء ابنته وفي الزهد . وقال «سعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هارباً من القيروان يريد تاهرت ببلده ، فلما صار ببساطه خرج عليه قطاع الطريق ، فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بجراحات ، فزال في بطنه فتح منها إلى أن مات (سنة ٢٩٦/٩٠٨ - ٩٠٩) . وترحم له النباغ في «معالم الإيمان» (١٩٢/٢) وذكر أساتلته ورحلته إلى الصرة سنة ٢١٧ . وقد أضاف النباغ أن قاسم بن أصح أخذ عنه ، وقال إنه كان ثقة عالماً بالخليفت ورحاله ، شاعراً فصيحاً .

خُلِقْنَ الثَّوَانِي لِلرِّجَالِ بَلِيَّةٌ فَمَنْ مَوَالِينَا وَنَحْنُ عَمِيدُهَا
إِذَا مَا أَرَدْنَا الْوَزْدَ فِي غَيْرِ حِينِهِ أَتَنَّا بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ خَدُودُهَا
وَكُتِبَ تَحْتَ الْأَيَّاتِ :

فَإِنْ تَكُنِ الْوَسَائِلُ أَعُوذَتْنِي فَإِنَّ وَسَائِلِي وَرُدُّ الْخُلُودِ
فَلَمَّا قَرَأَهَا أَشَدَّهَا الْجَوَارِي ، فَأَظْهَرْنَ لَهُ سُرُوراً بِهَا وَشَفَعْنَ إِلَيْهِ أَنْ
يُخْرِجَ بَصْرَةَ مَخْتُومَةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ ؛ وَوَصَلَ مِنْهُ إِلَى بَكْرِ مَالٌ عَظِيمٌ .

٦٥ - ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس

وَلِيَ بَعْدَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ شَجَاعاً بَطَلاً ،^(١) ذَا بَصَرٍ بِالْحُرُوبِ وَالتَّدْبِيرِ ،
عَاقِلاً أَدِيباً عَالِماً ، لَهُ نَظَرٌ فِي الْجَدَلِ وَعِصَايَةُ مَالِكَةِ وَالْأَدَابِ . وَكَانَ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ عَلَى
خَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْهُ ، لِسُوءِ أَخْلَاقِهِ وَقُحِّ أَعْمَالِهِ ، وَحِرَاقَتِهِ عَلَى قَتْلِ مَنْ قَرُبَ مِنْهُ أَوْ
بُعْدُ ، وَكَانَ يُبْظَهَرُ مِنْ طَاعَتِهِ وَالتَّدَلُّلِ لَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ . وَكَانَ أَبُوهُ يُوَحِّشُهُ إِلَى
مُحَارَبَةِ كَثِيرٍ مِنْ يَحْلُفُ عَلَيْهِ ، وَيَفْصِلُهُ عَلَى سَائِرِ وَلَدِهِ ، ثُمَّ وَلَاهُ عَهْدَهُ وَصِيْرَ إِلَيْهِ
خَاتَمَهُ وَوَرَارَتَهُ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ كِتَاباً تَارِيخُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَنٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا هَلَكَ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ رُمِيَ

(١) لَمْ يَصْعَقْ بِذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْأَنْبَارِ ، بَلْ قَالَ ابْنُ عَدَارَى - إِنَّهُ أَظْهَرَ الْعَتَفَ وَالْخُلُوسَ
عَلَى الْأَرْضِ وَإِنْصَافَ الْمُطْلُومِ ، وَحَالَسَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَسَاوَرَهُمْ ، وَكَانَ لَا يَرْكَبُ إِلَّا إِلَى الْخِطَامِ ،
فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّ أَهْلَ الْحُومِ أَمْرُوهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ قَوْمٌ « دُوسُومَةُ » . ثُمَّ ذَكَرَ كَيْفَ إِسْحَالِ
عَلَى إِيَّاهُ رِيَادَةُ اللَّهِ حَتَّى يَصْحَبَهُ مَعَ نَحْوِ مِائَةِ أَصْحَابِهِ ، فَكَانَ هَذَا حَافِزاً لِرِيَادَةِ اللَّهِ عَلَى تَدْبِيرِ مَقْتَلِ أَبِيهِ .

ابْنُ عَدَارَى ، ١٣٣/١ - ١٣٤ . الْبُيُورِيُّ ١٦٣ - ١٦٤ .

بالمجوم ، فكانت تتناثر كالطر يميناً وشمالاً ، وكانت تؤرخ بسنة النجوم ^(١) .
وملك عبد الله سنة واحدة واثنين وخمسين يوماً ، وكانت أيامه - على
قصر مدته - أيام عدل وصلاح وحسن سيرة ، إلى أن قُتل ليلة الأربعاء آخر
شعبان سنة تسعين ومائتين : تولى قتله ثلاثة من خدمه الصقالية وهو ماتم ،
وأتوا برأسه ابنة زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة وهو محبوب من قبل
أيده - وكان قد حاسمهم على ذلك - فقتلهم وصلبهم . ومن شعر عبد الله في
دواء شره بصقلية :

شربت الدواء على غربة بعيداً من الأهل والزلز [١-٥٠]
وكنت إذا ما شربت الدواء تعلّيتُ بالمسك والمندل
فقد صار شرى يحارّ الدماء وقع العجاجة والقسطل

٦٦ - انه زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو مضر

خاتمة ملوك الأغالبة ، عليه انقراض ملكهم وزال سلطانهم بسيد الله المهدي
أول ملوك الشيعة .

ولما هزم أبو عبد الله الشيعي - داعية عبيد الله - عسكر زيادة الله
هذا يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين ^(٢) ،

(١) راجع التعليق السابق

(٢) كانت الأرس ^{١٥٥} آخر معادل ريادة الله الذي آخر أمراء بني الأعلب ، فلما سقطت
في يد أبي عبد الله السبي أسقط في يده وقرر العرار ، ولم يلب في العيروان إلا ربيعاً أحد ماتيسر
من ماله ومتاعه ، ولما كان وقت صلاة الجمعة من ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة
[سنة ٢٩٦] ركب فرسه وتقلد سيحه ، وقدم الأحمال تمر من دمه ، هارباً على عيون أهله
وحرمه وولده .

وكانت تلك هي جهه أمر بني الأعلب ، على رسم محاولة أحره نائمه قام بها إبراهيم بن أبي
الأعلب وأن أهل القروان أن يؤيدوه فيها فاصطرو إلى الدار لاحقاً بزيادة الله

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/ ١٤٧ - ١٤٨ .

ودُخِلت مدينة الأَرُزُس بالسيف ، وبلغ الخبر زيادةَ الله عند صلاة العصر يوم الأحد بعده ، فرعلى وجهه وأسلم البلاد ، ولحق بإطرابلس ميماً ديار مصر ، وذلك في خلافة المقتدر بن جعفر بن المتضد ، فكانت ولايته ست سنين إلا شهرين وأياماً ، أتلف جُلَّها في اللذات والبطالة ، حتى انتقضت دولته وظفر به عدوه .

وكان فراره من مدينة رَقَادَة التي بناها جده إبراهيم بن أحمد ، وأجرى إليها للياه ، واعتزل فيها صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيها سوراً ، وأحد هذه القصور يسمى « بنداد » ، وآخر منها يسمى « المختار » ، فصارت أكبر من القيروان ، وبينهما ستة أميال .

فلما ولي زيادة الله هذا ، اضل إليها وحفر بها حفيراً بناءً صهريجاً ، طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعائة ذراع ، وأجرى إليها ساقية وسماه « البحر » ، وبنى فيه قصراً وسماه « العروس » على أربع طبقات أفق فيهِ — سوى خَسَر^(١) اليهود والعجم — مائتي ألف دينار واثنتين وثلاثين ألف دينار .

وكان عبيد الله^(٢) يقول : « رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلاً بالشرق ، منها هذا القصر » . فبهذا وأمثاله كان اشتغاله ، حتى حالت لأول وهلة حاله ، ليصدق ما قاله أبو الفتح البُستِي :

إذا غدا ملكٌ بالهوى مشتغلاً فاحكم على مُلكه بالويلِ والحربِ [٥٠ - ب] / وحكى أبو إسحاق الرقيق أنه سأل « مؤناً » للفتى هل يعلم صوتاً من أصواته لم يسمعه منه ، فقال : « والله يا مولاي ما علمت غير بيت ، وقد أنسيتُ أوله » ، قال : « هاته » ، فنشاه :

(١) وردت هكذا مشكولة في الأصل ، فتركها كما هي ولو أنني لم أعرف معناها هنا ، وقد تكون مصحّاة : عثر اليهود والعجم .
(٢) المراد عبيد الله المهدي أول خلفاء العاطميين في إفريقية .

قد صرتُ بعد التَّيْنِ أَفْنَعُ بالمَجْرِ
 ثم وَجَّهَ في صاحب البريد عبد الله بن الصائغ^(١) — وكان شاعراً مجيداً —
 خبره ما جرى وقال له : « بحياتي إلأزدتَ عليه شيئاً » ، قال ابن الصائغ :
 ولي كَيْدٌ لولا الأسي لتصدَّعتْ وقلبُ أبي أن يستريح إلى الصبرِ
 وقد كنتُ أخشى جرماً قبلَ يَتَنَهَمُ قد صرتُ بعدَ التَّيْنِ أَفْنَعُ بالمَجْرِ
 فأعجبه ذلك ووقع منه أحسن موقع ، وغنى به « مؤنس » فطرب وأمر له
 بخلع قبيصة وكبس فيه ألف دينار وفسر بسرجه ولجام مُحَلَّيْنِ . وهذا قد كان
 يحسن منه لولا انهما كه [في ملذاته]^(٢) الذي كان فيه هلاكه .

وقال أبو بكر محمد بن محمد الصُّوْلِي في كتاب « الأخبار للشُّوْرة » من تأليفه :
 حدثني أبو الحسن علي بن جعفر الكاتب ، حدثني أبي ، قال : كان زيادة الله
 ابن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد — وهو زيادة الله الأصغر ، وكان أميراً بإفريقية —
 غلام غلّ صبي يُدعى خَطَّاباً — وهو الذي اسمه في السكك — فسخط عليه
 وقيده بقيد من ذهب ، فدخل يوماً من الأيام صاحبه على البريد — وهو
 عبد الله بن الصائغ — فلما رأى الغلام مقيداً تأخر قليلاً ، وعمل يتقين وكتب
 بهما إلى زيادة الله وهما :

يأيها الملك الليمون طائرُهُ رفقاً فإن يد الممشوق فوق يدك
 كم ذا التجلد والأحشاء راجفةً أعيد قلبك أن يسطو على كبك

(١) عبد الله بن الصائغ هو صاحب بريد زيادة الله هذا ثم وزيره ، وهو الذي أشار
 عليه بقتل أمهاته ومن يتوقع أن ينافس في العرش من آلِه ، وهو أبو مسلم منصور بن إبراهيم —
 الذي ولّاه أنجراح — مسئولان عن كثير من الأخطاء التي وقع فيها وأدت إلى ضياع ملكه وذهاب
 دولة بني الأغلب . وقد آل أمره إلى أن قتله زيادة الله ، وكان ذلك بعد فرارهما جميعاً . وقد كان
 مقتل عبد الله بن الصائغ في طرابلس سنة ٢٩٦ .

انظر : ابن حنّاد ، البيان المغرب ، ١ / ١٣٤ - ١٤٦ .

(٢) أضفت ذلك للسياق .

فأطلق الغلام ورضى عنه ، ووصل عبد الله الصائغ بالقيد الذهب ^(١) .

ومن شعر زيادة الله ما حكى الصولي أيضاً في « كتاب الوزراء » من تأليفه أن العباس بن الحسن ، لما استوزره للسكفي أبو محمد علي بن أحمد المتضد ، أراد أن يريه أنه فوق الوزير قبله القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في التدبير ، [٥١ - ١] فاستأذنه في مخاطبة بن الأغلب هذا ، ففعل ، فوجه ابن الأغلب إليه / برسول معه هدايا عظيمة ومائتا خادم وخيل وركب كثير وطيب ، ومن اللبوز ^(٢) للفرية ألف ومائتان ، وعشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم ، وألف دينار في كل دينار عشرة دنانير ، وكتب على الدنانير والدرهم في وجهه :

ياسائراً نحو الخليفة قل له أن قد كافاك الله أمرك كله
زيادة الله بن عبد الله سي ف الله من دون الخليفة سله
وفي الوجه الآخر :

ما ينبري لك بالشقاق منافق إلا استباح حريمه وأحله
من لا يرى لك طاعة ف الله قد أعماه عن طرق الهدى وأضله

(١) روى ابن عسارى هذا الخبر في صورة أخرى ، فذكر كلفه هذا الغلام خطاب وكتابة اسمه في سكة الدنانير والدرهم ، ثم غضبه عليه ، ولكنه قال إن الذي قال الشعر جارية من جواريه . (البيان : ١٤٣ / ١)

وغلام فعل معناه أنه ليس من الخصيان ، فقد كان أولئك القتلان الذين يشتريهم الأمراء إما فعولاً - أي لم يخصوا - أو خصياناً .

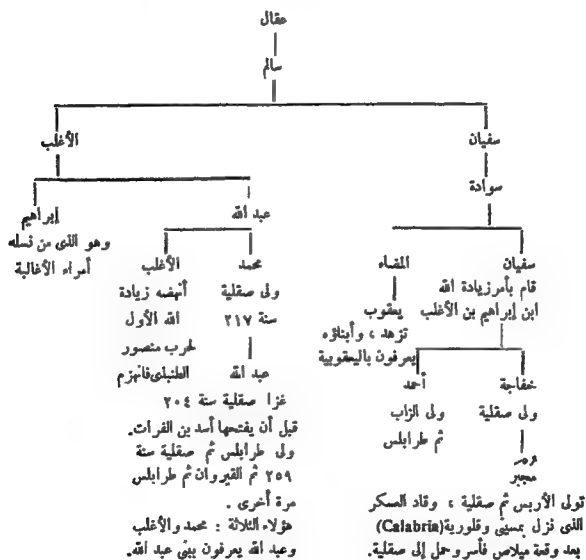
(٢) كذا . والمشهور اللبوز بالدال المعجمة وهو قماش من الصوف الغليظ الأبيض ، كان يستعمل في صنع نوع من القلائد الطوال ، وفي بعض الأحيان تصنع منه الخفاف . وقد يليه المقاتلة لئى أجسامهم . وهو يقابل بالفرنسية feutre . انظر : ملحق القواميس للبوزى :

٦٧ — محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم

ابن الأغلب، أبو العباس^(١)

وَلَيْ لَابْنِ عَمِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ طَرَابُلُسَ ، فَكَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ حَسَنَ سِيرَتِهِ وَيَكْرَهُ ذَلِكَ . وَكَانَ عَالِمًا أَدِيبًا شَاعِرًا خَطِيبًا ، مَعَ عَشْرَةِ إِخْوَانِهِ ، وَلِإِبنِ

(١) سيذكر ابن الأبار هنا وفي التفصيلين التاليين تفراً من كبار بني الأغلب الذين نسي زامبور ذكرهم في جدول نسبهم (ص ١٠٥ من الترجمة العربية) . وقد رأيت لهذا أن أكل هذا الجدول هنا :



جانب لأخذانه ، لا يقام إلا أهل الأدب . وكان أبوه زيادة الله قد ولى إفريقية بعد أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد ، وكان محمود السيرة ذا رأى ونجدة .
 يروى عن سليمان بن عمران القاضي أنه قال : « ما ولى لبني الأغلب أعدل من زيادة الله الأصغر » ، سماه « الأصغر » لأنه سعى باسم عم أبيه زيادة الله ابن إبراهيم للتقدم ذكره . وبسماها ولى زيادة الله بن عبد الله ثالثهم ، وهو آخر ولاتهم .

ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جميل ، إلى أن قتله . وكان الذي هاجه لذلك وبسته عليه - مع قدم حسده له - أنه وجه رسولاً إلى بندگان ، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بندگان من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجبا من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه ، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولى عليه وإحسان » ، فغضب إبراهيم فاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه بانياً وحسداً ، وقتل أولاده وعاش في أصاغر عيشته المشهور ، حتى إنه شق جوف بعض نسائه عن جنبها جراحة على الله تعالى ، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

[٥١ هـ] وقرأت في تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرفيع / أن المعتضد كتب إلى إبراهيم بن العراق : « إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأنسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس » ، ففرج إبراهيم إلى طرابلس في خفية ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى مصر ، حيلة منه ، إلى أن ظفر به فقتله وصلبه . وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

قال : وكان محمد هذا أديباً ظريفاً ، ألف كتاب « راحة القلب » وكتاب « الزهر » و « تاريخ بني الأغلب » .

ومن شعره ما أنشده له أبو علي حسين بن أبي سعيد القيرواني صاحب
« الكتاب المغرب عن المغرب » :

وما شجا قلبي بتوزر أتنى تناءيتُ عن دار الأحبة والقصرِ
غريباً ، فليت الله لم يخافني النوى ولم يَجْزِيَنَّ بيننا آخرَ الدهرِ

ومن بنى عنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم ، أبو العباس .
ويُعرف هو وأبوه محمد وعمه الأغلب بن عبد الله ، ببنى عبد الله . وجده عبد الله
— الذين يعرفون به — هو أخو أبي إسحاق إبراهيم بن الأغلب .

وكان عمه الأغلب ممن أهدى لحرب منصور بن نصر الطنُبُذِي أيامَ زيادة الله
ابن إبراهيم ، فجنّد له جنّده وانهزم .

وولّى محمد بن عبد الله زيادة الله المذكور صقلية سنة سبع عشرة ومائتين ،
وفتح بها فوحات . وقد كان زيادة الله أغزاه إليها سنة أربع ومائتين — قبل
فتحها على يد أسد بن القرات بنحو من ثمانى سنين — فسبى منها شيئاً كثيراً
وانصرف .

ثم وَلَّيَها ابنه عبد الله بن محمد هذا لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد
ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، المعروف بأبى الفرائق ، سنة تسع وخمسين
ومائتين — وكان قد وَلَّى قبل ذلك محمداً طرابلس — ثم وَلَّيَها مرةً أخرى
بعد ولاية صقلية [و] وَلَّى أيضاً إمارة القيروان . وكان أديباً شاعراً ، طالباً
للحديث والفقه . وهو القائل لما أتاه كتابُ عزله عن طرابلس يخاطبُ أبا
هارون موسى بن مرزوق صاحب بربردها ، وكان له صديقاً :

قد أتى في الكتاب ما قد علنا من تناء ورحلة وفراقِ
وعدنا الأيامُ فهي ثمان بعد خمسٍ سريعة الإفتراقِ

[١-٥٢] / فليكنَ السلامُ إنَّ فراقِي قد دنا ، والفراقُ مرٌّ للذاقِ

* * *

ومن بني أخى الأغلب بن سالم :

٦٨ - يعقوب بن المضاء بن سودة بن سفيان
ابن سالم بن عقال التميمي

كان أبوه من أمراء بني عمه الأغالبة ، ورغب يعقوب عن السلطان وولايته ،
وانصرف إلى النسك ، وتَزَع السواد ، وأعرض عن الدنيا ومال إلى الآخرة .
وله بنون ينسبون إليه فيقال لهم « اليعقوبية » . وهو الذى توجه إلى العباس محمد
ابن الأغلب الكوسج ، مع ابن عمه خفاجة بن سفيان بن سودة ، فأصلحا بينه
وبين أخيه أحمد القائم عليه وأشارا بتأمينه ، وقد تفاقم الخطب بينهما ، فقبل ذلك
محمد فى حديث طويل ، ووصل إليه وعانيه ، ثم أمره بالتوجه إلى المشرق ،
فسار إلى العراق وبها مات . ويعقوب هو القائل :

فإن تَكُ لَتَقَى كَسِبْتُ يِياضاً وَبُدِّلَ لى الشَّيبُ من الشَّبابِ
قَدِّ حُمُرْتُ ذا فَرَجٍ أَثِيتُ كَأَن سِوَادَهُ حَنَكُ الغَرابِ
فلا تَجَلِّ ، رِويدك ، عن قَرِيبِ كَأَنَّكَ بِالمَشِيبِ وَبالْخِضابِ

٦٩ - أحمد بن سفيان بن سودة بن سفيان
ابن سالم بن عقال

وعقال هو ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرز بن سعد بن حزام

ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مائة بن تميم . وسالم بن عقال هو جد الأغالبة ، وهو جد هؤلاء .

وَلَى أَحَدُ هَذَا الزَّابِ ثُمَّ وَلَى طَرَابِلُسَ وَأَعْمَالَهَا سِتِينَ كَثِيرَةً ، وَلَهُ بِهَا أَخْبَارٌ وَأَثَارٌ وَوَقَائِعٌ مَشْهُورَةٌ . وَكَانَ مِنَ الْجُنُودِ بِمَكَانٍ رَفِيعٍ ، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّنْ قَامَ بِنَصْرَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَعْلَبِ عَلَى أَخِيهِ أَحَدَ ، مَعَ أَخِيهِ خَفَاجَةَ بْنَ سَفْيَانَ وَابْنِ عَمِّهِمَا يَعْقُوبَ بْنَ الْمَضَاءِ ، حَتَّى ظَفَرَتْ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ وَانْحَفَظَ سُلْطَانُهُ . وَكَذَلِكَ قَامَ أَبُوهُ سَفْيَانُ بْنُ سَوَادَةَ بِأَمْرِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ فِي حُرُوبِهِ ، وَكَانَ سَبَبَ ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَفِي أَحَدِ بْنِ سَفْيَانَ هَذَا يَقُولُ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ التَّاهَرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

إِذَا زَارَ لِللُّوْكَ فَلَمْ يُفِذْ فَيَالَيْتَهُ زَارَ ابْنَ سَفْيَانَ أَحَدًا [٥٧-ب]
فَتَى يُسْخِطُ لِلْمَالِ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَيَرْضَى التَّوَالِي وَالْحُسَامَ لِلْمَهْنَدَا
وَكَانَ خَفَاجَةُ بْنُ سَفْيَانَ — أَخُو أَحَدَ هَذَا — مِنْ رَجَالَاتِ بَنِي عَمِّهِ الْأَغَالِبَةِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ سَنَامَتِهِ وَأَجَلُ حَالَا ، وَوَلَّى صَقْلِيَّةً فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، وَنُصِرَ عَلَى الرُّومِ خَلْفَهُ فِيهِمْ فَتُوحَاتُ شَهِيرَةٍ .

ومن شعر أحمد :

قَرَّوْا الْأَبْلَقَ إِنِّي أَعْرِفُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا
وَعَلَيْهَا أَصْرَعُ الْأَبْ طَالَ طَمَعًا وَاعْتِنَاقَا
أَخْبِطُ الْأَرْوَاحَ وَالْأَنْدَ نَفْسَ بِالرَّمْحِ صِدَاقَا
وَأَرْوِي مِنْ نَجِيعِ الدِّ هَامَ أَسْيَاقًا رِقَاقَا
تَنْقَعُ الْأَعْدَاءُ فِي النَّقْ جَ حِمِيًّا وَغَسَاقَا
فَإِذَا مَا دَارَتْ السَّلَا مَ بِمَا بَنِي وَفَاقَا

وأزحنا كلَّ ما كا ن شقاقًا وفاقًا
اصطبَحناها سُلَاقًا وشربناها اغتياقًا
وأدركنا الكاس بالرا ح على الشَّربِ دِهاقًا
وله أيضًا من قصيدة أخرى :

إنما الأبلقُ حصني ثم رُمحي وحُسامي
فيه عزٌّ لَعَشِيرِي وبه عنهم أحامِي
وبه أشنى من الأعـ داء صَدْرِي باتِّقامـ
أنا من سر نزار وإن ساداتِ كرامـ
أنا من سعدِ نعيمٍ لستُ من سعدِ جُدامـ
أنا من قد جالَ ذِكْرِي وجري بين الأنامـ
باحتمالي كل ثَقْلٍ في اللغات العِظامـ
وسِدادِي^(١) كل تَعْرِ ثم حَزْمِي وقِيامِي
أَتَجِبْتِي السادة الصِّ دُ ، هَامٌ لِهَامـ
[أغلبٌ قد كان]^(٢) جَدِّي ثم سَفِيانُ الحامِي
أركبُ الهولَ بَكْرًا قِي على الجَيْشِ اللُّهَامـ
[أخطف]^(٣) الأرواحَ كالصِّ رِ لأرواحِ العِصَامـ
تعرف الأُسْرُ بأسِي فَعِي من فوقِ حَوَامـ

(١) الأصل كلمة لم يبق منها إلا شيء مثل : طي ، وفي نسخة باريس جعلها الناسخ :
.. مل ، فجعلتها هكذا . والكلمة الأصلية لا تخرج على أي حال من هذا المعنى .

(٢) يياض بالأصل ، أكلته على هذه الصورة السياق .

(٣) هذه الكلمة ناقصة في الأصل .

میزت في الحرب رايا تي وأرماحي القوامي
 فعي حولي ما كفات وهي خلقي وأماي
 ترقب العلم الذي عو^(م) دنها يوم صدامي
 أمدًا تعرف مني هكذا في كل طام
 فإذا ما آلت السد م وصرتا للدمام
 أبصرت عينك مني أجمًا تحت الظلام
 تلاقى ولبدي بتهيات السلام
 ونفيل الزائر الله روف من قبل الكلام

* * *

/ومن رجال الأغالبة :

[١-٥٢]

٧٠ - مجبر بن إبراهيم بن سفيان

كان من أهل الشرف والثروة ، وولاه إبراهيم من أحد الأئمة وغيرها ،
 وكان ينادمه لحده الفناء ، ثم أخرجته إلى صقلية وولاه العسكر الذي بمسيني
 وأرض قلورية بعد وقعة ميلاص^(١) فخرج في شين يريد قلورية^(٢) ، فأسرته الروم
 وحمل إلى القسطنطينية فمات بها . وهو القتال في أسره ، من قصيدة طويلة بعث
 بها من محبته عند الروم ورواها في أيام بني الأغلب أكثر الناس :

(١) ميلاص هي Milazzo مرسة صغيرة على الساحل الشمال لحزيرة صقلية ، وهي

إلى الشرق من مسيني Messina

(٢) قلورية هي Calabria وهي شبه الجزيرة العربي البارز من جنوب شبه الجزيرة

الإيطالية في اتجاه صقلية .

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لَدَى قَلِّ الدَّهْرِ يَا خَوَاتِنَا يَا قَبِيْرَوَانُ وَيَا قَصْرُ
وَنَحْنُ فَإِنَّا طَطَخْطَخْنَا^(١) رَحَى النَّوَى فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَمْلُ لَنَا [، لَا] وَلَا وَفْرُ
رَأَيْنَا وَجْهَ الدَّهْرِ وَهِيَ عَوَابِسُ بِأَعْيُنٍ خَطْبٍ فِي مَلَاخِطِهَا شَزْرُ
وآخر هذه القصيدة :

لَمَلِّ الدَّيْ نَجَّى مِنَ الْجُبِّ يَوْسَعَا وَفَرَجَ عَنْ أَيُّوبَ إِذْ مَسَّهُ الضَّرُّ
وخلَصَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ وَأَعْلَى عَصَا مُوسَى فَذَلَّ لَهُ السَّحَرُ
يَصْبِرُ أَهْلَ الْأَسْرِ فِي طَوْلِ أَسْرِهِمْ عَلَى مُعْضَلَاتِ الْأَسْرِ، لَا سَلِمَ الْأَمْرُ !

٧١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال

(الباء ، بواحدة واللام) ويعرف حمزة بالحرون ، وقد تقدم ذكره . وابنه
محمد بن حمزة هو الذي وجهه زيادة الله بن إبراهيم للقبض على منصور الطُّنْبُذِيّ
بقصره بالمحمدية ، فكأذه .^(٢) وقُتِلَ محمد هذا في وقعة سَبِيْبِيَّة^(٣) ، أيام خلاف
منصور والجند على زيادة الله .

(١) لم أحد في معاني ططخ بما يتشبه مع المعنى هنا إلا ما جاء في لسان العرب (٧/٤)
من أن المَطْطَخ هو الضمف المر . وقد ططخ الليل بصره إذا حسه الظلمة عن انفساح
النظر . والأوفاق هنا ططخ بمعنى فرق وكسرو بلد (اللسان : ٣/٣٦١) . واللفظ مستعمل في هذا
المعنى في العامية المصرية في صورة ضحضح .

(٢) كان ذلك في أول ثورة منصور بن نصر الطنبل في تونس . وقد روى ابن عذارى
الخبز بالتفصيل ، وكيف أحوال منصور على محمد هذا ومن معه - ومن بينهم القاضي شجرة
ابن عيسى - وجيشهم ، حتى تمكن من تونس . وقد هزمهم هزيمة كبيرة ، وكان ذلك في
٢٤ صفر ٢٧٠/٢٧٠ أبريل ٨٢٤ .

انظر : «البيان المغرب» : ٩٨/١ - ٩٩ .

(٣) كانت وقعة سبية في ٢٠ محرم سنة ٢١٠/١٤ مايو ٨٢٥ ، وقد قتل فيها محمد هذا .

وكان أحمد بن محمد حاجياً لإبراهيم بن أحمد ومقدماً عنده ، قد فوّض إليه
أموره . وولّى ابنُ عمه القَيْرَوَان . وهو من بيت رئاسة وقيادة ، مع علم واسع
وأدب بارع ؛ ومن شعره :

ليس كلُّ الذي يُدار علينا من أمورٍ يوافق المقدورا
قد قضى الله ما لنا وعلينا قبلَ أن يُبرِمَ العدوّ الأمورا

٧٢ - الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر

ابن نافع / بن محمية المسلي المذحجي ، أبو علي [٥٢ - ٣]

من بيت قيادة وإمارة ؛ وكان جدُّ أبيه عبد الرحمن بن عامر ، وابنُ عمه عامر
ابن إسماعيل بن عامر بن نافع ، ممن قدم مع محمد بن الأشعث الخراساني من قواد
العباسية . وخرج عمه عامر بن نافع على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ؛ وسيأتي
ذكره . وعامر بن إسماعيل هو الذي قتل مروان الجُمَدي ، وكان مقدماً عند
أبي العباس السفاح ومن بعده لأجل ذلك .

وكان الحسن بن منصور هذا يجمع إلى شرف آبائه وأهل بيته علماً واسماً
وأدباً كاملاً ، وأقل ما تنصرف فيه الشعر . وكان بصيراً باللغة ، نافلاً في النحو ،
علماً بأيام العرب وأخبارها ، ووقائها وأشعارها . وهو القائل يرى ابن عم له
يُكنى أبا الفضل ، من قصيدة طويلة أولها :

حلّ أمرٌ لم يُغْنِ فيه احتيال يَقتصر الوصفُ دونه والقالُ
كان من قبله البكاء حراماً وهو من بعدُ للميون حلالُ

ومنها :

يا أبا الفضل حَلَّلتني للنَّايَا منك ما لَّا تقوى عليه الجِمالُ
وكأني^(١) لما تَضَمَّنَكَ الله دُيُومِينَ قد فارقتها الشمالُ

وله :

يا قاتلي ظُلماً ، أَلَمْ تَحْشَ ما جاء به التَّزِيلُ والآيُ ؟
وَأَيَّتَ الْوَعْدِ فَمَا ضَرَّكُمْ لو صدَّقَ الْبِعَادُ وَالْوَيْ ؟^(٢)
نَأَيْتَ عَنِّي فَبَدَّلْتَنِي كَذَا لَعَمْرِي يَفْعَلُ النَّايُ
فَإِنْ يَكُنْ هَجْرِي مِنْ رَأْيِكُمْ فَلَيْسَ لِي فِي هَجْرِكُمْ رَأْيُ

وله يخاطب ابن عمه أبا العرب بن عامر بن نافع :

يا مَنْ سَمَا لِلْكَرَمَاتِ غَاظَها وَغَدَا وَأَصْبَحَ لِلْإِصْحاحِ مَلِكاً
إِنَّ الْإِلَهَ بَمَنِّهِ وَبِفَضْلِهِ جَمَعَ لِلْكَارَمِ وَالْفَاخِرِ فَيْكَا
أَشْبَهْتَ آبَاءَهُ كَرَاماً سَادَةً يَمِيزُ الْوُجُوهُ مَعْظَمِينَ مُلُوكاً
[١-٥٤] / وَجَّهَ إِلَيْنَا بِالسُّبْحِ إِنِّي تَقْدِيرُكَ نَفْسِي قَدْ ضَمِنْتُ الْإِيكَا

ولهذه الأبيات قصة ذكرها صاحب « الكتاب المُرَبَّعِ مِنَ
أبناء المُرَبَّعِ » .

(١) الأصل : وَيَأْنِي .

(٢) أصل الوأي الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ، ويعزم على الوفاء به (اللسان :

٧٣ - عبد الله بن الصائغ (المعروف بصاحب البريد)

أحد ولادة زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك بني الأغلب وأصحابه المخصوصين
بعلف المنزلة عنده ، وتغير عليه آخراً فقتله بطرابلس عند انقراض دولته وهربه
إلى مصر أمام الشيعة في سنة ست وتسعين ومائتين ؛ وقد تقدم من خبره ومن
شعره ما أغنى عن إعادته . وهو القائل أيضاً :

رأيتُ دجناً قُلتِ الراحُ أشبهُ بي قُمُ بنا أيها المخمورُ نصطحِرْ
فقام يمسح وجهاً كلُّه قرُ وقتُ النَمِّ مِن شدةِ الفرحِ
وله :

طالمتني طوالعُ الشوقِ لما أن بدا البدرُ في مثالِ طُلوعكُ
ما غزالاً أقسى من الصخرِ قلباً ليتَ قلبي بيتُ بين ضلوعكُ
أنا أرضى أن أقبلَ نعليك على قُبَحِ ما يبرّ من صنيعكُ
وله :

إذا قلتُ : زرنى ، قال : قالوا وشنّوا .. تُرى - هكذا - من كان فينا يصدّقُ ؟
فيا كبدى رِقَى على الكبدِ التي أقامت على عهد الهوى وهى تحرقُ
كأنى إذا ما الليلُ أرخى سدوله بقلبي إلى بصرِ النجومِ مُعلقُ

أول ملوك الشيعة الناجين في آخر هذه المائة :

٧٤ — عيد الله الملقب بالمهدى ، أبو محمد

قال الرازي^(١) : « اختلف الناس في نسب عيد الله . فقال قوم : هو عيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصري من مدينة سَلْتِيَّة . وزعم هو أنه عيد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . قال : وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرسي الحنفي أنه قال : [بالله الذي لا إله إلا هو ، ما عبيد الله منا^(٢)] . ولا أقول هذا لما فعل ، فقد فعل من لا يشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع » .

وقال أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، وذكر عبيد الله وبنيه : هم أدعياء ، إذ هم بنو عيد الله بن ميمون القداح ، ادَّعوا إلى علي بن أبي طالب ؛ وذكر لم قصة طويلة^(٣) .

وأهل مصر يصححون نسبهم .

وذكر ابن أبي الطاهر^(٤) في « أخبار بغداد » أن اسم الخارج بالقيروان عيد

(١) كلام الرازي عن المبيدين له أهمية خاصة هنا ، ولا نعرف إن كان القائل هنا أحمد بن محمد الرازي أو ابنته عيسى بن أحمد . وعلى أي حال فهو بصورنا الآراء التي كان يتناقلها بنو أمية الأندلسيون وأنصارهم في نسب المبيدين ، وهم خصومهم سياسياً وملكياً . ويلاحظ أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الباصر كان لا يستبعد صحة انتساب عيد الله الشيعي إلى علي بن أبي طالب ، فقد ساق ابن حناري هذا النسب ثم قال : « وهو مله المتنصر ياقه الأموي » . البيان المغرب : ١٥٨/١ .

(٢) نسب مثل ذلك القول إلى أبي القاسم بن طباطبائي العلوي ، قال : « والله الذي لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعي منا ، ولا بيننا وبينه نسب » . ابن حناري ، البيان : ١٥٨/١ .

(٣) ذكر الباقلاني ذلك في كتابه « كشف الأسرار وحك الأسرار » .

(٤) كذا ، والأصح ابن أبي طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور صاحب « تاريخ بغداد » المتوفى سنة ٨٩٣/٢٨٠ ، وكتابته هنا من أكبر المراجع التي اعتمد عليها الطبري في تاريخه .

الله بن عبد الله بن سالم ، مولى مُكرَم بن سندان الباهليّ صاحب شُرط زياد المنسوب إليه عسكر مُكرَم ، فاقْتَلَ عبدُ الله بن سالم إلى سُلَيْمِيَّة . وكان وكيلا للتجار ، وقيل كان يبيع الصُّنْفَر وتَشْبِيع . فلما خرج القرمعلّي بالشام أضرَّ به وطالبه ، فهرب إلى مصر ثم إلى المغرب ، وكان يُعرف بابن البصري .

قال الرازي : ودخل معه — ينفى القيروان — ابنه محمد المعروف بأبي القاسم (واختلقوا في اسمه ونسبه ، فطائفة قالت : عبد الرحمن ابنه ، وطائفة قالت : محمد ربيّه) . ويقال إن عبيد الله من بني حسن بن علي ، وأن أبا القاسم القائم بعده من بني الحسين بن علي ، إسماعيلي تزوّج عبيدُ الله أمّه وهي رومية تسمى « لعب » .

وقيل في اسم أبي القاسم عبد الرحمن ومحمد كما تقدم ، وقيل حسن ويُكنى أبا جعفر . خرج به عبيدُ الله من الشام يتصدى للسلطان ، ويخاطر في طلب المُلك قاصداً للمغرب ، وعبيدُ الله إذ ذاك شابٌّ عند كماله . وخرج معه خاصته وثقاتُ رجاله ، ولما انتهى إلى مصر أمّل أن يقصد الميناء ، ثم كره ذلك فخرج من مصر في زى التجار ، وخلص من يد عاملها في قصة طويلة ، وانتهى إلى سجِّلانة^(١) فدان له المغرب واجتمعت عليه البربرُ . وزحف داعيته أبو عبد الله الشيعي بهم إلى زيادة الله الأغلب فكسر جيشه في سنة ست وتسعين ومائتين — حسبما ذكر قبل — فهرب زيادةُ الله إلى مصر . وبيع لمبيد الله برّ قادة يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ، وكان وصوله إليها يوم الخميس قبله ، ودُعي له بالإمامة .

وفي هذه السنة انقرض مُلك بني الأغلب بعد مائة سنة واثنتي عشرة سنة ،

(١) كذا في الأصل بفتح السين الأولى ، والمتهور بكسرهما ، وستركها بصبط المخطوط

فيها يل من النص .

[١٠٠-١] ومُلكَ بنى مَذَرَارَ بِسَجَلَسَاةَ بعد مائة سنة وستين سنة ، ومُلكَ / بنى رُسْتُمَ
بتأخرت عن مائة وثلاثين سنة .

وكثرت السعيات بأبى عبد الله الشيعى — وهو الذى مهد لملك عبيد
الله وشد سلطانه مجالماً ومجادلاً — قتلَه وأخاه أبا العباس يوم الثلاثاء
مُسْتَهْلَ ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ، وأمر بدقهما فى بستان القصر .

ثم اجتمعوا ببناء « المهديّة » يوم السبت غلَسَ خلون من ذى القعدة سنة ثلاث
وثلاثمائة ، وارتاد مواضعها ؛ وقصد التحصين بها على أهل بيته لما كانوا يتحدثون
به من ظهور أبى يزيد الخارج عليهم وعيَّته فى مُلكهم ، فكان ذلك . وفى بنائها
يقول بعض شعراء إفريقية :

خُطَّتْ بأرجاء الغربِ دارُ دانتْ لها الأمصارُ والأقطارُ
لانتْ يَزِيدُ للماء لما أيقنتْ أَنَّ القلوبَ على الحُسينِ حِرَارُ
وكان انتقالُ عبيدِ الله إليها فى شوال سنة ثمان وثلاثمائة ، بعد أن ملكَ إفريقيةَ
وأعمالَ المغربِ وطرابلسَ وبرقةَ وصقليةَ .

وسيرَ ولىَّ عهده أبا القاسمِ إلى مصرَ دفتين : الأولى فى سنة إحدى
وثلاثمائة ، فلكَ الإسكندريةَ والفيومَ وجبى خراجهما وخراج بعض أعمال
الصعيد ، وعاد إلى المغرب فى سنة اثنتين وثلاثمائة ؛ والثانية سنة ست وثلاثمائة ،
فلكَ الإسكندريةَ أيضاً .

ولم يزل سلطانه يتممّه ، وظهوره يزيّد ، إلى أن توفى منتصفَ شهر ربيع الأول
سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . فكانت ولايته — منذ وصل إلى رَقادة وبويع
بها ، إلى يوم وفاته — أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقيل : كانت
خلافته — من يوم ظهوره بِسَجَلَسَاةَ فى أول ذى الحجة سنة ست وتسعين

ومائتين وفيها سُمِّ عليه بالخلافة ، إلى يوم وقاه بالمهديّة — خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وهو ابن اثنين وستين سنة . مولده سَلَمِيّة — وقيل بينداد — سنة ستين ومائتين . ومولده أبي القاسم ابنه سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ثمانين .

وكان ، مع نبذته وشهامته ، مفرّهاً فصيحاً أديباً . قال أبو عبيد البكري : لما تغلب عبيدُ الله الشيبى ، كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدبُّر بإمامته ، وكتب بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح^(١) ، وكان والياً على نَكُور^(٢) وما إليها من أعمال المغرب / لبنى سهوان ؛ وكتب في أسفل [٣٠٥-٣٠٦] كتابه ألياناً كثيرة ، منها :

(١) راجع عن تاريخ سعيد بن صالح هذا ونسبه وتاريخ بني صالح إمراء نكور البيان المغرب لابن خنّار : ١٧٦/١ - ١٨١ .

(٢) فكور مدينة كانت في شمال المغرب على نحو عشرة كيلومترات جنوب الحسيمة الحالية إلى الشرق يسيراً ، ولم يبق من آثارها اليوم إلا أطلال قلعة ، وهى واقعة في إقليم صنهاجة الريف على السّطح النّبال لجبال الريف . وقد أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور في أواخر القرن الهجرى الأول . وفى سنة ٨٥٨/٢٤٤ - ٨٥٩ نزل بها النّومان - الذين تسمهم النصوص الجبوس - واتّهبوا ما فيها . وفى سنة ١٠٨٠/٤٧٣ - ١٠٨١ غرّبها يوسف بن تاسفين . وقد أجرب بها سفريات سنة ١٩٥٩ .

انظر : أحمد المكناسي : « المدن المنتشرة في شمال المغرب » .

وكتب المكناسي كذلك بحثاً قصيراً عن أطلالها وما قام به من الخفائر فيها في سنة ١٩٥٩ ، ونشر نتيجة بحثه في دراسة في مجلة تمودة نحت عنوان :

Reconocimientos Arqueológicos en el Rif, Tamuda, ano VII, Tetuán 1959,
issr. I, II, p. 156-168 .

وانظر : خروطة المغرب الأركيولوجيه ، لفس المؤلف (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .
وقد تحدّث عنها البكري والإدريسي ، انظر فهرس الأعلام في كل منها .

فإن تستقيموا أستمم لصلاحكم وإن تملوا عني أرى قتلكم عدلاً
وأعلم بسيفي قاتراً لسيوفكم وأدخلها عفواً وأملؤها عدلاً
قال : فأجابه رجل من شعراء الأندلس من أهل طليطلة يعرف بالأختمش ،
أسمه سعيد بن صالح بذلك :

كذبت ، وبیت الله ، لا تحسن المدلا ولا علم الرحمن من قولك انفصلا
وما أنت إلا جاهل ومناقض تمثّل للجهال في السنة للنل
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همك السفلى^(١)
وكان عيد الله إذا رأى ابنه أبا القاسم ونظر إليه فسربه يقول :
مبارك الطلعة ميمونها يصلح للعالم ولدين

٧٥ - أبو عبد الله الشيعي

داعية عيد الله المهدي

كان - مع قوّده الجيوش وخوضه الحروب - علماً أدبياً شاعراً ، وهو
الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزّمه ، نائباً عن عيد الله وباصراً
لمذهبه وداعياً إلى دعوته . وزحف إلى القيروان ونازلها ، وسها جمهور أجناد
إفريقية ، فدخلها واستولى على رّقادة - دار ملك الأغلبة حينئذ - وعلى
أعمال إفريقية .

(١) روى ابن عسّار في البيان المغرب (١٧٨/١) هذه الآيات مع خلاف في الألفاظ .

وقد ورد لفظ الجلالة الوارد في البيت الأول : الإله ، ولا يستقيم به الوزن ، فصورناه
على رواية البيان المغرب .

وقدم عيدُ الله بعد ذلك من سَجَلَمَاسَة ، فبُوع له وَقَوِي أمرُهُ واشتد سلطانُهُ ، ولم يلبث أن قتلَهُ وأخاه أبا العباس — وكان أكبرَ منه ، كما تقدم وصفُ ذلك — تولى قتلَهُما عَرُوبَةُ الْكَتَامِي^(١) ، ثم قُتل عَرُوبَةُ هذا مفاقاً واستُؤصل أهلُ بيته في أيام عيد الله . وأبو عبد الله الشيعي هو القاتل بعدَ إيقاعه بجيش بني الأغلب :

من كان منتبطاً بلينِ حشيرة فَحَشِيَّتِي وأرَيْكُنِي سَرْجِي
من كان يعجبه ويهجه قَرُّ الدفوفِ ورنه الصنْجِ
فأنا الذي لا شيء يُعْجِبُنِي^(٢) إلا اتصحاى جنة الرهْجِ

/سلُ عن خبسي إذ ظلتُ به يوم الخميس ضحَى على الفَجِّ [١-٥٦]

البيت الأول من هذه القطعة كقول امرئ القيس :

يَلْرُبُّ غَانِيَةً صَرَمْتُ حَبَالَهَا وَهَشَيْتُ مَثْنًا عَلَى رِسْلِي

وأيات القصيدة كلها على خلاف ذلك . وكقول الآخر ، ويستشهد

به العروضيون :

(١) هو عروبة بن يوسف الملوحي الكتامي ، كان من رجال أبي عبد الله الشيعي واشترك معه في معظم غزواته ، ولكنه كان يحسده ويحسد أخاه أبا العباس المخطوم ، فظل يسعى هما ، مع نفر آخر من رجال كتامة حتى حفزا عيد الله على قتلها . وقد اشتهر في قتلها مع عروبة جبر بن ثمارب الميلي . ولم يقدم عيد الله على قتلها إلا بعد أن تحصل من نصيرهما الأكبر بين شيوخ كتامة وهو أبو زالك تمام بن معارك الأجاني : أمر واليه على طرابلس فصله .

(٢) الأصل : « فأنا الذي يعجبه ولا شيء يعجبي » مع إشارة فوق ، يعجبه » فهمت منها بعد لأي أنها مشطوبة ، وكذلك الواو التي تليها .

لَمَنِ الدَّارُ بِرَأْمَتَيْنِ فَمَا قَلِيلٌ دَرَسَتْ وَغَيْرَ آيَاتِهَا الْقَطْرُ
وهي من الضرب الأخَذُ^(١) المضمر من ضروب العروض الأول من أعارض
الكامل، وعكسه وهو من الشاذ :
وَلَنِيْمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا نَهَلْتُ مِنَ التَّلَاقِ الرَّمَاحُ وَعَلَّتْ

(١) انظر ما كتبه من هذا الضرب ابن عبد ربه في المقد الفريد (ط . مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤٦) الجزء الخامس ص ٤٥٣ - ٤٥٥

المائة الرابعة

٧٦ - عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، أبو المطرف

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن سروان ، أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً ، وأنعمهم في القديم والحديث شأناً ، وأطولهم في الخلافة - بل أطول ملوك الإسلام قبله - مدة وزماناً .

وَلَّى بِقَرْطُبَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مَسْتَهْلٌ شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، عِنْدَ وِفَاةِ جَدِّهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَتَوَفَّى فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتِينَ خَلْتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَمْ يَبْلُغْهَا خَلِيفَةُ قَبْلِهِ . وَقَارِبَ أَنْ يَلْحَقَ فِيهَا شَاوَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْقَتْدَرِ ، الْمَجْتَمِعَ عَلَيْهِ بِالْمَشْرِقِ فِي آخِرِ هَذِهِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَ فِي الْخِلَافَةِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً - وَقِيلَ أَقَلَّ - ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْقَادِرُ ، بَلَغَ فِي وِلَايَتِهِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَنِعمَانِيَةً أَشْهُرَ وَأَيَّامًا . وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ لِلتَّأَخَّرِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ بْنِ الْمُسْتَضَى

بالله أبي محمد الحسن ، بلغ في ولايته سبعمائة وأربعين سنة ، وبيع له في [ذى]
القلعة سنة خمس وسبعين وخمسمائة^(١) .

وقرأت في كتاب أبي الحسين بن أبي السرور الروحي الإسكندري في أخبار
[٥٦ - ٥٧] ملوك الميمنية^(٢) / أن للمستنصر بالله أبا تميم ممد بن علي بن الظاهر بن الحاكم
بلغ في ولايته بمصر ستين سنة وأشهرًا ، فأرني على هؤلاء الخلفاء .

وتسمى الناصر عبد الرحمن بن محمد بأمير المؤمنين بعد سنين من خلافته ،
لما ضعف سلطان العباسية بالشرق ، وغلبت عليهم الأتراك ، وادعت الشيعة
ماشاحت بإفريقية ، وساعدتهم عليه قبائل البربر وأصبح الناس في الآفاق فوضى ؛
وكان من قبله من آباءه يدعون بالأمراء .

وظهر لأول ولايته من يمن عاثره ، وسعادة جده ، واتساع ملكه ، وقوة
سلطانه ، وإقبال دولته ، وخود نار الفتنة — على اضطرابها بكل جهة —

(١) إليك تواريخ حكم أولئك العباسيين الثلاثة الذين يكادون يضاهون عبد الرحمن الناصر
في طول المدة :

أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر : ١٩ رجب ٣٨١ - ١٠ ذى الحجة ٤٢٢ .

أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر : ١١ ذى حجة ٤٢٢ - ١٢ شعبان ٤٦٧ .

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستنصر : ٢ ذى قعدة ٥٧٥ - ٣٠ رمضان ٦٢٢ .

(٢) كذا ورد اسم الكتاب ومؤلفه ، ولم أعر على ما يزن لنا معرفة هذا المؤلف وكتابه .

ولنينا في تاريخ العالميين بهذا الاسم كتاب « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » لأبي الحسن علي بن
حماد الصنهاجي المتوفى عام ١٢٣١/٦٢٨ ، وله كتاب آخر هو « النبذ المحاجة في أخبار صنهاجة » .
وقد نشر فوندرهاندن كتاب أبي الحسن علي بن حماد في أخبار العبدلين سنة ١٩٢٧ في باريس
مع ترجمة فرنسية ، وأصلها جعل اسمه ابن حماد . ولا ينبغي الخلط بين هذا المؤلف وأبي عبد الله
محمد بن حماد البرنسي السبيعي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري ، وس تلاميذ القاضي
عياض ، وله كتاب « المختصر في مفاهيم المغرب والأندلس » .

انظر مقال ليثي پروقتسال : نص جديد من فتح العرب للمغرب لعبد الله بن صالح بن عبد الحليم .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ . ص ٢٠٥ .

واقيا العصابة لطاعته ، ما تعجز عن تصويره الأوهام ، وتكل في تحييره الأقلام .
 وقبض له من ابنه وولى عهده الحكم المستنصر بالله ، المدعو بأمر المؤمنين بيمده ،
 من زان ملكه ، وزاد في أبيته ، وقام بأمره أحسن قيام ؛ فكل جلاله ،
 وجل كاله .

وكان الناصر — على علاء جانبه واستيلاء هيئته — يرتاح للشعر وينبسط
 إلى أهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته .

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الخدائق » : حدثني
 أبو بكر إسماعيل بن بدر^(١) ، أنه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله
 عبد الرحمن بن محمد ، رحمه الله ، في غزاة كان آلى ألا يأنس فيها بمنادمة أحد
 حتى يفتتح مقلا ، فافتتح مقلا بعد آخر ، وتمادى على عزيمته في العزوف عن
 المنادمة ، فذكر أنه كتب إليه :

لقد حلتُ حُجَيَّاَ الرَّاحِ عِنْدِي وطابتُ بِمدِّ فَتْحِكَ مَقْلَيْنِ
 وَأَذَنَ كُلِّ هَمٍّ بِافْرَاجٍ وَأَنْ يَقْضَى غَرِيمُ كُلِّ دَيْنِ
 قال : فلم يحركه ما خاطبته به ، فصادفته بالخطابة فقلت :
 بِأَمْلِكَا رَأْيَهُ ضِيَاءٌ فِي كُلِّ خُطْبٍ أَلَمٌ دَاجٍ
 مَنْ لِي يَوْمَ بِهِ فَرَاغٌ لَيْسَ أَخُو حَرَبِهِ بِنَاجٍ

(١) ذكره ابن الفرغى (رقم ٢١٤ ج ١ ص ٦٢) : إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد
 مولى نعمة لبني أمية . من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر . وبعد أن ذكر شيوخه قال : إلا أن
 صناعة الشعر غلبت عليه وطارت بلسانه وكانت ألصق به . وطال عمره إلى أن سمع بعض الناس
 منه وتبهلوا فيه . وولى أحكام السوق ، فحمد أمره فيها ، وتوفى في أول ولاية المستنصر بالله
 سنة ٣٥١ .

وذكره أيضاً الفهسي (رقم ٥٤٣ ص ٢١٥) وقال إنه كان أثيراً عند عبد الرحمن الناصر ،
 ثم أورد له بضعة أبيات رواها له أبو محمد علي بن أحمد بن حزم .

بكل بيضاء من رآها يحسبها شعلّة السراج
لا تنس مولاك في وغان واذكرك في حومة الهياجر
[١-٥٧] / فذكر أنه جأبه بقوله :

كيف وأنى لمن يتاجي من لوعة المم ما أناجي
يطمع أن يستريح وقفاً أو يقتل الراح بالزجاج ؟
لو حُل الصخرُ بمض شجوى عاد إلى رقة الزجاج
كنت لما قد علّت الهوى ل إذ أنا مما شكوتُ ناج
فصرتُ البين في علاج طم وأربى على العلاج
الوردُ مما يهيج حزني ويبعث السوسنُ احتياجي
أرى ليلال بعدَ حُسن أقبج من أوجهِ سماج
لا تزجُ مما أردت شيئاً أو يؤذن المم باغراج

٧٧- ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصي.

وَلَى بعده الخلافة وهو ابن سبع وأربعين سنة - وقيل ابن ثمان وأربعين سنة - وشهرين ويومين ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ، وتوفي لليلتين خلتا من صفر سنة ست وستين ، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ؛ استغرقت خلافة أبيه الطويلة عمره ، حتى كان يقول له فيما يحكي عنه : « لقد طوّفنا عليك يا أبا العاصي ! » وكان حسن السيرة فاضلاً عادلاً مشفقاً بالملوم ، حريصاً على اقتناء دواوينها ، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان ، ويبدل في أعلاقتها ودفاتها أنفس

الأمان . وفق ذلك لديه ، فضلت من كل جهة إليه ، والتلك سوق ، ما وفق فيها جلب إليها ، حتى غصت بها سيوتها ، وضافت عنها خزائنه .

قال ابن حبان عند ذكر الحكم : كان من أهل الدين والعلم ، راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، باحثاً عن الأنساب ، حريصاً على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درس نسبته أو جهله بقبيلته التي هو منها ، مستجلباً للعلماء ورواة الحديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ويسمع [٥٧-ب] منهم ويرى عنهم .

وكان أخوه عبدالله — المعروف بالولد^(١) — على مثل هذه الحال من المحبة في العلم والعلماء والرواية ، وتوفي في حياة أبيه مقتولاً فصيرت كتبه إلى أخيه الحكم .

ولم يُسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتشهم بها . أفاء على العلم ، ونوّه بأهله ، ورغب الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه ، ومنهم أبو إسحاق محمد ابن القاسم بن شعبان^(٢) بمصر ، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما ؛ جرى ذكر هذا في كتب تواريخهم .

وبعث إلى أبي الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عينا ذهباً ، وخاطبه بتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني ، وما لأحد مثله ،

(١) الولد هنا مصطلح أندلسي لا يطلق إلا على الأمراء ، وكثيراً ما يختص به ولي العهد .

(٢) كبر فقهاء المالكية في مصر في أواخر العصر الإخشيدي ، وأصله أندلسي من

فرطية ، وقد أرسل إليه عبد الرحمن الناصر عشرة آلاف دينار ليقرقها في شيوخ المالكية ، فأحرق الإخشيد مثلها (كما يقول ابن الزيات في الكواكب السائرة) ليقرقها في شيوخ الشافعية . وكان مرجو الله أن يميته قبل دخول الفاطميين مصر ، فأت قبل ذلك بثلاث سنوات .

ووصل بذلك المال رَحِمَهُ ، إذ كان قسيمته في المروانية ، ومن ولد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالشرق ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم .

وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحةً بمنابهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جداً ، وخلد لهم مجداً . وأرسل به إلى قرطبة وأخذ منه قصيدة حسنة من شعره - وكان محسناً - يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية ونخرم على سائر قرش ، فجدد له عليه الصلة الجزيلة .

وكان له وِزاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوالمف ، ورجالٌ يوجههم إلى الآفاق عنها^(١) . ومن وِزاقيه يبيداد محمد بن طرخان ، ومن أهل الشرق والأندلس جماعة . وكان مع هذا كثير التهم بكتبه والتصحيح لها والمطالمة لغوائدها ، ولما تجده له كتاباً كان في خزائنه إلا وله فيه قراءة ونظر من أى فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه - إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه - نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر أسباب الرواة له ، ويأتى من ذلك بمرائب لا تسكاد توجد إلا عنده ، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن . وكان موثقاً به مأموراً عليه . صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ، يتقلونه من خطه ويحاضرون به .

[١-٥٨] قلت : وقد اجتمع لى من ذلك جزء مفيد مما وجد بخطه ، ووجدت أنه يشتمل على فوائد جمعة في أنواع شتى .

قال^(٢) : وكان قد قيد كثيراً من أسباب أهل بلده ، وكلف أهل كُور الأندلس أن يلحقوا كل عرى أخيل ذكره قبل ولايته ، وأن يصحح

(١) ها يحسن أن تقرأ : باحثين فيها .

(٢) يستمر ابن الأبار في الرواية عن ابن حبان .

نسبهم أهل المعرفة بذلك ، ويؤلف من الكتب ^(١) ، ويرد كل ذي نسب إلى نسبه ، وفرج ذلك بالعلم قم له من ذلك ما أراد ، وضع الله بكرم قصده البلاد والعباد .

وقال أبو محمد بن حزم في « كتاب جهرة الأنساب » من تأليفه ، وذكر « الحكم » اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو . وكان رفيقاً بالرعية ، محباً للعلم ، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم . وأخبرني « تليد » ^(٢) القتي — وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس — أن عدد العمارس التي كانت [فيها] تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط .

قال : ولم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، وقد افترض ولا يعقب له ولا لأبيه ^(٣) . وذكر الحُمَيْدِيُّ في تاريخه أن الحكم رام قطع الحر من الأندلس ، فأمر بإزالتها وتشدد في ذلك ، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله ، فقبل إنهم يعملوها من التين وغيره ، فتوقف عن ذلك .

ومن شعره :

عجبتُ ، وقد ودعتها ، كيف لم أمتُ وكيف اشتتُ عند القراقِ يدي معي
فيامقلتي العُبرَى عليها اسكُبي دماً وإياك يدي الحرَى عليها تقطُعي

(١) هذه الجملة قلعة بعض النسخ .

(٢) في جهرة الأنساب لابن حزم (تحقيق ليث دروفسال) : تأكيد القتي (ص ٩٢)

وهذه المسألة كلها واردة عنه .

(٣) عبارة ابن حزم (الجهرة ص ٩٢) : فأما الحكم المستنصر فلم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، ولي الأمر وهو ابن أحد عشر عاماً . وكان متعلماً عليه ، لا أمر له ولا نهي ، تلقى بالمقرب ، وتُحِلُّ المرة بعد المرة ، وقد افترض ، ولا عقب له .

وكان الحكم قد أعجب قبل هشام علماً بماء عبد الرحمن ولد سنة ٩٦٢/٣٥١ ، ومات طفلاً .

قال ابن حبان : وعلى إطلاق أهل وقته في نزارة جنى أدبه ، قد أشدني
 الفقيه أبو علي الحسن بن أيوب الحداد^(١) له بيتي شعر ارتجلهما يوم ودعته حفيثته
 أم هشام ، لما خرج لغزوة الفضة المعروفة بشنتِ اشتين^(٢) ، فأكثر من
 التعلق به والولاء لمرافقه ، وكان شديد الكلف بها ، وذكر البيهقي . قلت :
 وقد قرأت في ما يروى ليهيار الديلمي :

ومن عجب أني أحزن إليهم وأسأل شوقاً عنهم ، ومم ممي
 وتبكي دماً عيني ، ومم في سوادها ويشكو الهوى قلبي ، ومم بين أضلعي
 / فيأملقي التبري أفيض عليهم / ويأ كبدى الحرى عليهم تقطى [٥٨ - ب]

فلا أدري : أوافق الحكم في بيته الأخير أم سرقة وغيره كما ترى ؟

وقال أبو الطاهر محمد بن يوسف النيمي (المعروف بالاشتركوني^(٣)) ، صاحب

(١) ذكره ابن بشكوال في « صله » (رقم ٣٠٦ - ١٣٦/١ - ١٢٧) : الحسن
 ابن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بالحداد .
 وبعد أن ذكر شيوخة قال : وجمع مسائله في أربعة أجزاء . روى عنه جماعة من كبار العلماء
 منهم أبو عمر بن مهدي ، وقال : كان من أهل العلم بالمسائل والحديث ، مقدماً في السورى حل
 جميع أصحابه له ، راوية للحديث واللغات ، وافر الحظ من الأدب ، حسن الثمر في الزهد
 والرفاء وشبهه ، ذا دين وفضل . ولد في المحرم سنة ٣٣٨ ، وتوفي ودفن ضحوة يوم السبت
 خلف باب القنطرة في رمضان سنة ٤٢٥ .

(٢) رسم الاسم هنا دقيق ، لأنه بالإفرنجية San Estéban ، وفي إسبانيا أكثر من
 موضع بهذا الاسم ، ولكن المراد هنا San Estéban del Mali قرية صغيرة في مليرية
 وسقة Huesca تابعة لمركز Benavarre . وكانت غزوة شنت اشنتين سنة ٣٥٢ /
 ٩٦٣ ولم يكن هشام قد ولد بعد . وأم هشام المذكورة هنا هي صحبة البشكنية .

(٣) ترجم له ابن بشكوال في الصلة (رقم ١١٧٥ ج ٢ ص ٥٣٩) ولم يذكر نسبه
 هذه ، وإنما اكتفى بقوله : محمد بن يوسف بن عبد الله النيمي من أهل سرقطة ، سكن قرطبة ،
 يكنى أبا الطاهر . وبعد أن ذكر شيوخة قال : وكان مقدماً في اللغة والعربية ، شاعراً محسناً ،

« المقامات الزومية » ، في ما جمع من شعر أبي بكر بن عمار وزير بني عباد :
« وما ينسب إليه . . . » ، وذكر البيتين :

* « ومن يحببني أني أحسن إليهم » *

والذي بعده ، لم يزد عليهما .

وقرأت في « كتاب الحداثي » لابن فرج قوله — بعد إرادته جملة من
أشعار الخلفاء الأموية — : « وهم يجلون عن الشر أقدارهم ، كما يرتفعون عن
أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم ، وإما ينبتون به في سرائرهم فليس
يظهر عليهم منه إلا الشاذ القليل ؛ ولعل ما سقط عنا أفضل مما سقط إلينا .
فأما أمير المؤمنين المستنصر بالله — أطال الله بقاءه — فهو فوق أن يعلين به
أو ينشر اسمه عليه ، ولعل له منه ما لا نعرفه ، فأما الأدوات التي يقال بها ،
بل التي يحتاج كل علم إليها ، فهي معه بأزيد مما كانت لأحد قبله أو تكون
لأحد بعده » .

وهذا الذي قال غير مسلم له ولا مقبول منه ، بل إكثار الملوك من الشعر
دالٌّ على قوة عارضتهم وسعة ذرعهم ، وحاكم بمقامة مادتهم وتمكن تصرفهم ،
ولولا ذلك لما فضل ابن المعتز أهل بيته بالإبداع في أنواع القريض ، وكذلك
تميم بن المازن للتفصيل أثره في الإكثار ، والإتيان بما قيّد وخلد من بدائع الأشعار .
ولا أبلغ من الاحتجاج ، وأقطع للخصم المتكاهي للجاج ، مما هو عليه مولانا من
تخيير الغرائب ، وتسيير الكلم الغرائب إثناء إشارق والمقارب ، وهو البرهان على
رحب المجال ، وتحصيل أسباب الفضل وأشتات السكال ، لا زال سلطانه
يُبَخِّمُ له بالطاعة ويُدَان ، وزمائه يُشْرِقُ بحماسه الباهرة ويزدان .

= وله مقامات من تأليفه أخذت عنه واسمحت . نوفي في فرطه في جاني الأول من سنة ٥٣٨ .
واستركونة Esteruel وتكتب أيضاً استركونة ، مدسة في مديرية تيروال Teruel
في إسبانيا ، وتبعد عن العاصمة بمائة وعشرين كيلومتراً ، وهي تابعة لمركز Allaga الإداري .
وهي مرتفعة تقوم على سفح جبل سانتانا Pena de Santa Ana

٧٨ - عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد

قوله أبو عبد الرحمن لمناقشته أخاه الحَكَمَ وليَّ عهده ؛ وكان من نجباء أولاد الخلفاء ، محبا في العلم والعلماء ، سمع من جملة منهم ، وحدث في ألف عنهم . وله تواليف تدل على علمه وفهمه ، وتشهد بشرف ذاته وكال أدواته ، منها [١-٥٩] « كتاب العليل والقتيل في أخبار ولدِ المباس » انتهى به إلى خلافة الراضى / ابن القندر ؛ ومنها « للسكنة في فضائل بقي بن مخلد » . قال أبو محمد بن حزم : كان قريبا شافيا شاعرا أخبارا متسككا ؛ ومن شعره :

أما فؤادى فكأنمُ أَلَمَ لو لم يَبْعُ ناظرى بما كَفَنَ
ما أَوْضَحَ الشَّمَّ في ملاحظَ مَنْ يهوى ، وإن كان كَأَنما سَقَنَ
ظَلَّتْ أبكى ، وظلَّ يَعدُّنى مَنْ لم يَقسِ الهوى ولا عَلَنَ
إليك من عاشقٍ بكى أَسفا حبيبَه في الهوى وإن ظَلَنَ
ظَلَّتْ جَبوشُ الأَسى قاتلُهُ مذ نذرتُ أَعينُ الملاحِرَ دَمَ

وحكى أبو عمر بن عفيف^(١) في تاريخه الذى هذبهُ ابنُ حَيَّان واختصه ، قال : وكان الأمير الحَكَمُ بن الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين ، وأخوه عبد الله هذا ، يباريان في طلب العلم ، ويتفاخيان في جمعه ، ويتبادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والإحسان إليهم . فكان ابن عبد البر

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مَرْثُومٍ بن سَلم بن عبد الله الأموى (٢٠٨ - ٤٢٠/٩٥٩ - ١٠٢٩) ، ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٧٣) وذكر مؤلفاته وفضائله ، وقد نقلنا هذه الترجمة في كتابنا « تاريخ الفكر الأندلسى » الذى ترجمناه عن أغل جند الله بالنيابة (ص ٤٢٣) . وأشرنا إلى أصحّ ابن حيان في تأليف تاريخه على كتاب لابن عفيف في التاريخ لم يذكره ابن بشكوال (ص ٢٠٨) .

— يعنى أحمد بن محمد ، صاحب التاريخ^(١) — ممن تميز في حزب عبد الله واختص به حتى لا يكاد يفارقه ، فسعى إلى الخليفة الناصر لدين الله بانه عبد الله هذا ، ورفّع عليه أنه يريد خلعه ويدعو إلى القيام معه ، وأن جماعات من طبقات الناس دخلوا في ذلك معه ، وأنهم على أن يشوروا به في يومٍ عبد قد اقترب إليه . فأرسل الناصر في الليل بمن قبض على ولده عبد الله وحبيه ، فألقى عنده في تلك الليلة هذا الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر وفقهياً آخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة — وهو أحمد بن عبد الله بن المطار^(٢) — كانا بائنين عنده ، فأخذاه وحملاه إلى الزهراء حفصة أمير المؤمنين الناصر بأسفل قرطبة ، فأمر بسجنهما وعرف الوزراء بخبر ولده عبد الله ، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبرأ منه . وأعلمهم بمسارحته إلى القبض عليه ، ووجدان رسله هذين . الفقيهين النطيين^(٣) بائنين عنده وقال لهم : « ما أعجب إلا من مكان ابن المطار عنده ! ما الذى أدخله في هذا مع غياوته وقلة شره ؟ وأما ابن عبد البر فأنا أعلم أنه

(١) أحمد بن محمد بن عبد البر فقيه ومؤرخ معاصر لمجد الرحمن الناصر ، وهو غير أبي عمر يوسف بن عبد البر الفهرى . ترجم له ابن الفرضي (رقم ١٢٠ ج ١ ص ٣٧) وذكر في مقدمة « تاريخ علماء قرطبة » أنه نقل عنه كثيراً في كتابه . وقد سمع ابن عبد البر هذا من أجلاء شيوخ قرطبة من أمثال ابن ليابة وأسلم بن عبد العزيز وقاسم بن أصبغ ، وكان فقيهاً نبيلاً متصرفاً في فنون العلم ، وكان علم الحديث أغلب عليه ، وله كتاب مؤلف في « الفقهاء بقرطبة » وهو الذى استعان به ابن الفرضي في تأليف كتابه . وقال ابن الفرضي أنه توفى في السجن الليثين بقيتا من رمضان سنة ٣٣٨ ، أخبرني بذلك الميعطى . وقال الرازى : توفى يوم الخميس ليلة بقيت من رمضان في السجن . غصص في قصة الملاق عبد الله بن الناصر .

(٢) أحمد بن عبد الله بن سيد الأومى ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن المطار ، ويقال له صاحب الوردة ، يكنى أبا عمر ، حدث عن محمد بن وضاح وغيره . توفى في شوال سنة ٣٤٤ (ابن الفرضي ، رقم ١٥٨ ج ١/٤٦) .

ويفهم من هذا أن عبد الرحمن الناصر عفا عنه ، لاستبداده أن يكون له ضلع في المؤامرة ، إذ أنه توفى بملها بسبع سنوات .

(٣) فلّيف : آثم بريّة ، تطلق بعيب ، فسد ، بمن من أكل ونحوه .

[٩٠ - ب] الذي زَيْنَ لهذا العاق^(١) ذلك ليكون قاضي الجماعة / ويأبى الله ذلك ، فهدأوه
بالسلامة ودعوا الله له . وعزم الناصر على أن يعاقب ابن عبد البر يوم العيد
— عيد الأضحى — الذي كان التدبير عليه فيه ، فأصبح ابن عبد البر يوم العيد
نفسه ميتاً في السجن ، وأسلم إلى أهله فدفن بمقبرة الرِّبَض ؛ وكان ذلك في سنة
ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

٧٩ — عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصمغ

كان أديباً شاعراً ، ظهرت منه نجابة في صغره . وحُكي أن أول لوح كتبه
هند دخوله الكتاب بمث به إلى أخيه الحكم المستنصر ، وكتب إليه من شعره :

هاك يا مولاي خطاً مَطَّاهُ في اللوح مطاً
ابنُ سبيع في سِنِيهِ لم يُطِيقْ للوحِ ضبطاً
دمت يا مولاي حتى يُولَدَ^(٢) ابنُ ابْنِكَ سِبْطاً

٨٠ — محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

هو والد الخليفين في الفتنة : أبي المطرّف عبد الرحمن الملقب بالمرتضى ،

(١) هذه الكلمة واردة في الأصل واضحة هكذا . ولكن دوزي جعلها العلق (ص ١٠٦)
دون مجرد . وقد جعل كودراً الكلمة : العاق !

(٢) الأصح هنا أن يقال : « ولد ابن ابك سبطاً » ، لأن السطر كما هو في الأصل
يعني أن الذي سوله سيكون حفيداً للحكم المستنصر ، أما على اقتراحنا فإن المولود سيكون ابن عمه
لحكم ، أي سبطه . ويمكن أن نقرأ أيضاً سبطاً بفتح السين ، والمراد فارها .

وأبى بكر هشام الملقب بالمتدّ ، آخر خلفاء بني أمية بالأندلس ؛ على رحيله^(١) انقضوا فلم يعد ملكهم إلى اليوم . ولّى في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وكان أسنّ من أخيه المرتضى بأربعة أعوام ، مولده في سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وأقام في خلافته متقدداً بالثغور ثلاثة أعوام إلا شهرين ، ودخل قرطبة يوم مئى ثمان ذى الحجة سنة عشرين ، لم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه غرقة من الجند فخلع . واضططت الدعوة الأموية من يومئذ ، واحتولى على قرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الوزير ، ثم ابنه أبو الوليد محمد بن جهور . ومن شعر محمد بن عبد الملك قوله يفخخر :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحالُ أودارت علينا الدوائرُ ؟
إذا ولد الملوذُ منّا تهلّت له الأرضُ واهترت إليه النائرُ

/ وقد أنشد أبو منصور الثعالبي في « اليتيمة » من تأليفه هذا الشعر ونسبه [٦٠-١] إلى الحكم السنتصر بالله ، وزعم أن ذلك من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر

(١) في الأصل : رحله ، وكذا قرأها دوزى (ص ١٠٧) . وإنما جعلها « رحيله » لأن هشام المتدّ - أو هشام الثالث - آخر خلفاء بني أمية في الأندلس أعلن خليفته في ربيع الثاني ٤١٨ / يونيو ١٠٢٧ . وكان يعيش منذ مقتل أخيه عبد الرحمن الرابع الملقب بالمرتضى حياة مخول في حاية عبد الله بن قاسم الفهري صاحب البوتة Alpuente شمال غربى بلنسية ، ولم يدخل هشام قرطبة إلا بعد عامين في ٨ ذى حجة ٤٢٠ / ١٨ ديسمبر ١٠٢٩ واستوزر رجلاً يسمى حكم بن سعيد ، ولم يستقم أمره ، إذ ظلت الفتنة ضاربة أطنابها ، وقام عليه ينافه أمير أموى آخر يسمى أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان ، ولكن هذا الأخير قتل في ١٢ ذى حجة ٤٢٢ / ٣٠ نوفمبر ١٠٣١ ، وعلى إثر ذلك قرر أبو الحزم بن جهور مع رؤساء قرطبة إخراج بقية الأمويين من البلد والمداواة بنهاية حكمهم فيه . وكان هشام المتدّ وسط هذه الفوضى قد لجأ إلى بيت ملحق بالجناح واحباً فيه مع بعض عياله ، وقصوا ليلتهم الأخيرة في عاصمة أجدادهم في ظلام لا تضئته إلا نومة مهافة ، وفي الصباح رحل عن قرطبة مع أهله ، واحتسب بعض الوقت في حصن قديم ، وانتهى إلى لاردة حيث قضى بقية أيامه في كنف سليمان وابن هود .

يفتخر . وهذا من أغلاط أنى منصور وأوهامه الفاحشة : حكي — لُبَّمد مكانه — ما لم يحقق ، وروى عن لا علم له بشأه ما لم يضبط . ومثل هذا النظم القائق . لم يكن ليغيب عن ابن فرج صاحب « كتاب الحداثق » ، و [لم يكن ليغيب]^(١) أيضا عن أبي سروان بن حَتَّان — جَهَّيْنَة أخبار المروانية ومؤرخ آثارها السلطانية — فكيف يصح ذلك [والأول منهما]^(٢) كما تقدم بنى عنه الشعر ، والآخرُ يثبت له منه النثر ؟ على أن محمدا هذا المنسوب إليه ليس في أدباء أهل بيته بمشهور ؛ وعلى كل حال فلا معنى للفظ أنى منصور .

٨١ — عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر ويعرف بابن القرشية

كان من ذوى القعدة في بنى سروان ؛ وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « ابن القرشية » ، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن^(٣) ، حظيت بنكاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له ابنته المنذر فسمته باسم أبيها ، فولد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر . ذكره أبو الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب العاصرى في كتابه « البديع في فصل اربيع » ، وأشهد له في البهار ، قال — وهو من التشبيهات المغمى :

(١) أنصفت هذه العبارة للبيان .

(٢) أنصفت هذه العبارة أيضا للسياق ، والأول منهما هو ابن فرج ، وقد سبق أن روى له ابن الأبار عبارة ينزه الحكم فيها عن قول الشعر .

(٣) المراد عبد الرحمن الأوسط .

كَانَ الثَّرَى سِتْرٌ تَمَدُّ خِلَالَهُ بِأَكْوَسٍ رَاحٍ رَاحَتَهُ الْكَوَاسِبُ
يُسْتَرْنَ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ مَعَاسِمًا بِأَكْلَمَنِ الْخَضِرِ عَنْ يَرَاقِبِ^(١)
وَأَشَدُّ لِأَبْنَى عَمْرِ يَوْسُفَ بْنِ هَارُونَ الرَّمَادَى مِنْ قَصِيدَةِ أُمَامَى^(٢) فِيهَا ،
يَمْدَحُ ابْنَ الْقُرَشِيَّةِ هَذَا وَيَصِفُ أَزْهَارَ الرِّيحِ :

تَأْمَلْ يَأْتِرُ الْغَيْمِ مِنْ زَهْرَةِ الثَّرَى حَيَاةَ عَيُونٍ مُتَنِّ قَبْلَ التَّنَمُّ^(٣)
كَانَ الرِّيحَ الْعَلَقَ أَجْبَلَ مَهْدِيًّا بَطْلَمَةَ مَعشُوقٍ إِلَى عَيْنٍ مَغْرَمِ
تَعَجَّبْتُ مِنْ غَوْصِ الْحَيَاةِ فِي حِشَا الثَّرَى فَأَفْشَى الَّذِي فِيهِ وَلَمْ يَقْتَلَمْ^(٤)
/ كَأَنَّ الَّذِي يُسْقَى الثَّرَى صِرْفَ قَهْوَةٍ تَمْ عَلَيْهِ بِالْفَضِيرِ الْمَكْمَرِ [٢٠-ب]
أَرَى حَسَنًا فِي صَفْحَةٍ قَدْ تَتَبَرَّتْ كَبِشْرٍ بَدَا فِي الْوَجْهِ بَعْدَ التَّجَمُّرِ
أَلَا يَا سَمَاءَ الْأَرْضِ أُعْطِيتِ بَهْجَةً تَطَالُمُنَا مِنْهَا بَوَاحِدٍ مَقْسَمِ

(١) ورد هذان البيتان في كتاب « البديع في وصف الرِّيح » لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (توفي حوالي ١٠٤٨/٤٤٠) بتحقيق هنري بيريس ، الرباط ١٩٤٠ ، ص ٩٨ .
وقد ترجم له ابن الأبار في التكملة (للقطعة التي نشرها محمد بن شنب في الجزائر وفيها من
حرف الألف إلى حرف الجيم التي تبدأ به النسخة التي حققها كوديرا ونشرت في مجلدين في المكتبة
الأندلسية) ، رقم ٤٧٤ ص ٢١٩ وليس في هذه الترجمة من جديد إلا قوله إن أباه كان يلقب
بجيبب وأنه أخو أبي زيد بن محمد بن عامر شيخ أبي بكر بن العربي .

وكتاب « البديع في وصف الرِّيح » ويقال أيضا « في فصل الرِّيح » و « في وثن الرِّيح »
كتاب فريد في بابه ، إذ أن أبا الوليد جمع فيه طائفة كبيرة من شعر الأندلسيين في الرِّيح وأزماره .
وقد جعله أبوابا اختص كل زهرة بواحد .

(٢) ألمحى أى جعل أبياتها مائة .
(٣) أورد هذه الأبيات أيضا أبو الوليد إسماعيل الحميري في « البديع في وصف الرِّيح »
ص ١٢ . وقد ورد لفظ « النعم » في الأصل : النعم ، فصولناه .

(٤) بعد هذا البيت أقسم السامع بيتا سبق أن ورد في شعر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ،

وهو :

ظَلَّتْ أَبْيَكِي وَظِلٌّ يَمُذْنِي مِنْ لَمْ يَقَاسِ الْحُسَى وَلَا عِلْمَهُ

وإن قالت الأرض النعم روضها : «لِي الْفَضْلُ فِي نَفْسِي عَلَيْكَ» ، فسلني
فخضرة ما فيها تفوقك خضرة ونوارها فيها نوابغ أنجم
وإن جتها بالشمس والبدر والحيا مفاخرة ، جاءت بأسمى وأكرم
بعبد العزيز ابن الخلائف والذي جميع للمال تنسى حيث ينسى^(١)

٨٢ — محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام ، أبو عبد الله

كان من [أكل] رجال البيت الأموي خلقاً وعقلاً وأدباً تاماً وحظاً من
الشعر الجيد ، وكانت أخته لأبيه فاطمة عند الناصر عبد الرحمن بن محمد ، فخطب
بعصاهرتة ؛ واعتبط في خلافة الناصر فتوفى للنصف من ذي القعدة سنة ست
عشرة وثلاثمائة . وهو القائل :

بنفسى وأهلى من بذلت له ودى وملكته رقي على القرب والبعد
وأبغضت فيه كل خدني مناصح وأبدت للعذار في عشقه صدئ
ولم أنصرف فيه إلى قول كاشح وأصررت في حبيبه إصرار ذي الحقد

(١) علق أبو الوليد الحميري على هذه الأبيات بقوله (ص ١٢ - ١٣) : «ودخوله
في هذا الموضع إلى المنح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعاني التي سبق فيها ، واستولى
حل الأمد بها . وقوله :

• كان الذي يسق الثرى صرف قهوة •

البيت ، تنه فيه إنشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإنشاء المرء أسرارها المكتومة بالقهوة .
وقوله : «يتم» مستقبل من الخسة ، يقال : يتم بكسر التون وضمتها ، والكسر أفصح .
وقوله : «يوجه مقم» أي محسن ، من القسام وهو الحسن .
وقوله : «فسلني» أراد : فأدعني لها ، وأقرى بفضلها .

سقاني بيمينه الموى ، وبكفه سُلَافًا ، وحيثاني بها ناقصَ العمد
وله :

طال اشتياقي إلى من كنتُ آلهُ فالعينُ بالدمع ما تنفكُ تَذَرُهُ
اعتصمتُ من قربٍ من أهوى زيارتهُ من كنتُ أكرهه جُهدى وأقذفه
وصار من كنتُ أشتاهُ وأبغدهُ مكانَ من كنتُ أهواهُ وألطفهُ
/ فالنفسُ في قلبي ، والعينُ في أرقٍ والقلبُ في حُرقي مما يُخلقهُ [٦١-١]
من رامَ صرفَ محبةٍ عن أحبهُ فإن قلبي مما لستُ أصرفهُ

٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام

كان من نهاء قومه للروانيين بقرطبة ، وكان له طبع معين في قرض الشعر .
وهو القائل في ابن مات له ، أنشده ابن حتيان :

عيني تجود بمسكوبٍ ومُهرَاقٍ فالمدُّ لله ، ما للموت من باقٍ
وكيف أبقي بلا نورٍ ، بلا بصيرٍ أم كيف ينبُتُ لُحْمٌ زال عن ساقٍ ؟
لا يبعدُ نكَّ بُنَى اللهُ إنك قد لاهيتَ ما كلُّ من في ظهرها لاقٍ

٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

أخو الحكم للذكور، كان من أهل الأدب والشعر . وهو القائل يرثى أباه،
وتوفى والناصر غائب في غزاته سنة خمس عشرة وثلاثمائة :

لِفَقْدِكَ تَهَلُّ الْعِيُونَ وَتَدْمَعُ وَتَهْدُ أَرْكَانُ الْمَالِ وَتَفْشَعُ
وَيُعُولُ مَنْ قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ ضَاحِكًا لِنَفْلَتِهِ فِي ظُلٍّ ثَمَّكَ يَرْتَعُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَبْرُ الَّذِي ضَمَّ جَسْمَهُ سَفَاكَ مِنَ الْأَنْوَاءِ هَتَانُ ثُمُرُوعُ
وَلَقَى كَرِيمًا فِيكَ رَوْحًا وَرَحَةً مَلِيكَ إِذَا مَا شَاءَ يَعْطَى وَيَمْنَعُ
وَكَانَتْ لَهُ كَفٌّ يَفِيضُ نَوَاهُهَا مَدَى الدَّهْرِ عَنْ تَسْكَابِهَا لَيْسَ يُقْلِعُ
وَكَانَتْ لَهُ جَفْنٌ تَجَافَى عَنِ الْكُرَى وَنَفْسٌ تُتَاجَى اللَّهُ وَالنَّاسُ هُجْعُ
وَصُومٌ وَتَسْبِيحٌ وَذِكْرٌ وَخَشْيَةٌ وَطُولٌ صَلَاةٌ أَجْرُهَا لَا يُضَيِّعُ
بَكَيْتِكَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً لَعَلَّ الْبَكَاءَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ يَنْفَعُ
فَلَسْتُ لَشَيْءٍ بَدَدْتُ قَدْرَكَ ظَارِحًا وَلَا لِمَصَابٍ بَدَدْتُ قَدْرَكَ أَجْزَعُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي مَصِيبَةٍ لَهُ مَهْجَةٌ نَحْوُ النَّيَا تَطْلَعُ

٨٥- /عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز [٦١-ب]

ابن أمية بن الحكم الربضي ،

أبو بكر ، الملقب بالحجر

ويقال له البطر شك^(١) بالمعجبة ، ومعناه الحجر اليابس .

(١) البطر شك - كما هو واضح من كلام ابن الأبار - لفظان إسبانيان : *Piedra Seca* .

وقد قال روى *Romey* في تاريخه (ج ٤ ص ٢٧٨) أنه يتقابل اللاتينية *Petra Sicca* ، ولكن دوزي رجح أنها تقابل اللفظين الإسبانين اللذين ذكرناهما . وقال دوزي أيضاً أن عبد الله بن عبد العزيز المرواني ربما لقب بالحجر اليابس لبخله . انظر :

R. DOZY, Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le Moyen Age (Leyde, 1849) 1, 273.

وهي الطبعة الأولى من أبحاث دوزي المعروفة ، وتختلف في فصولها وترقيم صفحاتها عن الطبعتين الثانية والثالثة . والأخيرة هي الحاضرة في أيدي الناس اليوم .

وقد ذكر دوزي - في فصل خاص بترتيب صفحات نسخة الحلة السراء التي نقلت من أصلها في الإسكريال للمكتبة الأهلية في باريس بناء على طلب المستشرق كوفني - أن مجلدًا قدم بعض الأوراق على بعض فاخططت ترجمة عبد العزيز المرواني هذا بترجمة غيره ، وغلط كوفني في منابها دون أن ينتبه إلى الخطأ .

وحياة عبد العزيز المرواني هذا طويلة حافلة بالأحداث ، فقد كان - كما رأينا - يتولى طليطة هشام المؤيد والمصورين أبي عامر . وعاونوه على الخلاص من القائد غالب ، ثم اتهم بالاشتراك مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر في مؤامرة ضد أبيه ، واستركت في المؤامرة أيضاً عبد الرحمن بن مطرف التجيبى المنحولي أمر ثغر سرقطة . ولم تنجح المؤامرة ، ففر عبد الله بن المنصور إلى برمودو الثاني ملك ليون ، فإزال المنصور يسمى حتى أرغم برمودو على تسليمه إليه ثم قتله . وقد فر عبد الله المرواني أيضاً إلى برمودو هذا ، ولاتعلم إن كان قد فر مع عبد الله بن المنصور أو بعد ذلك ، وعلى أي الأحوال فقد ظفر به المنصور أيضاً وسجنه في المطلق . وبعد أن طيف به على حل وهو مقيد ، وبقيّة الخبز يروها ابن الأبار هنا .

انظر ، علاوة على المراجع المذكورة أعلاه : البيان المغرب لابن عذاري : ٢٨٣/٢ - ٢٨٦ .

محمد عبد الله عنان ، النولة العامرية (القاهرة ١٩٥٨) ص ٦٠ - ٦٣ .

وتعليقات الدكتور محمود على مكى على تحقيقه لديوان ابن دراج القسطل (دمشق ١٩٦١)

ص ٣٦٢ تعليق ٢ وص ١١١ تعليق ١ وص ٤٦٠ تعليق ٢ .

أمره هشام المؤيد في بعض الأوقات ، وسدَّ به الثغر ، وفوض إليه أمر طليطلة وقلعه إياها مع خطة الوزارة ، فاستقل بمقاومة غالب^(١) أيام فتنته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة^(٢) .

وكان على مقدمة المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جليقية ، بعد مُنصرَفه من مقتل غالب بالثغر ، في أول الحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرِّجُل . وفيها حَصَرَ سَئُورَة ، وامتنعت عليه قصبُها ، وعمَّ بالتدمير كثيراً من نواحيها ، ومنها حجة در فيها نحو ألف قرية ، معروفة الأسماء كثيرة البيع والديارات . ووصل قرطبة ومعه أربعة آلاف سببية ، وقد حَزَّ قريباً منها من رؤوس السكفرة^(٣) .

(١) أبو تمام غالب الناصري ، صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، شيخ الموالي قاطبة ، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع ، كما يقول ابن عذارى (البيان : ٢٦٥/٢) . كان الوزير أبو جعفر المصنعي (سيحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك) قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لحشام المؤيد ، رغبة منه في الانفراد بالسلطان المطلق ، فاضطربت أحوال الثغر تتيمة للمنافسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التي استغلها محمد بن أبي عامر للوصول إلى السلطان ، وقد سلك إليه طريقاً ملوثة تقوم على الإحتيال على الرجال والإيماح بينهم ، فاسمان بغالب على جعفر المصنعي ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد برفع غالب إلى خطة الوزارتين ، أي وزارة السيف ووزارة القلم ، أي أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى ، واتفق معه على أن يدبر ابن أبي عامر جيش الحضرة ، ويدبر غالب جيش الثغر . ثم صاهره فتزوج ابنته أسماء ، وبمعاونته قضى على جعفر المصنعي . ثم سعى بعد ذلك في القضاء على غالب باستقدام جعفر بن علي بن حمون المعروف بالأندلسي ، وكان نبيحاً من سيوخ زفانة المواليين لبني أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمر المدونة ، واستعززه وولاه للقيادة . وشمر غالب بفرس ابن أبي عامر ، ويدعو أنه استعان بالناصرى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل في معركة بين رجاله ورجال ابن أبي عامر .

راسع ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٦٢/٢ - ٢٧٩ .

(٢) يفهم من هذا أن غالباً دعا عبد الله بن عبد العزيز المرواني إلى طلب الخلافة لنفسه . ويدعو أن العبارة ينقصها شيء .

(٣) قام ابن أبي عامر بهذه الغزوة في العام التالي لمقتل غالب ، ولم يذكرها ابن عذارى ، ولكنني وجدت في البيان الذي يورده أحمد بن أنس العنزي لغزوات ابن أبي عامر حتى سنة ٣٧٦ هـ

وكان عبد الله هذا أحد رجالات الرواية ، عقلا وشهامة وأدبا ووزارة
علم وإمتاع حديث وطيب مجالسة . ومن شعره ، قال الحنيدى فى تاريخه :
أنشدنى عنه أبو عبد الله بن العلم الطليطلى ، قال : أنشدنى لنفسه :
اجل لنا منك حظا أيها القمر فإنا حظنا من وجهك النظر
رآك ناس قالوا : إن ذا قرأ : قلت : كُفُوا ، فعدى منها خبر ..
البدر ليلة نصف الشهر بهجته حتى الصباح ، وهذا دهره قرأ
والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وجأت إليك الشمس تمتنر^(١)
وأنشده ابن أبى القياض فى [تاريخه] :

ومن لا أسميه مخافة عتبه على أن قلبى مستهائم بجه
وبعض اسمه حاء وبا [....] حروف طواها [....]
عليه سلام الله منى مرددا سلام محب جاد فيه بقلبه
وله :

يا ظالما ظن قتل فى الهوى حسنا كن كيف شئت فظنى فيك قد حسنا
/ طويت حبك حتى ظل ينشره دمع جرى فندا سيرى به علنا [٦٢-١]
أفديك من ساكن فى القلب مسكنه وغائب لم تزل نفس له وطنه
يا قرّة العين ، قد عذبتها سهرأ ومنية النفس ، قد قطعها شجنا

ذكرأ لما ، ومته يتبين أن مقتل غالب كان يوم الأربعاء ثمان بقين من المحرم سنة ٣٧٠ لى قبل
التاريخ الذى يحده ابن الأبار هنا بسة . أما الفتوة التى يشير إليها ها فيسما الندى سمورة
الأولى ، وقد شرح بها ابن أبى عامر يوم الأربعاء ١٩ صفر ٣٧١ وعاد منها السبت ١٤ ربيع الأول
من نفس السنة . ويمكن أن نمزو ما قامت به هذه الحملة من التخريب إلى أن هذه أول حملة كبرى
يشترك فيها جند البربر الذين أتى بهم ابن أبى عامر مع جعفر بن عل بن حمون .

(١) وردت هذه الأبيات مع بعض خلاف فى الألفاظ فى جلوة المتنبس الحديث :
رقم ٥٥٦ ص ٢٤٤ ، والبلغة النصى : رقم ٩٢٣ ص ٣٣٤ ، والمغرب لابن سبيد : ١٠/٢ .

مَا بَالُ قَلْبِكَ يَشْكُو قَرْطَ قَسْوَتِهِ قَلْبٌ يَقَاسِي عَلَيْكَ الْبَثَّ وَالْحَزَنَ
أَمَا هَوَاكَ فَإِنِّي لَسْتُ سَالِيَهُ وَمَنْ يَسْتُ كَدًا فِيهِ فَذَاكَ أَنَا
وَأَشْدُّ لَهُ ابْنُ فَرَجٍ فِي «الْحَدَائِقِ»^(١) :

سُقْيَا لَهُمْ مِنْ ظِلَاضِنِ حَبْتِهِمْ وَشَطَّ الْمَوَادِجِ لَوْثُوا مَكْنُونَا
[١١٠-١] / لَوْ كُنْتُ أَنْصِفُهُمْ عَشِيَةً وَدَعَا مَا عَشْتُ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَةِ حِينَا
أَعْصَانُ بَانَ فَوْقَ كَثْبَانِ النَّقَى فَإِذَا كَلَّظْنَاكَ خِلَتْنِي الْعَيْنَا
أَجْرَى الزَّمَانُ بَيْنَهُنَّ مَدَامَا مَا كُنَّ مِنْ قَبْلِ الْهَوَى يَمْرِينَا
وله مع رسالة حين ظفر به المنصور محمد بن أبي عامر في شوال سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة ، وكان قد هرب أمامه إلى بلاد الروم فسجنه بالمطبق بعد أن طيف
به على جمل وهو مقيد :

فَرَرْتُ فَلَمْ يُبْنِ الْفَرَارُ ، وَمَنْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ لَا يُعْجِزُهُ فِي الْأَرْضِ هَارِبُ
وَوَاللَّهِ مَا كَانِ الْفَرَارُ لِحَالَةٍ سِوَى حَذَرِ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا رَاهِبُ
وَلَوْ أَتَى وَقْتُ الرَّشْدِ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنْ أَسْرَ اللَّهُ لَامِدَ غَالِبُ
وَقَدْ قَادَنِي جَرًّا إِلَيْكَ بَرْمَتِي كَمَا اجْتَرَّ مَيْتًا فِي رَحَى الْحَرْبِ سَالِبُ

(١) سبق أن ذكرنا أن السامع خلط في هذا الموضع خلطاً سيئاً ، فوصل بين ترجمة
أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربيعي ورجلة أبي عبد الله
عبد الله بن عبد العزيز البكري ، ولا أدري كيف وقع الخلط ، وسدو أنه كان ينسخ في روجه
الأول ، ووقف عند بيت : «أما هواك . . » فلما عاد إلى النسخ فتح المخطوط باحثاً عن عبد الله
ابن عبد العزيز بن أمية ، فوقع في صفحات أبي عبد البكري ، فعسى فعل عرسته خلطه حتى
خرج من أهل القرن الخامس ، ثم تنه إلى أن جزماً كبيراً من المخطوط لم ينسخ ، فعاد بسدرك
ما قسى نسخته ، ولكنه لم يصلح الخطأ ، وهكذا وصلنا المخطوطة الوحيدة من الخلط .
وطاهر أن ابن مرج البياضي لا يمكن أن يروي شعراً لأبي عبد البكري ، لأنه مات قبله
يزمن طويل ، ولا يمكن أن يروي لعبد الرحمن المستطهر ، لأنه مات قبله كذلك . ولهذا فقد رجعت
أن هذه الأبيات لأبي عبد الله بن عبد العزيز المرواني هذا ، فجعلتها في هذا الموضع .

وأجمع كل الناس أنك قاتلي ورئت ظن ربه فيه كاذب
وما هو إلا الاتصام فتشتني وتركك منه واجبا ، لك واجب
وإلا فنفو يرتضى الله فمسله ويجزيك منه فوق ما أنت طالب
ولا نفس إلا دون نفسك ، فليكن على قدرها قدر نفى أنت واهب
فماخاب من جدواك مذ كنت سائل ولا رد دون البتني عنك راغب
وقد منحت كفاك ما يُعجز الوري وعمت عموم النيث منك للواهب
ولان سم تأخير نفسي فليكن لتتلفها من حاجب الملك حاجب
فما زال سباقا إلى كل خصلة يسير بها في الأرض ماش وراكب
فلا انك لي مولى أود بزيه فيصرف عن الخطب والهر تائب

وله أيضا يستشف بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور :

[١١١-١] / ألا أيها الحاجب للرجي وأكرم من كان أو من يكون
دعوتك دعوة مستمرخ أحاطت به وأثخنته التنون
فإن لم تشق فمن ذا الذي يلوذ به الخائف المستكين ؟
جمعت التقى والملى والثنى فال مُذال وعرض مصون
وتفريج عتاء عن حائن يعود بك الحى وهو الدين
قل لي : لما ! من عثار له أناديك والموت لي مستين
وإن جل ذنبى فأت الجليل وهل لك فيمن عليها قرين ؟

ومن خبره أنه أقام مسجونا إلى أن مات للمنصور ، وولى ابنه للظفر عبد
الملك حجابة هشام ، فأطلقه واستحله لأبيه ، وخلع عليه وولاه الوزارة وخص

به ، فلم تطل حياته ، وتوفي غازياً مع عبد الملك غزاته الأولى سنة ثلاث وتسعين بمدينة لاردة ، وقبره بمسجدها .

وكان جَلَدًا في محنته ، كثير الدعاء والضراعة ، قد رزق من الناس رحمة . ولما أسلمه برمند ملك الجلائقة^(١) مضطراً إلى قهات المنصور وطيف به ، كان قدامه [من] ينادى : « هذا عبد الله بن عبد العزيز ، المغارق لجماعة المسلمين ، النازع إلى عدوم ، للظاهر له عليهم ! » ، فكان هو يرد عليه ويقول : « كذبت ! بل نفس خافت فقرت تبني الأمن من غير شرك ولا ردة » . ولم يعرض المنصور لمنازله وضياعه ، أطلقها لبيته مدة اعتقاله .

٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن

الناصر ، أبو عبد الملك

هو الطليق ، وقيل له ذلك لأنه سُجن في أيام المنصور محمد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك فسُي « الطليق » .

وكان - فيما قيل - يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ، ثم إنه استأثر بها ،

(١) هو يرمودو الثاني Bermudo II ابن رنمير الثاني Ramiro II ملك ملكة ليون وأشتريس وجليقية من سنة ٩٨٢ إلى ٩٩٩ م (٣٧٢ - ٣٩٠ هـ) معاصر المنصور ابن أبي عامر وصاحب الوقائع الكثيرة معه . وهو الذي بلغ إليه عبد الله بن المنصور ابن أبي عامر وعبد الله بن عبد العزيز المرواني هارين خوفاً من المنصور بعد انكشاف مؤامرتيها عليه ، وقد استطاع المنصور أخيراً الحصول عليهما . أما عبد الله ابه فقد قله ، وأما عبد الله المرواني فقد سمته حتى كان من أمره ما يحكيه ابن الأبار .

انظر : تعليق الدكتور محمود علي مكي على القصيدة رقم ١٢٨ من ديوان ابن دراج القسطلي (دمشق ١٩٦١) ص ٤٦٠ هامش ٢ .

فاشتدت غيرة مهوان للملك ، واتقصى سيفاً ، واتهز فرصةً في بعض خلوات أبيه معها قتلته . وعُثر على القصة ، فسُجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وهذا من نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة أربع مائة .

وكان أديباً شاعراً كثيراً ، وأكثر شعره في السجن . وإما ذكرته — [١١١-هـ] وليس من شرطى في الإتيان بالأسماء والتأمرين ومن قُرْب إليهم دون مَنْ بُعِد من البنين — تقول أبي محمد بن حزم : « أبو عبد الملك هذا في بني أمية كابن للمنز في بني العباس ، ملاحه شعر وحسن تشبيه »^(١) ؛ فخذفه من هذا المجموع هو للمترنص [عليه] حقيقة لا إثباته واحتلاب محاسنه ، وانحطاً مع الاجتهاد معفو عنه . ولمسلى قد أثبت في ما أثبت بما هو قريب منه . ومن شعر الطليق في ممتقله :

ألا إن دهرأ هادماً كل ما نبى سيئلى كائىلى ، ويفى كائىلى^(٢)
وما التوز في الدنيا هو العوز ، وإما يفوز الفقى بالرجح فيها مع النّئين
يُجَارَى بؤس عن لذيذ نعيمها ويُنْجَى الرّدى عما غدت كفه تجنى
ولا شك أن الحزن يجرى لناية ولكنّ نفس اللره سيئة الظن
وله يصف السجن :

في منزل كالليل أسود فاحم داجي النواحي مظلم الأنباج

(١) عارة ابن حزم في الجهرة (ص ٩٤) : وأما مروان بن الناصر ، فن ولد مروان الطليق ، وأخوه عبد الملك ، ابنا عبد الرحمن بن مروان بن الناصر . كان مروان هذا من الشعراء المعلقين المحسنين ، وأعقب أربعة : يزيد أبو جالد ، وليد أبو ليلى ، وعبد الله أبو إمامة ، وأريد أبو زيد ، وأخوه عبد الملك ساكن الآن بدروقة .

(٢) ورد في المامش إلى يمين هذا الصطر : « أخذ قول الحترى برهته : سقى مثل ما نفى وتلى كما نبى ، ويدرك منك ثار

يَنُودُ والزَّهْرَاءُ تُشْرِقُ حَوْلَهُ كَالْحَبْرِ أُودِعَ فِي دَوَاقِ الْعَاجِ
وَلَهُ فِي النَّسِيبِ :

أَقُولُ وَدَعَى بِسْمَلُ وَبَسَنَحُ وَقَدْ هَاجَ فِي الصَّدْرِ التَّغْلِيلُ الْمُبْرَحُ
دَعُونِي مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنِّي رَأَيْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي الْحُبِّ يَقْبَحُ
لَقَدْ هَيَّجَ الْأَضْحَى لِنَفْسِي جَوَى أَسَى كَرِهْتُ لِلنَّايَا مِنْهُ لِنَفْسِ أَرْوَحِ
كَأَنَّ بَيْنِي حَلَقَ كُلَّ ذِيحَةٍ بِهِ ، وَبَصْدَرِي قَلْبَهَا حِينَ تُذْهِجُ
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي ، هَلْ لِمَوْلَايَ عَطْفَةٌ يَدَاوِي بِهَا مَنَى فَوَادٍ مَجْرَحُ ؟
يَمُنُّ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي فَوْقَ خَدِهِ مَكَانَ سَوَادِ الْبَدْرِ وَرَدُّ مَفْصَحِ
تَفَنُّعَ بَدْرِ التَّمِّ عِنْدَ طَلْوَعِهِ خَافَةٌ أَنْ يَسْرَى إِلَيْهِ فَيُفْصَحِ
قَلْبْتُ لَهُ : يَا بَدْرُ أَصْفَرُ قَدْ غَدَا عَلَيْهِ رَقِيبٌ لَعْدَا لَيْسَ يَبْرَحُ
لَعَمْرِي لَدَاكَ الْبَدْرُ أَجَلُ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُ مِنْ بَدْرِ التَّمَامِ وَأَمْلَحُ
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ / فَرِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

[١١٢-١]

غَصْنٌ يَهْتَزُّ فِي دِعْصِ نَقَى يَحْنَقِي مِنْهُ فَوَادِي حُرَقَا
بِاسْمٍ عَنْ عَقْدٍ دَرٍّ خِلْتُهُ سَلَبَتُهُ لِسَنَاءِ الْعُنْفَا
سَالٌ لَامُ الصَّدْغِ فِي صَفْحَتِهِ سِيلَانُ التَّبَرِّ وَاقِيَ الزَّوْرَقَا
فَتَنَاهَى الْحَسَنُ فِيهِ ، إِنَّمَا يَحْمُنُ النَّصْنُ إِذَا مَا أَوْرَقَا
رَقٌّ مِنْهُ الْخَمْرُ حَتَّى خِلْتُهُ مِنْ نَحْوِ شَفَقِهِ قَدْ عَشَقَا
وَكَانَ الرَّدْفُ قَدْ تَبَيَّهَ فَعْدَا فِيهِ مَعْنَى قَلَقَا
نَاحِلَا جَارِرٍ مِنْهُ نَاعِمًا كَحَيْبَى ظَلَّ لِي مَمْتَقَا
عَجَبًا إِذْ أَشْهَامَا ، كَيْفَ لَمْ يُحْدَاثَا هَجْرًا وَلَمْ يَفْتَرَقَا ؟

ومنها يصف الخمر :

رب كأسٍ قد كستَ جَنَحَ الدجى ثوبٌ نُورٍ من سناها أشرقا
بثَّ أسقيها رشا في طرفه سِنَّةٌ نُورٌ عيني أرقا
خَفَيْتَ لَمَعِينَ حتى خَلَّتْهَا تتقى من لحظة ما يُتَقَى
أشرقت في ناصعٍ من كفه كشاع الشمس لاقى الفلقا
وكان الكأسَ في أُمِّهِ صفرة النرجس تملو الورقا
أصبحت شمسا وقوه مغربا ويدُ الساق المحيى مشرقا
فإذا ما غربت في فـ تركت في الخلد منه شَفَقا

ومنها في أوصاف شق :

وغمامٍ هطلٍ شؤبونه نادَمَ الروض ضغى وسقى
فكان الأرضَ منه مطبق وكان النَّصب جانٍ أطيحا
حلح البرق على أرجائه ثوبٌ وَشِيٍّ منه لما برقا
وكان العارضَ الجَوْنَ به أدهم خلى عليه يلقا
/ وكان الريحَ إذ هبَّتْ له طيرت في الجو منه عَمَقا [١١٢هـ]
في ليالٍ ضلَّ سارى نجمها حائرا لا يستبين الطرقا
أوقدَ البرقَ لما مصباحه فاشفى وجهه دُجَاها مُشرقا
وشدا الرعدُ حينما عثرت أكوُسُ للزنِ عليه عرقا
وغدت تجذبه الشمسُ وقد ألحفته من سناها نَمْرُكا^(١)
فكان الشمس تُخفى نفسه غُرَّةُ المشوقِ تُخفى الشَّيْقا

وكان الورد يعلوه الندى وجنة المحبوب تندی عرقا
يتفقا^(١) عن بهار قمر خيلته بالورد يطوى ومقا
كالجبن الوصولين غذا حجلًا هذا ، وهذا فريفا
وردت منه إلى شمس الضحى حلق للنور تضي الخدما
وكان القطر لما جادها صار في الأوراق منها رثبا
ومنها في الفخر :

من فتي منى لباس وندى ومقال ومقال وتقي ؟
شرفي نفسي ، وحلي أدبي وحاسي مقل عند اللقا
ولساني عند من يخبره أفوان ليس بشيه الرق
ويمنى بمن عاب مفسر جمعت حمدا غذا مفترقا
جدى الناصر للدين الذي فرقت كفاه عنه العرقا
أشرف الأشراف ضا وأبا حين يعلوه وأمل مرتقى
أنا نخر العشيين وبى جد من نغم ما أخلقا
أما أكسو ما عني من مجدم بحلى روقى شمرى روقا

[١١٣-١] / وله أيضاً يصف السحاب ، أشده له أبو الحسن علي بن محمد بن أبي
الحسن القرطبي في كتاب « الفرائد في التشبيه من الأشعار الأندلسية »
من تأليفه :

فكان الغمام صب عيذ أن بالعد حرقه واشتكاء
وكان البروق نار جواه وألحيا دمه يسيل بكاء

وله أيضاً :

كأنما إنسانٌ أجنأها للخصر من تحييرها مدمنٌ
وليس إنساناً ولكنه هاروتٌ في مقتلها يسكنُ
وله في طول الليل :

فما بال صُبحى قد تقارب خطوهُ فأجلاً حتى ليس يُرجى قدوهُ
كان نجومَ الليل قيدها الدجى وأوقتها في موضع لا تريمه
وله في الرسوم :

ربَّعٌ تربست^(١) النجوم لأهلِهِ ورمامٌ ريب الزمان قَرَطَا
فكأنه مما تقدم عهدُهُ ربحُ امرئ القيس القديمُ بَسَمَا
وله في مثل ذلك :

فبقيتُ في العرصات وحدى بدمى حيران بين معاهد ما تُهدُ
فكأنهن ديار حَيٍّ إذ خلتُ وكأنتي غَيْلَانٌ فيها يُنشدُ
وله :

وكان للياء فيها ثمايه من بَلَجَيْنِ تَبَعَّتْ في السواقِ
وكان الحصباء في رونقٍ للآ سنا الدرُّ في بياض التراقِ

* * *

(١) في الأصل ، وفي دوزى (ص ١١٨) : تربست .

ومن أبناء الإدارة الحسنيين :

٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحسني

كذا قال فيه ابن حبان ، وقال الحميمي : إبراهيم بن إدريس العلوي الحسني اللبوز بالمزبل . كان أديباً شاعراً ، وكان في أيام النصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر ، وعاش إلى أيام الفتنة . أصله من المغرب ، وسكن قرطبة إلى أن سيّره ابن أبي عامر عن الأندلس ، فمِن سيرة من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قنّون كبيرهم ^(١) . وهو القائل يخاطب المروانية بقرطبة ، لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام للزبد واستبداده بالأمر دونه :

(١) يشير ابن الأبار بذلك إلى ما كان بين الحسن بن كنون آخر مثل لسلطان الإدارة في المغرب والنصور بن أبي عامر . والحسن بن كنون هو من أبناء القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس ، والقاسم هذا - واسمه كنون - هو الذي صم بقايا دولة الإدارة بعد أن شئت ثملها قواد الميدين واحتلوا فاس . فأقام القاسم كنون دولة قاعدتها حصن صغير يسمى حجر النبر ، وتوفي سنة ٣٣٠ وخلفه ابنه أبو العتس . ولم تستطع هذه الدولة الإدريسية أن تقوم بنفسها ، فكانت طوراً تخضع للأمويين الأندلسيين وطوراً للميدين ، ولكنها كانت في الغالب في حماية بني أمية ، وقد بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر ، ويعونه استطاع أن يمد سلطانه حتى سجلماسة . وكان الناصر قد أسولى على سبغة ، وأراد أن يصب إليها طنجة يملك بيده مفتاحي الزقاق . وبعد حرب طويلة ، استولى عليها وانقل أبو العيش إلى بصرى المغرب الأقصى غير بعيد عن حجر النبر ، واستولى قواد عبد الرحمن الناصر على معظم نواحي شمال المغرب الأقصى من تاهرت إلى طنجة . ورأى أبو العيش أنه لم يبق له من الأمر شيء ، فكانت الناصر واستأذنت في الانتقال بأهله إلى قرطبة ليشارك في الغزوات التي كان الناصر يقودها على عمالك النصرى ، وقد اشترك أبو العيش فيها بالفعل واستشهد سنة ٣٤٨ .

وبعد أن عزا جوهر الصقل المغرب الأقصى غزوته المغربية التي احتل فيها فاس وقضى على كل أثر لسلطان الأمويين في المغرب (٣٤٨ - ٣٥٠) اضطرب الحسن بن كنون نحو أبي العيش وخليفته في البصرة إلى الفخول في طاعة الميدين ، فلما انصرف جوهر عاد إلى الأمويين ، فماد القاطمون وبشوا بلقين من زيرى بجيت كتيّف إلى المغرب فتدخل الحسن بن كنون في طاعته . وبعد انصراف بلقين أرسل الحكم المستنصر قائده غالباً الباصرى ، فحصر منه الحسن =

فيا أرى عجبٌ لمن يتعجبُ جلت مصيبتنا وضاقت المذهبُ
إني لأُكذِبُ مقلتي فيا أرى حتى أقولَ غِلَطْتُ فيا أحسِبُ
أَيكونُ حيًّا من أُميَّةٍ واحدٌ ويسوس هذا الملكَ هذا الأُحَدْبُ ؟
تمشي عساكرُهم حوائِهُم هودجر أعواده فيهن قسردُ أشهب
أبني أُميَّةٍ أين أقارُ الدجى منكم ، وما لوجوها تنصيب ؟
هذا ما أورد ابنُ حَيَّان في أخبار الدولة العمارية من شعره .

وقال الحَمِيدِي في كتابه : رأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة
هذيل بن خلف بن رَزِين صاحب القلاع ويهجو في دَرَجها غيره ، أولها :

للبَّين في تعذيبِ نَمَى مذهبُ ولنائباتِ الدهر عندي مطلبُ
أما ديونُ الحادثاتِ فإِنها تأتي لوقتٍ صادق لا تكذبُ
والبين مُعرى كيدُهُ بأولى الشئى طبماً تطَّبع ، والطبيعة أغلبُ
ومنها :

أيفتُ أني للرزايا مطعمُ ودى لوافدة للكاره مشربُ
فأنا من الآفاتِ عرضُ سالمُ وجوانحُ تُكوى وعقلُ يذهبُ

= ابنُ كُتُون في حجر النسر ، ولكنه استسلم أخيراً وأخذ وجميع أهله إلى قرطبة حيث أكرمته
الحكم المستنصر ، ثم اغتطف معه فنتجه وأخرجه إلى المشرق حيث نزل على العزيز بالله الفاطمي ،
فسيره في جيش إلى المغرب سنة ٣٧٣ . فلما صار الأمر في قرطبة إلى محمد بن أبي عامر أرسل
قواده وجيوشه إلى المغرب ليصاروا إلى الحسن بن كُتُون ، وقد تمكنوا من استنزاله على أمان
المنصور ، ولكن هذا غدر به ولم يحض أمانته وقله سنة ٣٧٥ . وقد وصف ابنُ عذاري (البيان
المغرب : ٢٨١/٢) مشهد قله وما صاحبه من رعد وبرق دلالة على الغضب الإلهي لتلك الجريمة .
وكانت تلك هي النهاية الأخيرة للإدارة الحسينية .

انظر : الاستقصا (الدار البيضاء ١٩٥٤) : ١٩٤/١ - ٢٠٥ .

ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٨١/٢ . وقد روى ابن عذاري نفس الأبيات التي رواها
ابن الأبار .

ولم يذكر منها سوى هذه الأبيات ، فيشبه أن يكون فيها ما أنشد ابن
حيّان ، ويشبه أن يكون قطعة في التصور على أفراد ؛ والظاهر أن الهمداني
تركها ولم ير إثابتها .

* * *

ومن رجال الرواية في هذه المائة :

٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني

[١١٤-١] / هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بن يزيد بن الشير
من همدان ؛ وخالد يقال له « الغريب » ، وسُي بذلك لأنه أول مولود من
العرب الشاميين بـكورة البيرة^(١) . كان أبوه محمد بن أضحى صاحب حصن الحمة
من أعمال البيرة زمن الفتنة^(٢) ، وقام بأمر العرب بعد قتل سميد بن جودي ،

(١) ذكر ابن حيّان (المقتبس - ملشور أنطونيا ، ص ٣١) جبر محمد بن أضحى
ابن عبد اللطيف الهمداني التاجر أيام الأمير عبد الله ، وما كان بينه وبين سميد بن جودي من عدواة ،
ثم ذكر دخوله في طاعة الأمير عبد الله واشتراكه في حرب عمر بن حفصون ، ثم استنزل
التاجر له فسنن من استنزل من التوار واستنداه إلى قرطبة سنة ٣١٣ حيث عاش في كنفه .
قال ابن حيّان : « وكان ابن أضحى هذا مع رجوليته أدباً بيتاً يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل
والمقارم ، فيحسن القول ويطلب الثناء ، وله أخبار معروفة » .

وقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة (بحقيق الأستاذ محمد عبد الله عتّان ، القاهرة ١٩٥٥ ،
ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٨) أحمد بن محمد بن أضحى هذا وساق نسب : ابن عبد اللطيف بن غريب
ابن يزيد . . الخ ، أي أنه وضع « غريب » موضع « خالد » . وقد فسر لنا ذلك ابن الأبار
صمما قال إن حاله كان يسمى بالغريب . وأورد ابن الخطيب قطعة من الخطبة التي ألقاها أحمد
هذا بين يدي الناصر ، وأورد له بيتين لم يوردهما ابن الأبار ، ثم قصيدة « أيا ملكاً » بأكملها .
(٢) يريد القصة الأولى أيام الأمير عبد الله ، انظر التعليق السابق .

وتمسك بموالاة الأمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته ، وأورث عقبه نباهة
ورياسة انسجت عليهم دهرًا .

وثار منهم القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن أحمد هذا
بفرناطة في المائة السادسة ، وسأذكره هناك إن شاء الله عز وجل .

وقدم أحمد بن محمد مع أبيه علي الناصر عبد الرحمن بن محمد ، بإخمين
بطاعته ، داخِلين في جماعته — وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأفصحهم لساناً ،
وأشبههم نفساً ، وأوسهم أدباً — فأجل الناصر لقاءهما ، وأحسن قبولهما ، وأعلى
منازلهما ، وأجزل عطاءهما . وقام أحمد هذا يومئذ بين يديه خطيباً ، ثم أنشد في
إثر خطبته :

أَيَا مَلِكًا تَزُومِي بِهِ قَضْبُ الْمَدِيدِ إِذَا لَمْتُ فَوْقَ الْغَاوِرِ وَالسَّرْدِ
وَمَنْ بَأْسُهُ فِي مَنِهْلِ اللَّوْتِ وَارِدٌ إِذَا أَنْفَسُ الْأُطْطَالِ كَفَّتْ عَنِ الْوَرْدِ
وَمَنْ أَلْبَسَ اللَّهُ اخْتِلَافَةَ نَمْعَةٍ بِهِ ، قَانَتْ التَّعْمِي لَجَلَّتْ عَنِ الْمَدِّ
تَجَلَّى عَلَى الدُّنْيَا فَجَلَّى ظِلَالَهَا كَمَا انْجَلَتْ الظُّلُمَةُ عَنْ قَرِ السَّمَدِ
إِمَامٌ هَدَى زَيْلَتْ بِهِ الْأَرْضُ بِهِجَةً مَلْبَسَةً نَوْرًا كَوُثَيْبَةَ الْيُودِ
كَفَانِي لَدَيْهِ أَنْ جَمَلْتُ وَسِيلَتِي ذِمَامًا شَأَى الْمَوَى غُلْصَمَ الْوَدِ
وَأُنْشِدْ لَهُ صَاحِبُ « الْحَدَائِقِ » :

هُوَ كَذَّرَ الْوَاشُونَ مِنْهُ الَّذِي صَفَا وَتَمَوَّا بِأَفْوَى الْإِفْكَ عَنْ مَرْخَرَفَا
وَشَوَّا وَأَصَاخَتْ أُذُنُ خِلِّي فَمَا وَقَوَا بِتَبْلِيغِهِ مَا لَمْ أَقْلَهُ وَلَا وَقَى
/ وَهَلَا — كَمَا أَنْصَفْتُهُ فِي حَبِيئِي — تُنَامُ عَلَى الْأَعْقَابِ مِنْهُمْ فَأَنْصَفَا ؟ [١١٤-سب] هَوَانَا ، فَلَا أَنْ رَأَى هَجْرَنَا اشْتَقَى
فَلَا كَانَ وَاشٍ كَانَ دَاهِ ضَمِيرِهِ فَمَا قَرِيبَ يَنْطَفِي ، أَوْ قَدْ انْطَفَى
وَلَا يَفْرَحُوا أَنْ أَوْقَدُوا الْمَجَرَ جَاهِمًا

٨٩- لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى

كان أبوه من كبار الثوار في أيام الأمير عبد الله بن محمد ؛ سماه ابن حَيَّان في أعلام الخلفين عليه ، وجعله ثانياً لِدَيْسَم بن إسحاق صاحب تَدْمِير ، وبعده ذَكَر إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية . وكان ملك جبل شمتان وما يليها من كورة جَيَّان ، وامتد إلى حصن قَسْطُلُونَة وغيره ، وانطلقت يده فتبَكَ النَمَّة وبنى للبانى الفخمة . وأظهر الإذعان وقفاً ، بعد وَقِيعة جرت عليه ، وألزم حل قطع من لال فورق عليه عما في يده ، فلما رُوِيَ عاد إلى غيه فسكت ، ووالى عبيد الخلفين عمر بن حفصون ، وواصله بالعصر من أسفل ، فزوج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون ، وقلها إليه بِبَيْشَرُ ، ووصل يده بيده ، فاعتز جانبه . وكان عبيد بن محمود [الشاعر الأديب]^(١) كاتباً لمبيد الله ، ومتصرفاً في خدمته . مكثراً من مديحه ، واحصاً لمغازيه ومبانيه وأحواله وأوصاف الشراء لأكار الملوك ، يستحسن ذلك منه ويمزله عطيته عليه ، فشعره في ذلك مشهور ؛ ومنه قوله في وصف قصره :

قصر لأمير أبي مروان مُنْتَسَخٌ من جفنة الخلدِ بالسراء معمورٌ
فيه مجاس قد سِيدَتْ على عِدْرِ بُنيانها مرمرٌ بالتبر مطرورٌ
ونازع الفتحُ بن موسى بن ذى النون عبيدَ الله حصناً أورثهما حرباً ، فقلبه
عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه ، وتبين بحضور ابنه لب بن عبيد الله
معه في وجهه هذا ، فقال عبيد بن ذى النون في ذلك شعراً طويلاً منه :

(١) نقل ابن الأثير هذا الكلام كله عن ابن حيان (المقتبس ص ٩-١٠) وأسقط
هذه الجملة على أهميتها ، فأنهت بها زيادة في التصريف بميليس بن محمود .

جاء البشير بما عم السرور به / عن الأمير أبي مروان في السفر
قلتُ ، حين سألناه فأخبرنا : بالله قل وأعد يا طيب الخبر
يُمنُّ لبُّ أبي عيسى وغزوته / فاز الأمير على الأعداء بالظفر
يقول فيه :

قاد الجيوش إلى الأعداء مذرعاً / يَصْلَى الوغى بالوغى في سِنٍّ مُثْفِرٍ^(١)
من تحته فرسٌ ، في كفه قبسٌ / يرى الشياطين في الهيجاء بالشرير^(٢)
وعجز البيت الثاني من هذه الأبيات منقول من قول أبي نواس :

يا ذا الذي عن « جنان » ظلَّ يخبرنا / بالله قل وأعد يا طيب الخبر

ولما غزا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد غزوة الأولى إلى جَبَّان ،
خرج إليه عبيد الله مقاتلاً^(٣) في طاعته إياه ، فأمر بالقبض عليه وأرسل إلى
معاقله مَنْ ضبطها وحل عياله إلى قَرْطَبَة ، فصار في الديوان بها في أعلى
لللاحق^(٤) . وصرفه الناصر في ضروب من خدمته سكن منه فيها إلى نصاحة
وثقة ، فصرفه من أجل ذلك إلى معاقلة بشتان واليا من قبله ، لانتياث أحبه
من أهلها — ولا رعية أجهل منهم — فأصلحها عبيدُ الله وأقام بها إلى أن صرفه
ثانيةً عنها وأعادته إلى مصافه .

وكان ابنه لبُّ بن عبيد الله أديباً شاعراً حسن التصرف ، وهو القاتل ،

(١) المنفر هنا كتابة عن صخر السن ، لأن المنفر هو القتل الذي قتلت أسنانه .

(٢) أورد ابن حبان (المتيسر ، ١٠ - ١١) أبياتاً كثيرة أخرى من هذه القصيدة .

(٣) مقاتلاً أي منقاصاً من طاعته ، والمراد أنه قصر في طاعته للناصر .

(٤) الملحق ، وجهه ملاحق ، هو التقيد في ديوان الطاء ليصرف له راتب شهري
وما يتيمه ، والمراد أنه يقرر له راتب من أكبر ما كان يعطى لأساقفة من السالبيين الذين استنزلهم
للتناصر وأتى بهم إلى قرطبة ليمشوا في أمان على رواتب تصرف لهم وللقوم .

أنشد له أبو الحسن بن أبي الحسين القرطبي في كتاب «الفرائد» من تأليفه في التشبيه :

صَابَحَتْهَا وَالرَّوْضُ يُنْطَعُ مِسْكُهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّيْلِ بَاتَ مَخْلَقًا
وَالْوَرْدُ يَبْدُو فِي الْغُصُونِ كَأَنَّمَا أُنْحَى يَقَارِبُ مِنْ نَدَاهُ قَرَقَفًا^(١)
وله في الخيل :

وَكَأَنَّمَا الْخَيْلُ إِنْ أَبْدَى النِّجْسَ^(٢) أَسْرَارَهُ عَنْ نَشْرِ مِسْكٍ أَذْفَرَا
لَمْ يَرَأَى بِالنَّهَارِ زَهَادَةً خَوْفًا وَيَقْطَعُ لَيْلَهُ مُنْتَظَرَا
وله :

وراهقة عنها السيوف كأنها عيون يروع الليث فيها حَيْرُهَا
/ إذا غشيتها البيض تشي بنورها كأن سناها من أذاها مُجْبِرُهَا [١١٥هـ]
كأن فؤادي فوق رأسي صلابة فكل حسام ينضحها كَسِيرُهَا
يصف بيضة حديد . ومن هذه القصيدة في وصف ترس :
وَمِمَّتِلِ^(٣) قَرَصَ النَّزَاةِ فِي يَدِي حِجَّتْ بِهِ وَالْخَيْلُ تَدْعِي نَحْوَرُهَا
تَقْلُبُ مِنْهُ الْكَفَّ مِفْتَطِلِ^(٤) الْفَنَّا فَلَا آتَى إِلَّا إِلَيْهِ مَصِيرُهَا

٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى

مولي عبد الرحمن بن معاوية ، الحاجب الوزير ، أبو الأصم .

- (١) القرقف اسم من أسماء الخمر : ويقارب القرقف ، أي يشربها ، مقتبس من قوله تعالى : «ولا تقرّبوا الخمر» .
(٢) كلما ، والوزن لا يستقيم على هذه الصورة ، ولعل صواب هذا الشعر : «وكأنما الخيل إذا أبدى لنا» ، كما أن كلمة «النرجس» تبدو مقعمة لا مكان لها في هذا الموضع .
(٣) أي : وشبهه بقرص الشمس .
(٤) الأصل : مفتطس ، ولا يستقيم به الوزن .

كان - مع رئاسته وجلالته ، ونباهة سلفه واستعماله في السكوك وسننات الخلط - من أهل العلم والأدب والشعر . وأول ما تصرف فيه للأمير عبد الله خطة القطع^(١) ، ثم ولي خطة المدينة ، وعُزل عنها ، وأعيد إليها . ولما أفضت الخلافة إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد أقره على المدينة ، واستوزره يوم استخلافه ، ثم استجبهه عند وفاة بدر في سنة تسع وثلاثمائة ، فاضطلع واكتفى .

وكان الوزير عبد الملك بن جهور يقول : « ما رأيت مثل موسى : لم يجمعه أمير للمؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجدل والمزل » .

وتوفي للنصف من صفر سنة عشرين وثلاثمائة - وقيل في آخر سنة تسع عشرة - فلم يستجيب الناصر بعده أحداً . وكان يحجبه عند قعوده لسلام الأجناد ، ولوفود الأطراف ، ورسل الأمم وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى^(٢) على مراتبهم مع سائر الخدمة . ومن شعره قوله يمدح عبد الرحمن الناصر ويذكر هيئته :

(١) القطع جمع قطعة ، وهي في المصطلح الإداري التي يستعمله ابن حيان مبلغ من مال الجباية تنهض بأداءه سادة النواحي الذين نعجز الدولة عن السيطرة عليهم ، فتتركهم عليها في مقابل أدائهم إياها . وقد يتهمد المستند بالناحية بأداء العظيمة دون نورة أو قطع لطاعة . وكان أولئك المستببون بالنواحي كثيرين في الأندلس حتى منتصف حكم عبد الرحمن الناصر . وكان هناك لهذا دهبان - أو « خطة » في المصطلح الأندلسي - لهذه القطع^و . وهي تشبه من بعض الوجوه المقاطعات في المصطلح الشرقي ، وتختلف عنها من وجوه أخرى .
انظر : دوزي ، ملحق القواميس ، ٣٧٢/٢ .

(٢) صاحب الخيل هو المشرف على شؤون الخيل اللازمة للجيش وما يحصل بها من سرج وقرابيس وما إلى ذلك . وكانت خطة الخيل وظيفه إدارية في الغالب ، وقد يتولاها قائد من الفواد ، وقد يتقود صاحب الخيل الصوائف .

وصاحب المدينة هو حاكمها ، ويراد بها عادة العاصمة قرطبة .

أما الشرطة العليا والوسطى ففي تقسيمهما خلاف . وقد انتهتا من استقراء النصوص إلى أن الشرطة العليا كانت خاصة بأمن الأمير وقصوره وأهل بيته وكبار الناس ، والوسطى تتعلق بأعمال الشرطة المعروفة ، أي الأمن العام في المدينة نفسها . وفي بعض النصوص ورد ذكره

إذا ما فُرِجَتْ خَلُّ السُّورِ ولاح وقد تمكّن في السِّريرِ
تَرى الأُمَلَكُ مائِلَةً فَيَهْرِ بأعناق إلى النسياءِ صُورِ
كَأَنَّهُمْ لَمِيتُهُ قَدْ أَوْفُوا من اللوت الزعاف على شفيرِ
وله :

أبطأتَ بالإذن على عبدك فإذا بالمعروف من تَجَدُّك
/ قد جُدْتَ لي بالوعد ياسيدي ولم تزل تصدِّقُ في وعدك
[١١٦-١] إن لم يكن من خلعتي شافعٌ فأُخلف ما يصلحُ من عندك
وله :

مُعْظَمُ تَحْسِيرُ الأُلْخَاطُ من رَهَبٍ عنه ، وتلحظه الآمال من رَغَبِ
إذا بدا تضحك الدنيا لطلعت وتنتقى الجنُّ منه سَوْرَةَ النُضْبِ
لما ارتقى في سماء الجود قاد به إلى التبدُّلِ فينا جوهر الأدبِ
وله :

كان العزاه وليّ العهد بمد أمير ن الله ، والمُلكُ وقفٌ بين هذينِ
فصرتُ لما نأتُ عنى وجوهُها كالصقَرِ أصبح مقصوص الجناحينِ
أستودع الله من نفسى فداؤُها ومُلياً العُمُرَ في الدنيا عزيزينِ
تأميلُ هذين قد ناجرٌ ، وأرى تأمِيلَ غيرِها كالذَّيْنِ بالذَّيْنِ
أعدُّ ما حُرَّتْهُ من حُسنِ رأيها مُلْكاً ، أضامى به مُلْكُ العِراقينِ

== للشرطة السفلى واحصائها - فيما ينو - الأسواق والأحياء الدنيا من البلد . وقد حاولت أن أنعرف ما إذا كان صاحب الشرطة العليا ملا هو لمصرف على الأمن العام في مصطلحنا الحديث - ومن ثم فعورئيس الشرطة الوسطى والشرطة السفلى - فلم أستطع تس ذلك بوضوح ، خاصة وأننى لاحظت أن صاحب للشرطة الوسطى كان في نفس المكانة التي كان فيها صاحب الشرطة العليا ، وكان بينهما إيمير أو الخليفة بنفسه .

وحكى ابن حيان أن موسى بن محمد بن موسى بن حدير^(١) — عم الحاجب موسى هذا — وهو للعرف بالزاهد ، كان ممن يُكثر بحالة الأمير عبد الله . ويصل مؤانسته . وكان حدثاً ظريف للشهادة ، مليح العبارة ، إخبارياً ، عتماً ، حَفَظَةً لأخبار دولة مواليه بنى أمية ، مفتناً ، مغوهاً ، بليغاً ، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة ، بديةً ورويةً . قال : فشهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله يوماً وهو حافل بأهل الأدب والعرفه ، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب للذاكرة ، حتى مر ذكرُ الشيب وذمه — وكان الأميرُ عبد الله شديدَ التكره له — فقال جلسائه : « أى شيء تروونه في ذم الشيب أبلغ ؟ » ، فلم يحضر أحدهم شيء ، إلا موسى بن محمد هذا فقال أحسن ما قيل فيه عندي ، قول الأول :

أقول لضيف الشيب إذ حل مفرق : نصيبك منى جفوة وقطوب
حرام علينا أن تدلكَ عندنا كرامةً برِّ أو يمَّسك طيبُ

/ فاستحسنها الأمير وقال له : « اكتبهما يا موسى وزد فيهما ، إن كانت [١١٦هـ] فيهما عندك زيادة » ، فقال : « لا والله يا سيدي ما عندي فيهما مزيد » . وتبعاً الوصيف بإحضار الدرج والدواة لموسى بن محمد^(٢) ، وموسى مطرق أن يتأني^(٣) له القول في الزيادة التي استمطرها^(٤) منه الأمير ، فقال : « قد جاءني يا سيدي — بمذدك -- بعض الذي أردته » ، واندفع فوصل البيتين بقوله :

(١) من هنا ينتقل ابن الأبار عن المقتبس ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الأصل : موسى بن موسى .

(٣) المقتبس (ص ٣٥) : إلى أن تأني .

(٤) الأصل : استطرها ، والتصويب من المقتبس (ص ٣٥) وابن الأبار ينتقل عن ابن حيان هنا حرفاً بحرف .

فياشراً ضيف حلّ بي ، وحلوله يُخَبِّرُنِي أَنْ لِمَاتَ قَرِيبُ
وَأَنْ جَدِيدِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَلِي وَأَنْ مِنْ ثَوْبِ الشَّبَابِ سَلِيبُ
فَا طَيْبُ عَيْشٍ لِلرَّءِ إِلَّا شَبَابُهُ وَلَيْسَ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ يَطِيبُ
سَأْفَرِيكَ بِاضْيَافٍ لِلشَّيْبِ قَرَى الْقَلِي فَتَالِكَ عِنْدِي فِي سَوَاءٍ نَصِيبُ
وَأَبْكِي عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ شَبَابِي بِكَاءٍ مَحَبٍ قَدْ جَفَاهُ حَيْبُ
مَضَى مُسْتَلَكًا لِحَفِي عَلَيْهِ - مَدَى لَدَيَّ فَلَيْسَ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ^(١) يَوْوَبُ
فَسَرُّ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بِمَا أَنَى بِهِ ، وَأَنْتَى عَلَى قَرِيبَتِهِ .

وَأَشْدُّ لَهُ أَبُو عَامِرٍ السَّالِي^(٢) فِي كِتَابِ « حَلِيَةِ الْإِنْسَانِ وَنُضَةِ الْإِنْسَانِ »
فِي التَّشْبِيهَاتِ مِنْ تَأْلِيفِهِ :

لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يَغْفِرُ لِحَفْظِهِ مِنْ شِغَافِ الْقَلْبِ بِالْحَفْظِ الْأَكْلُ
طَرَفُهُ سَاجِرٌ ، وَفِيهِ مَرَضٌ كَمْ حَمِيحٍ قَدْ رَمَاهُ قَتَلُ

(١) الْأَصْلُ : التَّنَاءُ ، وَقَدْ قَرَأَهَا دَوْزَى : التَّنَاءُ . وَصَوْنَهَا مِنْ أَصْلِهَا عِنْدَ ابْنِ حَيَّانَ
(الْمُقْتَبَسُ ، ٣٥) .

(٢) أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدِ بْنِ عَامِرِ الْبَلُوعِيِّ السَّالِي الطَّرطُوشِي ، مِنْ أَهْلِ طَرطُوشَةِ
وَسُكْنِ مَرْسِيَةِ ، وَهِيَ السَّالِي لِأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ مَدِينَةِ سَالَمَ ، مَوْرُخٌ أَدِيبٌ عَمَرُ طَوِيلًا فِي مَرْسِيَةِ
وَتُوفِيَ فِيهَا سَنَةَ ١١٦٣/٥٥٩ . تَرْجَمَ لَهُ ابْنُ الْأَبَارِقِ فِي التَّكَلَّةِ ، رَقْمٌ ٧٢٥ ، وَالضُّبِّيُّ فِي الْبَيْتَةِ ،
رَقْمٌ ٣١ . تَنَسَّبَ إِلَيْهِ كَتَبٌ فِي الْفَلَاكِ وَالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْحَدِيثِ كَمَا يَقُولُ الضُّبِّيُّ ،
فَقُلَّ عَنْهُ ابْنُ عَدَارِي كَلَامُهُ فِي غَزْوِ النُّورْمَانِيِّينَ لِلأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٨٤٣/٢٢٩ ، وَقَدْ نَقَلَ دَوْزَى
هَذِهِ الْقِطْعَةَ فِي « أَبْجَاثِهِ » . الطَّلَعَةُ الثَّلَاثَةُ ، ص ٢٥٥ ، وَنَقَلَ الْمُقَرِّي فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (طَبْعَةٌ
أُورُوبَا) ٨٢/١ قِطْعَةً مِنْ كَلَامِهِ عَنْ فَصَائِلِ الْأَنْدَلُسِ . وَيَنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ ، غَيْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ
ابْنُ الْأَبَارِ : « دُرَرُ الْقَلَائِدِ وَعَرَرُ الْعَوَائِدِ » وَهُوَ أَكْبَرُ كُتُبِهِ وَأَكْرَمُهَا ذَكَرَ فِي الْمُرَاجِعِ ،
وَكِتَابِ « السَّكِّ الْمَنْظُومِ وَالْمَسْكُ الْمُخْتَرَمِ » .

انظر : تَعْلِيقَاتُ حَابِجِجُوسٍ عَلَى تَرْجُمَتِهِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ لِبَرْزِ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ ، ج ١ ص ٣١٣ ،
وَفَهْرَسُ مَخْطُوطَاتِ الْإِسْكِرِيَالِ الْعَزْبَرِيِّ ٤٠/٢ . وَذَكَرَهُ حَابِجِي خَلِيفَةُ تَحْتَ رَقْمَيْ ٧٦١ و ٩٩٧٥
مِنْ طَبْعَةِ أُوْرُوبَا وَيُونِسَ بِيْرِيْسَ ، رَقْمٌ ١٨٧ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

مَنْ يُجِيرِي مِنْ رِشَا الْحَاظِلِ إِعْمَا تُذْكَرُنِي وَقَعَ الْأَسْلُ
وَقَرَأَتْ فِي تَارِيخِ الْحَمِيدِيِّ أَنَّ صُهَيْبَ بْنَ مَنِيْعٍ - وَكَانَ قَاضِيًا بِإِسْطِيلِيَّةٍ -
كَانَ قَتَلَ خَاتَمَهُ :

يَا عَلِيًّا كُلَّ عَيْبٍ كُنْ وَفِيْقًا بِصُهَيْبٍ
وَأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ النَّبِيْذَ - لَمَّا كَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْعِرَاقِ -
فَشْرَبَ ^(١) مَرَّةً عِنْدَ / الْحَاجِبِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ - وَكَانَ مِنْ عِظَاءِ الدَّوْلَةِ [١١٧-١] ^(١)
الْأُمَوِيَّةِ - فَلَمَّا غَفَلَ أَمْرًا بِإِخْتِلَاسِ خَاتَمِهِ ، وَأَحْضَرَ قَهَاشًا فَتَقَشَّحَتْ تَحْتَ الْبَيْتِ
لِلذِّكُورِ :

وَاسْتَرِ الْعَيْبَ عَلَيْهِ إِنْ فِيهِ كُلُّ عَيْبٍ
وَرَدَّ الْخَاتَمَ إِلَيْهِ . وَخَتَمَ الْقَاضِي بِهِ زَمَانًا حَتَّى فَطَنَ لَهُ .

٩١ - أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شَهِيدٍ

الوزير ، أبو عمر

هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَهِيدِ بْنِ عِيْسَى بْنِ شَهِيدِ بْنِ
الْوَضَّاحِ الْأَشْجَبِيِّ .

(١) الْأَصْلُ : فَشَدَّ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ بَفِيَةِ الْمُلْتَمَسِ الْفَسَى ، وَقَدْ أُرِيدَ الْحِكَايَةُ
يَنْصَحُ فِي كَلَامِهِ عَنْ صُهَيْبِ بْنِ مَنِيْعٍ (رَقْمٌ ٨٥٦ ص ٣١٢) .

وَتَرْجُمَةُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْقُرْظِيِّ لَصُهَيْبِ بْنِ مَنِيْعٍ أَوْفَى مَا هِيَ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي رَقْمٍ ٦٠٢
ج ١/١٦٨ أَنَّهُ يَكُنَّى أَبَا الْقَاسِمِ وَأَنَّهُ مِنْ ذَلَامِيَّةِ بَنِي بَنِي مُخَلَّدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ قَاسِمٍ
ابْنِ هَلَالٍ وَمُطَرَفِ بْنِ قَيْسٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ وَلَاهُ قِصَاءَ إِسْطِيلِيَّةٍ
وَأَنَّهُ تَوَفَّى فِي ١٢ رَجَبٍ ٣١٨ .

وقال الرازي إن جدهم مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان الرضاح مع الضحاك بن قيس يومَ تَرْجِ رَاهِط . وشَهِيد بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء في الغلطة السنية ، من الإمارة والحجابة والوزارة والكتابة ، إلى اقراض الدولة الأموية بالأندلس .

وتصرف أحمدُ هذا الناصر عبد الرحمن بن محمد في ولاية السكّور والوزارة وقوّذ الصوائف ، وغزا البشكنس . وهو أول من سُمي بـ « ذى الوزارتين » . وكان من أهل الأدب البارع . حكى الحنيدى عن أبى محمد بن حزم بسند ذكره أن أحمد بن عبد الملك هذا زار عبد الملك بن جهّور الوزير — وكنا جميعاً بخدمان الناصر عبد الرحمن — فوافقه محبواً ولم يمكنه الاجتماع به ، فكتب إليه :

أتيناك ، لا عن حاجة عرضت لنا إليك ، ولا قلبٍ إليك مشوقٍ
ولكننا زرنا — بضمف حقولنا — حاراً تولى برّنا بمقوقٍ
فأجابه ابن جهّور بقوله :

حجبتك لما زرتنا غيرَ تائقٍ بقلبٍ عدوٍّ في ثيابٍ صديقٍ
وما كان يطار^(١) الشأمَ بموضعٍ يباشر فيه برّاً بخليقٍ
وذكرتُ بقول ابن شهيد قولَ عبد الملك بن سعيد المرادى الخازن :
ما حمدناك إذ وقفنا ببابك للذى كان من طويل حجابك
/ بل دَمَمنا الزمانَ فيك وقلنا : أبعد الله كلَّ دهرٍ أتى بك !

[١١٧ب]

(١) عبد الملك بن محمد بن جهور يعبر أحمد بن شهيد في هذا البيت بما يقال من أن جده وضاحاً كان يعمل يطاراً في الشام قبل أن يتنعم معاوية بن مروان بن الحكم وينسب في ولاته .

ولأبي عمر بن شهيد :

جريتُ مع العشاق في حَلْبَةِ الْوَجْدِ فقاتهم وضلّ وما عرفوا جهدي
وما نهج العشاقُ في الحب منهجاً ولا سلكوا إلا السيل التي أهدى
وما أضمر العشاقُ في الوجد غايةً من الشوق إلا وهي من بعض ما أبدى
وما ضعفوا عن حلِّ ثقلٍ [.....] [.....] اضطلعتُ به وحدي
أنا فاتحُ المهاجر في سُبُلِ الهوى كما عابِدُ الرحمن^(١) فاتحةُ المجدِ
وخاتمةُ العشاق شرقاً ومغرباً كما عابِدُ الرحمن خاتمةُ الرشدِ

٩٢ - ابنه عبد الملك بن أحمد

الوزير ، أبو مروان^(٢)

كان على طَلَبِطَلَّةٍ لهُشَامِ بْنِ الْحَكَمِ اللُّؤَيْدِ ، ومنها خاطبه مهتماً بمقتل
غالب القائد صاحب مدينة سالم في خلافة . ومن شعره :

(١) بياض بالأصل لم أستطع سده من المراجع التي تحت يدي ، لأن أخبار أحمد بن شهيد
هذا قليلة ، ويحاط بمقتهم بين أحمد هذا وحفيده أحمد بن شهيد الشاعر المشهور أيام الطوائف
ومعاصر ابن حزم .

وليس من السير سده هذا الفراغ بشيء مثل :

وما ضعفوا عن حلِّ ثقلٍ [عرفته] [وناموا به إلا] اضطلعت به وحدي

(٢) المراد عبد الرحمن الناصر .

(٣) عبد الملك بن أحمد بن شهيد نقطة تحول كبير في تاريخ بني شهيد ، فبعد الجلالة
التي كانت لا يافيه منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر ، نجد عبد الملك بن شهيد
وزيراً من وزراء المنصور وتديماً من نسله ، بل كان أقرب هؤلاء إليه وأكثرهم اجتهداً في
مراضاته حتى لقد حاول أن يرقص في مجلسه رغم سنه العالية ، فتعامل على أصحابه ليسر المنصور
(راجع فتح الطبيب المقرئ ، طبعة أوروبا ، ١/٢٦٠ - ٢٦١/٢ و ١٧٧) . وقد ترجم
لعمد الملك بن شهيد من الباحية العلمية والأدبية أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في الصلح

طلع البدر علينا فحسيناه « كَيْبَا »
والتقينا فرأينا هُ بَيْدًا وقرىبا^(١)

وله :

قَصَّرَتْ عَنْ شَاوِي فَعَادَيْتَنِي أَقْصِرْ فَلَيْسَ الْجَلُّ مِنْ شَانِي
إِنْ كَانَ [قَدْ] أَغْنَاكَ مَا تَحْتَوِي بَخْلًا ، فَإِنَّ الْجُودَ أَغْنَانِي

٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب^(٢)

هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف بن عبد السلام بن
إبراهيم بن يزيد بن عبد الله بن جابر بن عمر بن أيوب ، مولى مروان بن الحكم .

= (رقم ٧٥٦ ص ٣٤٩) فذكر كيف أخذ عن قاسم بن أصبغ وأبي الحزم وهب بن مسرة الحجازي ،
بل شمع منه ناس أجلاء مثل أبي عبد الله بن عابد الذي ذكره في فهرسة شيوشه بكلام كثير وقال
إنه كان « أَوحد الناس بالتحقق في علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار وسائر ما يحاضر به
الملوك مع سعة روايته للحديث والآثار ، وهو مؤلف كتاب « التاريخ الكبير في الأخبار على
السنين » بدأ فيه من عام الجلاء سنة ٤٠ و انتهى إلى أخبار زمانه المتقطعة بوفاته رحمه الله ، وهو
أزيد من ١٠٠ سفر . كانت صحبته له نحو عشرة أعوام أوفوقها ، إذ كان مجاوراً لنا بمعية المغيرة
لما استقر بالمنصور رحمه الله لقاءه بإسكانه في منية النعمان بالناحية المذكورة ، ، ثم ذكر
- روايتعن ابن الفرضي - أنه توفي ليلة الأحد ٤ ذي القعدة ٢٣/٢٩٣ سبتمبر ١٠٠٤ .
وكانت منيته من ذبحة أصابته . وكان في السبعين من عمره لما توفي .

(١) الأصل : قرىباً وبَيْدًا .

(٢) في هذا الفصل يورد ابن الأيثار موجزاً طيباً جداً لتاريخ ذلك البيت الأثلي الكبير
الذي عرف أفراده بنو عبد الرحمن ، وكانوا من الطاهرين بين الشاميين من موالى الأمويين .
وزيادة في التوضيح جعلت لكل رجل من رجال البيت فقرة خاصة . وقد نسب البيت
إلى عبد الرحمن ، ولو أنه لم يكن الجده الأعلى ، ولكنه أول من وصل إلى الوزارة من أفراده .

وكان عبد الله بن جابر قاضياً لعمر بن عبد العزيز بالشام ، ودخل الأندلس من عقبه عبد السلام بن إبراهيم وأخوه أبو القوز وعقبه فقتلوا بها ، وخدموا الخلفاء وتصرفوا في الولايات .

وحكى أبو بكر الرازي أن عبد السلام ولد اثني عشر ولداً . قال : وكان أميناً^(١) للأمير عبد الرحمن بن معاوية بكورة البيرة ، ويكنى أبا الدُّلُث .

وولّى ابنه عبد الرؤف / طليطلة وما والاها للأمير عبد الرحمن بن الحكم [١١٨-١] سبعة أعوام ، وتصرف في كثير من الكُور ، ثم استوزره في أخريات أيامه . واستوزره أيضاً الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وتوفي وهو وزير .

وولّى عبد الوهاب بن عبد الرؤف الكُورَ المجددة وغيرها ، أيام الأمراء محمد وابنيه النضر وعبد الله ، وتوفي بإشبيلية وهو عامل عليها .

وولّى محمد بن عبد الوهاب كورة جَيّان ومات بها .

وتصرف عبد الوهاب بن محمد هذا لأمر المؤمنين الناصر عبد الرحمن بن محمد في الولايات والأمانات ، ثم استوزره . ودكره أبو بكر الزيدى في كتاب « طبقات النحويين » من تأليفه ، وقال : كان بصيراً بالعربية ، طالع كتاب سيبويه ونظر فيه . وكان ذا كبرٍ عظيم وبأومفرط ، ويُظهر مع ذلك زهداً .

(١) الأمين هو المتولى شؤون المال في الكورة ، فهو الذى يقوم بحماية الضرائب المختلفة . واستزال نفقات الموظفين والأعمال العامة ورواتب الجند ، وإرسال الباقي (وكان يسمى « القائن » أو « المستفاد ») إلى الإدارة العامة بقرطبة ، وكانت هذه الإدارة مجموعة من المباين ملحقه بالقصر يدخل إليها من باب يسمى باب السُدَّة ، ولهذا عرفت كلها باسم باب السدة ، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الجاهة والحساب والمشرفين (جمع مشرف) وهم أنه المقتشين المالين . وقد يسمى الأمين خازناً أيضاً ، ولو أن هذه التسمية تخص في الغالب بالمتولى لشؤون المال في قرطبة ، فيقال الخازن والمراد به شيء شبيه بوزير المال . وقد حوت العادة بالألا يقتصر على خازن واحد ، بل نجد في الغالب ثلاثة يسمون الخزان أو الخزنة . والأمين هنا غير الأمين بمعنى نقيب أهل حرقة من الحرف .

وَوَلَّى الْوِزَارَةَ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ يُوْرِدُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ مَسَائِلَ مِنْ عَوِيصِ
الْفُحُو ، حَتَّى بَرِمُوا بِهِ وَاسْتَفَوْهُ مِنْ ذَلِكَ . وَهُوَ الْقَاتِلُ ، وَكَانَ سِتَاطًا :
لَيْسَ بَعْنُ لَيْسَتْ لَهُ لَحْيَةٌ بِأَسْوَدَ ، إِذَا حَصَلَتْهُ ، لَيْسَ^(١)
وَصَاحِبُ الْعَصِيَةِ مُسْتَبَحٌّ يَشْبَهُ فِي طَلْعَةِ التَّيْسِ
إِنْ هَبَّ الرِّيحُ ثَلَاثَ يَوْمٍ وَمَاسَتْ الرِّيحُ بِهِ مَيَّسًا
وَلَهُ :

قَلْتُ عَيْنَاكَ عِدَّكَ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ وَعِدَّكَ
خُلْتُ عَنْ عِدِّ مَحْبَرٍ لَمْ يَزَلْ يَحْفَظُ عِدَّكَ
مَا لِأَنْفَالِكَ [...] لَا تَشْبَهُ نَدَّكَ^(٢)

وَلَهُ :

إِذَا مَا بَدَأَ يُنْقِشُ الْعَيُونَ بُسْنَةً مُنَافِيَةً تُغْفِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
وَوَجْهَهُ إِذَا مَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ أَبْصُرَتْ حَيَاهُ ظَلَّتْهُ مِنَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرُ
وَلَهُ :

أَحْوَذِيَّ فِي مَجْدِهِ أَوْحَدِيَّ لَيْسَ يُحْكِي سَنَاؤُهُ وَسَنَاؤُ
مَنْ رَأَاهُ قَدْ رَأَى النِّيثَ وَاللَّيْثَ جَمِيحًا فِي بَأْسِهِ وَنَدَاهُ
يَسْتَمِيلُ الْعَيُونَ مِنْهُ رَوَاهُ تَرَوَى مِنْ حَيَاتِهِ وَحَيَاهُ^(٣)

(١) أورد نفس الأبيات أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في « طبعات النحويين
والقنوين » ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٢١ . وقد وردت
كلمة ليسا في الأصل لبسًا ، وهكذا قرأها دوزي ، فسويتها على أصلها عند الزبيدي .
(٢) البياض بن المقوفات وأردان بالأصل . وقد وردت « نذك » دون نطق .
(٣) الأصل :

بسميل منه العيون رؤى وتروى من حياته وحياه
وهو غير واضح ووزنه غير مستقيم . وقد صوبه دوزي (ص ١٣٠) كما أتينا به .

لأن بدا خِلَتَ أنه قرُّ الأر ض وصنَّواه حوله كوكباًه
[وله : ^(١)]

/لبنى الناسُ في مُلكه أن ابنه التاسع من بعده ^(٢) [١١٨هـ]
يقوم في المُلك مقاماته ويحتذى فيها على قصده
أولى حكماً فات فيه الوردى فكاد أن ينطق في مهده
حُمَل أعباء المُلى فاكتنى عفواً ولم يبلغ إلى جهده
ودخل يوماً على عبد الملك بن جهور الوزير فأقده إلى جنبه ، ومال إليه
بمحدثه ، ثم دخل الخرونى ^(٣) فأقده فوقه ؛ فخرج أبو وهب متغضباً وكتب إليه :
بلوتك أسنى العالمين وأفضلا وأهذب في التحصيل رأياً وأكلا
فقل لى : ما الأمر الذى صار تُحْمِلُ لديك فأضحى مُسْتَعِلاً لى تُحْمِلُ ؟

(١) أصفها لبيان الكلام .

(٢) هذه الأبيات - كما هو واضح - تهنئة لعبد الرحمن الناصر بانه الحكم ولي عهد ،
والحكم بالفعل هو تاسع أمراء و خلفاء البيت الأموى الأندلسى .

(٣) محمد بن عبد الله الخرونى من كبار رجال «التنوير» أى الإدارة المدنية أيام عبد الرحمن
الناصر ، فقد ولاه فى أول سنة لإمارته (سنة ٥٣٠٠هـ) خزانة السلاح مع العُقل ، مشتركاً
فى خزانة السلاح مع حسين بن أحمد الكاتب (ابن عذارى : ١٥٩/٢) ، وفى السنة التالية ولاه
خطة العرض مع آخرين (ابن عذارى : ١٦٤/٢) ، وفى سنة ٣١٠ رقاها إلى ولاية المدينة أياماً
بمسيرة (نفس المرجع : ١٨٣/٢) ، وفى سنة ٣١٣ ولاه خزانة السلاح مفرداً بها (نفس المرجع :
١٩١/٢) ، ثم تولى خطة صاحب المدينة سنة ٣١٤ ، وفى هذه الوظيفة مات فى أول صفر منها .
وكان لمحمد الخرونى أخ يسمى أحمد بن عبد الله الخرونى تولى خطة العرض سنة ٣١٠ أيام
الناصر (ابن عذارى : ١٨٣/٢) . وكان له ابن يسمى عبد الله بن محمد بن عبد الله الخرونى
تولى فى حياة أبيه بعض الوظائف الصغيرة .

وه «العُقل» المذكور فى هذا التعليق خطة ، أى وظيفة مالية ، ودسى والاعتقال أيضاً ،
اختصاصها الحياطة على أموال الموفين أو العائنين أو من تطلبهم الدولة بأموال حتى يتم القصل
فى أمرها . والإشارات قللة فى التصور عن هذه الخطة .

تَقْدَمُ مِنْ أَضْحَى تَقْدَمَ لَوْمُهُ لَقَدْ ضَلَّ هَذَا مِنْ فَمَاكَ مُشْكَلاً
وَمَا كُنْتَ أَرْضَى - يَلْمُ اللَّهَ - أَتَى أَسَاوِيَهُ فِي الْقُرْدُوسِ دَاراً وَمَنْزَلاً
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِي عَنْ مَحَلِّي صَبَرْتُ ، وَمَا زَالَ التَّصْبِيرُ أَجْلاً
وَرَحْتُ عَلَى الدَّهْرِ اللَّيْمِ أَلَوْمُهُ قَدْ هَيَّسَ أَعْلَاهُ وَغَوَّدَ أَسْفَلَ
وَكُنْتَ جَدِيراً فِي كَلَاكَ أَنْ تَرَى لَمَلِي نَصِيحاً مِنْ وَدَادِكَ أَجْزَلاً
فَأَجَابَهُ عَبْدُ لِلَّكَ بِأَيَّاتِ مِنْهَا :

غَدَرْتُكَ ^(١) ، إِلَّا أَنْ قَرُطَ مَحْبِي وَإِخْلَاصَ وَدَى سَهْلًا لِي التَّدْلُلُ ^(٢)
ظَلَمْتُكَ فَمَا كَانَ مِنْهُ مَجْتَلًا عَلَى غَيْرِ تَحْصِيلٍ وَعَاتَبْتَ عَجِلاً
تَقَرَّبْتَ مِنْ قَلْبِي ، وَإِنْ كُنْتُ آخِراً وَأُخَّرَ عَنْ قَلْبِي ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلًا
وَمَا أَجَلُ الْقَدَرِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَا شَرَفًا أَضْحَى عَلَيْكَ مَظْلَمًا
فَإِنْ عَنْ ^(٣) تَقْصِيرٍ بَسِيرٍ تَعُدُّ فَضْطً عَلَيْهِ مِنْهَا مَطْوِلاً

[١-١١٩] ٩٤ - أخوه / غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام

وَلَى خُطَّةِ الْقَرْضِ ، وَكُتِبَ الْحَكْمُ وَهُوَ لِي عَهْدٌ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ النَّاصِرُ ؛
ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّازِيُّ . وَأَشَدُّهُ صَاحِبُ « الْحَدَائِقِ » :

(١) يريد : ظلمتك .

(٢) يريد : حلال دالة عليك .

وورد هذا القسط عند الريس (ص ٣٢١) : الدلا ، ورواية ابن الأثير أصح . وهناك
حكايات أخرى بين الصبي لا تميز المعنى ، فلم ير الإشارة إليها ، فيما عدا لفظ « صل »
في الشطر الثاني من البيت الثالث ، فقد ورد عند الريس طل ، وهو أحسن .

(٣) الأصل عر ، والتصويب من الريس (ص ٣٢٢) وقد أسقط ابن الأثير
هنا أبياتاً وردت عند الريس .

جفون همت مذغاب عنها حبيبها ونفس بها لشوق فاز تذيبها
 تيقنت إذ ودعتها أن مهبتي سيقض عليها شوقها ونعيمها^(١)
 شفت جبوى يوم بانت ، وطلما أطل عذاي ما طوته^(٢) جيبها
 ولحب حالات تمر خطوبها إذا قرنت بالبين تحلو^(٣) خطوبها
 معذبتي ، لا تأسني ، فلعلها تعود ليالينا القصار وطيبها
 ألا ليت نفسي تستطيع فداها وإليتها من كل خير نصيبها
 يعيونها عددا لأسلو ذكرها وما عاب إلا نفسه من يعيبها

٩٥ - جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة

الوزير ، أبو الحزم

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، في تأليفه في الأنساب
 المسمى بـ « الاستيعاب » : الوزير جهور بن عبيد الله هو جهور بن عبيد الله بن
 محمد بن النعمان بن يحيى بن عبد الظافر بن حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر^(٤) .

(١) الأصل ودوري (١٣٢) بحبها .

(٢) قرأها دوري (١٣٢) - صوته .

(٣) قرأها دوري (١٣٢) يحلو .

(٤) ها أصلاً يوحسان الأبار تاريخ بيت ثاب من بيوت الموالى التميميين ، وهو بيت

أبي عبدة الذي تفرع عنه فيما بعد بيت بني جهور .

وقد كتب اسم حسان بن مالك ، حسان بن ملك ، والأول أصح بحسب ما نعلم ، وقد
 صوت كتابة الاسم كما كنه ابن الأبار فقلنا من أحد بن محمد الرازي ، وإلى أن نثر على كتاب
 الرازي لا نستطيع القطع بالصورة الصحيحة للاسم .

وبيت بني عبدة هو بيت حسان بن مالك . =

وكان عبد الله مملوكاً لمروان الحكم ، أُلِيَ يومَ وقعة مَرْج رَاهِطِ بِلَاءِ
حَسَنًا فَأَعْتَقَهُ .

والداخل من أجداد هذا الوزير حسان بن مالك ، وهو أبو عبدة . وكان
دخوله سنة ثلاث عشرة ومائة ، قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بنحس
وعشرين سنة . وولد حسان بالمشرق أولاداً قُتِلُوا ، إلا عبد العافر لصغره ، فنشأ
مع عبد الرحمن بن معاوية ، وتأدب معه بالمشرق . ولما قدم بدر مولى عبد الرحمن
بجبره إلى مواليه الشاميين ، استراح به إلى أبي عبدة^(١) ، فوجَّه ابنه
عبد العافر إليه^(٢) .

فلما توطد عبد الرحمن ، استوزر أبا عبدة واستقوده ، ثم استعمله على
[١١٩هـ] إشبيلية قائداً بها ، ومضيقاً على أهل باجة وغيرها ، فلك الترب أجمع/ خمسة
أعوام ، إلى أن توفي بإشبيلية ؛ وقبره بها^(٣) .

= وبعد جهور بن عبيد الله يصبح الاسم الغالب على البيت بيت بني جهور ، وفي هذا خلاف
لما يذكره كثير من المؤرخين من أن بني جهور هم أبناء يوسف بن بخت من موالى عبد الرحمن
الداخل ، وابن الأبار نفسه قال ذلك في مواضع أخرى من كتابه ، وهذا الموضوع في حاجة
إلى تحقيق لا تتسع له هذه الطبقات .

(١) أى أن بدرأ عندما عر إلى الأندلس من المغرب حاملاً إلى الموالى الشاميين خبر وجود
عبد الرحمن بن معاوية عند قبيلة نفزة على مقربة من طنجة ، وأنه يرغب في العبور إلى الأندلس
ويرجو صونهم ، أفشى بدر بالخبر أولاً إلى حسان بن مالك المعروف بأبي عبدة .

(٢) أى أن أبا عبدة حسان بن مالك أرسل ابنه عبد العافر إلى عبد الرحمن في ملجئه
عند قبيلة نفزة ليطلبه على أحوال الأندلس ويؤكد له استمداً الموالى لآييده .

(٣) كانت إشبيلية وما يليها من غرب الأندلس ، وأكبر مدنه إذ ذاك باجة وماردة
وقورية ، من مراكز الثورة الكبرى على عبد الرحمن الداخل ، وقد اجتهد هذا في القضاء عليها
وتحجيد أمور الغرب طوال إمارته كلها . وقد تزعم الثورة في إشبيلية عبد العافر اليماني رأس العرب
اليمانية ، وفي باجة العلاء بن مقيت الجذامى ، وكان قد لجأ إلى الدعوة العباسية ونادى بها ، وقد تمكن ،
عبد الرحمن من القضاء على عبد العافر وإرغامه على الهرب إلى المشرق حوال سنة ١٤٥ ، وقتل
العلاء بن مقيت بعد معركة عنيفة سنة ١٤٦ ، وولى عليها عبد الرحمن زعيماً يمينياً هو أبو الصباح
أبن يحيى اليحصبي ، فار عليه ، وتمكن عبد الرحمن من القضاء عليه أيضاً سنة ١٥٠ . وأما بلبة
فقد ثار فيها يمين آخر هو سعي اليحصبي المعروف بالمطرى ، واتسع مدى ثورته حتى استولى
على إشبيلية ، وقد تمكن عبد الرحمن من القضاء عليه وقتله سنة ١٤٩ . =

وتصرف عبدُ الغافر في الوزارة للإمام عبد الرحمن ، وبري^(١) إليه بخاتمته ، إلى أن مات .

قال : وأما عبيد الله بن محمد بن الصمر ، فإنه تصرف في الكُور وجباة الأولاد والمدينة والخليل والكتابة والقيادة ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

قال : وتصرف جهنور بن عبيد الله في الكُور والأمانات والقيادة والمدينة والوزارة للناصر .

وقال غيره : كان عبيد الله والد أبي الحزم هذا — مع تحققه بالمعرفة والأدب والبلاغة — ذا بأس وشجاعة وغناء في الحروب ، وله فتوح جمة ومقاوم حميدة . واستأذن الأمير عبد الله بن محمد في آخر دولته لقضاء فريضة الحج فأذن له ، وحج ثم اصرف إلى قرطبة فاقبض عن السلطان ، وأُخذ إلى الخمول ، وأقام على حاله تلك في داره إلى أن توفي سنة ست وتسعين ومائتين ، آخر أيام الأمير عبد الله .

وتصرف ابنه جهنور بعده — فيما ذكره الرازي — وكان شاعراً مكثراً ؛ فن شمره قوله من أبيات في تفضيل الورد ، وكأنه يرد بها على ابن الرومي^(٢) :

— وهذا الخبر الذي يورده ابن الأبار عن تولية أبي عبدة حسان بن مالك قائداً في إشبيلية ، والترب كلّه يفسر لنا سبباً من أسباب انتصار عبد الرحمن على هذه الثورات كلها .

(١) الأصل : برى ، وقرأها دوزي (ص ١٣٣) : رمي .

(٢) كان لقصيدة ابن الرومي في تفضيل الورد ومطلعها :

صليت خلود الورد من تفضيله خيلاً ، توردها عليه شاهد

صلّى بعيد عند شمراء الأندلس ، وقد أورد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري في « البديع في وصف الربيع » (ص ٧٠ وما يليها) طائفة من رجون الأندلسيين عليه ومحاولاتهم مضاهاته ، مثل قصيدة أبي عثمان سعيد بن فرج الجلياني ومطلعها :

صلى إليك ، فما القياسُ الفاسدُ إلا الذي أدى العيانُ الشاهدُ

وقصيدة أبي بكر بن التتوية التي مطلعها :

كُشفت خلود الترجس المصفر من صدى ، وقد يدوى الملو الحامد —

خضعت نواويرُ الرياض لحسنه
فخللت تغاد وهي شواردُ
وإذا تبدى الوردُ في أغصانه ^(١) ، فذاميتُ وهذا حاسدُ
وإذا أتى وفد الربيع مبشراً
بطلوع صفحته فقم الوافد
ليس للبشر كالبشر بشيه
خبرٌ عليه من النبوة شاهد
وإذا تمرى الوردُ من أوراقه
بقيت عوارفه فمن خوالده
وله :

يا عانبا لي بالصـدو
إلا ذكرت قبيحَ غذك ؟
أخليت من قلبي مكا
فأكان معموراً بذكرك
وأنا أحبك لو وثقت
ت وأستديم بقاء عُمرِكَ
وله :

[١٢٠-١] / يا لائما والـظلم من
هـ ظاهره إلى والفقاهه
كم قد ضرتُ وقد سمع
ت فاوليت إلى الضراعه
فلئن رجعت كما علمت
ت لأفطن فيك الجماعه
ومتى لجبت على الأذى
جازيتُ فملاك في صاعه
وله :

أسأت - لعمري - إذ أسأت في الظلما
وألزمتني ذنباً شغلت به الدهنا
تجنيبت في عدلى كائى مذنب
رؤيدك ، إن المذل قد يوجب الشحنا
فلا تتجنّب الذنب من غير علق
فرب نجم يورث الحقد والضغنا

= ولم يشر في هذا الموضع إلى أبيات أبي الحزم جهور بن عبيد الله ، وهي من طائر الشعر
في الأندلس ، وقد رواها معظم مراحسا .

(١) حملها دوزى (ص ١٣٤) : يزهر ، وقد أخذ ذلك عن « مطيع الأنفس » لابن
حقان (طية الجوائب ، الأستانة ١٣٠٢) ص ١٥ .

وإني أسروُ محضُ اللودةِ غلصُ أصافي خليلي بالتي هو بي أسفى
 وإن [زَلَّ] ^(١) يوماً في ودادي أفلته وقارضته في ذاك ^(٢) بالصحة الحسنات
 وهل لي - فذاتك النفس - دونك راحةً وأنت شقيق النفس والأقرب الأدنى؟
 فتقنى ، ولا تعجل على ، فزنى أدين بما ترضى ، وأعنى بما تنفى
 ولا ذنب لي - فيما علمت - ولم أكن لأصفى إلى الواشين في قيلهم أذنه
 وله :

انظر إلى محن الزما ن تزدك في الدنيا اعتباراً
 واسمع لنى القاهيه ن وكن كواحدكم حذاراً
 واعمل بحمد الخائفه ن ولا تم إلا غواراً
 واعلم بألمك لاحق من قد كرهت له جواراً
 إن الليالى ما فتد ن تُكدر العيش للماراً
 وتفرق الشمل الجمي ح ونجليب الأمر المراراً
 فحوادث فيها استلب ن أخا دعون ه فساراً
 / رزى إلى جنب اغترا ب أرنا في القلب ناراً
 وغيمةً سلفت وكا نت محنة لي واختباراً
 بأخر شقيق ما أطيه حق على رزيتيه اصطباراً

[١٢٠-هـ]

(١) سقطت من الأصل كلمة في هذا المعنى والوزن ، وقد اقترح زيادتها دوزى (ص ١٣٥)

هامش (١) . ولم يترك السامع بياناً .

(٢) جعلها دوزى : « ذلك » ولا يستقيم بها الوزن ، ومن الغريب أنه ينتبه إلى انكسار الوزن في الشعر الأول ، ويضيف ما يقيقه ، ثم يسه قراءة الشعر الثاني ويثبت ما يكسرو منه .

ومنها :

اصبر فليست ترى على أحدٍ حماه الصبر عارا
فالصبر أضع دُخْرَهُ لو كنتُ آتية اختياراً

أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي في كتاب « مطمح الأنفس
ومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس » من تأليفه أكثر هذه
الأميات والتي قبلها ، ونسبها لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيس قرطبة
التأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به ، وإنما هي لجدّه جهور بن عبيد الله هذا
للدّكورهنا . ثم أعقب غلطه بخلط آخر أخش منه ، فأورد أحياناً لابن فرج
فيه يرثيه ، وأناى بعد ذلك برثاء ابن زيدون فأفرط^(١) وخلط ، والحقّ بالباطل
الحقّ . أما ابن زيدون فرثاؤه لأبي الحزم الأخير صحيح غير معترض ، وأما ابن
فرج فثبوته من مولده مقتربان^(٢) ، عمرك الله كيف يلتقيان ؟ ولّد جهور بن
عمد^(٣) سنة أربع وستين وثلاثمائة في الحرم ، وتوفى ابن فرج إثر وفاة الحكم
المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها . وللفتح أيضاً غلط ينضاف إلى ما تقدم
في نسبة يتيين لأبي الحزم هذا ، وأنشدهما الحنيدى لجهور بن عمدة التجيبي أبي عمدة
المروفي بابن القلو ، وهو الصحيح — لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية وكتبهما
من شعره — وما :

قلتُ يوماً لدار قومٍ تغاؤوا : أين سكانك الكرام علينا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ، ولستُ أعلم أينما

(١) الأصل : . . . ط .

(٢) أى أن تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريخ وفاة أبي الحزم بن جهور .

(٣) يريد أبا الحزم بن جهور .

ولم يلق الحنيدى أبا الحزم فيما علمت ، وإن كان عاصره . ولعل الفتح من كتابه استفاد هذين البيتين . واشتبه الأسماء جرّ هذا الخل ، وعدمّ اللبالة بضبط اللوالد والوفيات كثيراً / ما يوجد الزلل^(١) . وسيأتى ذكر أبي الحزم [١٢١-١] الأندلسى الأخير فى المائة الخامسة مستوفى إن شاء الله عز وجل .

(١) هذا مثل طيب جداً من تحقيق ابن الأبار وقدرته على استدراك الأخطاء . فأوفى نصر الفتح بن عبيد الله الذى يذكره هو ابن خاقان ، وهو أقرب عهداً إلى ما يتحدث عنه ابن الأبار ، وكان حريصاً ألا يقع فى الأخطاء التى أشار إليها هذا الأخير . وقد رجعت إلى نسخة « مطمح الأنفس » التى بين أيدينا (طبعة الجوائب ، سنة ١٣٠٢) فلم أجِد من الأبيات التى ذكرها ابن الأبار إلا قصيدة الورد منسوبة إلى أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، وقد بدأها بيت لم يذكره ابن الأبار وهو :

الورد أحسن ما رأت عيني وأذكى ماسق ماء المحاب الجاهل

وقد أعقب ابن خاقان مادته عن أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بمادة من « فى الوزارتين أبي الفرج » ولم أستطع التعرف على أبي الفرج هذا الذى لا يكتب عنه ابن خاقان إلا بضع صفحات لا تقدم ولا تؤخر ، بل هو يسميه فى أثناءها أبا عامر .

وواضح أن نسخة « المطمح » التى بين أيدينا إنما هى الصغرى ، وكان محمد ابن الأبار حل الكبرى أو الوسطى من نسخ المطمح التى كتبها ابن خاقان . وابن الأبار يشير هنا دون شك إلى أبي عمر أحمد بن فرج البلياني صاحب كتاب الخلفاء ، فهو الذى توفى سنة ٩٧٦/٣٦٦ .

وقد فرّق أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى فى بغية الملئس بين جهور بن عبيد الله ابن أبي عبيدة وحفيده أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور تفريقاً واضحاً ، واختص كلا منهما بمادة (رقم ٦٢٣ ص ٢٤٣ ورقم ٦٢٥ ص ٢٤٤) .

أما جهور بن محمد التجيبى المعروف بابن الفلكو فقد ذكره الضبى تحت رقم ٦٢٤ (ص ٢٤٤) ونسب إليه البيهقي اللذين ذكرهما ابن الأبار . ومن المعروف أن الضبى نقل كتاب جلوة المتقرب للحميدى حرقاً تقريباً . وترجم ابن بشكوال فى الصلة (رقم ٢٩٧ ص ١٣٢) لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، أى الحفيد ، دون الجد . وذكر أنه ولد أول المهرم سنة ٣٦٤ وتوفى فى ٢٣ محرم ٤٣٥ .

وترجم كذلك لجهور بن إبراهيم بن محمد بن خلف التجيبى ، وقال إنه أيضاً يكنى أبا الحزم وأنه من أهل مورور ، ورحل إلى المشرق للقاء الشيخ وقال إنه لقيه فى إشبيلية وأجاز له ما رواه عنهم . « وكان رجلاً فاضلاً متقبلاً مقبلاً على ما يعنيه ، وتولى الصلاة بموضع . . . وتوفى ببلده سنة ٥٢٦ »

٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله

هو أَمِنْ من أخيه جَهْوَر ، وَجَهْوَر أشهر منه ، وَتَصَرَّفَ مُحَمَّدٌ هَذَا فِي
الْكُورِ وَالْقِيَادَةِ - قَالَ الرَّاذِي . وَأَنشَدَ لَهُ الْحَمِيدِي يَخَاطِبُ أَبَا عُمَرَ
ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَعِدَّهَا فِي تَصَابِيهَا خَدَا^(١) قَدْ فُضَّتْ خَوَاتِمُهَا نِزَاعًا
قُلُوبٌ يَسْتَخِفُّ بِهَا التَّصَابِي إِذَا أُسْكِنَتْهَا^(٢) طَارَتْ شِعَاعًا
فَأَجَابَهُ :

حَقِيقٌ أَنْ يُصَاحَّ لَكَ اسْتِمَاعًا وَأَنْ يُعْمَى الْمَذُولُ وَأَنْ تُطَاعًا
مَتَى تَكْشِفُ قِنَاعَكَ لِلتَّصَابِي قَدْ نَادَيْتَ مِنْ كَشَفِ الْقِنَاعِ
مَتَى يَمْشِي الصَّدِيقُ إِلَى هَرَاءٍ مَشِيَتْ إِلَيْهِ - مِنْ كَرَمٍ - ذِرَاعًا
فَجَدَّدَ عَهْدَ لَهْوِكَ حِينَ يَبْلَى وَلَا تُذْهَبُ بِشَاشَتِهِ ضِيَاعًا

٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد

كَانَ بَدْرٌ^(٣) وَصِيفًا لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَعْتَقَهُ وَصَرَّفَهُ فِي الْخَطَطِ الشَّرِيفَةِ -

(١) قَرَأَهَا دَوْزِي (١٣٧) : جَلَاعًا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : سَكْنَتَهَا ، وَقَدْ صَوَّبَهَا الْوِزْنُ وَالْمُنَى . أَمَّا دَوْزِي فَقَدْ جَعَلَهَا : سَكْنَتِ
لِنَسَا .

(٣) هُوَ بَدْرُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّقَلِ وَصِيفُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ . وَمِنْ
الْقَرِيبِ أَنْ يَوْصَفَ بَدْرٌ فِي الْمَرَاخِجِ بِالْحَصَى وَيَكُونُ لَهُ رَمٌّ ذَلِكَ ابْنَانِ : عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا =

ثم ولاه الناصر الوزارة والحجابة والقيامة والخيل والبرد ، وكان يتفرد بالولايات
فكسب السجلات في داره ، ثم بيعها للطبع فتطبع ^(١) وتخرج إليه ، فيبعث في
العمال وينفذون على يديه . وولى عبد الرحمن هذا الكتابة والوزارة والعرض
والخزانة للناصر ، وصرفه في عمارة ^(٢) كورة إشبيلية . ومن شعره :

لمسني كان من أعداء قلبي إذ ألزمت الذنوب بغير ذنب
إلى من أشتكى عدوى اعتذار أمر مذاقني طمعي وشربي
وأسهر مقلتي وأسأل دمي لفرط الوجد ، سكبا بعد سكب ؟
وله :

جاوردة وسط روضة سقرت لورثتها باللاحظ لا تثرث
ودرة في الجبال مفروغة لولا حجاب يكتها بهرت
ادغ كبدى في الضلوع آمنة وخذ جفوى فإنها نظرت [١٢١-سب]

هو عبد الله . وكان عبد الرحمن الناصر عندما بول الإمارة رقي بداراً إلى الحجابة إلى رئاسة الوزراء -
ثم أجرى رزما - أي قدر مرتباً - لكل من عبد الرحمن وعبد الله قدره ٢٠ ديناراً وازنة .
وبعد ذلك بعزل ولي عبد الرحمن بن بدر حطة الخيل ، وفي نفس السنة (رمضان ٣٠٠) اسحلف
عبد الرحمن بن بدر مع موسى بن محمد بن حنبلر صاحب المدينة على التقصر عندما حرج في حمله
على ناحية حيان ، وفي سنة ٣٠٢ عزل عبد الرحمن عن حطة الخيل ، ثم سفل في الوظائف بعد ذلك ،
وكانت آخر وظيفة تولاهها حكومة إشبيلية .

والراجح أن ابن حيان خلط بين بدر بن موسى - وكان مولى حصياً عاس وخادم أيام
عبد الرحمن الناصر وطهر اسمه أواخر أيامه - وبدر بن أحمد . فقد كان بدر بن أحمد هذا فعلا
لا حصياً ، كما هو واضح .

(١) أي أرسلها إلى باب السدة لحتم بخاتم النبوة ثم رد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا
بالسياسة تحت إشرافه .

(٢) كذا في الأصل . والأصح ها : عمالة ، وهي آخر الوظائف التي تولاهها عبد الرحمن

ابن بدر بن أحمد .

٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد ، أبو بكر

كان مولى نعمة لبنى أمية ، وولى إشبيلية لناصر عبد الرحمن بن محمد ، وكان
أثيراً لديه ، ومتادماً له ، وعاش إلى أول دولة ابنه الحكم المستنصر بالله . وقد
حُمل عنه الحديث لسامع من يتي بن مخلد وألحشني ومحمد بن وضاح وطبقتهم ،
فاحتاج إليه الناس - ذكره ابن القرضى فى تاريخه ، وذكر أن صناعة الشعر
غلبت عليه^(١) ؛ وهو أحد للكثيرين . أنشد له ابن فرج فى « كتاب الحدائق »
من تأليفه :

وذى حلب كالبحر عبّ عبابه فضاى به رحبُ الفلا والتنايفِ
قريبُ الخطى ، مائى المدى ، مالى لللا يجمع تراه واقفاً غيرَ واقفِ
تركنا به أرضَ العدو كأنها مجاهل للرتاد غيرَ معارفِ
غدت بعد سخب البيض فيها ذيوها تجرّ ذبول الطامسات المواصلِ
وله فى الناصر :

لو كان يُعبّد دونَ الله من أحدٍ ما كان غيرُك فى الدنيا بمعبودِ
قد فات قدرُك وصفَ اواصفين فا ذكراك إلا بتحسيدٍ وتمجيدِ
لما ذكرْتُك يوماً قلتُ من جدلٍ : يا نعمة الله فى أيامه زيدى !

(١) ذكر ابن عذارى (١٥٩/٢) أن عبد الرحمن الناصر ولى إسماعيل بن بدر
كاتبه الخاصة فى ربيع الآخر ٣٠٠ . أما ترجمة ابن القرضى له فهى رقم ٢١٤ ج ١/٦٢ ،
وقد أضاف إلى ما رواه عنه ابن الأبار أنه ولى أحكام السوق فحُمد أمره فيها وتوفى فى أول
ولاية المستنصر برباطة سنة ٣٥١ .

وذكر ابن الأبار سوح ومنهم بق بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشنى ومحمد بن وضاح
ومطرف بن قيس وعد الله بن مسرة وعد الله بن يحيى .

وله في بيعة المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر :

لئن غربت شمسٌ لقد طلعتْ شمسٌ فافق صلاح الأرض ربُّ ولا لَبْسُ
بمستنصرٍ بالله دانَ لملكِهِ وأيامِهِ لليمونة الجنِّ والإنسُ
تولَّى أميرٌ للؤمنين فأصبحوا وما بينهم نجوى بقدوى ولا همس
فلا سُميتْ أرضٌ بنيرِ سحابِهِ بلالاً ، ولا سُرَّتْ لساكنها نفس
وإن شدَّ حِلْسٌ لا يكونُ نياهُ فلا نهضت يوماً بمن شده عَنَسُ

/ وأنشد له الحُمَيْدِيُّ عن أبي محمد بن حزم : [١٧٢-١]

أناجي حُسنَ رأيك بالأمانِ وأشكو بالتومُّ ما شجاني
ولى بـ«عسى» و«لو» و«لعل» رَوْحٌ يَنْفُسُ عَنْ كَثِيبِ الْقَلْبِ عَانِ
وتَحْضُ هَوًى بظهور النيبِ صافٍ ترى عيني به من لا يراني
على ذاك الزمانِ - وإن تقفَى - سلامٌ لا يبيدُ على الزمانِ
كفاني - يامدى أملٍ - بما دُ تمتتُ الماتَ له ، كفاني

وله يرثي ابنه :

غرسْتُ قضيماً زهرته يدُ الردى نخلوا دموعَ العين تبكِ على غرسى
وهذا حاتمُ الأنيكِ يبكي هديله فما لهدلي لا تذوبُ له قُسى ؟

وله فيه :

ما حزنُ يعقوبَ على يوسفٍ أشدَّ من حزنى على أحمدٍ
أحمدٌ ملحودٌ ، فهل نستوى وذاك لم يُقْبَر ولم يُلْحَدِ ؟
وكان يرجوه ، وهل أرتجى هذا وقد عَصَمْتُهُ باليدِ ؟

وله في توت أهله :

تقاءتُ بالقوتِ الثَّانِي لُزُورِهِ وَذَاكَ قَالُ — مَا عِلْتُ — صَدُوقُ
فَأَهْدِيْتُهُ غَضًا حَكِي حَقِّ التَّهْمَا لَهُ مَنْظَرُ بِالْحَسَنِ مِنْهُ يَرُوقُ
وَبِهِضْ حَكِي الْيَقُوْتَ مِنْهُ أَحْمَرُهُ وَمَا مَجَّه — لِلذَّاهِنِ رَحِيْقُ
فَذَا سَبَّحْ — فَمَا يُرَى — لَأَسْوَدَادِهِ وَذَا — لَأَحْمَرِ الْوَنِّ مِنْهُ — عَقِيْقُ

٩٩ — عبيد الله بن أحمد بن يعل بن وهب

ولاه الناصرُ عبد الرحمن بن محمد ما كان بيد أبيه — أحمد بن يعل ، قائده
الجليل للقدار ، الحميد الآثار — من قيادة الجوف (بَطْلَيْوْس وأعمالها) حين نوه
بأحمد للذكور ، وولاه مَطْلَيْطَلَّةً وأعمالها من الثغر الأدنى ، ورفع رزقه إلى أرزاق
الوزراء ، مع مقامه على خطته في الشرطة العليا ، وُسِّى قَائِدُ الْأَعْنَةِ ، وذلك
[١٢٧ب] في صفر / سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . فأغنى عبيد الله في قتال الروم غناء أبيه ،
وتوات له فيهم فتوح . وكان أديباً شاعراً ؛ وهو القائل من قصيدة :

تَرَى الْأَرْضَ فِينَا لَا يَغْرِزُ قَرَارُهَا إِذَا لَمْ يُسْنَهَا مِنْ أُمِيَّةٍ سَائِسُ
ذَوُو الْمَضِيَّاتِ الشَّمِّ وَالْأَنْجُرِ الَّتِي تَفِيضُ مَلَاءً وَلِلْوَلَكُ الْأَشَاوِسُ
هَمْ ذَهَبُوا بِالْمَكْرُمَاتِ وَلَمْ يَزَلْ لَمْ جَبِلْ الْعَزَّ الْقَدِيمُ الْقَوَاسِ
وَهَمْ نَزَلُوا مِنْ خِذْفٍ ^(١) حَيْثُ تَلْتَقِي رُؤُوسُ قُصَصٍ فِي التَّرِي وَالْمَنَاطِسِ

(١) خذف هي امرأة إلياس بن مضر وقد أنجحت منه مُدْرَكَةً وطابخة وفسحة ،
وعن طريق مدركه بن إلياس اتصل عمود النسب ، أي أنها ابنة ألبا لقرس ، وإلى هذا يشير الشاعر .
انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (بتحقيق إبراهيم الإياري ، القاهرة
١٩٥٩) ص ٢٤٨ . وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ١٨٦ .

وهم غمّسوا في جَفَنَةِ الطَّيِّبِ قَبْلَ أَنْ يُرَى أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِمْ وَهُوَ غَامِسٌ
وَهُمْ أَوْقَدُوا حَرْبَ الْفَخَّارِ حَقِيقَةً قَامَتْ بِهَا أَعْيَاصُهُمْ وَالْعَنَابِسُ^(١)
بِهَالِيلٍ مِنْ إِنْ يَسْتَضِيْفُ إِلَيْهِمْ بِمَا شِيدُوا إِلَّا انْخِلَاصُ النَّفَائِسِ
إِذَا سَوَّجَلُوا لَمْ يَحْتَلِمِمْ مَسَاجِلُ وَإِنْ قَوَّسُوا لَمْ يَسْتَطْلِمِمْ مَقَاسِ
تَطْلِفُ بِهِمْ سَاحَاتُ مَكَّةَ فِي الْعَلَا وَتَسْكُنُهُمْ مِنْهَا الْبَطَاحُ الْأَمَالِسُ
وَكَانَ أَخُوهُ يَعْلَى بْنُ أَحَدِ أَدِيْبَا أَيْضًا ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ .

١٠٠ - جعفر بن عثمان المصنفى

الحاجب الوزير ، أبو الحسن

هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كَسِيلَةَ مِنْ بَرَابِرِ
بَلَنْسِيَّةَ ، يَنْتَسِبُ إِلَى قَيْسِ بِالْحَالِفَةِ .

وَذَكَرَ ابْنُ الْقُرْظِيِّ فِي تَارِيخِهِ أَبَاهُ عُثْمَانَ وَقَالَ فِي نَسَبِهِ بَعْدَ نَصْرِ : ابْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْتَدِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ يُونُسَ الْقَيْسِيِّ .

وَكَانَ قَدْ أَدَّبَ الْحَكَمَ ، وَذَلِكَ أَزْلَفَ جَعْفَرًا عِنْدَهُ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ فَاسْتَعْدَمَهُ
بِالْكِتَابَةِ فِي إِمَارَتِهِ . وَوَلَّى جَزِيرَةَ مَبُورَةَ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ ، ثُمَّ تَقَلَّدَ الْحَكَمَ

(١) الْأَعْيَاصُ هُمُ أَبُو الْعَاصِي وَالْعَاصِي وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَبْنَاءُ أُمَيَّةِ الْأَكْبَرِ ابْنِ عَبْدِ مَنَسُورٍ
ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . وَالْعَنَابِسُ هُمُ سَفِيَّانُ وَأَبُو سَفِيَّانٍ وَعَمْرُوهُمَا وَابْنُ الْأَكْبَرِ ابْنُ أُمَيَّةِ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، سَمَوْا النَّتَاسِيَّ - أَيْ الْأَسْوَدَ - لِتَبَاهِيهِمْ فِي حَرْبِ الْفَخَّارِ وَاسْتَطَاعَتِهِمْ
نَصْرَ قُرَيْشٍ عَلَى قَيْسِ عِيلَانَ .

انظر : الْمُصَنَّبُ الزَّيْرِيُّ ، نَسَبُ قُرَيْشٍ ، ص ٩٧ .

المقدّم القريدي ، بِتَحْقِيقِ أَحَدِ أَمِينٍ وَآخَرِينَ ، ٣٠٦/٣ .

الخلافة فاستوزره ، وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة ، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة ، وأخدمه ابنه هشاماً .

[١٢٣-١] وأقام على ذلك إلى وفاة الحكم واستخلاف هشام / ابنه ، فحجبه يوم قموده البيعة ، وذلك يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعن يمينه ويساره القتيان جُودُر وفائق ، ثم أهل الخطط على منازلهم . وكان القائد محمد بن عبد الله بن أبي عامر — وهو إذ ذاك يتولى الشرطة الوسطى والسكة والواريث والوكالة^(١) — يشرف على عقد الشهادات في نسخ البيعة بين يديه ، بعد ما كان القاضي محمد بن إسحاق بن السليم يأخذها على طبقات من شهدائها من الأعيان وأبنائهم والوزراء وضروب أهل الخليفة ورجال قريش وأعلام قرطبة — حكى ذلك عيسى بن أحمد الرازي .

قال : ثم لما كان يوم السبت لمشر خلون من صفر للورخ ، قلد هشام حجابته جعفر بن عثمان لقسمه محبته لأبيه المستنصر ، وكان المستنصر قد شرّفه لتأديب أبيه عثمان بن نصر له ، وصرّفه في الأعمال ، وقدمه إلى السكّور ، ثم استكتبه وهو ولي عهد — وذكر نحواً مما تقدم من خبره — قال : ثم قدّم هشام للمؤيد ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان إلى خطة الخليل ، ثم إلى الوزارة ، وولى بنيه — محمداً ، وعثمان ، وعبد الرحمن — وأخاه سميذاً ، وابن أخيه محمداً ، الشرطة العليا والوسطى ، فلم ينهض بسببه ما قلده ، وخلف على المدينة ابنه محمداً

(١) أي وكالة أبناء الخليفة ، وقد أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا لولد (أي الأمير) عبد الرحمن بن الحكم المستنصر في ربيع الأول سنة ٣٥٦ ، وأجرى عليه في ذلك الوقت ١٥ ديناراً في الشهر مرتباً بالوزارة . ولما مات عبد الرحمن هذا أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا لأخيه هشام ابن الحكم في رمضان سنة ٣٥٩ . وكان قبل ذلك قد تقدم الطر في أمانه دار السكة في ١٢ شوال ٣٥٦ ، ثم أضيفت له الخراقة ، ثم قلده الحكم المستنصر على خطه المواريث في ٧ محرم ٣٥٨ ، وفي سنة ٣٦١ تولى الشرطة الوسطى .

فأساء السيرة . وزكا على الحجة أبو عامر محمد بن أبي عامر ، فبسط للزويد يده وقبض يد جعفر بن عثمان ، فأدله وابن أخيه .

وقال ابن حبان : استطال عليه محمد بن أبي عامر بكفائته ودفاعه العدو للشكالب ، لأول ولاية هشام و وفاة الحكم ، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد .

وقد كان غالب — فيما حكى الرازى — شارك جعفر بن عثمان في الحجابة ، وصيّر فراشه في الصدر ، وعن يمينه جعفر ، وعن يساره أبو عامر للوزارتين . قال ابن حبان : فادى ذلك إلى القبض على جعفر ، وعلى ولده وأسبائه ، وعلى أخيه هشام وسائر أقاربه ، وطولبوا بالأموال . وكان ابن أبي عامر يحمل جعفر معه في النزوات ، تمنيتاً وافتقاراً منه . فلما بان مجرزه وضعف ، أقر بالمطبق إلى أن هلك فيه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، فأسلم إلى أهله في أقبح صورة — وقيل : قُتل خنقاً^(١) . وكان مقدماً في صناعة الكتابة ، مفضلاً على طبخته بالبلاغة . [١٢٣ب] وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجابة ، وتصرفه في أفانين البيان ؛ وهو القائل :

سألتُ نجومَ الليل : هل يقضى الهجى ؟ فخطتُ جواباً بالثرى كخطِّ « لا » ا
وكنتُ أرى أنى بآخر ليلةٍ فأطرقُ حتى خلتُ به عاد أولاً
وما عن هوى سامتُها ، غير أنقى أنافسُها المجرى إلى رُبِّ الملا

(١) أوجز ابن الأبار كلام الرازى وابن حبان هنا إيجازاً تديداً ، وقد أورد هذه الأخبار بصورة أوفى ابن عطارى فى البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥١ وما يلىها .

وأوسع ما لدينا عن هذه الحوادث ما نقله ابن يسام فى الذخيرة (القسم الرابع — المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) من كتاب «البلغة الكبرى» لابن حبان فى تاريخ الدولة العمارية، ص ٢٩ وما يلىها .

وله :

أما الهوى ما كنت أعرف ما الهوى ولا ما دواعى الشوق حتى تكلمت
دعاني بلفظٍ لودما « يذُبُّ بَلَاءً » (١) به للَبَاءُ مشتاقاً ووافاه مُفرماً

وله ، ويُروى لغيره :

كلتني فقلت : درَّ سَقِيطُ خَافَلْتُ عِقْدَهَا هل تَنَازَرُ
وازدهاها تبسُّمُ فَأَرْتَمَا عِقْدَ درِّ من التَّبَسُّمِ آخَرُ

وله :

لَمِنْ قَاهِ أَشْرَبَتِ الضُّلُوعُ هَوًى حَتَّى كَأَنَّ جَمِيعَهَا أَذُنُ
لَا تُنْكِرُوا كَلَفَ الضُّلُوعِ بِهِ لَخْدِيشُهُ لُوجِيهَا سَكَنُ
وقرأت في كتاب « القرائد في التشبيه » لابن أبي الحسن القرطبي
منسوباً إليه :

بَادِرُ ، فَإِنَّ نَذِيرَ النَّيْثِ قَدْ نَذَرَا مَجْدَا لِسُرُورٍ كَانَ قَدْ دَرَا
أَرْخَتْ عَزَائِلِهِ وَاضْطَرَّتْ (٢) بِمُنْصَرِهِ رَجُ الصَّبَا وَاسْتَدْرَتْ دَمْعَهُ فَجَرَى
أَوْفَى فَبَرَدَ مِنْ حَرِّ الْقُلُوبِ كَمَا أَوْفَى عَلَيْنَا حَيْبٌ طَالَمَا هَجَرَا
فَلَاحِ بِكُؤُوسِ الرَّاحِ مُتَرَعَةً شَكَرَ لَهُ ، فَكَرِّمِ الْقَوْمَ مِنْ شَكَرَا

(١) يذبل هو الجبل الذى ذكره امرؤ القيس في قوله :

فياك من ليل كأن نجسومه بكل مسار الفل شدت يذبل

ولكن دوزى قرأها يذبل بالبدال المهملة وقال يحاول تفسيرها : Diable, à ce qu'il paraît وكأنه تصور أن هناك علاقة ما بين « ذبل » و « ذبابل » أو « ديابولو » بمعنى الشيطان !

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل ، وأقرب قراءة لها : واضرت ، ولا يستقيم بها الوزن . وقرأها دوزى : وأهزت ولا يستقيم بها الوزن أيضاً ، وكان أقرب لوقال : وأهزت . وقد جعلها : واضطرت بمعنى صوتت كما في لسان العرب (مادة صرر) .

وله في سوسة :

يأربُ سوسة قد بثَّ ألتُمها وما لها غير طعم للسك من ريق
مصفرة الوسط ، مبيض جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوق

وله في الخيال :

لئن سلبوني شخصه ووصاله لئن سلبوني
إذا حجت عنى الحوادث وجهه أقام الهوى لي حيث كنت مثاله

[١-١٢٤]

/وله :

وكم مَهْمَةٌ لا يوجد الركب مشرعا قطعُ ، وبحرٍ شامخ الموج أسفا
خِصْمٌ إذا استعلت به الشمس لم يزل يطاولها حتى تمل فخصضا
تصيب وتبدو فيه حتى كأنما غذا مغربا تجري إليه ومطلما
إذا ما ارتمت أمواجه خلت أنها ذرى الشم أمتنا من البر نرما
تقاذف في رَحْب الجلال بَسِطُها يَرْدُ وفودَ الربح حَسرى وظلما

وله في تفاعلة :

لعمري لئن أهديت نفسي وما حوت فأنت بها منى أحق وأملك
ولكنني أهدى التي^(١) لا تردّها يمين ولا فيها لذى اللحظ مترك
تناولتها من غصنها وكأنها من الحسن ذاك الناجم المتفلك

وله في سفر جلة :

ومصفرة تحتال في ثوب زرجس وتغبق عن مسك ذكي التنفس
لما ربح محبوب وقسوة قلبه ولون عجب حلة السقم مكس

(١) في الأصل : التي ، وقرأها دوزي (ص ١٤٤) : يميناً .

فصُفِّرَتْهَا مِنْ صُفْرِ مَسْتَعَارَةٍ وَأَغَامُهَا فِي الطَّيْبِ أَفْهَسُ مَوْسَى^(١)
 فَلَمَّا اسْتَقَمَّتْ فِي الْقَضِيبِ شَبَابَهَا وَحَاكَتْ لَهَا الْأَوَّلَةَ أَبْرَادَ سُنْدُسٍ
 مَدَدَتْ يَدِي بِالْأَلْفِ أَجْنَى اقْتِطَاعَهَا لِأَجْلِهَا رِيحَاتِي وَسَطًا مَجْلِسِي^(٢)
 وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزُّعْبِ أُغْبِرُ بَرَفًا عَلَى جِسْمٍ مِنَ التَّيْرِ أَمْلَسُ^(٣)
 فَلَمَّا تَمَرَّتْ فِي يَدِي مِنْ لِبَاسِهَا وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِي غِلَالَةِ نَرْجِسٍ
 ذَكَرْتُ بِهَا مِنْ لَا أُبْرَحُ بِذِكْرِهَا فَاذْبُلْهَا فِي الْكَفِّ حَرًّا تَنْفِيسِي
 وَلَهُ وَقَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ رَامِشَةً وَرَدَّ فِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، فَاسْتَعْرَبَهَا وَكَتَبَ
 إِلَى مَهْدِيهَا :

لِعَمْرِكَ مَا فِي فِطْرَةِ الرُّوضِ قَدْرَةٌ يَحْمِلُ بِهَا مَجْرَى الزَّمَانِ عَنِ الْقَصْدِ
 وَلَكِنَّا أَخْلَاقُكَ النَّارُ نَبَّهَتْ بِرَبِّكَ^(٤) فِي كَاوْنِ نَائِمَةٍ الْوَرْدِ

(١) الأصل : موسى .

(٢) الأصل : مجلس .

(٣) بعد هذا البيت أورد ابن خاقان في «مطلع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس» (إلخواب ١٢٠٢) ص ٥ بيتاً آخر هو :

فَصَبَّرَتْ يَدِي غَضَبًا لَمَّا ثَوَّبَ جِسْمَهَا وَأَمْرِيهَا بِالطَّبِّ مِنْ كُلِّ مَلِيسٍ

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أكلتها من «البيع في وصف الربيع» لأبي

الوليد إسحاق بن عامر الحميري ، ص ١٢٠ . وقد أورد بعد ذلك بيتاً هو :

كَأَنَّهُ قَدْ أَمَطَرَتْهَا دِيمَةً الْخَيْدِ وَأَجْرِيَتْ فِي أَفْصَانِهَا كَرَمَ التَّهْدِ

وقد قدم الحميري للآبيات بقوله :

«فن المستتر في الورود قول الحليج أبي الحسن جعفر بن عثمان المصنف ، وقد أهلى

إليه الوزير زياد بن أفلح ورداً سبق إليه من ربيعة في شهر كانون الآخر»

وقال بعد ذلك :

«فلما وصل هذا النظم المستطع إلى زياد بن أفلح بحث إليه بوردة كان احتجبها لنفسه ،

فبحث إليه يبتحن وهما :

فاجسأتني كائونٌ بالسود فزادني وجسداً إلى الوجد

ورودُ السلا أهدى لنا وردةً يا حسناً الورد من الورد»

وله في الحمر ، وقد أنشد ذلك أبو منصور الثعالبي في « البتيمة » :

أصفراء تطرق في الزجاج فإن سرت في الجسم دبّت مثل حيلة لادغ [١٢٤هـ]
خفيت على شرايها فكأما يمدون رياء في إناة فارغ
عجث الزمان بحسما فتسترت عن حينها في ثوب نور سابع
وله :

كم ليلة بت أطويها وأنشرها ولا أرى في التي أفضى بها حرجاً
في فتية نجب صاروا بمتك في النجم على الصرعى بها خلجا
والجو ملتحف [.....] (١) والنجم مكحولة الخاطلة دجا
لقوا دحى ليلهم في نور (٢) كاسهم ونسوا من خناق الرق فانبجبا
وله :

لإينيك في قلبى على صيون وبين ضلوى للشجون فنون
لئن كان جسى تخلفاً في يد الموى تحبك غص في القواد مصون
نصبي من الدنيا هواك ، وإنه عذابى ولكنى عليه ضنين
وله :

يا ذا الذى لم يدع لى حبه رقاً هذا محبك يشكو البث والأرقا
لو كنت تعلم ما شوق إليك ، إنا أيقنت أن جميع الشوق لى خلنا
لم يُبصر الحسن مجموعاً على أحد من ليس يبصر ذاك الخلد والمقا
وله في وفاة الناصر عبد الرحمن بن محمد وبيعة ابنه المستنصر بالله الحكم
ابن عبد الرحمن :

(١) يياض بالأصل .

(٢) في الأصل : ... وكاسهم ، فأكلتها على هذه الصورة .

أَلَا إِنَّ أَيْمَانَ هَقَّتْ بِإِمَامِهَا لَجَائِزُهُ مُسْتَقَطَةٌ بِأَحْكَامِهَا
تَأْتِلُ : فَمِنْ طَالِحٍ غَيْرِ آفِلٍ بِهِ ، وَهَلْ مِنْ قَاعِدٍ لِقِيَامِهَا ؟
وَطَائِنُ : فَمِنْ عَائِشٍ بِرِضَاعِهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَيِّتٌ بِفُطَامِهَا ؟
كَأَنَّ هَوَسَ النَّاسِ كَانَتْ بِفَتْسِهِ فَلَمَّا تَوَارَى أَقْبَنْتُ بِجِيَامِهَا
فَطَارَ بِهَا يَأْسُ الْأَمْسِ وَتَقَاعَصَرَتْ يَدُ الصَّبْرِ عَنْ إِعْوَالِهَا وَالتَّدَامِهَا
/ وَمِنْهَا لَهُ :

[١٢٥-١]

إِمَامٌ تَلَقَّتْهُ الْخِلَافَةُ صَبَّةً إِلَى نَسَمٍ^(١) عَمُودَةً عَنْ إِمَامِهَا
فَعَارَتْ إِلَيْهِ فِي حُدُودِ تَمَامِهِ وَصَارَ إِلَيْهَا فِي حُدُودِ تَمَامِهَا
فَلَمْ يَنْقُضْ بِالنَّاسِ يَوْمَ انْقِطَاعِهَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ عَنْ حُلِّ قَوَامِهَا
أَتَوْهُ فَأَصْطَوَوْهُ الْمَوَاتِقَ عَنْ هَوَى نَمَكْنُ فِي أَبْشَارِهَا وَعِظَامِهَا
وَنَادَاهُمْ كَفًّا يَطُولُ الْهَدَى بِهَا رِضَا اللَّهِ فِي تَقْبِيلِهَا وَاسْتِلَامِهَا
أَنَافَ عَلَى الدُّنْيَا بَيْنَ عِحَّةٍ وَقَالَ : ادْخُلُوا فِي أَمْنِهَا وَسِلَامِهَا !
وَلَهُ :

يَطَالُمُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ بِنُورِهِ بَنُو الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَعًا بِأَمْلُونِهَا
إِذَا مَا تَرَاهُ مِنَ الْمَيُونِ تَوَاضَعَتْ لِإِجْلَالِهِ عَنْ أَنْ تَقُلْ شُؤُونِهَا
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نَوْرُ جَلَالِهِ يَقْصُرُ بِالْأَلْحَاطِ أَنْ تَسْتِينِهَا
وَلَهُ عَمَّا قَالَهُ بَدِيحًا بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ ، عِنْدَمَا بُشِّرَ بِوِلَادَةِ ابْنِهِ هِشَامٍ :

أَطْلَعَ الْبَدْرُ مِنْ حِجَابِهِ وَأَطْرَدَ السِّيفُ مِنْ قِرَابِهِ
وَجَادَنَا وَارِثُ الْعَالِي لِيُثْبِتَ الْمُلُوكَ فِي نَصَابِهِ

(١) الأصل : نسيم ، ولا يستقيم به الوزن ، وهكذا صويبه دوزي ، ص ١٤٥ .

بَشَرْنَا سَيِّدُ الْبَرَايَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ
لَوْ كُنْتُ أَهْلَى الْبَشِيرِ عُمَرَى لَمْ أَقْضِ حَقًّا لِمَا أَتَى بِهِ
وَلَهُ فِي نَسْكِتِهِ :

تَأَمَّلْتُ صَرَفَ الْحَادِثَاتِ فَلَمْ أَزَلْ أَرَاهَا تُوَاقِي عِنْدَ تَقْصِيدِهَا الْخُرَابَ
فَلَهُ أَيَّامٌ مَعَت لَسِيلِهَا فَإِنِّي لَا أُنْسِي لَهَا أَبَدًا ذِكْرًا
تَجَافَتْ بِهَا عَنَّا الْحَوَادِثُ بَرَهَةً وَأَبَدَتْ لَنَا مِنْهَا الطَّلَاقَةَ وَالْبِشْرَا
لَيْلَى لَمْ يَدِرِ الزَّمَانُ مَكَانَنَا وَلَا نَظَرَتْ مِنَّا حَوَادِثُهُ شَرًّا
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا سَحَابٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْطَرُ الْخَيْرَ وَالشَّرَا
/ وَلَهُ :

[١٢٥-هـ]

أَجَارَى^(١) الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ بِجَارَةِ ضَى لِأَغَايِهَا
إِذَا نَفَسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا تَوَارَتْ بِهِ بَيْنَ جُلَاسِهَا
وَأِنْ عَكُفَتْ مَكْبَةً لِلزَّمَانِ عَكُفْتُ بِصَدْرِي عَلَى رَاسِهَا
وَلَهُ بِسُتَعْلَفِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهَا مِنْ مَحَبْسِهِ :

هَبْنِي أَسَافُ ، فَأَيْنَ الْعَفْوُ وَالْكَرْمُ إِذْ قَادَى مَحَوَّكَ الْإِذْنَانُ وَالنَّدْمُ ؟
يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدَى إِلَيْهِ ، أَمَا تَرْنِي لِشَيْخٍ نَمَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ ؟
بَالَتْ فِي السُّخْطِ فَاصْنَحْ صَنْعَ مُقْتَدِرٍ لِمَنْ لِللُّوكِ إِذَا مَا اسْتَرْجَحُوا رَحِمُوا
هَذِهِ الْأَيَّامُ مَتَنَازَعَةٌ ، يَنْسَبُهَا إِلَى الْمَصْحَفِ جَمَاعَةٌ ، وَقَدْ وَجَدْتُهَا مَنْسُوبَةً
إِلَى أَبِي عَمْرِ بْنِ دَرَّاجِ الْقَسَطَلِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْقَاسِمِ الرِّقِيقُ فِي

(١) الأصل : أجاز . وقرأها دوزي (ص ١٤٦) : أجازي .

تاريخه أنها لسكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب^(١) . وكلاهما أساء الرد على من قالها وتمثل بها ؛ أما إبراهيم فقال ، لجله وفضائله وقلة رحمة : « إن الملوك إذا ما استرحوا قتلوا ! » وبث إليه من قتل . وقرأت في « كتاب الافتخار » لأبي بكر عتيق بن خلف القيروانى ، أن إبراهيم بن أحمد لما قرأ رسالة كاتبه إليه من محبه ، قال : « يكتب إلى « هبى أسأت » وهو قد أساء ؟ والله لو كتب إلى يقول الأول :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهنا للكرام الكاتبين
لعفوت عنه^(٢) ، ثم أمر به فجُعل في تابوت وأحرق بالنار وهو حي^(٣) وأما ابن أبي عامر فأمر عبد الملك بن إدريس^(٤) أن يجاوبه عن هذه الأبيات ، فقال :

(١) لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابن دراج ، ووجدتها عند ابن عذارى منسوبة إلى محمد بن حيون المعروف بابن البريقي كاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (البيان المغرب : ١٢١/١).

وقد روى ابن بسام نفس الأبيات في النسيرة (القسم الرابع - المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) ص ٥١ دون أن يثبت إلى شيء مما فيه إليه ابن الأبار ، وهذا من الشواهد الكثيرة على سوء اطلاع ابن الأبار بالقياس إلى علامة جماع كاتبي بسام .

(٢) لم يذكر ذلك ابن عذارى ، وهو يتقل أيضاً عن أبي إسحاق القاسم بن الرقيق ، وإنما قال : « ثم أمر - قبسه الله - به فجُعل في تابوت حتى مات ، رحمه الله تعالى » . (البيان المغرب : ١٢٢/١).

(٣) هو أبو مروان عبد الملك الجزيري أحد شعراء المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر ، وهو معلود بين كبار شعراء عصره وأدبائهم . ومن الطريف أن عبد الملك الجزيري سارع إلى الرد على أديب مثله هو جعفر بن عثمان المصنفى متكلماً بلسان طاغية جبار ، فأرادت المقادير أن يلقى نفس الميتة على يد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، إذ أنه مازال يسمى حتى وصل إلى الوزارة أيام المظفر ، ودفعه حقه على عيسى بن سعيد القنطاع ، أكبر وزراء المظفر ، إلى التآمر على هذا الأخير مع قتاه الصقلي طرقة ، فقتل فيما سعى إليه وقبض على طرقة وعليه ، وأودع نفس المظفر الذي مات فيه جعفر المصنفى ولقى نفس النهاية في شوال سنة ٣٩٤ . قال ابن حيان : « أخبرني أبو خلف بن حسين قال : سألت لثلى تولى قتل الجزيري في محبه ، -

الآن يا جاهلاً زلت بك القدمُ تبغى التكرمَ لما فاتك الكرمُ ؟
 أغريتَ بى مَلِكاً لولا تثبته ما جاز لى عنده نطق ولا كلم
 فأبأس من العيش إذ قد صرت فى طبقٍ إن للوك إذا ما استقموا تصوا
 نفسى إذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم
 ويقال إن الآيات لابن أبى عامر . وكلتا القطعتين من أفعال الجبارة الذين
 أطغتهم النعمة ، ونزعت من قلوبهم / الرحمة .

[١٢٦-]

وللمصنفى لما يئس من المنصور وصفه :

لا تأمنن من الزمان تقلباً إن الزمان بأهله يتقلبُ
 ولقد أراى واليوث تخافنى فأخافى من بعد ذلك الثعلبُ
 حسبُ الكريم مذلةٌ وقيصةٌ ألا يزال إلى لئيم يطلبُ
 وإذا أنت أعجوبةٌ فاصبر لها فالحرُّ يأتى بعدما هو أعجبُ
 وله :

لى مدةٌ لا بدَّ أبلغها فإذا اهضمت أياها متُ
 لو قابلتني الأسدُ ضاربةً - والموتُ لم يُقدَّر^(١) - لما خفتُ
 فانظر إلى وكن على حذرٍ فبمثل حالِك أُمسٍ قد كفتُ

= فجعل يصف لى سهولة ما عاناه منه لفضافته وضعت أسره ، ويقول : « ما كان الشق إلا كالفرج فى يلى ، دقت رقبته بركتي ، فإزاد أن تقع فى وجهي » ، فنجبت من جهل هذا الأسود . النخيرة لابن بسام ، القسم الرابع - المجلد الأول ، ص ٣١ - ٣٦ .

(١) فى النخيرة (القسم الرابع المجلد الأول ، ص ٥١) :

« والموت لم يَدُنْ لما رَغبت »

وفى نسخة أخرى : لم يقرب :

١٠١ - محمد بن عبد الله بن أبي عامر

الحاجب ، المنصور أبو عامر

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الماعري ، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله ، والنائب عليه . أصله من الجزيرة الخضراء ، ولسفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شاباً ، فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه — أبو حفص عبد الله — قد سمع الحديث أيضاً ، وحسب أبا محمد الباجي الراوية في الأخذ عن الشيوخ بقرطبة ؛ وقد ذكرته في كتابي للوسوم بـ « التكلة لكتاب الصلة لابن بشكوال » ^(١) .

وكانت المنصورة ترمي به للرأي ، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور ، ويزيد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك ، فتم له مراده . وكان أحد أعاجيب الدنيا في ترقيه والنظر بتمنييه : تصرف أول أمره في الوكالة لصبح أم هشام ، والنظر في أموالها وضياعها ، والجد ينهض به ، والأقدار تساعده . إلى أن توفي الحكم وقلد هشام الخلافة وهو صغير .

ولما انتفض العدو على إثر ذلك ، وخيف الاضطراب ، ولم يكن عند المصحفي

(١) راجع ترجمة أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر الماعري والد المنصور محمد بن أبي عامر في تكلة الصلة لابن الأبار رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧ ، وقد قال فيه يعد أن ذكر سيوحه : « ورحل إلى المشرق فأدى القريضة ، وكان من أهل الدين والخير والصلاح والزهد والقعود عن السلطان ، أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال : كان خير صديق أنتفع به ويتنفع بي ، وأقابل معه كنيه وكنيى ، ومات منصرفه من حبه ، ودفن بمدينة طرابلس المغرب » . وذكر أيضاً أنه مات بقرطبة آخر خلافة الناصر .

غَفَاءَ وَلَا دِفَاعَ ، ضَمِنَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لَصِيحَ أُمِّ هِشَامٍ سَكُونَ الْحَالِ وَزَوَالَ
الْخَوْفِ وَاسْتِمْرَارَ الْمُلْكِ لَابْنِهَا ، عَلَى أَنْ يُبَدَّ بِالْأَمْوَالِ وَيُجَمَلَ إِلَيْهِ قَوْدُ الْجِيُوشِ ،
إِلَى مَا كَانَ يَهْدِيهِ مِنَ الْخُلُطِ السَّنِيَةِ . وَهُوَ — بِقُوَّةِ قَسَمِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ — / [١٢٦-ب]
يَعِدُّ النَّصْرَ وَلَا يَمْتَرِي فِي الظُّهُورِ ، وَيَسْتَجِبِلُ الْأَسْبَابَ لِلْعَيْنَةِ عَلَى الْفَتْحِ ، حَتَّى
أُسْعَفَ وَلَقِيَ الْمَدَى فَهَزَمَهُ . وَوَالَى غَزَاَ بِلَادَ الرُّومِ عَلَى الْقَدَمِ ، مَنْصُورَ الْعِلْمِ ،
لَا يُخْفِقُ لَهُ مَسْئَى وَلَا يُؤُوبُ دُونَ مَخْنَمٍ — كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى — إِلَى أَنْ صَارَ
صَاحِبَ التَّنْدِيرِ ، وَلِلتَّغْلِبِ عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ . فَذَانَتْ لَهُ أَقْطَارُ الْأَنْدَلُسِ كُلِّهَا ،
وَأَمِنَتْ بِهِ ، وَلَمْ يَضْطَرْبْ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لِحَسَنِ سِيَاسَتِهِ وَعَظَمِ هَيْبَتِهِ .
وَكَانَ رَجَاءً أَنْذَرَ خَاصَّتَهُ بِمَا يَكُونُ وَرَاءَهُ مِنَ الْفِتَنِ ، حَتَّى لَيْسَ كَذَّرَ عَلَيْهِمْ
مَجَالِسَ أَنَّهُ بِمَا يَلْقَى مِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، فَوْقَ الْأَمْرِ عَلَى مَا تَوَقَّعَ ، وَجَرَى الْقَدَرُ
بِمَا قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ . فَمَا زَالَ يَبْطِشُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَسْقُطُ مَنْ فَوْقَهُ بِقَهْرِهِ وَاسْتِيلَاتِهِ ،
إِلَى أَنْ صَارَ اخْتِلَافُهُ حَيْثُذَ — هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ — لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ غَيْرُ الْأَسْمِ
خَاصَّةً ، فَمَا ظَنَّاكَ بِرَجَالِهِ وَمَوَالِيهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ ^(١) كَانَ يَرْهَبُ وَبِهِمْ كَانَ يَقْتَرِسُ ؟
هَذَا وَنَصْرَتُهُ عَلَى النَّصَارَى مَتَوَالِيَةً ، وَغَزَوَاتُهُ فِي كُلِّ صَاقِقَةٍ مُتَّصِلَةً ، أَزِيدُ مِنْ
خَمْسِينَ — عَدَّهَا ابْنُ حَيَّانٍ فِي كِتَابِهِ لِلْمَوْضُوعِ فِي أَخْبَارِ الْبُلُوَّةِ الْعَامِرِيَةِ ^(٢) ،
وَجَعَلَهُ لِمَنْ شَاءَ خَزَنَةً عَنْ تَارِيخِهِ السَّكِينِ أَوْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ — حَتَّى أَذْعَنَ لَهُ مَلُوكُ
الرُّومِ وَرَغِبُوا فِي مَصَاهِرَتِهِ . تَنَاوَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِتَأْيِيدِ الْخُلَى مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ، وَأَوْرَثَهُ بَنِيهِ
وَقَتًّا قَصِيرًا .

فَأَمَّا أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمُلْكِ الْمُنْظَرِ مِنْهُمْ ، فَتَقَامُ بِالْبُلُوَّةِ مَقَامَ أَبِيهِ ، وَأَغْنَى فِي غَزَا

(١) كَلَّفَا فِي الْأَصْلِ ، وَالْأَصَحُّ هَا : الَّذِينَ بِهِمْ كَانَ يَرْهَبُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : النَّاصِرِيَّةُ ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ ابْنَ حَيَّانَ كَتَبَ كِتَابًا حَاصِلًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْناصِرِ ، وَلَكِنَّ الْبَابَ أَنَّ لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الْبُلُوَّةِ الْعَامِرِيَةِ يُسَمَّى « الطَّعْطَةُ الْكُبْرَى » وَعَمَهُ
نَقَلَ ابْنُ بَسَّامٍ مَا أوردَهُ فِي « النَّخْبَةِ » مِنْ تَارِيخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ .

العدو ، إلا أن مدته لم تطل . وبلغت الأندلسُ في أيامه نهاية السَّكَّال ، وكان على أهلها أسعدُ مولود . حكى ابنُ حَيَّانَ عن زعيم النجيين على عهد الحَكَم ^(١) ، أنه نظر في موكب عبد الملك هذا وهو طفل ، فأشار من بعد سعادته إلى أمر كبير لم يدرك هو آخره ، فمجبَّ من شاهده من جودة إصابته ، وذلك أنه قال : « لم يولد قط بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه ، وعلى نفسه ، وعلى حاشيته ، ثم اوعلى أهل الأندلس طرّاً ، وعلى أرضها طرّاً ، فضلاً عن ناسها . وإنها لا تزال كذلك حال حياته ، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد » ^(٢) ، فكان كذلك .

وأما أبو اللطف عبد الرحمن الناصر أخو عبد الملك ، فإنه وليَ الحِجَابَةَ بعده ، فلم يعم إلا يسيراً حتى قام عليه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، قُتِل وصُلِب . وانبعث الفتنُ على الأثر ، فما حدثت نارُها [١٢٧-١] إلا في النادر ، / إلى وقتنا هذا — وهو سنة [...] ^(٣) أربعين وستائة . وقد استولى الرومُ فيه على الأندلس بأسرها ، مع الجزائر الشرقية المضافة إليها ، بين صلح وعنوة .

وشوَّم عبد الرحمن الناصر ^(٤) هو الذي جرَّ افتراقَ الجماعة ، وجرَّ على خلطان الطاعة ؛ وعلى رجله كان الفسادُ العام ، لما استشرَف إلى الخلافة ، واستقل خطة الحِجَابَةَ ، ولم يرض إلا بالإمامة . فداخل هشاماً للمضعوف ، وطالبه بأن يجعله وليَّ عهد ، ويلقى إليه بجميع أمره ، فاستغنى في ذلك فقهاء قرطبة وعلماءها

(١) هو أحمد بن فارس البصري المتبحر زعيم الصناعة بما على عهد الحكم ، كما قال ابن بسلام - رايّاً عن ابن حيان - في النسخة قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٥٩ .

(٢) نقل ابن الأبار ذلك عن ابن حيان . راجع المرحع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) أسقط الناسخ هذا الرَّم ساعه الله . . كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيراء بالقبض .

(٤) المراد عبد الرحمن بن أبي عامر الذي اتخذ لنفسه لقب الناصر ، ويلقب أيضاً بالأمون .

حيثذ ، فسوغوا له ما طلب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بمصاه » — وكان ابن أبي عامر معافرياً قحطانياً — فقالوا : عسى أن يكون القدي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجد في ذلك السعي الخبيث أبو العباس بن ذكوان^(١) القاضي وأبو حفص ابن برد الكاتب^(٢) ، حتى قال فيهما ابن أبي يزيد المصري :

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي ، قاضي الجماعة بقرطبة على أيام المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر بن أبي عامر وأخيه عبد الرحمن بن أبي عامر ، وهو أول الموقعين على الوثيقة التي استصدرها عبد الرحمن بن أبي عامر بن هشام المؤيد بتوليته المهد الخليفة هشام المؤيد . وقد أثنى عليه معظم من ترجموا له (الفضي ، رقم ٤٢٥ ص ١٧٤ والنباهي : المرقبة العليا ، ص ٨٤ وابن سميذ في المغرب ، رقم ٢١٠ ج ١ ص ١٤٤ وأعمال الأعلام لابن الخطيب ، ص ٤٩) . وأسرته بن ذكوان أسرة فقهاء وقضاة ، وقد علت منزله عند عبد الرحمن بن أبي عامر حتى قلده الوزارة إلى جانب القضاء ، وكان يكتب عنه : من الوزير قاضي القضاة ، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس . وقد ظل جليل القدر إلى وفاته في ٢١ رجب سنة ٤١٣ . وأبو محمد ابن حزم يقتضيه ويتقدماً شديداً .

(٢) أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الكاتب ، المعروف بابن برد الأصغر . ذكر الحميدى في الجلولة (بتحقيق محمد بن تاروت الطنجي ، القاهرة ١٣٧٢) أنه كان مولى لأحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ، أديب وشاعر اشتهر بأسلوبه المسجوح المشغل بزيئة اللفظ ، ويعتبر من أوائل من أدخل هذه الطريقة في الأندلس . وقد شارك في السياسة وخدم المنصور ابن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن ، وعلا أمره في أيام هذا الأخير حتى وصل إلى الوزارة . لم يقدم لنا الذين ترجموا له شيئاً نافعا من حياته ، ولكن الحميدى يذكر أنه لقيه مراراً زائراً لأبي محمد على بن أحمد بن حزم وأنه توفي سنة ٤١٨/١٠٢٧ ، وقسب إليه الحميدى كتباً في علوم القرآن ، وذكر له ابن بسام معاصره كتاب « سر الأدب وسبك الذهب » ونقل فقرات طويلة منه ومن شعره ، ومن كلامه في أغراض شتى .

انظر : ابن بسام ، النخبة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ١٩ وما بعدها .
ياقوت ، معجم الأديباء (طبعة أحمد فريد رفاقي ، القاهرة) ٤١/٥ - ٤٣ .
الفضي ، بغية المتلمس ، ص ١٥٣ (كلامها نقل كلام الحميدى دون زيادة)
ابن سميذ ، المغرب : ٨٦/١ وتعليق الدكتور شوقي ضيف .

إن ابن ذكوان وابن برد قد ناقضا الدين بعدَ عهدِ
وعاندا الحق إذ أقاما حفيدَ شَنجَه^(١) وليَّ عهدِ
ولم يبقَ كذلك إلا أُرْسَة أشهر — في ما ذكر الحميدى وغيره — واختل
أمره وأسلمته الجيوش ، فكان من خبره ما تقدم ذكره .

وكان موته المنصور محمد بن أبي عامر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها
كانت الهزيمة العظيمة بالحنق^(٢) على عبد الرحمن الناصر ، فأخذ الله بثأر

(١) إشارة إلى ما هو معروف من أن أم عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر كانت بنت
شانجه الثاني ابن غرسية الأول ابن شانجه الأول وهو الملقب بأباركا ملك نبارة *Sancho Garcés II (Abarca)* . وقد أسلمت هذه الأميرة بعد زواجها بالمنصور وتسمت باسم عبدة ، وأنجبت
عبد الرحمن حوالي سنة ٩٨٤/٣٧٤ ، وأطلقت عليه — تديلا — مصغر اسم أبيها ، أي سانشويلو
Sancheilo (بالربية شنجول) . وقد أقيمت هذا الزواج حفلة بين قرطبة والبشكنس ،
وأقبل سانشو جاريس في زيارة رسمية لحمية في قرطبة في سبتمبر سنة ٩٩٢/رجب ٣٨٢ .
وقد ذكر ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص ٦٣) شانجو غريس هذا وقال : المعروف
بـ *Rey Abarca* .

انظر : تعليق الدكتور مكى على القصيدة رقم ١٠٧ من ديوان ابن دراج ، ص ٣٩٥ .

ابن عذارى ، البيان المغرب (بتحقيق ليثي بروفنسال) ج ٣ ، ص ٣٨ و ٤٢ .

ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بتحقيق ليثي بروفنسال) ص ٧٩ .

Dozy, Recherches (3e édition) I, 188-192.

LÉVI — PROVENÇAL, Histoire de l'Espagne Musulmane (2e éd, Paris, 1950) II, 241 - 249, 292.

(٢) دارت معركة الحنق بضعة أيام ، ولكنها بلغت ذروتها وتفرص مبرها في ١١ شوال
٣٢٧/ أول أغسطس ٩٣٩ عند مدينة سنت مانتش (سيمانقاس *Simancas*) وقد سميت
باسم الحنق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى
يحصر عنده قوات العدو الهاربة في حالة الهزيمة . وكان عبد الرحمن قد احتفل بالاستعداد للمعركة
احتفالا ضخما وحشد لما نحو ١٢٠ ألف جندي وسلاحا لهذا « غزاة الفدرة » لأنه عول على أن
يجعلها قاضية على رذير الثالث *Ramiro III* ملك ليون . ولكن معظم جيش المسلمين
كان من المطوعة والقوات غير النظامية ، ثم حذب خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين
وصقابة عبد الرحمن ، ولهذا فتعاضدت قوات ليون على المسلمين في اليوم الأخير للمعركة
تراجعا وتحاذل بعضهم وولوا الأدبار ، حتى إذا وصلوا إلى الحنق تساقطوا فيه وقتلوا =

الإسلام على يد النصور ، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . خرج غازياً ، وقد وقع في مرضه الذي مات فيه ، فافتحم جليقية من تلقاء مدينة طليطلة ، ومرضه يخف وقتاً وينقل أوقاتاً ، وقويت عليه العلة بأرض قشتالة ، فأتخذ له سرير من خشب يُحمل على أعناق الرجال ، قطع بذلك أربعة عشر يوماً ، حتى وصل إلى مدينة سالم ، فوجه ابنه عبد الملك ليخبر هشاماً بما ترك عليه أباه ، وتوفي ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة . قيل : ودفن بمدينة سالم وقبره بها ؛ وكان عليه مكتوباً :

آثاره مُنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ، ولا يحصى النور سواه

/ وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة ، فقد كان له حلم واحتمال ، مع محبة [١٢٧-ب] العلم وإثارة الأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما . يحكى أن أبا محمد الباجي الراوية دخل عليه وقال : « أصلحك الله يا حاجب ، وحفظك ووقتك وأحسن عونك » ، فرد عليه ابن أبي عامر أجلاً رد ، وبجأه وقره وأدنى مكانته حتى أقامه إلى جانبهِ ، وقال له : « كيف أنت اليوم وحالك ؟ » فقال له : « بخير ما كنت به »^(١) ثم قال له الباجي : « أي والدٍ كان لك رحمة الله عليه ! كان والله

بالألف ، وأسرع عبد الرحمن ناجياً بنفسه في قل الجيش . وتلك هي المعركة الوحيدة التي خسرها عبد الرحمن الناصر ، وكانت آخر غزوة غزاها بنفسه .

انظر : الأخبار المجموعة ، ١٥٥ - ١٥٦ .

نفتح الطيب (طبعة أوربا) ٢٢٨/١ .

ابن عبد المنعم الحسيري ، الروض المطار ، ٩٩ - ١٠٠ .

DOZY, *Recherches*, I, 166-170.

LÉVI-PROVENÇAL, *op. cit.*, 66-69.

والمراجع الوافية للمطالعة في هذين المرجعين .

(١) الأصل : فكتت به .

— ما علمت — من أهل الخير والعافية ، والصالح والعفة ، والحرص على الطلب والعرفة . اختلف معي إلى محمد بن عمر بن لياقة ، وإلى أحمد بن خالد ، وإلى محمد بن فضال بن الليثي وغيرهم . وكان لي خير صديق وصاحب : أنفع به ، ويفضُّني ، وأظبلُ معه كُتبه وكتبي ^(١) . ولم يكن فضولاً البتة . وأما أنت فلم تمتثل ، وأدخلت يدك في الدنيا ، فاقتمست في لُججها . وطلبت الفضول ، فملت أخباراً كثيرة ^(٢) ، وأوبقت نفسك بالله يا مغرور ، وعزَّ على انتشابك ، فقال له ابن أبي حاتم : « يا فتية ، هكذا صاحب الدنيا : لا بد أن يخلط خيراً بشراً ، ويأتي معروفاً ومنكراً ؛ والله يتوب على من يشاء برحمته » . وسأله الباجي إثر هذا رفع الثرامة عن ماله بإشييلية ، فأمر بإسقاطها ، ووصله ببدره دراهم كاملة ، ومنديل كسوة ^(٣) تشاكله ، فيها خلعة تامة . ومن شعره يفخر :

رَمِيتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ ، وَالْحَرَّ الْكَرِيمُ مَخَاطَرُ
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَانٌ مُشِيمٌ وَأَسْمَرُ خَطِي وَأَبْيَضُ بَاتِرُ
وَمَنْ شِئِي أَنِّي عَلَى كُلِّ طَالِبٍ أَجُودُ بِمَالٍ لَا تَقِيهِ الْمَعَاذِرُ
وَإِنِّي لَزَجَاءُ الْجَبُوشِ إِلَى الْوَعَى أَسُودُ تَلَاقِيهَا أَسُودُ خَوَادِرُ
لَسَدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سَيَادَةٍ وَكَثُرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ أَكَاثِرُ

- (١) أورد ابن الأبار هذه الفقرة في ترجمته لأبي حفص عبد الله بن محمد بن أبي حاتم (رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧) ، وقد ذكرناه في تعليقنا آنفاً .
(٢) انظر عن نظام الجاسوسية التي وضعه المنصور : أعمال الأعلام لابن الخطيب (بتحقيق ليثي بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦) ص ٧٦-٧٧ .
(٣) الأصل : منديل كسره ، والصواب ما أثبتناه . وليس المراد بالمنديل ما نريده به اليوم في الاستعمال الجاري ، وإنما قلعة قاس كبيرة توضع فيها الأتشياء ونلف ، والمراد أنه أعطاه كسوة لائقة به ملفوفة في منديل . انظر عن استعمال اللفظ في هذا المعنى :

وما شِدتُ بنياناً ، ولكن زيادة على ما بنى عبدُ الملك وطامرُ
رفعتا للمال بالموالي حديثه وأورثناها في القديم مَافِرُ
قال ابن حَيَّان : هذا لأنه محمد بن عبد الله ، ونسبه كما تقدم . قال :

وعبد الملك جده هذا هو الداخل إلى الأندلس / مع طارق بن زياد ، مولى موسى [١٢٨-١] ابن نصير ، في أول الداخلين من المغرب ؛ وهو في قومه وسيط .

وقال الحُمَيْدِي : قال لي أبو محمد علي بن أحمد - يعني ابن حزم - النقيع :
كان المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر مَعَاوِيَّ النَسَب من حِمْيَر ، وأمه تميمية
وهي بُرَيْهَة بنت يحيى بن زكرياء التيمي المعروف بابن زُرطال ، ولذلك قال فيه
أحمد بن دَرَّاج - هو أبو عمر القسطلي - من قصيدة له فيه :

تلاقت عليه من تميمٍ وَيَعْرُبٍ شمسٌ تَلالًا في العلا وبُدُورُ
من الحِمْيَرِين الذين أَكْفَهُمُ سحائبُ تهى بالندى وبحور^(١)

وللمنصور - لما اشتد سلطانُه وتوالى ظفره - وكتب به إلى صاحب
مصر يتوعده :

مَنَعَ العَيْنَ أن تذوقَ للناما حُبُّها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناسٍ قد أحلوا بالمشعرين الحراما
إن قَضَوْها نالوا الأمانى وإلا جـلـوا وزنها رقابًا وهاما
عن قريبٍ ترى خيولَ هشامٍ يبلُغُ النيلَ خطوُها والشَّاما
وله :

ألم ترني بعتُ الإقامةَ بالشَّرى ولينَ الحشايا بالخيولِ الضوامِرِ ؟

تبدلتُ بعد الزعفرانِ وطيبه صدا الذُّرْع من مستحكاتٍ للسامرِ
أروني فتى يحمي حملي وموقفي إذا اشتجر الأقوان بين الساكر
أنا الخاجب المنصور من آل عامر بسيفي أقدُّ الهام تحت المغافر
تِلَادُ أمير المؤمنين وعبدُهُ وناصحُهُ المشهودُ يومَ المغافر
فلا تحسبوا أني سُفِلْتُ بغيركم ولكنَّ عَهْدْتُ^(١) الله في قتل كافر
وأهدى المنصور إلى أبي مروان عبد الملك بن أحمد^(٢) بن شهيد الوزير
حقيلة من عقائل الروم يكفها ثلاث جوار - وقد سأله ذلك عند صدره من
بعض غزواته - وكتب إليه معهن يداعبه :

قد بشتا بها كشمسِ النهار في ثلاثٍ من التما أبكارِ
فاجتهدْ واتَّددْ فإنك شيخٌ خفيَّ الليلُ عن يياضِ النهار^(٣)
[١٢٨-ب] / صانك الله عن كَلالِكَ فيها فن المار^(٤) كَلَّةُ السمار
فانتفضن أجمع في ليلته ، وكتب إليه :

قد قضضنا ختامَ ذاك السَّوار^(٥) واصطيفنا من النجيع الجماري

(١) كذا في الأصل ، وفي يقيمة الدهر لأبي منصور عبد الملك الثعالبي (طبعة محيي الدين ، القاهرة ، بدون تاريخ) ، ٦٢/٢ :

• ولكنَّ أطلتُ الله في كل كافر •

(٢) الأصل : عمر بن نهيد وهو خطأ ، وقد صويت الاسم من الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦ ، وقد وردت نفس الأبيات هناك ، ص ١٨ - ١٩ . وقد سبقت ترجمته .

(٣) الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ :

فاتتد واجتهد فإنك شيخ قد جلا الليل عن يياض النهار
(٤) الأصل : المارد ، والتصويب من الذخيرة .

(٥) كذا في الأصل وفي مخطوط الذخيرة ، وقد صوبه المحققون إلى : السوار .

ونمنا في ظل أنم ليل ولمونا بالدر أو بالدراري^(١)
 وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء غضب الظبي بتار
 فاصطنعه ، فليس يُجزيك كفرةً وانخذ سيفاً على الكفار
 قال ابن حيان : وكانت حجابة للنصور خمساً وعشرين سنة ، وعمره خمساً
 — أوستاً — وستين سنة .

١٠٢ - عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص

كان أبوه عمرو — وهو الملقب بـ « عَنكَلَاجَة » — صاحب اللديتين^(٢)
 في أيام هشام المؤيد ، بتقديم ابن عمه للنصور محمد بن أبي عامر . ثم ولى بلادَ
 المغرب بعد ذلك فاشتد سلطانه هناك ، واستنزل حسن بن القاسم العلوي
 الإدريسي وأغذته إلى الأندلس . وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً^(٣) ، وقتله^(٤)
 ابنُ عمه المنصور بتنقصه إياه وغضبه منه وتسخيه عليه واحتجاز الأموال دونه

(١) الذخيرة :

وصبونا في ظل أطيب عيش ولمبنا بالدر أو بالدراري
 (٢) أقام المنصور بن أبي عامر ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر على مدينة قرطبة
 عقب توليه هو الشرطة العليا لكي تتم له السيطرة على شؤون الأمن والحراسة في العاصمة ،
 وكان محمد بن أبي عامر قد سلك في حكومة المدينة سياسة العنف والشدّة حتى أقر الأمن فيها ،
 ثم استتاب عن نفسه ابن عمه هذا فأسر سيرته (ابن عذاري ، البيان : ٢٦٦/٢ - ٢٦٧)
 وعند تمام بناء مدينة الزاهرة أقامه عليها ، فأصبح يلقب بصاحب اللديتين .

(٣) كان ذلك في الغالب سنة ٣٧٥ ، وقد روى ابن عذاري إرسال المنصور جيشاً
 كثيفاً في تلك السنة إلى المغرب للقضاء على ما كان يحاوله حسن بن كنون من الخروج عن طاعة
 الأمويين كما سبق أن رويناه . وحسن بن القاسم المذكور هنا هو حسن بن كنون بن القاسم ،
 وقد قتله المنصور غدرًا بعد أن استسلم على أمان وقيل أن يذهب إلى قرطبة . البيان المغرب :
 ٢٨١/٢ .

(٤) أي قتل عمراً أبا المرحم له هنا .

[بعد أن ^(١) استقدمه من المغرب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

ومن شعر أبي حنص هذا يظم المظفرَ عبدَ الملك ، لما زوّج « حبيبة » بنت ابن عمه عبد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبي عامر — وهي بنت أخته « بُرَيْهَةَ » — من عبد الملك بن قند مولا م :

عربيّ مزوّجٌ عبده بنتَ أخته

فبِح الله فعلَ ذا ورماء بمقتله

وقد قيل إنهما لعبد الملك بن يحيى ، أخى عبد الله بن يحيى المذكور .

١٠٣ — زياد بن أفلح

مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها ، وتوفي في أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة — ذكر ذلك ابنُ حَيَّان في تاريخه الكبير ، وذكر في « الدولة العامرية » ^(٢) أنه كان على المدينة ، وأن جُودراً الفتي الحسكى تحيّن ركوبَ

(١) أضفت هاتين الكلمتين السابق .

(٢) إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية ، وهو المعروف بـ « البطشة الكبرى » وقد احتفظ لنا بأجزاء منه ابن بسلام في اللخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٩ وما بعدها ، وابن الخطيب في أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ٤٨ وما يليها ، وابن عذاري في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٣ وما يليها . ولكن ما ينقله ابن الأبار هنا لا يوجد في أى من تلك المراجع . وله لهذا أهمية كبرى ، رغم إيجازه . وإليك تفصيله :

^٢ بعد أن استقر الأمر على أن يظل هشام المؤيد خليفة بعد أن تخلص جعفر المصحق ومحمد بن أبي عامر من المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، شمر صقالبة القصر وعلى رأسهم الفتيان =

زياد هذا إلى داره بطرف المدينة ، حين توصل إلى هشام المؤيد ، عازماً على الفتك به ، عند مداخلة الجماعة الذين اجتمعوا على خلعهم ، بتدبير عبد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد صاحب خطة الرد ، فبُطش بجُؤذر / وقُبض عليه بمبادرة [١٧٩-١]

جؤذر وفائق بأن الأمر صار في الحقيقة إلى المصحى وابن أبي عامر ، تماونهما صبح أم المؤيد . فأخذوا يمارضان هذا التالوث الذي استأثر بالحكم . وتنبه ابن أبي عامر لخطر الصقالية ، فما زال يضايقهم حتى استصدر من هشام أمراً يمزل جؤذر وفائق من رياستهما ، ففرضوا الانصراف عن القصر مع أتباعهما فأجيبا إلى ما طلبا وانتقلا إلى دورهما في المدينة . وكان إلى المدينة إذ ذاك زياد بن أفلح المترجم له هنا ، وكان في الباطن من التائقين على التالوث الحاكم المتوجسين شراً من ابن أبي عامر .

وبعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من إسقاط جعفر المصحى والافتراء بالحجوبة سنة ٣٧٧/ ٩٧٨ تبين لجؤذر وفائق وشركائهما أنه لا بد من معالجة ابن أبي عامر ، فذهبوا في السنة التالية مؤامرة ترمي إلى إقصاء هشام المؤيد عن الخلافة والمناذاة بحفيد لعبد الرحمن الناصر يسمى عبد الرحمن ابن عبيد الله . وقد اشترك في المؤامرة زياد بن أفلح وعبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي ، وكان إلى خطة الرد في قرطبة ، والشاعر يوسف بن هارون الرمادي . وقشلت المؤامرة ، وخاف زياد بن أفلح أن يفضح أمره فألقى بزملائه المتآمرين في السجن . ويقفهم من رواية ابن الأبار أن جؤذراً لم يسجن ، وحاول أن يقتل زياد بن أفلح انتقاماً منه على الصورة الواردة في النص . ولم يوفق جؤذر في ذلك لأن أحمد بن محمد بن عروس (ويبدو أنه كان يتولى وظيفة كبير من وظائف الشرط) قبض عليه ، فأسرع زياد بن أفلح - وكان في داره - مخافة أن يكلم جؤذر ويفضحه ، ولكن يبدو أن هذا تكلم ، ولعلنا نبلغ ابن عروس زياد بن أفلح « وتعاوننا في المنازلة » أي على كتمان الأمر . وقد قتل عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عقب ذلك . أما عبد الملك بن منذر فقد آتهم بالزنتقة والاغتيال ، وأُقي عليه بآية الحرابة كما يقول ابن الأبار ، فأنار زياد بن أفلح يصبه تقريباً لابن أبي عامر ، فسلب عند باب السدة في منتصف جمادى الثانية ٣٦٨/ ١٨ يناير ٩٧٧ . وتوفي زياد بن أفلح بعقب ذلك . أما الشاعر الرمادي فقد هرب واحتفى حتى صفا عنه المنصور .

انظر: طوق الحماة لابن حزم ، طبعة ليون برشير مع ترجمة فرنسية (الجزائر ١٩٤٩)

ص ١١٤ - ١١٥ .

ASIN PALACIOS, *Abenmasarra y su escuela, en [Obras Escogidas]*, 1, 124.

LÉVI - PROVENÇAL, *op. cit.* II, 216-218.

بالإضافة إلى المراجع المذكورة في أول هذا التعليق .

أحمد بن محمد بن عروس إلى تلافى الأمر . قال : ووافى زياد على إثر ذلك فوبخه ابن عروس ، فأخذ في الاعتذار وتساونا على النازلة ، وما سلم زياد من التهمة . وحكى أن عبد الملك بن منذر في هذه القصة — لما أفتى عليه بأية الحراة ورد إلى الخليفة الأمر فيما يختاره من العقوبة — أشار صاحب المدينة زياد بن أفلح هذا بأن يُصلب ، استبلاغاً في المثلة — يبنى بذلك التقرب إلى ابن أبي حامر ونفى التهمة عنه — فعمل برأيه ، وذلك في سنة سبع وستين وثلاثمائة . وزياد هو القاتل :

وأصبحت الدنيا بأوثبك الرضا لقيت كوصل صانع لقفا الصدد
ولم لا ، ودهرى كله بك موق ؟ أرق — إذا ما شئت — من طرق برد

١٠٤ — فرحون بن عبد الله

يُعرف بابن الويلة^(١)

وهو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، ويُشهر بفرحون . كان والياً على شترين بفرس الأندلس ، في أيام الحكم المستنصر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله ، وقدم عليه أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي متنجماً ، فأمر بإزاله ، فقصر به متولئ ذلك ، فكتب إليه الرمادي :

أيها العارض والمهم يدي لستقيه وبلا
حين لا يهدي إذا ما أنه تُسقي العارض طلاً

(١) الأصل : الدبلة ، والتصويب من دوزي ، ص ١٥٥ .

قائداً أفنت منازل به العدا سنياً وقسلاً
 إن ضيقاً قاصداً قد ت له : أهلاً وسهلاً
 قد توسعت له فيه ما يسر الضيف تزلاً^(١)
 ما له فرش على الأر ض سوى وجه مصلّى
 فأنا لولا [اصطبار]^(٢) ردّ منه الوعر سهلاً
 لم نجد عني لنوم بميت السوء كغلاً
 فوردت الأبيات على فرحون وهو خارج إلى النزو ، فجل من ذلك ، وأمر
 له بما طلب ، وقرن ذلك بجمارية ، وكتب إليه معتذراً من التقصير :

أيها السيد أهلاً بالذي أهديت أهلاً
 ما يُناويك مُناوٍ إن وصلت القول وصلاً
 شاعراً نذباً نبيلاً محسناً جيداً وهزلاً
 ما تولى الشر إلا ردّ منه الوعر سهلاً
 شعره سَخَّ وَوَيْلٌ إذ يكون الشعر طلاً
 محكم غصّ بديع لا يكاد الدهر ينبل
 / فله ما قلت أهلاً ثم رحباً ثم سهلاً [١٢٩-ب]
 أيها السيد سهلاً بأخيك المحض ، سهلاً^(٣)
 إن شكواك إلينا ولدت في النفس خبلاً
 ونفت نوى فلما تكتحل عيناي كغلاً

(١) قرأها دوزي : خزلاً ، وصوبها إل : غلاً .

(٢) يياض بالأصل ، وقد أكلته بما يناسب الوزن والمعنى .

(٣) الأصل : أهلاً ، ولكن السياق والمقابلة مع الشطر الأول يقتضيان هذا التعديل .

ما على عبدٍ ولكنك (م) جَهَنَّا الأمرَ جهلاً
 وظننا بالـمـكـازي^(١) إنه أكرمُ بذلاً
 فابسطنْ عذري وإن لم أكُ للأعذار^(٢) أهلاً
 يا أخى أنت ومولى وقليلُ لك مولى
 قد بمتنا بفراشٍ فاهجرنْ وجهَ المصلي
 ووصلناه بغيرِنا ، كبدٍ يتجلى
 ففضلُ بقبولٍ لا عدمتُ الدهرَ فضلاً
 ووراً ذلك منى سترى فضلاً وفضلاً

وله أيضاً :

يارسولى أبلغْ إليها شكائى واستنلها ولو بقاء حياتى
 قل لها : قد قضى هواكُ عليه فهو ميت ، أو مؤذنٌ بالماتِ
 فالخطيبُ تَرى إذا شئتَ متيناً كان يحيا بأيسر اللحظاتِ
 واعجبي أن تكونَ لحظةُ عينٍ منك تُهدى الحياةَ للأمواتِ

١٠٥ — على بن وداعة بن عبد الودود السلمي ، أبو الحسن

قال فيه الخنيدى : أميرٌ كان قريباً من الأربعمائة . وقال ابن بسام ،
 وذكر صاعداً للنوى : انتهت به الحال إلى أن أغريم ، فاستغاث على بن وداعة ،
 أحدَ الفرسانِ الأبطال ، ونهباه للدولة كان في ذلك الأوان . قال : ومن شعره فيه :

(١) كذا في الأصل ، ولعله اسم الشخص الذى وُكِّلَ إليه إنزال الشاعر والحفاوة به .

(٢) الأصل : فابسطنْ عذرى وإني لم أكن للأعذار أهلاً

والبيت على هذه الصورة غنن الودن ، وقد أبدل دوزى (ص ١٥٧) كلمة « للأعذار »
 بـ « للمر » ، وما أثبتناه أصح وأقوم .

أبا حسن ، ربيعةٌ من سُلَيْمٍ سِتَانُ زَانَ عَالِيَةِ الرَّماحِ
وإني مَائِدٌ بِكَ مِنْ هَنَاءٍ^(١) تَحْضُرُ دَعَائِي تَحْتَ الْقِداحِ
فَكُرِّ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ وَاقْشِرْهُ فَلَيْسَ حِجِّي ابْنَ عَمِّكَ بِالْمِلْحِ
فَإِنْ الْجَارَ عِنْدَكَ بَيْنَ جَنِّي عُنَابِ الدَّجْنِ كَامِرَةِ الْجَنَاحِ
تُظَلِّكَ طَالَمَا بَيْنِي سُلَيْمٍ عَلَيْهَا عِنْدَ مَفْتَحِ الصَّبَاحِ
إِذَا سَادَرَتْ قَرْنَكَ فِي مِكَرِي جَلَّتْ لَهُ ذِرَاعُكَ كَالْوَشَاحِ
ومن شعر ابن أبي وداعة :

زار الحبيب فرحاً بالزائر أهلاً بيدٍ فوق غصنٍ ناضرٍ
| قَبِلْتُ مِنْ فَرْحِي تَرَابَ طَرِيقِهِ وَسَحَتْ أَسْفَلَ نَظَرِهِ بِمَحَاجِرِي [١٢٠-١]
وَخَشِيتُ أَنْ يَنْقُذَ إِيَّاهُ رَجُلِي مِنْ رَقَةٍ فَبَسَطْتُ أَسْوَدَ نَافِرِي

(١) في الأصل بالهاء المفعولة ، وصحبها كما أثبتناه . والهاء للداعية ، وقد حسب فائزو اللخيرية أنها مستعملة هنا جعلاً لأنهم قرأوا الكلمة الواردة بعدها تَحْضُرُ . وصحة قراءتها كما هي هنا . انظر : اللخيرية (قسم ١ جلد ١) ص ٣٨ .

وقد روى ابن إسحاق في اللخيرية (نفس المرجع ص ٣٧ وما بعدها) تفصيلاً ما جعل صاعداً يستفتح بهلى بن وداعة ، وخلاصته أن صاعداً بن الحسن بن عيسى البغدادي سادته حاله بعد المز الذي كان فيه أيام المنصور ، ووطوبى في آخريات تلك الدولة ، وانتهت به الحال إلى أن أُعْزِمَ في غير طويل ، فاستناب بهلى بن وداعة شراً وثيراً ، فانتزع بهلى بن وداعة ، ولا كانت فيه شفاعة ، فتوجه إلى الخليفة هشام يرجوه مغفرته ، ثم قُتِلَ ابن وداعة ولم يبق عند صاعداً أمل ، إذ اضطربت الأحوال وارتجت الفتنة وضاع أمر صاعداً وبين غلاء السرور ورخس الشعر . ورفض رجال هشام للمؤيد أن يأخذوا لصاعداً في مبارحة الأندلس خوفاً من لسانه ، فخرج مستخفياً ولجأ إلى أبي زيد البكري صاحب جزيرة شلطيلى سنة ٤٠٣ هـ ، ومن هناك ذهب إلى سقاية حيث تحسنت حاله ، ثم عاد إلى الأندلس ليأخذ أهله وعياله ، وبلغ الخليفة المستعين فلم يظفر منه بطائل ، فماد إلى سقاية وتوفى فيها سنة ٤١٠ هـ .

١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى

كان أبوه من رؤساء الدولة الأموية وقوادها الجيلة ، وكان يعلى هذا
في دولة للصور أبي عامر محمد بن أبي عامر . ومن شعره ، وقد بحث إليه
بوررد مبكر :

بعثتُ من جنّتي بوررد غصنًا له منظرٌ بديعُ
قال أناس رأوه عندي : أعجبه عائننا التُربيعُ
قلتُ : أبو عامر المملّى أياؤه كلها ربيعُ

وتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وله يرثى أبا على البغدادي من أبيات :

أما العلم موتُ أبي على منارِ العلم والفضل الرضي
سأبكي بعده سرًّا وجهرًا كما يبكي الوليُّ على الولي
ولو لم أبكه حزناً ووجدًا إذا ما كنتُ بالرجل الوفي
إذا قلبٌ خلا من حبٍّ مَيِّتٍ فقلبي لبسَ عنه باغلي
وله :

إني هجرتُ الغانياتِ جميعاً ونزعتُ عن كلّتي بهنَّ نَزْوِها
ورفضتُ لذاتي فصرتُ لناصحاً بعد الإيابة^(١) سامعاً ومطيعاً
ونعى النعي قلبي فأقصر وارعوى واعتاض بعد الكبرياء خشوعاً

ورأيتُ رَشْدِي واضحاً بعد العَمَى فنكصتُ عن غَيِّ الضلالِ رجوعاً
يا حَسْرَةً سَاعَاتُهَا ما تَقْضِي كيف النجاةُ وقد أسأتُ صنيعاً ؟

ومن ملوك إفريقيا ورجالهم في هذه المائة :

١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله

/ قد تقدم الاختلافُ في نسب عبيد الله إلى الحسين بن علي ، رضوان الله [١٢٠-ب] عليه ، فنُسلِّم ما ادعاه ومن دافع له فيما حكاه ، وهو الأكثر وهو الأصح والأظهر .

واختلف أيضاً في اسم القائم هذا ، فقيل عبد الرحمن وقيل حسن وقيل محمد ، وبهذا الاسم كان يُذكر في الأمداح^(١) ، قال علي بن محمد الإيادي التونسي :
أعجبُ بأسطولِ الإمامِ محمدٍ وبحسنه وزمانه المستغربِ
ليستَ به الأمواجُ أحسنَ منظرٍ يبسِدو لعين الناظرِ للعجبِ
وتقدم أيضاً ذِكْرُ وروده للغرب مع أبيه وما قيل في تبنيه وهو يومئذ

(١) أشار إلى الاختلاف في اسمه محمد بن علي بن حمّاد^د في كتابه « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » (بتحقيق م . فونلر هايدن ، باريس - الجزائر ، ١٩٢٧) ص ١٢ ، ورجح أن صفة الاسم محمد واستدل على ذلك بأن أبا القاسم القائم عندما سار إلى المغرب الأوسط في حياة أبيه في صفر سنة ٣١٥ هـ لحرب محمد بن غزير الزناتي ومن تبعه من زفاعة اختط مدينة المسيلة وبهاها والمحمدية باسمه ، وهذا يدل على أن اسمه محمد ، بخلاف من يقول إن اسمه عبد الرحمن .

حَدَّث . ثم بويع له بالخلافة بعد عبيد الله للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وأخفى القائم موته ^(١) سنة .

وكان في حياة أبيه — على الخلاف فيه ^(٢) — أظهر منه في خلافته ومصير الأمر إليه : غزا قبل ذلك الإسكندرية في عسكر عظيم فلسكها مع الفيوم وصار في يديه أكثر خراج مصر وضيق على أهلها وحاربه مؤنس الخادم بها . وكان خروجه من رقادة في سنة إحدى وثلاثمائة ، ولست بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وصله جيش حباسة ^(٣) بن يوسف صاحب المهدي في مائتي مراكب فنزل فسطاط مصر والإسكندرية ، وقوى على مؤنس ^(٤) بالرجال والأموال ، وشخص لحربه فكانت بينهما وقعة قتل فيها خلق من الفريقين ، ثم انصرف حباسة ^(٥) ومن معه عن الإسكندرية راجعين إلى الغرب بعد هزيمة وقعت على المغاربة .

(١) أي أنه أخفى موت أبيه سنة . وقد أشار ابن عذارى إلى حزن القائم على أبيه حزناً شديداً في ص ٢٠٨ (ج ١) من البيان المغرب .

(٢) أي على رغم الخلاف في بنوته له . ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : على الخلاف في أمر عبيد الله نفسه .

(٣) الأصل : حبانة ، والأصح ما أثبتناه . وقد كتبه فائرو « النجوم الزاهرة »

حباية يفتح الحاء ، والأغلب الضم . راجع المناقشة في ضبط الاسم في « النجوم » : ١٧٢/٣ .

(٤) مؤنس الخادم الفائد الباسي الطائر الصيت ، وقد سماه ابن حمّاد « مؤنس الخادم الذي يعرف بالفعل أو يدعى المظفر » (ص ١٢) .

(٥) هذا التفصيل من ابن الأثير يحمل خلافاً كبيراً بين المؤرخين ، فبعضهم (مثل الطبري

والكندي) يقولون إن القائد كان حباية بن يوسف ، وبعضهم الآخر (مثل عريب بن سعد

وابن خلكان والمفريزي) يقولون إن القائد كان القائم ، وانفرد أوتيسا بالقول بأن عبيد الله

المهدي أرسل ابنه القائم بجيش مدحاً لحباية بعد استيلائه على الإسكندرية والفيوم (انظر المناقشة

عند حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١٣ هامش ١) .

وقد فصل ابن عذارى (البيان المغرب : ١٧١/١ - ١٧٢) أخبار هذه الحملة تفصيلاً شافياً ،

وذكر السبب في قتل المهدي لحباية بن يوسف وعروبة بن يوسف وجميع قرابتهما . وهناك

تفاصيل أخرى عن هذه الحملة في « أخبار بني عبيد » لمحمد بن علي بن حماد ، ص ١١ - ١٢ .

ثم غزا في حياة أبيه ثانية ، وعند وصوله إلى الإسكندرية — وذلك في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة — خرج عاملٌ للقتدر معها ودخل الجيزة^(١) من أرض مصر في خلق عظيم .

وكتب القنمُ إلى مكة وإلى مَنْ حولها يدعوهم إلى طاعته ويعدم الجبل ، وقال : « نحن أهل بيت الرسول ، ومن أحق بهذا الأمر منا ؟ » ، وضنَّ الكتابُ أياناً يقول فيها :

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم أم اصّدت من قلة الفهم والأدب ؟
فويحاً لكم خالفتم الحقَّ والهدى ومن حاد عن أم الهداية لم يصيب
/ فيا مُعرضاً عفى وليس بمنصفى وقد ظهر الحق للبين لمن رغب [١٢١-١]
ألم ترى بيتَ الرفاعة بالشرى وقتُ بأمر الله حقاً وقد وجب
فلما وصل إليهم الكتاب بعثوا به إلى للقتدر ، فأرسل إلى أبي بكر الشولبي
بعد قراءته الرسالة والشعر ، فدفع إليه الشعر وقال له : جاوبه عنه ،
فكتب إليه :

عجبتُ وما يحلو الزمانُ من العجب لقول امرئٍ قد جاء بالبين والكذب

(١) الأصل : الجزيرة ، والصحيح من « القضاة والولاة » لكننى ، بتحقيق روفن جست ، ص ٢٧٥ . والثابت من مراجعتنا أن القنم لم يستطع دخول الجيزة ، إذ ظل فيها « تكبُّنٌ » عامل مصر حتى وصلت عساكر المهدي ومراكبه في النيل قادمة من الإسكندرية ، وانصهرت تكبُّن على القنم وظفر بمراكبه في شوال ٣٠٧ ، ثم أقبل إلى مصر مدد ببناد يقوده مؤنس الخادم في محرم ٣٠٨ ، واستمر القتال بين الجانبين ، وفي أثناءه استولى القنم على الفيوم وجزيرة الأشمونين وعدة بلاد ، فأنتت نجدة أخرى من بناداد يقودها جنسى الخادم المعروف بالصَّفَوَانِي ، فكانت بين الجانبين حروب طويلة في الفيوم والإسكندرية ، ثم انصرف للقنم عن مصر إلى برقة عائداً إلى إفريقية ، وعزل تكبُّن عن ولاية مصر في ١٣ ربيع الأول ٣٠٩ .

انظر : أبو الحسن ، التاجم الزاهرة ١٩٥/٣ - ١٩٧ .

وجاء بملحونٍ من الشعر ناقصٍ فسحقاً له من مدح أفضل النسب
فمن أنت يا مهدي السفاهة والخنا فقد قت بالدين الحديث وبالريب
فلم يجيبوه . وهي قصيدة طويلة ، منها في ذكر الخلفاء من بني العباس :

ومستعبد من بعده وموفق يردد من إرث الخلافة ما ذهب
نوازلهم ^(١) في كل فضل وسودد وإن لم يكن في التمدنهم لمن حسب
أنشدهما أبو إسحاق إبراهيم بن تميم القيرواني الحصري في كتاب « زهر
الآداب وثمر الألباب » من تأليفه . وقد أجرى ذكر الموفق أبي أحمد بن المتوكل
ومدح ابن للمزله ، قال : ويلقب بالناصر والموفق ، كانت حاله قد ترقق في
أيام العمد إلى غاية لم يبلغها الخليفة ^(٢) . وقد ذكره الصولي في قصيدته لصاحب
المغرب ، وقد اقتصر ^(٣) خلفاء بني العباس من أولهم ، وذكر البحتين . وللموفق
هذا هو الذي قتل صاحب الزنج القائم بالبصرة ، بعد مواقف كثيرة ومحاربات
شديدة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدته الطويلة الجليلة :

أبا أحمدٍ أبليت أمة أحمدٍ بلاء سيده ابن عمك أحمد
حصرت عميد الزنج حتى غاذلت قواه وأودى زاده للتزود
فظل - ولم تقتله - يلفظ فسه وظل - ولم تأمره - وهو مقيد
فما رُمته حتى استقل برأيه مكان قناة الظهر أسمر أجرد

(١) الأصل : موازٍ لم . والتصويب من « زهر الآداب » للحصري القيرواني ،
بتحقيق زكي مبارك ، ١٩٢/٢ .

(٢) في « زهر الآداب » للحصري القيرواني (بتحقيق الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ،
بنون تاريخ) ، ج ٢ ص ١٩٣ : غليظة .

(٣) في الأصل : اقتصر ، والتصويب من زهر الآداب ، نفس الجزء والصحيفة .

/ وكان صاحب الزنج يدعى الالتاء إلى بيت على رضى الله عنه ، ومنحاه [١٣١هـ]
 نحو العبيد بن بده ، وينال من بنى العباس نيل هؤلاء منهم ، وفي ذلك يقول :
 لَهْفَ نَمَى عَلَى قَصُورٍ بِيْعْدَا دَ وَمَا قَدْ حَوَتْهُ مِنْ كُلِّ عَاصٍ
 وَخُصُورٍ هُنَاكَ تُشْرِبُ جَهْرًا وَرِجَالٍ عَلَى لِلْعَاصِي حِرَاصٍ
 لَسْتُ لَابِنِ الْقَوَاطِمِ النَّزْرُ إِنْ لَمْ أُجِلِّ الْخَلِيلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِ
 وقرأتُ في كتاب أبي الحسن علي بن بحر بن أبي السرور الروحي الإسكندري
 أن المهدي عبيد الله سُرِّ ولىَّ عهده أبا القاسم ابنه إلى مصر دفعتين : الأولى في
 سنة إحدى وثلاثمائة ، قال : وعاد في سنة اثنتين وثلاثمائة ، والثانية سنة ست
 وثلاثمائة ، وحكى أنه ملك الإسكندرية فيها .

وقال غيره : في أيام عبيد الله بَطَلُ الْحِجِّ وَأَخَذَ الْحِجْرُ الْأَسْوَدَ ، أَخَذَهُ
 الْقَرَامِطَةُ وَأَقَامَ عِنْدَهُمُ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا ، وَقَتْلَ الْمُقْتَدِرِ بِيْعْدَادَ وَأَظْهَرَ
 عَبِيدُ اللَّهِ عِنْدَمَا بَلَغَهُ الْخَبْرُ أَنَّ دَعَاةَ قَتْلِهِ بِأَمْرِهِ ، وَجَلَسَ لِقَائِكَ مَجْلِسًا^(١) .

وحكى الصولي أن الذي قتله رجل من أهل المغرب بربري يقال له علي بن
 الصنْهَاجِي ، رماه بحربة — وهو على فرسه يُصَلِّحُ بَيْنَ الْجُنْدِ — فِي ظَهْرِهِ فَخَرَجَتْ
 مِنْ صَدْرِهِ وَوَقَعَ مَيِّتًا .

وكان « القاسم » في حياة عبيد الله القاسم بالأمور والدولة [] ، فلما أفضت

(١) وردت نفس المارة في تاريخ بني صيد لابن حماد ، فأكتلها منها (ص ١٧) .
 وما قاله عبيد الله السيحي لا يستبعد ، والخبر الذي يرويه ابن الأثير عن الصولي بعد ذلك يقوى
 هذا الاحتمال . ويقويه كذلك ما جاء في النجوم الزاهرة (٣/ ٢٣٣) : « وكان غالب عسكر
 حوُلس (القائد الذي خرج على المقتدر وقتل المقتدر وهو يجاربه ، وهو نفسه مؤنس الخادم)
 من البربر ، فلما انكشف عن المقتدر أصحابه ، جاءه واحد من البربر فضره من خلفه ضربة
 سقط منها إلى الأرض ، فقال : ويلك ! أنا الخليفة ! ، فقال : أنت المطلوب ! وذبحه بالسيف ،
 وشال رأسه على رمح . . . » .

اتخلفة إليه ظهر أبو اليزيد^(١) الخارجى مخلد بن كيداد عليه فبجز عن مقاومته ولم يستقل بمدافسته ، فغلب على البلاد في جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصره في المهديّة . وأبو يزيد من بني يفرن^(٢) ، ويُقال إن الذي قُتل في فتحه أربعمائة ألف . وللاّذاربه والتحدث بخروجه^(٣) بنى « المهديّة » عبيد الله وجعلها دار ملكه وقرار سلطانه . وقال بعد تحصينها وعند انتقاله إليها : « اليوم أمنت على القوام »^(٤) ، يريد حرّمه .

وكان قيام أبي يزيد في آخر خلافة القاسم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي القاسم يوم الأحد ثلاث عشرة خلت من شوال سنة [أربع وثلاثين وثلاثمائة] .
[١٢٢-١] وكان^(٥) القاسم ولّى ابنه إسماعيل عهدَه وفوض إليه أمره ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ، وأدخل عليه جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم فقال : « هذا مولاكم وولي عهدي والخليفة من بعدى ، وهو صاحب هذا القاسق وقاتله » ، يعنى أبا يزيد^(٦) .

وقال ابن حبان في تاريخه « للفتبس من أنباء أهل الأندلس : « وفي العشر الأواخر من ذى الحجة منها — يعنى سنة أربع وثلاثمائة — قدم محمد بن محمد ابن كليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعى صاحب المهديّة

(١) المشهور « أبو يزيد » بفون أداة التعريف .

(٢) الأصل : يفرن ، والصواب بالغاء كما أثبتناه ، واسمه الكامل كما أورده ابن عذارى (البيان المغرب ، ١ / ٢١٦) : مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمّان بن مخلد بن عثمان ابن وريعت بن بقراسن (في نسخة أخرى : تنفراس) بن سميذان ابن يفرن .

(٣) يقال إن عبيد الله المهديّ تنبأ بخروج أبي يزيد بن كيداد ، وأنه بنى « المهديّة » لتكون حصناً له ولنولته عند قيامه .

(٤) المشهور أنه قال : « الآن أمنت على الفاطميات » .

(٥) الأصل إن .

(٦) وردت نفس العبارة عند ابن حنّاه في تاريخ بني عبيد ، ص ٢١ .

هلك فيها وهو محصور من قبل أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى النكارى المعروف بصاحب الحمار القائم عليه فى جموع البرابرة ، وأن شيعته قدّمت لإسماعيل ولده ، وأنه فارس شجاع أبى النفس ، أقدم على أبي يزيد وجموعه ولأقاه بمدينة سوسة فانهزم أبو يزيد قدّامه إلى القيروان ثم إلى سبيبة . زاد غير ابن حيان : وما زال يتبعه إلى أن ظفر به حياً وقيذاً بالجراح فأت منها وهو فى أسره ، فأصر به فسُلخ وطيف به .

وإسماعيل للنصور هذا أبو الطاهر ، وابنه أبو تميم معد بن إسماعيل اللز الدين الله ، كانا خطيبين مفوهين ، ولم أقف لهما على شعر أكتبه فى هذا المجموع ، وسيأتى ذكرهما بعد أن شاء الله . وكانت خلافة القائم اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ، وتوفى وهو ابن خمس وخمسين سنة ومولده بسنة .

١٠٨ — تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو علي

شاعر أهل بيت الشبيدين غير منازع ولا مدافع ، وكان فيهم كابر المنز فى بنى العباس غزارة علم ومناة أدب وحسن تشبيه وإبداع تخيل ، وكان يقتضى آثاره ، ويصوغ على مناحيه فى شعره أشعاره . ولأه أبوه اللز الدين الله معد بن إسماعيل للنصور عهد ، وبه كان يُكنى ، فخلع برأى جوهر الصقلى لأنه كان حقياً لا يولد له ، وولى أخوه عبد الله فتوفى فى حياة أبيه ، ثم ولى المهدي أخوه أبو النصور نزار العزيز بالله ، وانتقل من إفريقية إلى مصر بانتقال أبيهما معد ابن إسماعيل فى آخر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وشعر تميم مدون ، ومحاسنه كثيرة ، وتصرفاته بديعة . ووقع منه فى كتابي

الحصري « زهر الآداب وثمر الألباب » و « نور الطرف ونور الطرف » كل نادر غريب .

[١٢٢ب] / وكان تميم لما استقر بمصر ونوفى أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين [وثلاثمائة] وولى أخوه نزار يمدحه ويداريه طلباً للسلامة منه ، لأنه لم يكن يأمن عاديته^(١) بسبب اغتلاعه عن العهد . وكذلك كان ابن للمنز يداري للمتصدد والمكتفى ابنته ويمدحها ويمدح عمه للوفق رغبة في التخلص منهم ، لأنه كان أهلاً للخلافة فقصه الله بذلك من هؤلاء ، وقدر أن طاح على يدي المعتذر بعد أن بويج له من الليلة التي قبض عليه في صبيحتها ، ولقب بالراضى بالله — وقيل بالمتصف بالله — وذلك يوم الخميس اليثين خلنا من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين .

ومن شعر تميم في أخيه نزار :

يا ابن الوصى المرتضى ، يا ابن الإمام مـ المحتجى ، يا ابن النبي للرسلي^(٢)
ما بال مالك ليس يرميه الندى إلا يوافق منه موضع مقتل ؟
أنت المحصل^(٣) في زمان أصبحت أملاكه كالقول غير محصل
لو لم تكن في جفلي لندوت من عزّ مات رأيك وحدها^(٤) في جفلي
هجباً لأبصار تراك ولو درت مقدار فضلك كن عنك بمزحل

(١) في الماش خط مخالف : غائله .

(٢) راجعت هذه الأبيات على أصل التصيغة كما وردت كاملة في « ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي » (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ ، ص ٣١١ وما بعدها ، وقد أورد ابن الأثير أخباره منها على غير نسقها في التصيغة ، وهذا البيت والأربعة الأبيات التالية له وردت في آخر صفحة ٣١٣ وأول ٣١٤ .

(٣) المحصل ، كما ورد في الشروح الصافية المعلقة على متن الديوان : المعز ، وأصل التحصيل لإظهار الالب من القشر وتمييزه عنه .

(٤) الديوان ، ص ٣١٤ : وحدها .

وهي قصيدة طويلة . ومنها في وصف فرس له يدعى السرور :

نم العين على الوغى في مازق لَبَسَتْ به الأبطالُ قَعَّ القَسَطِلِ^(١)
فرسُ أُمِّ^(٢) المُنَكِّبِينَ مُقَابِلِ^(٣) يرى الجفادل من يديه يجفدِلِ
تُنْيِك^(٤) عن أناسه أعضاؤه حُناً ، وعن أخراه عِتْقُ الأولِ
وكأما مبيضٌ ألى وجهه وجهه ضوء الصباح القبلِ
وكان دَقَّةَ [سَرَجِه ولجامه]^(٥) [شُدًّا]^(٦) على ظهر السَّمَاك الأعزلِ
ويسابق البرق [الثَّارَ بِحَطْوِه]^(٧) ويزيدُ فيه على الصبا والشَّمَالِ
صافي الصهيل كأنَّ [في ترجمه]^(٨) غرد يغنى في التَّحِيلِ الأولِ
ذوقونَّس [مالت نواحي عُرفه]^(٩) مستشرفُ الأعلى رحيبُ الأسفلِ
وكأما فلقُ الصباح بوجهه ماله بدا مترقِّفاً في جدولِ

(١) هذا هو مطلع القصيدة كما وردت في الديوان ، ص ٣١١ ، وعنوانها هناك :
وقال يمح الخليفة العزيز بالله ، ووصف فرساً يدعى « السرور » .
والمأزق : الموضع الضيق الذي يُقتل فيه ، والتنعق : الثَّيَار الساطع المرتفع ، والقسطل :
الغبار في الحرب .

(٢) الأُم : المال المرتفع .
(٣) مقابل : كريم النسب من أبويه ، أصيل في طريقه .
(٤) الأصل : تنْيِك ، والتصويب من الديوان (ص ٣١١) .
(٥) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا : وكان ذو ، فصحته وأكلته من الديوان
(ص ٣١٢) .

(٦) ساقطة في الأصل .
(٧) ساقطة في الأصل .
(٨) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا الكلمات الثلاث الأولى ، هكذا : صافي الصهيل
كأنه .

(٩) وهذا أيضاً لم يرد منه إلا الكلمتان الأوليان ، هكذا : ذو قوس .
والتقوس : أعلى الرأس ومقدمه ، وقوس القوس : ما بين أذنيه ، وهو عظم ناقي
بينهما .

وله يمدح أخاه :

ألسنا [بنى] بنتِ النبيِّ الذي به نخلف من زنجِ المي الثقلان^(١)
 أليس أبونا خِذْنَه ووصيّه وقارَسَه في كل يومِ طِمانٍ
 فكثُفُوا بنى العباسِ عتاجَ حاكم^(٢) قد طالما خُتِمَ بكل مكان^(٣)
 [١-١٣٢] / متى لم تكونوا دوننا ونُسايقوا بصالحنا^(٤) في كل يومِ رهان
 بمن نُصر الإسلامَ في يومِ خيرٍ ويومَ حُنينٍ والقنا مُتَدان ؟
 أليس على* كان كاشفَ عَمَّا وما كان للعباسِ مَم يَدان
 ومن فرَجَ القَتَاءَ عن وجهِ أحدٍ بمكةَ لما رجعَ كلُّ جَنان
 فبِت على ظُهرِ القراشِ بديلَه يقيه ردى الأعداءِ غيرَ جَبان
 وكم مثلها من مَنفَرٍ وفضيلة حواها على* وهو ليس بِوَافٍ
 وإن^(٥) قَتَمَ إنا جميعاً لهاشم فاستوى^(٦) في الجنةِ التَصُدَّان
 فلم^(٧) تدفعون الحقَّ والحقُّ واضحٌ ؟ دنا منكم ما كان ليس بَدان
 أمةَ كانت قبلَكم في اغتصابها أحقُّ ، فهاذت^(٨) وارثَ دَت بَهوان

(١) اختار ابن الأثير هذه الأبيات من قصيدة تيم بن معد أخيه العزيز مظلماً :

دماني ، طيس الرأي ما تريان نهاني الحجا من كل ما تصفسان
 وقد ورد المصراع الأول من هذا البيت في الأصل محرراً هكذا :

• ألسنا بيت النبي الذي به •

(٢) الأصل . بجاكم .

(٣) ورد هذا الشعر في الديوان ، ص ٤٤٩ هكذا :

• فقد أن أن نغزو بكل مكان •

(٤) الديوان : لصالحا .

(٥) الديوان (ص ٤٥٠) : فإن .

(٦) الديوان : يستوى .

(٧) الديوان : فكم .

(٨) الديوان : قيارت .

أخذتم بنصيب إرثنا وصعدتم منابر ما كانت لكم بأمان^(١)
 وجتم بأسماء يروق استأصها وألفاظ حسن ما لم يكن معان :
 رشيد ولم يرشد ، وهادي وما هدى لحق ، ومأمون بخير أمان
 ومستم لم يتمم بإلهه ومقتدر لم يقتدر ببيان
 ومستفد بالإفك خاب اعتضاده ومتصر بالبغي غير معان
 أصيغوا لتمام « المزير » الذي له^(٢) نزل خطوب الدهر بعد حيران
 كأن رواق المز^(٣) من نور وجهه سماء بدا في ألقها القمران
 أغره كنصل السيف يفضي اعتزاته بكل رقيق الشفرتين يمان
 كأن الناي والعطايا نوافل يحود بها من مُنْصَل وبنان
 حوت أبا للنصور كل فضيلة وأمسكها دون الوري يمان
 كأنك في سمالك إذ قتت خاطبا وأعيننا طرا إليك روان
 شيبة نبأ الله جدك أحمد ويشبه فرع البانة النُصْتان
 وم علوي فاطمي مفضل ولكنهم ما فيهم لك ثان
 ومن يدعى منهم مكالمك في الملا قد جاء بالهتان والمذبان
 إذا ما كفك الله ما أمت متقي شغاني مما أتقي وكفاني
 وإني لسهم من سهامك ماطر^(٤) على كل من عاداك مسم سينان
 / أراك بعين النصح في كل حالة على كل ما فيه^(٥) اعتقدت ترائي [١٢٢-٧]

(١) الأصل : بأمان ، والتصويب من الديوان .

(٢) الديوان : [الذي] به .

(٣) الديوان : الملك .

(٤) الأصل : فاطر ، والتصويب من الديوان ، ص ٤٥١ .

(٥) الديوان : فيك .

ومن ذا الذي يركع رعيًا تودّه^(١) على كل غيثٍ أو بكل حيان^(٢)
أخ ووليٍّ مشفق وابنٍ والدٍ شقيقٍ ومذّاحٍ بكل لسان^(٣)
وكان العزيزيُّ إلى إكرامه ويُجزل عطاءه ويعامله بما قتله^(٤) علماً من صدق
وده وإخلاصه في مدحه .

ويمكن أن نتره إلى « بركة الحبس » فلما قرب من قصور أخيه تيم سأل
عنه ، فأسرع إليه من عرفه ، فخرج راجلاً حافياً حتى لقيه ، فلم عليه بالخلافة ،
وقال : « يا أمير المؤمنين ، قد وجبت على عبدك الضيافة » ، قال : « نعم » ،
ودخل إلى بستانه وقد أمر بجنيبة من الجنائب التي كانت بين يديه ، وأقسم
على تيم أن يركبها ويسيره ، فلما توسط البستان نظر إلى ثمر يلوح الذهب عليه ،
فصعج منه واستطرفه ، ودنا من شجرة فأخذ منها ليمونة واحدة ، فقرأها وإذا
عليها مكتوبٌ بالذهب :

أنا الليمونُ قد غُذيتُ عروقٍ ببرِّ الماء في حرِّ حريرٍ
حسنتُ فليس يحسنُ أن يُعَيَّ بأمثالي سوى لكِ الدزيرِ

فجلسا في كه وقال : هذه ضيافتى عندك . وانصرف إلى قصره فبعث إلى
أبي جعفر بن مهذب^(٥) صاحب بيت المال ، فقال له : « ما عندك من الدنانير
ضرب هذه السنة ؟ » — وكان ذلك في أولها — فقال له : « مائة ألف وستون

(١) الديوان : حتى يوده .

(٢) في الأصل : حيان .

(٣) في الأصل : لساق .

(٤) كذا في الأصل ، والمعنى مفهوم رغم نبو كلمة « قتل » هنا ، إذا صحت قرأنا لها .

(٥) ورد الاسم في الأصل : جعفر بن مذهب ، وجعلها مولر : قهز . وقد غلب

على أن المراد هنا هو أبو جعفر بن حسين (أو أبو جعفر حسين) بن مهذب ، وقد ذكره
المقرئزي (المخطوط ١٦٤/٢ واتماظ الحنفا ، ص ١٣٩) ووصفه بأنه صاحب بيت المال أيام
المز . والتألب أنه استمر على هذه الوظيفة أيام ابنة العزيز .

ألقا ، فأمره حملها من ساعته إلى الأمير تيم مع راشد العزني ، وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على مؤوتك . فقبل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره .

وكانت أيام العزيز بمصر أعياداً ، رفاهية ودعةً وتمهلاً . فكان تيم إذا جاء الليل أمر مائتي فارس من عبيده بحراسة الناس الخارجين في أيام النيروز والليلاذ وللهرجان وعيد الشعائين ، وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا ينحون فيها على أموالهم رغبةً ويخرجون إلى بركة الحبش متزهين ، فيضرون عليها المضارب الجليلة والسرادات / والقباب ، ومهم من يخرج بالقيان والمُسِمعات والخدّرات ، [١٢٤-١] ونخل تيم تحرسهم في كل ليلة إلى أن ينصرفوا ويركب تيم في عُشاري^(١) تتبعه أربعة زوارق وأكثر ، مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً ، فإن كانت الليالي مقمرة وإلا كان معه من الشمع ما يعود به الليل نهاراً ، فإذا سر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً أصرم بإعادته ، وسألم عما ينقصهم فيعطيه ، وربما رغبوا إليه أن يُسمعهم من غناؤه ، فيقف عليهم ويأمر من ينفي لم ، وينقل عنهم إلى غيرهم فيفعل هذا عامةً ليلة ، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه على هذه البركة ، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضي هذه الأيام ويفترق الناس^(٢) .
ولتيم يفخر :

(١) المتشارى طراز من السفن متوسطة الحجم كان يستعمل في الأبحار والبحار للرحلات الصغيرة . وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة ، وقد ورد ذكرها عند المقرئزي والنويري وابن حير وابن بطوطة وعبد اللطيف البغدادي ، أي أنها كانت مرفوعة في الشرق والغرب على السواء ، وعن العرب أخذها الأوربيون ، فسميت في إيطاليا باسمها العربي *naclere* (أوشيري) وفي إسبانيا *esquife de nave* . ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تنسج لشعة أشعاص .

انظر: دوزي ، ملحق القواميس : ١٣٠/٢ .

(٢) روى هذا الخبر بنصه المقرئزي في الخطط : ١٤٥/٣ .

لا تُبْطِرُ السَّرَّاءَ لِي خَلْقًا وَلَا أَغْدُو عَلَى ضَرَائِهَا مَتَشَخِّعًا
لِي فِي الشَّارِقِ وَالْمَغَارِبِ جَوْلَةً يَنْدُوهَا قَلْبُ الزَّمَانِ مَصْدَعًا
وَلَهُ :

لَيْتَنِي الْمَالِي أَنْتَى أَنَا رَبُّهَا وَأَنْى إِذَا عَارِضْتُ صَبَابًا تَيْسِرًا
غَذَّتْنِي - مَذَكَنْتُ - النَّبُوَّةَ وَالْمَدَى فَخَسِبَ أَنْ كَانَا لِي عَنْصَرًا
وَلَهُ :

وَأَيْ لِأَنْتَى كُلِّ خُطْبٍ بِمَهْجَةٍ يَهْوَنُ عَلَيْهَا مِنْهُ مَا يَتَصَبَّبُ
وَأَسْتَصْحَبُ الْأَهْوَالَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَيُمَزَّجُ لِي السَّمُّ الزَّعَافُ فَأُشْرَبُ
فَمَا الْحَرْمُ إِلَّا مَنْ تَدْرَعُ حَزْمَهُ وَلَمْ يَكْ إِلَّا بِالْقَنَاءِ يَنْتَكِبُ^(١)
خَلِيلِي مَا فِي أَكْثَرِ الرِّاحِ رَاحَتِي وَلَا فِي الْمَتَانِي لَدُنِّي حِينَ تُضْرَبُ^(٢)
وَلَكِنِّي لِلْمَدْحِ^(٣) أَرْقَاحُ وَالْمَلَا وَلِلْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ أَصْبُو وَأَطْرِبُ
وَمَنْ بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَفَسِي وَهَمِّي يُرْجَى لَهُ^(٤) فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَرْكَبُ
وَلَهُ فِي التَّشْبِيهِ :

عَلَّلَانِي بِهَا فَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ لُكْلُونِ الصَّدُودِ مِنْ بَعْدِ وَصَلِ

(١) الأصل : يتكسب ، والتصويب من يتيمة النهر للشاملي ، ٤٢٧/١ . وقد وردت في الديوان أيضاً : يتكسب (ص ٤١) .

(٢) كذا أيضاً في مخطوطين مما احتُمد عليه في نشر الديوان ، وفي الباقي : تُطْرِبُ ، وقد أخذ المحققون بهذه الرواية الأخيرة .

(٣) الديوان (ص ٤٢) : لمجد ، وهو أجود .

(٤) الديوان : يروح له ، وقد وضعها المحققون بين قوسين ، لدلالة على أنهم لا يرتاحون لهذه القراءة .

وانجلى النيمُ بعد ما أضحك الروضَ بكاء السحابِ فيه يوبلُ
عن هلال كسولجان مُضارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبلُ^(١)

[١٣٤هـ]

/وله :

[رب صفراء عللتنى] بصفرا ، وجنح الظلام مُرخى الإزار^(٢)
وكانَ الدُّجى غداثُ شِعْرِ وكانَ النجومَ فيها مدارى^(٣)

وله :

وانجلى النيمُ عن هلالٍ تبدى في يد الأفق مثلَ نصفِ سوارٍ
وله :

كانَ السحابُ الغرأصبَحَ أكوّساً لنا ، وكانَ الراحَ فيها سنا البرقِ
إلى أن رأيتُ النجمَ^(٤) وهو مُغربٌ وأقبلَ راياتُ الصباحِ من الشرقِ
كانَ سوادَ الليلِ والصبحُ طالعٌ بقايا مجالِ الكحلِ في العينِ الزرقِ
وله :

ما ترى الليلَ كيف رَقَّ دُجاءٌ ويذا طيلسانهُ ينجابُ

(١) الليل (كما ورد في شروح الديوان ، ص ٣٣٨) عظام ظهر دابة بحرية يتخذ منها الأسورة والأمشاط والخواتم وغيرها .

(٢) لم يرد من الشطر الأول من هذا البيت إلا دجى صفراء ، فأكلته وقومته من الديوان (ص ١٨٣) ، وقد ورد الشطر الثاني من هذا البيت هكذا :

• وجنح الظلام جسود الإزار •

وفي نسخة أخرى : مُرخى الإزار .

(٣) ورد لفظ «مدارى» في الأصل دون ياء ، وقد قومته من الديوان (ص ١٨٣) . وورد في هامش الديوان المطبوع : المدارى جمع مدارة ، وهى المشط .

والبيتان من قصيدة في الفزل ، وقد ترك ابن الأبار بين البيت الأول والبيت الثاني بيتين وردا في الديوان .

(٤) الأصل : النجوم ، والتصويب من الديوان .

وكان الصبح في الأفق باز والدي بين غلبه غراب

وله :

ألا سقينا^(١) قهوة ذهبية فقد ألس الأفق جئح الديج دمج

كان الثريا والظلام يحثها^(٢) فصوص الجين قد أحاط بها سبج

كان نجوم الليل تحت سواده - إذا جن - زنجي تبسم عن فلج

وله :

كان كؤوس الشرب هي دوائر قطائع ماء جامد تحمل اللهب

فبتنا نسقى الشمس والليل راكد وقرب من بدر السماء وما قرب

وقد حجب النجم الهلال كأه ستارة شرب^(٣) خلفها وجه من نجب

كان الثريا تحت حلقة ليها مداهن يلور على الأفق تضطرب

وله :

خذها إليك - ودع لوى - مشغمة من كف أحوي^(٤) أسيل الخلد مذهبه

وانظر إلى الليل كالزنجي منهزماً والصبح في إثره يبدو بأشبهه

والبدر متصف^(٥) ما بين أنجمه كأنه ملك في صدر موكبه

وله :

أوفى فأشرق البلاد لنوره حفا وأرسل بالشفاء رسولا^(٦)

(١) الديوان (ص ٨٦) : ألا سقاني .

(٢) الديوان (ص ٨٦) : يحثها .

(٣) الديوان (ص ٦٢) : سيرب ، وترحها الناصرون ، هاشم ، مكنيا : ويحي .

بها جماعة .

(٤) الديوان (ص ٧١) : أوفى .

(٥) الديوان (ص ٧١) . مستص .

(٦) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

ما كنتُ أحسبُ أنَّ بَدْرًا قَبِلَهَا / قَلَّ الضُّطَى كَرَمًا وعَادَ عَلِيلاً [١-١٣٥]
يا عَلَّةَ زَارِ الحَيْبِ مِنْ أَجْلِهِمَا / اللَّهُ أَنْتِ ، لَقَدْ شَفَيْتِ غَلِيلاً
وله ، وهو من مختار شعره في النسيب :

أَعْذِلْ قَلْبِي ؟ وَهُوَ لِي غَيْرُ عَازِلٍ وَأَعْصِي غِرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أَضْلَى^(١)
وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الْجَوَى وَلَا^(٢) جَلْدِي طَوْعِي وَلَا كَيْدِي مَعِي
تَأَوَّأُوا وَالْأَسَى عَنِّي بِهِمْ غَيْرُ مُنْتَأٍ وَوَدَّعْتُهُمُ وَالْقَلْبُ غَيْرُ مُوَدَّعٍ^(٣)
وله :

يَا مُعْطِشِي مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدَهُ
هَلْ فَيْكَ لِي رَحْمَةٌ إِنْ صَحْتُ : « وَاعْطَشِي^(٤) » ؟
أَنْتَ الْحَيَاةُ الَّتِي تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا حَقًّا فَإِنْ قَدَدْتُكَ النَّفْسُ لَمْ تَعِشِ
تَوَفَّى تَيْمٌ فِي خِلَافَةِ أَخِيهِ الْمَرْزُوقَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، وَتَوَفَّى الْمَرْزُوقَةُ سِتًّا
وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ^(٥) .

(١) الديوان ، ص ٢٦٧ :

أَأَمَّرَ قَلْبِي وَهُوَ لِي غَيْرُ عَازِلٍ أَمْ أَعْصِي غِرَامِي ، وَهُوَ مَا بَيْنَ أَضْلَى
(٢) الديوان : وما .

(٣) الديوان : مودعي .

(٤) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

(٥) قال ابن حلكان في الوفيات (٢٧٠/١) إنه « توفى في ذي القعدة سنة ٣٧٤ ،
وزاد المصنف في تاريخه أنه توفى يوم الثلاثاء مع زوال الشمس ليلت من الشهر المذكور ،
وأن أحياه المزير نزار بن المزير حصر الصلاة عليه في بستانه ، وغسله القاضي محمد بن الممان
وكنيته في ستن ثوباً . . وقال عبد الملك الحمداني في كتابه الذي سماه « المعارف المتأخرة » إنه
توفى سنة ٣٧٥ والله أعلم . وقال غيره ما إنه ولد سنة ٣٣٧ » .

١٠٩ - خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس

مولده بطرابلس وهو من أبناء جندھا ، وكان في أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد ، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة تسع وتسعين ومائتين ، فكان هو للتولى لمذايهم وأخذ أموالهم ، وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي . وأتبع القائم أبا القاسم عماد بن حبيد الله المهدي في مسيره إلى محاربة أهل مصر ، وهو إذ ذاك ولي عهد فليحه بالإسكندرية ، وكان للتولى لجباية الأموال والنظر فيها ، وانصرف إلى الهدية فقدم على خيل إفريقية ، وكان أمر جندھا إليه مع النظر في البحر .

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم جوعاً وقتلاً ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم . وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً : « السكتر يقول إني قتلت وأهلك ألف ألف ، والقليل يقول ستائة ألف » . وكان خروجه إليها في أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان المهدي عبيد الله سخط عليه في آخر دولته فخاف ، ولما توفى أمته القائم واستعمله ، نجار أشد الجور ، « ونموذ بالله من الجور بعد السكورا »^(١) .

[١٢٥-ب] ثم إن القائم صرفه عن صقلية واستقدمه منها ، وقدمه لحرب أبي يزيد الخارجي ، وأخرجه إلى مدينة القيروان في ألف فارس من وجوه العبيد ، فأساء معاملتهم حتى أضغتهم ، ودبروا عليه . وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بداره إلى أن أخذها وأصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبي الربيع وأمر بهم فصلبوا .

(١) حديث فبوى شريف ، والجور هو القصدان ، والكور الزيادة .

ومن شعره يمدح المهدي ويناقض مروان بن أبي حفصة :

قف بالنازل واسألن أطلالها ماذا يضرك إن أردت سؤالها ؟
 هل أنت أول من بكى في دمنه درست وغيّرت الحوادث حالها ؟
 يادار زينب هل تردّين البكا عن مقلّة سفت عليك سجالها ؟
 بذلت بالإنس الخرائد كالدهى وحشّ الفلاة غلباء ورثالها
 واقد عهدت لآل زينب حبرة فيها ، ودنيا أقبلت إقبالها
 بيضاء ناعمة يحول وشاحها وتهزّ دقة خصرها أكفالها
 ولها قوام كالقصب وفوقه جعد يصانح كفه خلخالها
 وكأنّ في فيها بُعيد رقادها عللاً أصاب من السماء رلالها
 ولقد عصبت عواذلى في حبها والنفس تعصى في الهوى عذالها
 ومنها :

صلى الإله على النبي محمد وعلى الإمام وزاده أمثالها
 إن الإمام أقام سنة جدّه للسّنين كاحذوت نعالها
 أحيا شرائعها وقوم كتنها وفروضها وحرّاتها وحلالها
 وهدى به الله البرية بدمعا طلب النّواة الظالمون ضالها
 إن الخلافة يا ابن بنت محمد حطت إليك عن النبي رحالها
 وله وقد اقتصد القائم :

قل للطبيب الذى أوصى ليفصده رقاً ولا زلت بالإسعاد ترتقى
 / كيف استطعت ترى بالله طلته ومن سنا نوره ما يُشرق الأفق ؟
 أم كيف تُخرج من كفّ ثقبها دماً ومنها محار الجود تندق ؟

إني لأعجبُ من كَفِّ مَسَسَتْ بها خيرَ الورى كيف لم يَنْبُتْ بها الورق
وله عند توديع القائم في خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه :
وما ودعتُ خيرَ الناسِ طُرّاً ولا فارقته عن طيبِ نفسٍ
وكيف تطيبُ نفسى عن حياتى أفارقها ، وعن قرى وشمسى ؟
ولكنى طلبتُ رضا جَهْدى وعفوَ الله يومَ حلولِ رمسى
فماشِ مملُكاً مالا حِ شمسُ على الثَّقَلَيْنِ من جنِّ ومانسِ
وبعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان ، وما أظن^(١) مصرع
من احتجب الأئم والعدوان !

١١٠ - جعفر بن فلاح^(٢) الكتّامى ، أبو الفضل

هذا من رجال الدولة العبيدية ، ولم يقع إلى من خبره ما أذكره ها هنا سوى
امتداح أبى القاسم بن هانىء إياه ، وحسبه بذلك نهاية وكفاه ، وذَكَر ابنه
إبراهيمَ معه في مدحه . وفي بعض النسخ التى وقفت عليها من شعر ابن هانىء

(١) الأصل : ولما أضغ .

(٢) الأصل : بَلَّاح . وجعفر بن فلاح بن أبى مرزوق قائد مشهور من قواد الدولة
الفاطمية في عهد الأول ، وكان يعمل أولاً تحت إمرة جوهر الصقل ، وقد سمعته هذا إلى الشام
ليقضى حل بقايا الإحشيين ، وكان الحسن بن طنج قد تحصن بالرملة وملكها ، فصار إليه
جعفر بن فلاح وحزمه في ذى القعدة ٣٥٨ / سبتمبر ٩٦٩ وأسره وبعت به إلى المصطاط ، حيث
أرسل إلى المغرب ومات هناك سنة ٩٨٢ / ٣٧١ . وأخذ جعفر يستمد المسير إلى دمشق ، فشر
الحسن بن أحمد القرمطى بأن الفاطميين خطر عهد سلطانه ، خاصة وقد سار جعفر بن فلاح
إلى طبرية ثم دمشق ودخلها سنة ٣٥٩ ، وأسقط الدعوة للخليفة العباسى ، وخطب للمعز
الفاطمى ، فصار إليه القرمطى والتى به في ٦ ذى القعدة ٣٦٠ / سبتمبر ٩٧١ فأسر جعفر وقتل .

أن للمدوح إبراهيم بن جعفر لا أبوه جعفر ، ووجدتُ منسوباً إليه :
ويوم كانَ النِّجمَ نَحْتَ سَمائِهِ حكى مقلتي سَحَاباً ولم يَحْكُنِي ضَنَا
كانَ النُّوادي بالثَّاني نَضْحَهُ وأبْسَنَهُ نوباً من النُّخْرِ أدْكنا

١١١ - يحيى بن علي بن حمدون الجذامي بن الأندلسي^(١)

وله ولأبيه ولأخيه جعفر بن علي رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية
مذكورة ، وعلى بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها
ابنُه جعفر فظم شأنه .

ولأبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي فيه وفي أخيه يحيى مدائح شهيرة ،
وكان^(٢) لما خرج من الأندلس إلى بني علي هؤلاء وقع ، وإليهم قصد ، / إلى [١٣٦-٤]
أن أعلقوه بالمرزئمة بن إسماعيل فاستفرغ فيه شره وقصر عليه مدحه^(٣) .

١- وجعفر من زعماء الكتامين ورجالهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية . وكان ابنه أبو الحسن
علي بن جعفر بن قلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك ، وكان يلقب بوزير الوزراء
خدي الرياستين ، الأمر المظفر قلب الدولة .

المقرئزي ، أتماظ الحنفا (بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال) ص ١٥٥ (هامش ٥) -
١١٧ - ١٨٠ - ٢٤٨ - ٢٤٩ .

ابن منجب الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) ص ٣٠ - ٣٢ .
البيان المغرب لابن عذارى : ٢٣١ / ١ .

(١) الأغيار التي يوردها ابن الأبار ما تكلل ما لدينا من أخبار بيت بني حمدون ،
ومعظمها عند ابن عذارى (البيان المغرب ، ٢ / ٢٤٢ - ٢٤٤) وابن الخطيب (أعمال الأعلام ،
٦٠ - ٦٢) . وقد نقل ابن عذارى عن محمد بن يوسف الوراق (ص ٢٤٣) تسبهم وطرفاً
من أوليهم فقال إن جندهم الأكبر عبد الحميد كان الناعل إلى الأندلس من الشام ، ونزل في البيرة ،
ثم انتقل حفيده حمدون ، جد جعفر ويحيى ، إلى بجاية ودخل في دعوة الشيعة . انظر بقية
الخبر هناك .

(٢) المراد هنا ابن هاني الشاعر .

(٣) هذه الفقرة ظاهر فيها أسلوب ابن حيان مؤرخ الأندلس .

وهرب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي ، ولحق به أخوه يحيى فأقاما مكرمين عند الحكم المستنصر بالله إلى أن سُيَ بهما إليه ، فسقط عليهما وأمر بإزواجهما ومن معهما رجالة من منازلهم إلى المطبق بمدينة الزهراء ، والتداء عليهم بما كفروا من النسوة . وظهر من شهامة يحيى وتجلده في هذه الحجة ما شهر ، فكان ينادى على نفسه معارضا للمنادي : « لا ، بل جزاء من آثر بني مروان على وَلَدِ قاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ونُصِبَت في الوقت إلى مَنَدَّ بن إسماعيل وهو في القيروان فأَرْضَتَهُ وعَطَفَتَهُ على آل علي بن الأندلسي .

ثم إن الحكم عفا عنهما بسعي عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البلوطي صاحب خطة الرد وتلطُّعِهِ في الاستشفاع بهشام بن الحكم فيها ، وهو إذ ذاك طفل ، فأطلقا من مُصْغَلهما ، وتراجعت حالهما .

وحظي جعفر في أيام هشام عند المنصور محمد بن أبي عامر — بعد وفاة الحكم — وخصَّ به ، ثم قُتِل في طريقه إلى قصر العقاب^(١) حسبا يُذَكَّر في آخر هذا المجموع بحول الله ، فرجَمَ الناسُ فيه الظنون ، وأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه وهو التهم به .

(١) عندما أراد المنصور بن أبي عامر التخلص من غالب الناصري قائد الثغر وشيخ الموالى ، فكر في استخدام جعفر وعلي ابني حنون ، وهما من موالى بني أمية ، وكانا يمكنان مطلقة طينة وسبته باسم هشام المؤيد الأموي ، فأخذ المنصور يستحبهما على الهوى إليه ، فعبّر إليه جعفر منهما ، تاركا شؤون الدولة بيد أخيه يحيى . وأنزله المنصور عند بيئته في قصر العقاب بقرطبة « بعد أن أعد له ما يصلح له فيه » ، وكان جعفر قد أتى بقوة من مقاتلة البربر تبلغ ٦٠٠ فارس ، فاشتد بهم ساعد محمد بن أبي عامر على غالب . وبعد أن تخلص المنصور من غالب ، دبر الخلاص من جعفر بن حنون ، فدعاه إلى وبيعة وقدم له الشراب فأفرط فيه ، وأرصد له من قتلوه وهو عائد بالليل إلى منزله في قصر العقاب سنة ٣٧٤ ، وقد تظاهر المنصور بالحزن عليه .

ودعا يحيى بن علي أخاه وألماه^(١) إلى أن قال لابن أبي عامر أول قتيبة
القيية غيب قتل أخيه : « قد علمنا من قتيبة ، وهذا جزاء مثله ، ولا مقام بأرضك
بعده » ، فقال له ابن أبي عامر : « لولا أن أصدق ظنك في أخيك لأخفيتك به ،
فاخرج إلى لمة الله غير مكلول ولا مصاحب ! » و« كل به من أرحمه فخرج إلى
المدوة . وسبق الإخبار عنه حذراً من بلقين بن زيري بن مناد فصار إلى
سجاسة ثم ركب الصحراء إلى مصر ، قبضه العزيز بالله أبو المنصور نزار ،
وهو يومئذ الخليفة بها ، وأدخله في يوم زينة ، ثم جعل يعترف بالزلة ، ويسأل
الصفح والإقالة ، فقال له نزار : « كلتكم بالزهراء قد أنت على ذلك كله »

وعلم بلقين — واسمه يوسف^(٢) ، ويكنى أبا الفتوح — فودع يحيى إلى مصر
فقامت عليه القيامة ، وعثر على ابن أبي عامر^(٣) مخلف عنه بالمغرب قبض عليه

(١) العبارة هنا مضطربة . وقد ورد اللفظ هنا : وله ، فقامت على هذا النحو السابق .
وواضح أن هنا شيئاً سابقاً ، والمعنى مفهوم على أي حال . فإن المنصور دعا علي بن حمون
ليطعن من ناحيته ، وكان يخشى ثورته عليه وانضمامه إلى الميبيين بعد أن قتل أخاه . ولكن
يحيى ظل على إيمانه بأن المنصور قتل أخاه ، فجل يلمح بذلك . وكان يحيى أكبر من أخيه
وأعظم ، وقد سبق أن وقد على الخليفة المستنصر سنة ٣٦٠ خالماً طاعة الميبيين وقادماً إليه بطاعة
زناة — وكانوا أتباعه — فاستقبله الحكم استقبالا عظيماً وولاه المدوة هو وأخاه جعفر ، فظلا
هناك إلى أن استعان بهما المنصور ، فقدم عليه جعفر منهما .

ابن حذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) هو بلقين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي القائد المعروف الذي استخلفه
الفاطميون على المغرب عند انتقال المزم إلى مصر ، وهو من مشيخ دولة بني زيري في إفريقية .
انظر عنه : ابن حذاري ، البيان المغرب ، ١/٢٢٨ وما بعدها .

ومن الطبيعي أن يغضب بلقين عندما يسمع أن العزيز نزار قد استقبل خصمه يحيى بن علي
ابن حمون زعيم زناة وعلو الصنهاجين وأنه عفا عنه وأكرمه بعد الذي كان منه .

(٣) لفظ عامر هنا غير مفهوم^٤ ، وقد يكون اسم ابن جعفر بن علي بن حمون . وقد تكون
حصة اللفظ « عامر » بمعنى مغموور .

وقته . ولم تطل به ^(١) المسرة بعد قتل جعفر حتى فاجأته للنية ، فهلك في سنة
ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

[١-١٣٧] ومن شعر يحيى بن حل ، وأنشده أبو عامر السالمى في كتاب النشيهات /
من تأليفه قوله يصف فرساً :

ومتماً في خَلْقِهِ لم يُنْخَسِرْ عارى الأديم من اللاحة مُكْتَسِرِ
صَلَّتْ إِلَيْهِ الخيلُ فهو لها ما وهو للقدَمُ عندنا في الأُفْسِرِ
وكانَ لَوْنَ أديمه من سَوَمَنٍ وكانَ لَوْنَ لجامه من نَرَجِسِ

تم بحمد الله

الجزء الأول من كتاب

الحالة السيرة

وبليه الجزء الثاني وأوله ترجمة :

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المستعين بالله ،
أبي أيوب :

(١) أي بأبي الفتح يوسف (بلقين) بن زيري ، فقد توفى في موضع يسمى واركنفو
في المغرب في ٢١ ذي الحجة ٣٢٠ (ابن طهاري ، ٢٣٩/١) .

فهرس الجزء الأول

صفحة

مقدمة الكتاب	...
أول النص	٢

المائة الأولى من الهجرة

١ - عمرو بن العاص ، أبو عبد الله	...
٢ - ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص ، أبو عبد	...
٣ - عبد الله بن عباس ، أبو العباس	...
٤ - عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو حبيب	...
٥ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك	...
٦ - ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد	...

المائة الثانية

٧ - أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	...
٨ - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان	...
٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية	...
١٠ - ابنه الحكم بن هشام المعروف بالريص ، أبو العاص	...
١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	...
١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود	...
١٣ - عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان - وقيل أبو الوليد	...
١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم	...
١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو سليمان	...
١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطار	...
١٧ - الصميل بن حاتم بن ثمر بن ذي الجوشن الكلبي القصباني ، أبو جوشن	...
١٨ - الأظبل بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر	...
١٩ - الحسن بن حرب الكندي	...

صفحة

- ٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأدي التكي ، أبو خالد ٧٢
 ٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ٧٦
 ٢٢ - سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى ٧٩
 ٢٣ - أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم ٨٠
 ٢٤ - سليمان بن حميد الطائي ، أبو داود ٨٢
 ٢٥ - عبد الله بن الجارود السدي ، ويقال له عبدويه ٨٤
 ٢٦ - مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله ٨٦
 ٢٧ - العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى ٨٧
 ٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأدي ٨٨
 ٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم المكي ٨٨
 ٣٠ - النصب مولى ابن المكي ٩٠
 ٣١ - تمام بن تميم الدارى القيسى ، أبو الجهم القائم على ابن المكي المالكور أنقأ ٩١
 ٣٢ - إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقاب ، أبو إسحاق ٩٣
 ٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان القيسى ، أبو العباس ١٠١
 ٣٤ - خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكنتى ١٠١
 ٣٥ - عمران بن عجلد بن يزيد الريمى ١٠٤
 ٣٦ - عامر بن الممر بن سنان القيسى ، تيم الرباب ١٠٦
 ٣٧ - حزة بن السبال ، المعروف بالخرون ١٠٧
 ٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيبى ١٠٩
 ٣٩ - عمرو بن معاوية القيسى ١١٠
 ٤٠ - بهلول بن عبد الواحد المدغرى ١١١

المائة الثالثة

- ٤١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام
 ابن عبد الملك بن مروان ، أبو المطرف ١١٣
 ٤٢ - ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو عبد الله ١١٩
 ٤٣ - ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد ١٢٠
 ٤٤ - يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ١٢٤
 ٤٥ - أخوه يشر ابن الأمير عبد الرحمن ١٢٦
 ٤٦ - القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو محمد ١٢٧
 ٤٧ - المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم ١٢٨
 ٤٨ - إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوها ١٣٠
 ٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ١٣١
 ٥٠ - عبد الكريم بن عبد الواحد بن مفيث الخلاج ، أبو حفص ١٣٥

صفحة

- ٥١ - هاشم بن عبد العزيز الوزير ، أبو عالد ١٣٧
- ٥٢ - ابنه عمر بن هاشم ١٤٢
- ٥٣ - تمام بن عامر الضيق الوزير ، أبو غالب ١٤٣
- ٥٤ - منصور بن محمد بن أبي الجلول ١٤٥
- ٥٥ - عبيد الله بن محمد بن النضر بن أبي عينة الوزير ، أبو حبان ١٤٦
- ٥٦ - سوار بن حنون القيسى الحارثى ١٤٧
- ٥٧ - سعيد بن جودى السعدى ، أبو حبان ١٥٤
- ٥٨ - سليمان بن واثقوس الوزير ، أبو أيوب ١٦٠
- ٥٩ - عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجفائى ، أبو مروان ١٦١
- ٦٠ - عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ١٦٢
- ٦١ - زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد ١٦٣
- ٦٢ - الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقاب (ويلقب بنحزور) ١٦٨
- ٦٣ - ابنه محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس ١٦٩
- ٦٤ - إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقاب الأغلب ١٧١
- ٦٥ - ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس ١٧٤
- ٦٦ - ابنه زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو مضر ١٧٥
- ٦٧ - محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس ١٧٩
- ٦٨ - يعقوب بن الفضل بن سودة بن سفيان بن سالم بن عقاب التميمى ١٨٢
- ٦٩ - أحمد بن سفيان بن سودة بن سفيان بن سالم بن عقاب ١٨٢
- ٧٠ - مجير بن إبراهيم بن سفيان ١٨٥
- ٧١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال ١٨٦
- ٧٢ - الحسن بن منصور بن قافح بن عبد الرحمن بن عامر بن قافح بن عمية المسلى ١٨٧
- المسحى ، أبو علي ١٨٧
- ٧٣ - عبد الله بن الصائغ (المعروف بصاحب البريد) ١٨٩
- ٧٤ - عبيد الله الملقب بالمهلى ، أبو محمد ١٩٠
- ٧٥ - أبو عبد الله الشيبى ، داعية عبيد الله المهلى ١٩٤

المائة الرابعة

- ٧٦ - عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، أبو المطرف ١٩٧
- ٧٧ - ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصى ٢٠٠
- ٧٨ - عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد ٢٠٦
- ٧٩ - عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصغر ٢٠٨
- ٨٠ - محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ٢٠٨
- ٨١ - عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف بابن القرشية ٢١٠

صفحة

- ٨٢ - محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ،
 ٢١٢ أبو عبد الله
 ٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
 ٢١٣
 ٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن
 ٢١٤
 ٨٥ - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الريضى ،
 ٢١٥ أبو بكر - الملقب بالحجر
 ٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك
 ٢٢٠
 ٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحسى
 ٢٢٦
 ٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى المصطفى
 ٢٢٨
 ٨٩ - لب بن عبد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى
 ٢٣٠
 ٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى
 ٢٣٢
 ٩١ - أحمد بن عبد الملك بن شهيد الوزير ، أبو عمر
 ٢٣٧
 ٩٢ - ابنه عبد الملك بن أحمد الوزير ، أبو مروان
 ٢٣٩
 ٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب
 ٢٤٠
 ٩٤ - أخوه غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام
 ٢٤٤
 ٩٥ - جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة الوزير ، أبو الحرزم
 ٢٤٥
 ٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله
 ٢٥٢
 ٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد
 ٢٥٢
 ٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد ، أبو بكر
 ٢٥٤
 ٩٩ - عبد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب
 ٢٥٦
 ١٠٠ - جعفر بن عثمان المصطفى الحاجب الوزير ، أبو الحسن
 ٢٥٧
 ١٠١ - محمد بن عبد الله بن أبي عامر الحاجب ، المنصور أبو عامر
 ٢٦٨
 ١٠٢ - عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص
 ٢٧٧
 ١٠٣ - زياد بن أفلح ، مولد الباصر عبد الرحمن بن محمد
 ٢٧٨
 ١٠٤ - فرحون بن عبد الله ، يعرف بابن الوليلة
 ٢٨٠
 ١٠٥ - علي بن وداعة بن عبد الوودود السلى ، أبو الحسن
 ٢٨٢
 ١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى
 ٢٨٤
 ١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبد الله
 ٢٨٥
 ١٠٨ - تمم بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو حل
 ٢٩١
 ١٠٩ - خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو المباس
 ٣٠٢
 ١١٠ - حمير بن فلاح الكتانى ، أبو الفضل
 ٣٠٤
 ١١١ - يحيى بن علي بن حنون الجندى بن الأندلسى
 ٣٠٥

IBN AL-ABBĀR

Al-Hulla al-Siyarā

Edition Critique

par

HUSSAIN MONÉS

Professeur à l'Université du Caire,

Directeur de l'Institut d'Etudes Islamiques de Madrid.

Volume I

Editeur

La Société Arabe de Publications, 47 Rue Naguib al Rihānī.

Le Caire, 1963.

1 1

1

1

6701

51A

